

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عمار ثليجي - الأغواط -



قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب واللغات

قرينة التضام في التركيب القرآني بين النحو والبلاغة وعلم الدلالة

دراسة نظرية وتطبيقية

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في اللغة العربية

بإشراف الأستاذ الدكتور:

بن علي سليمان

إعداد الطالب:

بودانة طه الأمين

السنة الجامعية:

1439 - 1440 هـ / 2018 - 2019

شكر وتقدير

أتوجه بالشكر الجزيل والعميق لكل من ساعدني في إنجاز هذا البحث من قريب أو بعيد؛ وأخص بالذكر والديّ الكريمين متّعهما الله عز وجل بالصحة والعافية، والمشرف الذي أحاطني بنصائحه وتوجيهاته، وأساتذتي الكرام في قسم اللغة العربية وآدابها الذين استفدتُ كثيرا من خبرتهم في إنجاز هذا البحث، وزملائي الذين لم يخلوا عليّ بعلمهم ونصحهم، وجميع من أمدّني بالعون ووقف إلى جانبي ولو باليسير، فإنه من الواجب عليّ أن أوجّه الشكر للجميع مصداقا لقول النبي - عليه الصلاة والسلام-: { لا يشكر الله من لا يشكر الناس }.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه وجميع الأنبياء والمرسلين، أما بعد: فقد كلل تمام حسان (ت 1431هـ - 2011م) جهوده اللغوية المعتبرة في الجانب التنظيري المتمثلة في السعي إلى تأسيس نظرية لغوية شاملة، تهدف إلى إعادة هيكلة النحو العربي بشقيه التحليلي والتركيبى بمحاولة تطبيقية موفقة إلى حد كبير؛ تمثلت في كتابه "البيان في روائع القرآن"، وهو كتاب حاول فيه مؤلفه أن يكتشف خصائص الأسلوب القرآني المعجز من خلال نظرية تضافر القرائن، وقد سلط فيه الضوء بالخصوص على القرائن اللفظية ومن بينها قرينة التضام.

هذه القرينة التي لم تحظ بقسط وافر من الدراسة من قبل الباحثين رغم كونها المرتكز الأساسي لفهم خصائص التركيب اللغوي، والمسؤولة عن الحفاظ على كيان اللغة بما تؤديه من دور هام في استمراريتها وتحددتها بإنتاج سلاسل كلامية لا متناهية.

وقد سعى تمام حسان في هذا الكتاب وفي غيره من كتبه القيمة لإبراز الخصائص التركيبية للغة العربية بصفة عامة ولغة القرآن الكريم بصفة خاصة، وذلك في ظل التحديات التي تواجهها هذه اللغة، لاسيما مع النهضة الفكرية الهائلة التي شهدتها الغرب والتي شملت جميع الميادين بما فيها اللغة، جامعا في ذلك بين إرث الأسلاف وتحديات العصر الراهن. ولمواصلة هذه المسيرة العلمية الحافلة بالطموح والإصرار والتحدي ارتأينا أن نسير على خطى هذا الرجل، وأن نبين الخصائص التركيبية للغة العربية وتحليلاتها النحوية والبلاغية والدلالية في القرآن الكريم، وهذا هو الدافع الرئيسي الذي حملنا على اختيار هذا الموضوع بالذات، ولا أشرف للمسلم من أن يدافع عن كتاب ربه الكريم ويسعى إلى تفهيم الناس بحقيقة معانيه بما آناه الله من علم بهذه اللغة الشريفة.

لذلك جاء هذا البحث تنمة لما تناوله تمام حسان في كتابه "البيان في روائع القرآن" فيما يخص قرينة التضام في التركيب القرآني؛ حيث أشار إليها إشارة خاطفة شأنها في ذلك شأن باقي القرائن اللفظية الأخرى، فقد انطلقنا من الخطوط العريضة التي قدمها لنا حول هذه القرينة وتحليلاتها في التركيب القرآني لنغوص في التفاصيل الدقيقة في كل ما يتعلق بها على المستوى النحوي، إضافة إلى الظواهر المرتبطة بها وأبعادها البلاغية والدلالية في التركيب القرآني.

ونسعى من خلال هذا البحث للإجابة عن مجموعة من الإشكاليات التي تطرح نفسها أمام الباحث؛

ألا وهي:

- 1- كيف تتجلى أهمية قرينة التضام على المستوى الصرفي والنحوي؟
 - 2- وما هي الظواهر التي تتجلى فيها هذه القرينة في القرآن الكريم؟
 - 3- وكيف يمكننا أن نفهم هذه الظواهر نحويًا وبلاغيًا ودلاليًا في كتاب الله العزيز؟
 - 4- وهل نسلم بوجود جميع هذه الظواهر في القرآن العظيم، أم أن منها ما لا يستسيغه النظم القرآني المعجز، وترفضه بلاغته الخالدة؟
 - 5- وهل بوسع الباحث أن يتناول قرينة من القرائن أو ظاهرة من الظواهر اللغوية بالدراسة في القرآن الكريم في ضوء علم النحو أو البلاغة أو علم الدلالة مع غض طرفه عن العلم الآخر، أم أن ذلك ضرب من التعسف الذي لا يتناسب مع البحث العلمي الجاد؟
 - 6- وما هو الأثر الذي تركه تغليب الجانب التحليلي على الجانب التركيبي في دراسات بعض اللغويين القدماء، ولاسيما ما تعلق منها بالقرآن الكريم؟
 - 7- وهل يمكننا انطلاقًا من هذه الدراسة التأسيس لرؤية تفسيرية يمتاز بالنظرة الشمولية بعيدا عن تلك النظرة الجزئية التحليلية الضيقة التي طبعت جل التفاسير؛ حيث لم تخرج من الدوران في فلك الجملة ولم تتعد ذلك إلى النظر إلى النص القرآني كوحدة متماسكة، وإلى القرآن بروته كنص متميز معجز أخرج للإنسانية أمة فريدة في الوجود الإنساني في ظرف وجيز جدا، وهذا ما يعجز عنه أي نص آخر مهما بلغت معانيه في قوتها الإنجازية؟
 - 8- وهل عرف التراث الإسلامي هذا النوع المتميز من التفاسير قديما أو حديثا؟
 - 9- وإذا كان ذلك كذلك، فما هو واجبنا تجاه هذه التفاسير الفريدة من نوعها؟
- هذا، وقد جاء هذا البحث في خطة تمثلت في مدخل وبابين وخاتمة؛ كل باب يتكون من أربعة فصول ؛ حيث تناولنا في المدخل مصطلح القرينة بين القديم والحديث؛ فتطرقنا لهذا المصطلح في التراث من خلال تعريفه لغة واصطلاحًا، ثم تعرضنا لمسيرة تطور هذا المصطلح منذ النشأة إلى النضوج والاكتمال، وهذا ما دفعنا للحديث عن أقسام مصطلح القرينة عند العلماء القدامى.
- وأردفنا هذا المبحث بالحديث عن مصطلح القرينة في الفكر اللغوي المعاصر؛ فتناولناه عند اللغويين المعاصرين في البيئة العربية والغربية وتقسيماهم له، ورأينا أن نختم هذا المدخل بمبحث خاص برائد هذه النظرية العربية في هذا العصر ألا وهو تمام حسان.
- وبالباب الأول من هذا البحث خصصناه للحديث عن قرينة التضام في ضوء علم النحو؛ وهي دراسة نظرية تمثلت في الفصول التالية:

الفصل الأول: تعريف التضام وبيان أنواعه وعوارضه؛ حيث تعرضنا لتعريف التضام لغة واصطلاحاً ثم بيّنا أنواعه واستنبطنا عوارضه من كلام علماء العربية القدماء منهم والمحدثين.

الفصل الثاني: أثر قرينة التضام في تقسيم الكلم العربي؛ بيّنا في هذا الفصل أثر قرينة التضام في التقسيمين الثلاثي والسباعي، فقد كانت قرينة التضام هي الأساس الذي بنى عليه علماء العربية تقسيمهم للكلم العربي.

الفصل الثالث: أثر قرينة التضام في تحديد الوظائف النحوية؛ تعرفنا في هذا الفصل على الدور الخطير الذي تلعبه هذه القرينة في تحديد الأبواب النحوية من مرفوعات ومنصوبات ومجرورات، إضافة إلى دورها في تحديد الوظائف النحوية للأدوات.

الفصل الرابع: التضام في ضوء المنهج الوصفي؛ وقد كان المنهج الوصفي من أكثر المناهج التي أولت اهتماماً بالغاً بالبنية التركيبية للكلام، لذلك كان لزاماً علينا أن نتعرض له في خِصِّم دراستنا لهذه القرينة.

الفصل الخامس: ظواهر التضام؛ استعرضنا في هذا الفصل الظواهر التي تندرج تحت قرينة التضام، وهي قسمين: ظواهر رئيسية أو كبرى وأخرى ثانوية أو فرعية، وتعرضنا فيه بإيجاز للظواهر الفرعية أما الظواهر الكبرى فتركناها للجانب التطبيقي لتتناولها هناك بقدر كاف من التفصيل.

أما الباب الثاني فقد تناولنا فيه أهم ظواهر التضام في التركيب القرآني وتحليلاتها البلاغية والدلالية؛ وهي دراسة تطبيقية تمثلت في أربعة فصول هي:

الفصل الأول: ظاهرة الحذف في التركيب القرآني ومظهراتها البلاغية والدلالية؛ حيث تعتبر ظاهرة الحذف من أهم الظواهر التركيبية التي يكثر تواجدها في التركيب اللغوي العربي عموماً والتركيب القرآني خصوصاً.

الفصل الثاني: ظاهرة الزيادة في المبنى لتأكيد المعنى؛ ناقشنا قضية الزيادة في القرآن الكريم بين دوافع المحيزين وحجج المانعين، وخرجنا برأي علمي بنينا عليه بقية الدراسة التطبيقية.

الفصل الثالث: ظاهرة الفصل النحوي في التركيب القرآني ومظهراتها البلاغية والدلالية؛ استكملنا في هذا الفصل الجانب التطبيقي لهذه الظاهرة بعد أن تعرضنا لها نظرياً تحت مبحث عوارض التضام.

الفصل الرابع: ظاهرة الاعتراض في التركيب القرآني ومظهراتها البلاغية والدلالية؛ تتبعنا في هذا الفصل أهم مواضع الاعتراض التي وردت في القرآن الكريم مبرزين جوانبها البلاغية والدلالية شأنها في ذلك شأن بقية ظواهر التضام.

أما الخاتمة فضمنها زيادة ما توصلنا إليه من نتائج في بحثنا هذا.

وقد قمنا بهذه الدراسة متوخين المنهج الوصفي مع ما يتطلبه العمل من تحليل؛ حيث بدأنا بوصف قرينة التضام كما وردت في التراث اللغوي وفي الدراسات الحديثة العربية والغربية، ثم قمنا بتحليل نماذج من

ظواهرها في القرآن الكريم مناقشين آراء العلماء فيها، مستندين في ذلك كله إلى السياق الذي يرد فيه كل نموذج من النماذج المدروسة.

وما كان لنا أن نخطو خطوة واحدة في هذا البحث دون الرجوع إلى خزانة الفكر الإنساني من مصادر ومراجع متنوعة، نذكر أهمها وهي:

- كتاب سيبويه
- الخصائص لابن جني
- دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي
- اللغة العربية معناها ومبناها لتمام حسان
- معاني النحو لفاضل صالح السامرائي.

وقد واجه هذا البحث صعوبات عديدة ومشاكل عويصة؛ أهمها: قلة المصادر والمراجع، وتشعب ظواهر التضام وعمقها؛ فكل ظاهرة منها تصلح لأن تكون موضوع رسالة بحد ذاتها، زد على ذلك كثرة الآيات التي وردت فيها هذه الظواهر فيصعب جدا على الباحث حصرها واستقصاؤها، ومما زاد الطين بلة ضعف الشبكة العنكبوتية وقصورها عن أدنى مستوى مطلوب للبحث العلمي الجاد.

وقبل الشروع في هذا البحث نشير إلى حقيقة هامة تتعلق بالعنوان؛ فقد يتبادر منه للوهلة الأولى أن الباحث سيدرس هذه القرينة في ضوء العلوم الثلاثة المذكورة؛ وذلك بأن يخصص لكل منها فصلا نظريا، والحقيقة التي أردناها بهذا العنوان خلاف ذلك؛ فقد أردنا نوعا من الجدة والابتكار؛ ذلك أن دراسة هذه القرينة في التركيب القرآني تقتضي ولا بد أن ننظر إليها من هذه الزوايا مجتمعة؛ وذلك ما يعبر عنه لسان حال الجانب التطبيقي من هذا البحث، فلسنا بعد هذا بحاجة إلى أن نفرّد مبحثا خاصا لكل علم من هذه العلوم؛ فهي في نظرنا - ولا سيما في دراسة الظواهر التي تخص التركيب القرآني - متداخلة تداخلا يصعب معه عزل أحدها عن الآخر لمن أراد دراسة معمّقة لمثل هذه الظواهر.

وبطبيعة الحال ليس ببحثنا دراسة مقارنة لتناول هذه العلوم الثلاثة قرينة التضام بل أردنا منه أن يكون بحثا تطبيقيا بالدرجة الأولى دون أن نغفل الجانب النظري، وتعمقنا في الجانب التطبيقي يضطرنا اضطرارا إلى استحضار هذه العلوم الثلاثة وعدم إقصاء أي منها ولو بالتلميح دون التصريح.

وفي الأخير لا يسعني إلا التوجه بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف الذي أحاطني طيلة هذه الرحلة العلمية بتوجيهاته ونصائحه وتواصله الإيجابي العميق، كما أتوجه بالشكر الجزيل لأعضاء اللجنة العلمية المحترمة لما

ستهدي إلي من تصويبات وتصحيحات تتدارك به نقص هذا البحث، والحمد لله أولا وأخيرا وصلى الله
وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وجميع الأنبياء والمرسلين.

بودانة طه الأمين

مساء يوم الأربعاء 22 رجب 1438هـ

الموافق ل: 19 أبريل 2017

مدخل

* مصطلح القرينة في التراث اللغوي العربي

* مصطلح القرينة في الفكر اللغوي المعاصر

* تمام حسان رائد نظرية تضافر القرائن في العصر الحديث

1- مصطلح القرينة في التراث اللغوي العربي:

أ- تعريف القرينة لغة واصطلاحاً:

• القرينة لغة:

يقول ابن فارس (ت 395هـ): « القاف والراء والنون أصلان صحيحان: أحدهما يدل على جمع شيء إلى شيء، والآخر شيء ينتأ بشدة وقوة»¹؛ فالقرينة على المعنى الأول تشير إلى معنيين: أحدهما معنى "مفعولة" من الاقتران، والآخر معنى "مفاعلة" من المقارنة.

ومن أمثلة هذا المعنى - وهو الضم والمصاحبة والتلازم - قولهم: "قارن الشيء الشيء مقارنة وقرانا"؛ أي: اقترن به وصاحبه، و"القرائن" عندهم حبال معروفة مقترنة، و"القرائن" أيضاً: دور كانت لبني سعيد بن العاص متلاصقة، سُميت بذلك لاقترائها. وقرينة الإنسان: روحه أو نفسه لاقترائها بالجسم، وقرينة الرجل: امرأته، لمقارنته إياها، والقرينة: الناقة تُشد إلى أخرى. ويُسمى النسك الذي يُجمع فيه بين الحج والعمرة في إحرام واحد بـ "القران"، كذلك يُطلق هذا الاسم على مَنْ جمع في الأكل بين تمرتين، ويُسمى الرجل الذي يجتمع مع مثيله في الشجاعة: "قِرْنُهُ"، والأمثلة في هذا المعنى كثيرة.²

ومن أمثلة المعنى الآخر - وهو النتوء بقوة وشدة - القرن للشاة وغيرها، وهو ناتئ قوي، و"القرن": جبل صغير منفرد، و"القرنان": منارتان تبنيان على رأس البئر توضع عليهما الخشبة التي يدور عليها المحور.³ والمعنى الأول هو الأقرب للمعنى الاصطلاحي كما سيأتي توضيحه.

¹ - ابن فارس (أبو الحسين أحمد)، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر: بيروت - لبنان، 1399هـ - 1979م، (د)، ط: 5 / 76.

² - ابن منظور (أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري)، لسان العرب، دار صادر: بيروت - لبنان، ط: 3، 1414هـ - 1994م : 13 / 336.

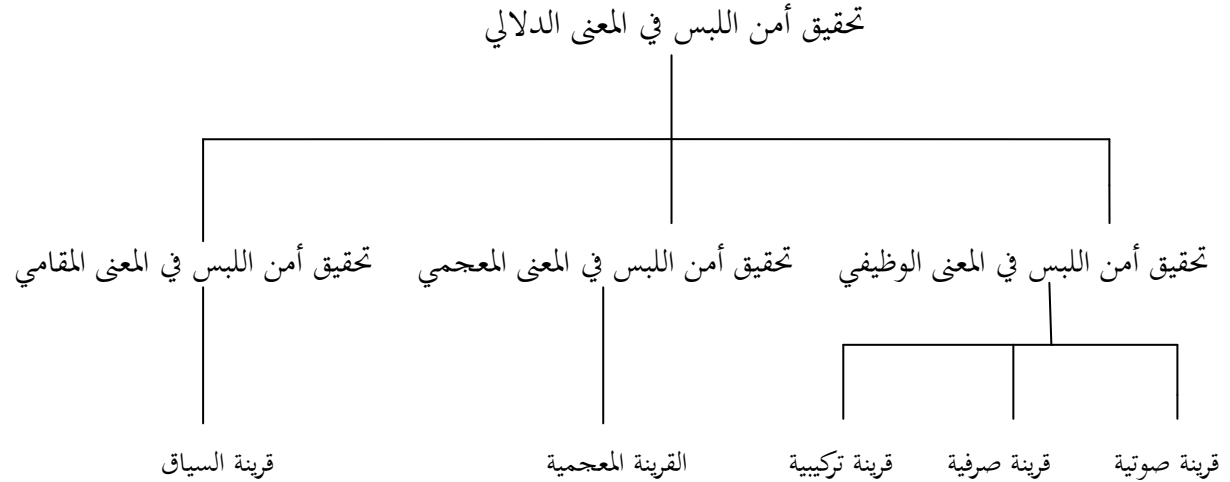
³ - ينظر: الأزهرى (أبو منصور محمد بن أحمد)، تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ط: 1، 1421هـ - 2000م : 9 / 89.

• القرينة اصطلاحاً:

القرينة في الاصطلاح كما عرفها الشريف الجرجاني (ت 816هـ): «أمر يشير إلى المطلوب. والقرينة: إما حالية، أو معنوية، أو لفظية، نحو: ضرب موسى عيسى، وضرب من في الغار من على السطح، فإن الإعراب منتفٍ فيه، بخلاف: ضربت موسى حبلى، وأكل موسى الكمثرى، فإن في الأول قرينة لفظية، وفي الثانية قرينة حالية»¹، وعرفها التهانوي (ت 1158هـ) بأنها: «الأمر الدال على الشيء من غير استعمال فيه، وهي قسمان حالية و مقالية، وقد يقال: لفظية ومعنوية»².

وقيل إن القرينة هي: "كل ما يدل على المقصود"³، وقيل إنها: "عنصر من عناصر الكلام يُستدل به على الوظائف النحوية"⁴، وقيل هي: "الدلالة اللفظية أو المعنوية التي تمحض المدلول وتصرفه إلى المراد مع منع غيره من الدخول فيه"⁵.

وعلى هذا يمكننا أن نعرف القرينة بأنها الوسيلة اللفظية أو المعنوية أو الحالية أو العقلية التي تحقق أمن اللبس في التركيب اللغوي؛ سواء كان هذا اللبس في المعنى الوظيفي أو المعنى المعجمي أو المعنى المقامي. ويمكن أن نوضح هذا التعريف عبر المخطط التالي:



¹ - الشريف الجرجاني (علي بن محمد)، التعريفات، (د، تح)، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان، ط: 1، 1403هـ - 1983م، ص: 174.

² - التهانوي (محمد بن علي)، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، ط: 1، 1416هـ - 1996م: 1315 / 2.

³ - إميل بديع يعقوب، موسوعة النحو والصرف والإعراب، ط: 3، مطبعة عترة، طهران - قم، ص: 522.

⁴ - تمام حسان، البيان في روائع القرآن، عالم الكتب: القاهرة، ط: 1، 1413هـ - 1993م، ص: 10.

⁵ - اللبدي (محمد سمير نجيب)، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة: بيروت، دار الفرقان: عمان - الأردن، ط: 3، 1409هـ - 1989م، ص: 186.

ب- تطور مصطلح القرينة:

باستقراء كتب علماء العربية والتفسير يلاحظ الباحث أن أول من صرح بمصطلح "القرينة" هو ابن جني (ت 392هـ)، ولا يعني هذا أن مفهوم القرينة كان غائبا عن أذهان العلماء قبله، وإنما كانوا يعبرون عنه بألفاظ أخرى دالة عليه. وعلى هذا يمكن تقسيم مراحل تطور المصطلح إلى ثلاث مراحل:¹

1- مرحلة التعبير عنه بألفاظ أخرى دالة عليه:

تبدأ هذه المرحلة بسيبويه (ت 180هـ)، وتنتهي بابن جني، وهذه الألفاظ بدورها يمكن أن تقسم ثلاثة أقسام:

أ- ألفاظ يُعبّر بها عن القرائن الحالية والمقالية:

من هذه الألفاظ لفظ "الدليل"؛ فقد استعمله سيبويه للتعبير عن معنى قرينة لفظية في سياق حديثه عن الاسم المبين للعدد حيث يقول: «...ولكنه حُذف استخفافاً؛ لأن ما أبقوا دليل على ما ألقوا»،² وللتعبير عن القرينة الحالية استخدمه المبرد (ت 285هـ) كذلك؛ حيث يقول: «هذا باب المصادر التي تشركها أسماء الفاعلين، ولا تكون واقعة هذا الموقع إلا ومعها دليل من مشاهدة، فهي منصوبة على ذلك خبراً كانت أو استفهاماً»،³ وفي هذا الفلك يدور ابن السراج (ت 316هـ) حينما ينبه على قرينة الصيغة وأثرها في التركيب حيث يقول: «ألا ترى أنك تقول: "زيد أضربه" و"زيد تضربه"، فإن كان موضع الفعل اسم فاعل لم تقل إلا "زيد ضاربه أنا أو أنت"؛ لأن في تصاريف الفعل ما يدل على المضمّر ما هو».⁴

والدليل كما هو معلوم أوسع من القرينة؛ فالقرينة تتميز عن الدليل بكونها عقلية غير وضعية، وأنها شيء آخر خارج عما يُستدل عليه. يقول أبو حامد الغزالي (ت 505هـ): «وقد يكون ذلك الدليل قرينة، وقد يكون قياساً، وقد يكون ظاهراً آخر أقوى منه».⁵

ومن الألفاظ التي استخدمها العلماء في هذه المرحلة لفظ "الدلالة"؛ فهذا هو الجاحظ المتوفى سنة 255 هـ يعدد أنواع القرائن قائلاً: «وجميع أصناف الدلالات على المعاني في لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا

¹ - ينظر: ضياء الدين القالاش، القرائن في علم المعاني، مخطوط رسالة دكتوراه، 2010-2011، جامعة دمشق، ص: 30.

² - سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان)، كتاب سيبويه، نج: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: 3، 1408هـ - 1988م: 560/3.

³ - المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد)، المقتضب، نج: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب: بيروت، (د، ط- د، ت): 264/3.

⁴ - ابن السراج (أبو بكر محمد بن السري)، الأصول في النحو، نج: الفتلي، مؤسسة الرسالة: بيروت، (د، ط- د، ت): 72/1.

⁵ - الغزالي (أبو حامد محمد بن محمد الطوسي)، المستصفى، نج: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1413هـ، ص: 196.

تنقص ولا تزيد: أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تُسمى نصبة»¹. وعبر المبرد بهذا اللفظ عن القرينة الحالية إذ يقول: «ولولا دلالة الحال على ذلك لم يجز الإضمار؛ لأن الفعل إنما يُضَمَّر إذا دل عليه دال»²، وعبر به الفارسي (ت 377هـ) عن معنى القرينة المقالية في قوله: «وفي الكلام دلالة على حذفه...»³. والدلالة هي: «كون الشيء بحيث يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والأول الدال والثاني المدلول»⁴ وهي أعم من القرينة لأن القرينة هي دلالة عقلية غير وضعية... فهي إحدى الدلالات.

ب- ألفاظ يُعبر بها عن القرائن المقالية:

إضافة إلى الألفاظ التي ذكرناها آنفا والتي يُعبر بها عن القرائن الحالية والمقالية نجدهم قد خصصوا القرائن المقالية بألفاظ أخرى شاع استخدامها في القرن الرابع الهجري؛ منها: لفظ "فحوى"، وقد ورد هذا اللفظ عند الرماني (ت 384هـ) في قوله: «الحذف: إسقاط كلمة للاحتذاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام»⁵، وعند القاضي الجرجاني (ت 392هـ) في كتابه: "الوساطة بين المتنبئ وخصومه" حيث يقول: «... فاستدل بشاهد الحال، وفحوى الخطاب»⁶.

وفحوى الكلام أو فحوى الخطاب عرفه اللغويون والأصوليون بأنه ما يُفهم من مطاوي الكلام⁷، أو ما يُعرف به غيره على وجه البينة وطريق الأولى؛ كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: 23]؛ فمن باب أولى أن لا يضر بهما، وقد سماه الشافعي (ت 204هـ) - رحمه الله - قياسا جليا.⁸ ويقول الدسوقي (ت 1300هـ): «وإنما سُميت القرينة المقالية فحوى؛ لأن فحوى الكلام في

¹ - الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، البيان والتبيين، (د، تح)، دار ومكتبة الهلال: بيروت، 1423هـ - 2003م، (د، ط): 1/ 82.

² - المبرد، المقتضب: 3/ 228.

³ - الفارسي (أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار)، كتاب الشعر، تح: محمود الطناحي، مكتبة الخانجي: القاهرة، ط: 1، 1408هـ - 1988م: 2/ 346.

⁴ - الكفوي (أبو البقاء أيوب بن موسى)، الكليات، تح: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة: بيروت، (د- ط، د- ت)، ص: 439.

⁵ - الرماني (أبو الحسن علي بن عيسى)، النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، (د، تح)، مكتبة الخانجي - القاهرة، (د- ط، د، ت)، ص: 76.

⁶ - القاضي الجرجاني (أبو الحسن علي بن عبد العزيز)، الوساطة بين المتنبئ وخصومه، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى الحلبي: القاهرة، (د- ط، د، ت)، ص: 418.

⁷ - ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة: 4/ 480.

⁸ - ينظر: السمعاني (أبو المظفر منصور بن محمد)، قواطع الأدلة في الأصول، تح: محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1418هـ - 1998م: 1/ 236.

في الأصل: معناه ومذهبه، كما في القاموس، والقرينة المقالية معنى لفظ ذكر مع اللفظ المجازي يمنع من إرادة الموضوع له»¹.

ومن الألفاظ التي أستخدمت للتعبير عن القرائن المقالية في هذه المرحلة لفظ السياق؛ وقد ورد كثيرا عند الطبري (ت 310هـ) في تفسيره، فمن ذلك مثلاً قوله: «وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ يَمَثِّلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: 194]: إنما هو في سياق الآيات التي فيها الأمر بالقتال والجهاد، والله جل ثناؤه إنما فرض القتال على المؤمنين بعد الهجرة»². وقد ورد هذا اللفظ كذلك عند الآمدي (ت 370هـ) في كتاب الموازنة³.

ج- ألفاظ يُعبر بها عن القرائن الحالية:

استعمل سيبويه مصطلح "الآية" بدلا عن القرينة في سياق حديثه عن حذف المبتدأ الذي يعتمد إليه الناطقون اعتمادا منهم على القرائن الحالية المصاحبة للكلام؛ حيث يقول: «إنك رأيت صورة لشخص فصار آية لك على معرفة الشخص؛ فقلت: عبد الله وربي، كأنك قلت: "ذاك عبد الله"، أو "هذا عبد الله"، أو سمعت صوتا فعرفت صاحب الصوت فصار آية لك على معرفته، فقلت: زيدٌ وربي»⁴.

ومن الألفاظ التي استعملها سيبويه لفظ "الحال"؛ فمن ذلك مثلاً قوله في سياق الحديث عن إضمار الفعل: «... وترك ذكر الفعل لما يرى من الحال، ومثله: "بيع المَلْطِي لا عهد ولا عقد"، وذلك إن كنت في حال مساومة وحال بيع، فتدع "أبايعك" استغناء لما فيه من الحال»⁵.

وكنى بشر بن المعتمر (ت 210هـ) بلفظ الحال عن القرينة الخارجية أو المقام؛ إذ يقول: «المعنى ليس يشرف أن يكون من المعاني الخاصة، وكذلك ليس يتضح بأن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال، ومما يجب لكل مقام من مقال»⁶.

¹ - الدسوقي (محمد بن أحمد بن عرفة)، حاشية الدسوقي على مختصر التفتازاني، دار الإرشاد الإسلامي: بيروت، (د، ط- د، ت): 3/ 298.

² - الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير)، جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط: 1، 1420هـ- 2000م : 3/ 581.

³ - ينظر: الآمدي (أبو القاسم الحسن بن بشر)، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف: القاهرة، ط: 4، (د، ت) : 1/ 153- 239.

⁴ - سيبويه، كتاب سيبويه: 2/ 130.

⁵ - المصدر نفسه: 1/ 272.

⁶ - ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين: 1/ 129.

ثم صار هذا اللفظ يرد مقرونا بلفظ الدلالة والمشاهدة وما يقاربهما؛ كقول المبرد: «...ولولا دلالة الحال على ذلك لم يجز الإضمار»،¹ وقوله: «ولا يجوز الحذف حتى يكون المحذوف معلوما بما يدل عليه من متقدّم خبر أو مشاهدة حال»،² وقول الفارسي: «فأضمر الفاعل لدلالة الحال عليه»،³ وقول القاضي الجرجاني: «فاستدل بشاهد الحال».⁴

وقريبا من هذه الألفاظ لفظُ "الحَضْرَة" الذي استعمله المبرد في موضع واحد؛ في قوله: «واعلم أن المصادر لا تمتنع من إضمار أفعالها إذا ذكرت ما يدل عليها، أو كان بالحضرة ما يدل على ذلك».⁵

¹ - المبرد، المقتضب: 3 / 228.

² - المصدر نفسه: 2 / 81.

³ - الفارسي، كتاب الشعر: 2 / 454.

⁴ - القاضي الجرجاني، الوساطة، ص: 418.

⁵ - المبرد، المقتضب: 3 / 232.

2- مرحلة ظهور مصطلح القرينة على قلة في استعماله:

تبدأ هذه المرحلة بابن جني وتنتهي بالسكاكي (ت 626هـ)، وقبل البدء في الحديث عن بداية ظهور مصطلح القرينة يجدر بنا التنبيه إلى أن العلماء في هذه المرحلة قد استخدموا عدة ألفاظ وعبارات للتعبير عن هذا المصطلح غير تلك التي ذُكرت في المرحلة الأولى؛ فمن ذلك مثلاً قول ابن جني في سياق حديثه عن الإعراب: «وكذلك إن ألحقت الكلام ضرباً من الإتياع جاز لك التصرف لما تُعقب من البيان؛ نحو: "ضرب يحيى نفسه بشرى"»¹ فالحركة الإعرابية الظاهرة في التوكيد المعنوي تعتبر قرينة على الوظيفة النحوية لـ "يحيى"، ولولا ذلك لما جاز تقديمه.

ومن ذلك قول عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ): «... فأنت في هذا النحو من الكلام إنما تعرف أن المتكلم لم يُرد ما الاسم موضوع له في أصل اللغة، بدليل الحال، أو إفصاح المقال بعد السؤال، أو بفحوى الكلام وما يتلوه من الأوصاف، مثال ذلك أنك إذا سمعت قوله:

تَرَنَحَ الشَّرْبُ وَاغْتَالَتْ حُلُومُهُمْ ** شَمْسٌ تَرَجَّلُ فِيهِمْ ثُمَّ تَرْتَحِلُ

استدللت بذكر الشرب، واغتيال الحُلوم، والارتحال، أنه أراد قَيْنَةً، ولو قال: ترجلت شمس، ولم يذكر شيئاً غيره من أحوال الآدميين، لم يُعقل قط أنه أراد امرأة إلا بإخبار مُسْتَأْنَفٍ، أو شاهدٍ آخر من الشواهد...»² إفصاح المتكلم بالجواب عن مراده في الكلام يُعد إحدى القرائن الدالة على المعنى.

ومنه كذلك قوله في كلام له عن سورة الفاتحة: «وقد تتضمن معنى الأمر بالحمد لله رب العالمين، ودلت عليه نصبة هذا الكلام دلالة لطيفة يتنبه عليها من له حظ من التوفيق»³؛ فنخرج الخبر في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: 2] إلى الأمر بقرينة عبر عنها الجرجاني بقوله: "نصبة الكلام". وقد عبر ابن جني عن القرينة الحالية بلفظ "السبب" في قوله: «... لا يُؤَمَّن أن تكون هذه الألفاظ المنقولة إلينا قد كانت لها أسباب لم نشاهدها ولم ندر ما حديثها»⁴؛ فمن هذه الألفاظ لفظ "العقيرة" في قولهم: "رفع عقيرته" إذا رفع صوته، ومعلوم أن الجذر "ع ق ر" أصل في معنى القطع ولا علاقة له بالصوت، ولكن القرينة الحالية أو ما سماه ابن جني بـ "الأسباب التي لم نشاهدها" تبين لنا أصل المعنى؛ وهو أن رجلاً قُطعت رجله ورفعها ووضعها على الأخرى ثم نادى وصرخ بأعلى صوته، فقال الناس: "رفع عقيرته" أي رجله المعقورة.

¹ - ابن جني (أبو الفتح عثمان الموصلي)، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط: 4، (د، ت): 36/1.

² - الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر)، أسرار البلاغة، تح: محمود شاكر، مطبعة المدني: القاهرة- جدة، (د، ط- د، ت)، ص: 320.

³ - الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر)، شرح رسالة الرماني في إمعان القرآن، تح: زكريا سعيد علي، دار الفكر العربي بالقاهرة، ط: 1، 1417هـ- 1997م، ص: 132. وينظر: ضياء الدين القالاش، القرائن في علم المعاني، ص: 47.

⁴ - ابن جني، الخصائص: 249/1.

ومن الألفاظ المستخدمة في هذه المرحلة للتعبير عن معنى القرينة لفظ: "العُرف والعادة"؛ فمن ذلك مثلاً قول ابن جني في سياق الحديث عن حذف حروف الجر: « وكان رؤية إذا قيل له: كيف أصبحت؟ يقول: خير عافاك الله - أي بخير - يحذف الباء لدلالة الحال عليها بجري العادة والعرف بها»¹. وكذلك قول الخطيب الإسكافي (ت 420هـ): «... كما لا يراد إذا قال: "شربت الماء" كل الماء، وإنما يراد بعضه بدلالة العرف»²، وقول عبد القاهر الجرجاني: « ويكون في الحال دليل عليه، وفي العرف شاهد له»³. أما في القرن السادس الهجري فنلاحظ أن الزمخشري (ت 538هـ) قد استخدم مصطلح "أمانة" للتعبير عن معنى القرينة في قوله: « لما تمكن اللبس في نحو قولك: "زيد عمرو ضاربه" لم يُعلم أيهما الضارب، فصار إبراز الضمير أمانة فاصلة أُستمر على ذلك وأُطرد في كل مكان لتقوية الأمانة وشد عضدها»⁴. ويعبر أبو البركات ابن الأنباري (ت 577هـ) بالمصطلح الازدواجي "الأمانة والدلالة" عن القرينة الحالية في سياق عرضه لحجج البصريين في رافع المبتدأ والخبر فيقول: « وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا: "إنما قلنا إن العامل هو الابتداء وإن كان الابتداء هو التعري من العوامل اللفظية؛ لأن العوامل في هذه الصناعة ليست مؤثرة حسية كالإحراق للنار والإغراق للماء والقطع لل سيف، وإنما هي أمارات ودلالات، وإذا كانت العوامل في محلّ الإجماع إنما هي أمارات ودلالات؛ فالأمانة والدلالة تكون بعدم شيء كما تكون بوجود شيء، ألا ترى أنه لو كان معك ثوبان وأردت أن تميز أحدهما من الآخر فصبغت أحدهما وتركت صبغ الآخر لكان تزك صبغ أحدهما في التمييز بمنزلة صبغ الآخر؟! فكذلك ههنا "»⁵.

¹ - المصدر السابق: 286 / 1.

² - الخطيب الإسكافي (أبو عبد الله محمد بن عبد الله)، درة التنزيل وغرة التأويل، تح: محمد مصطفى آيدين، نشر جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط: 1، 1422هـ - 2002م، 1270 / 1.

³ - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص: 243.

⁴ - الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمرو)، المحاجة بالمسائل النحوية، تح: بهيجة باقر، مطبعة أسعد: بغداد، 1973م - 1393هـ، (د، ط)، ص: 147.

⁵ - ابن الأنباري (أبو البركات عبد الرحمن بن محمد)، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، المكتبة العصرية: بيروت - لبنان، ط: 1، 1424هـ - 2003م: 39 / 1.

* ظهور مصطلح القرينة:

يعد ابن جني أول عالم صرح بهذا المصطلح في عدة مواضع من كتابه "الخصائص"؛ حيث قال في سياق حديثه عن مسائل حرف العطف "أو": « وذلك أن يشبه شيء شيئاً من موضع فيمضي حكمه على حكم الأول ثم يرقى منه إلى غيره. فمن ذلك قولهم: "جالس الحسن أو ابن سيرين"، ولو جالسهما جميعاً لكان مصيباً مطيعاً لا مخالفاً وإن كانت "أو" إنما هي في أصل وضعها لأحد الشيئين. وإنما جاز ذلك في هذا الموضع لا لشيء رجع إلى نفس "أو"، بل لقرينة انضمت من جهة المعنى إلى "أو" ¹. »

وقال كذلك في سياق حديثه عن حذف الحال: « أمّا ما أجزناه من حذف الحال في قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: 185]؛ أي: "فمن شاهده صحيحاً بالعام"، فطريقه أنه لما دلت الدلالة عليه من الإجماع والسنة جاز حذفه تخفيفاً. وأما لو عريت الحال من هذه القرينة وتجرّد الأمر دونها لما جاز حذف الحال على وجهه. »

وقال أيضاً في التفريق بين الحقيقة والمجاز: « وإنما يقع المجاز ويُعدّل إليه عن الحقيقة لمعانٍ ثلاثة؛ وهي: الاتساع والتوكيد والتشبيه، فإن غُدمت هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة... لكن لا يُفضى إلى ذلك إلا بقرينة تسقط الشبهة؛ وذلك كأن يقول الشاعر:

علوثُ مطا جوادك يومٌ يومٌ * وقد تَمَدَّ الجيادُ فكان بحراً²

وكأن يقول الساجع: "فرسك هذا إذا سما بغرته كان فجرًا، وإذا جرى إلى غايته كان بحرًا"، ونحو ذلك»³. ثم جاء المرزوقي (ت 421هـ) ليذكره كذلك على استحياء في أماليه وشرحه للحماسة؛ فقال في مبحث "ألفاظ الشمول والعموم" من الأمالي: «... ألا ترى أن القرينة أبانت إفادتها الكثرة»⁴. والجديد الذي جاء به المرزوقي هو ذكره للمصطلح بصيغة الجمع، وتقسيمه له إلى قرائن اللفظ والحال؛ حيث قال

¹ - ابن جني، الخصائص: 1/ 349.

² - يبدو أن البيت من نظم ابن جني، "يومٌ يومٌ": أي يوم اليوم الذي تعرفه، "تَمَدَّ": كَلَّ ونُقِص، ينظر: ابن منظور، لسان العرب: 3/ 105.

³ - ابن جني، الخصائص: 2/ 444.

⁴ - المرزوقي (أبو علي أحمد بن محمد)، أمالي المرزوقي، تح: يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي: بيروت، ط: 1، 1415هـ - 1995م، ص: 182.

في شرحه للحماسة: « والمفاعيل تُحذف كثيرا لأن القرائن تدل عليها»¹ وقال أيضا: « وساغ حذفه لما يدل عليه من قرائن اللفظ والحال»².

* عوامل ظهور هذا المصطلح عند علماء العربية في هذه المرحلة المبكرة:

ينبغي أن نشير هنا إلى حقيقة هامة؛ وهي أن مصطلح "القرينة" يعد مصطلحا أصولي النشأة وليس لغويا أو نحويا في الأصل كما ذهب إلى ذلك بعض الباحثين المعاصرين،³ فقد ظهر هذا المصطلح أول ما ظهر في بيئة أصولية عند علماء الأصول الذين عاصروا ابن جني، وعلى رأسهم أحمد بن علي الرازي المعروف بالخصاص (ت 370هـ)، وأبو بكر الباقلاني (ت 403هـ).

ولا يُستبعد أن يكون ابن جني قد تلقى هذا المصطلح من الخصاص أو من نظرائه من علماء الحنفية والأصول، ويؤكد هذا أن ابن جني قد صرح بلقاء الخصاص والأخذ عنه ببغداد.

ومعلوم لدينا أن كتاب الخصائص الذي ورد فيه هذا المصطلح هو أول كتاب عاجل مسائل أصول العربية علاجا علميا مستفيضا؛ ذلك أن مؤلفه قد سار فيه على طريقة علماء أصول الفقه والكلام؛ حين قال في بيان سبب تأليفه: « وذلك أننا لم نر أحدا من علماء البلدين تعرض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه»⁴.

وإن مما يؤكد تأثر ابن جني بعلماء الأصول في هذا الكتاب خاصة استدلاله بقرينتي السنة والإجماع على ظاهرة الحذف في القرآن الكريم؛ كما في قوله - مثلا - : « فأما ما أجزناه من حذف الحال في قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾؛ أي: "فمن شهدَه صحيحًا بالغًا"، فطريقه أنه لما دلت الدلالة عليه من الإجماع والسنة جاز حذفه تخفيفًا. وأما لو عريت الحال من هذه القرينة وتجرّد الأمر دونها لما جاز حذف الحال على وجهه»⁵.

والأمر نفسه يقال عن المرزوقي؛ إذ أن هذا المصطلح قد ورد عنده في باب "ألفاظ العموم والشمول"، وهو باب يرد كثيرا في كتب الأصوليين كما هو معلوم. ومن كثر عندهم هذا المصطلح من علماء العربية

¹ - المرزوقي (أبو علي أحمد بن محمد)، شرح ديوان الحماسة، تح: أحمد أمين - عبد السلام هارون، دار الجيل: بيروت، ط: 1، 1411هـ - 1991م : 2 / 850.

² - المصدر نفسه: 4 / 1576.

³ - ينظر: كوليزار (كاكل عزيز)، القرينة في اللغة العربية، دار دجلة: الأردن، ط: 1، 1429هـ - 2009م، ص: 20.

⁴ - ابن جني، الخصائص: 1 / 2.

⁵ - المصدر نفسه: 2 / 380، 381.

البارزين الإمام السهيلي (ت 581هـ) ولا سيما في أماليه،¹ ولا غرابة في ذلك إذ أنه تلميذ الإمام أبي بكر بن العربي (ت 543هـ) وهو من كبار علماء الأصول الذين أخذوا عن الغزالي (ت 505هـ).
وخلاصة القول أن هذه المرحلة قد تميزت بظهور مصطلح القرينة عند علماء العربية وتقسيمهم له إلى: قرينة مقالية، وقرينة حالية؛ إما تلميحا كما في قول عبد القاهر الجرجاني: «وإنما يَفْصِلُ لك أحدَ العَرَضِينَ من الآخر شاهدُ الحال، وما يَتَّصِلُ به من الكلام من قبل وبعد»²، أو تصريحاً كما في قول المرزوقي: «وساغ حذفه لما يدل عليه من قرائن اللفظ والحال».³

¹ - ينظر: السهيلي (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله)، الأمالي، تح: محمد إبراهيم البناء، مطبعة السعادة: القاهرة، 1390هـ -

1970م، (د، ط)، ص: 45، 49، 133، 137.

² - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص: 241.

³ - المرزوقي، شرح الحماسة: 4 / 1576.

3- مرحلة التوسع في استعمال مصطلح القرينة: وهي المرحلة الممتدة من القرن السابع إلى غاية منتصف القرن الرابع عشر الهجري.

يرى بعض الباحثين المعاصرين أن مصطلح القرينة لم يستقر إلا على يد ابن الحاجب (ت 646هـ) والرضي الاستراباذي (ت 686هـ)،¹ وفي هذا نظر؛ إذ أن أول محاولة جادة لضبط القرائن وتصنيفها على نحو غير مسبوق من علماء العربية نجدها عند السكاكي؛ نلمس ذلك - مثلاً - في قوله: «أما الحالة المقتضية لترك الفعل فهي أن تغني قرائن الأحوال عن ذكره، ويكون المطلوب هو الاختصار أو اتباع الاستعمال الوارد على تركه... وتلك القرائن كثيرة، وأنا أضبط لك منها هاهنا ما تستعين على درك ما عسى يشذ عن الضبط فأقول...»².

ثم يفصل السكاكي في ذكر القرائن تفصيلاً غير مسبوق؛ فيلاحظ أن السكاكي قد أفرد فصلاً خاصاً بالقرائن، وهذا ما لم نجده عند من سبقه من العلماء؛ إذ أنهم كانوا يعمرون على هذا المصطلح دون إفراده بالدراسة التفصيلية والضبط المنهجي.

ولا يكاد يخلو كتاب "مفتاح العلوم" من ذكر لهذا المصطلح؛ ففي بابي التمني والاستفهام - مثلاً - يقول السكاكي: «متى امتنع إجراء هذه الأبواب على الأصل تولد منها ما ناسب المقام... كما إذا قلت لمن همك ليتك تحدثني، امتنع إجراء التمني والحال ما ذكر على أصله فتطلب الحديث من صاحبك غير مطموع في حصوله وتولد بمعونة قرينة الحال معنى السؤال، أو كما إذا قلت: "هل لي من شفيع" في مقام لا يسع إمكان التصديق بوجود الشفيع امتنع إجراء الاستفهام على أصله وتولد بمعونة قرائن الأحوال معنى التمني»³.

ويتعرض السكاكي لذكر قرائن الأحوال في باب الأمر؛ حيث يقول: «ثم إنها حينئذ تولد بحسب قرائن الأحوال ما ناسب المقام إن أستعملت على سبيل التضرع؛ كقولنا: "اللهم اغفر وارحم" التي ولدت الدعاء، وإن أستعملت على سبيل التلطف... ولدت السؤال والالتماس»⁴ وفي باب المجاز يقول السكاكي: «وأما

¹ - ينظر: أمل باقر جبارة، قرائن الإعراب والصيغ والمطابقة في اللغة العربية، مخطوط رسالة ماجستير بجامعة الكوفة، 1429هـ - 2009م، ص: 8.

² - السكاكي (يوسف بن أبي بكر)، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: 2، 1407هـ - 1987م، ص: 224.

³ - السكاكي، مفتاح العلوم: ص: 304.

⁴ - المصدر نفسه، ص: 319.

المجاز فهو الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق استعمالاً في الغير بالنسبة على نوع حقيقتها مع قرينة مانعة عن إرادة معناها في ذلك النوع»¹.

وعلى حذو السكاكي يحذو كل من ابن الحاجب، والرضي الاستراباذي، والخطيب القزويني (ت 739هـ)، وابن هشام (ت 761هـ)، وبهاء الدين السبكي (ت 773هـ)، وغيرهم. ويلاحظ أن الخطيب القزويني قد قسم القرينة إلى قرينة لفظية ومعنوية؛ كما في قوله: « فلم يكن فيه ما يخالف الأصل من تقديم أو تأخير أو إضمار أو غير ذلك، إلا وقد قامت عليه قرينة ظاهرة، لفظية أو معنوية، كما سيأتي تفصيل ذلك كله وأمثله اللاتقة به»².

وتبعه على هذا التقسيم ابن هشام الأنصاري وتوسع في الحديث عن القرائن؛ فمن ذلك قوله في سياق الحديث عن خبر المبتدأ بعد "لولا": « وأما "لَوْلَا قَوْلُكَ حَدِيثُ عَهْدٍ" فَلَعَلَّهُ مِمَّا يُرَوَّى بِالْمَعْنَى، وَعَنِ الْكَسَائِي فِي إِجَارَتِهِ الْجُزْمُ بِأَنَّهُ يَقْدَرُ الشَّرْطُ مَثْبُتًا مَدْلُولًا عَلَيْهِ بِالْمَعْنَى لَا بِاللَّفْظِ تَرْجِيحًا لِلْقَرِينَةِ الْمَعْنَوِيَةِ عَلَى الْقَرِينَةِ اللفظية؛ وَهَذَا وَجْهٌ حَسَنٌ إِذَا كَانَ الْمَعْنَى مَفْهُومًا»³ وقال أيضاً عند حديثه عن وجوب تقديم المفعول به: « فَلَوْ وَجَدْتَ قَرِينَةً مَعْنَوِيَةً نَحْوُ: "أَرْضَعْتُ الصَّغْرَى الْكُبْرَى" وَ"أَكَلَ الْكَمْثَرَى مُوسَى"، أَوْ لَفْظِيَةً كَقَوْلِكَ: "ضَرَبْتُ مُوسَى سَلَمَى" وَ"ضَرَبَ مُوسَى الْعَاقِلَ عَيْسَى" جَاَزَ تَقْدِيمُ الْمَفْعُولِ عَلَى الْفَاعِلِ...»⁴.

وفي باب التفريق بين "إن" المخففة من الثقلية و"إن" النافية يقول ابن هشام: « تلزم لام الابتداء بعد المهمة فارقة بين الإثبات والنفي، وقد تغني عنها قرينة لفظية؛ نحو: "إن زيد لن يقوم"، أو معنوية، كقوله: [الطويل]

أنا ابن أبة الضيم من آل مالك *** وإن مالك كانت كرام المعادن⁵ »⁶.

¹ - المصدر السابق، ص: 359.

² - القزويني (أبو المعالي جلال الدين محمد بن عبد الرحمن)، الإيضاح في علوم البلاغة، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل: بيروت، ط: 3، (د، ت)، ج: 1، ص: 33.

³ - ابن هشام الأنصاري (أبو محمد عبد الله بن يوسف)، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تح: مازن المبارك - محمد علي حمد الله، دار الفكر: دمشق، ط: 6، 1405هـ - 1985م، ص: 789.

⁴ - ابن هشام الأنصاري، شرح قطر الندى وبل الصدى، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ط: 11، 1383هـ، القاهرة، ص: 185.

⁵ - قائله: الطرماح بن حكيم الطائي، ينظر: الطرماح بن حكيم الطائي، الديوان، تح: عزة حسن، دار الشرق العربي: بيروت - حلب، ط: 2، 1414هـ - 1994م، ص: 280، وينظر: ابن مالك (أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله)، شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، تح: طه محسن، مكتبة ابن تيمية، ط: 1، 1405هـ - 1985م، ص: 105.

⁶ - ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تح: يوسف البقاعي، دار الفكر، بيروت، (د، ط - د، ت): 1/ 353.

واستدل السيوطي (ت 911هـ) بقرينة السياق عند تقدير المحذوف في قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [فصلت: 14]؛ حيث قال: «فإن المعنى: "لو شاء ربنا إرسال الرسل لأنزل ملائكة" بقرينة السياق»¹ وذكر مصطلح القرائن اللفظية عند حديثه عن قول الشاعر "من البسيط":

ما جاد رأيا ولا أجدى محاولة ** إلا امرؤ لم يضع دنيا ولا ديناً²
 حيث قال: «وَالْأَصَحُّ أَنَّهُ لَا تَنَازُعٌ فِي نَحْوِ: "مَا قَامَ وَقَعْدٌ إِلَّا زَيْدٌ"، وَقَوْلُ الشَّاعِرِ:
 (مَا صَابَ قَلْبِي وَأَضْنَاهُ وَتَيَّمَهُ ** إِلَّا كَوَاعِبُ مِنْ ذَهَلِ بْنِ شِيَانَا³)
 وَقَوْلُهُ:

(مَا جَادَ رَأْيَا وَلَا أَجْدَى مُحَاوَلَةً ** إِلَّا أَمْرُؤُ لَمْ يُضِعْ دُنْيَا وَلَا دِينَا)
 بل هو من باب الحذف العام لدلالة القرائن اللفظية، والتقدير (أحد) حذف وأكتفي بقصده ودلالة النفي والاستثناء على حد: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ [الصفافات: 164]»⁴.
 ومما يميز هذه المرحلة تعبير بعض العلماء عن القرائن بألفاظ غير مسبقة؛ منها لفظ: "السباق"، وهو القرينة المقالية التي تبين ما بعدها من المعاني؛ ومن أمثلتها ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ [البقرة: 118]، فقال العلماء: إن أصحاب هذه المقالة هم النصارى، وقيل: اليهود، وقيل: مشركو العرب، ثم رجح ابن جرير الطبري أنهم النصارى بناء على دلالة السباق؛ لأن افتراءهم على الله عز وجل قد سبق منهم في الآيات التي قبلها.⁵

¹ - السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: عبد الحميد هنداي، المكتبة التوفيقية، (د)، ط- د، ت)، مصر: 2/ 13.

² - قائله مجهول، ينظر: ابن مالك (أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله)، شرح التسهيل، تح: عبد الرحمن السيد، بدوي المختون، دار هجر، ط: 1، 1410هـ: 2/ 175.

³ - البيت لا يُعرف قائله وهو من البسيط، ينظر: إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في شواهد العربية، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: 1، 1417هـ- 1997م: 8/ 20.

⁴ - السيوطي، همع الهوامع: 3/ 123.

⁵ - ينظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان: 2/ 550.

وهذا المصطلح استعمله سعد الدين التفتزاني (ت 791هـ) في شرحه لتلخيص المفتاح وعبر عنه كذلك بـ"القرينة السابقة"،¹ واستعمله كذلك معاصره شمس الدين الكرمانى (ت 786هـ)،² وكثر استعماله معطوفاً على لفظ السياق عند أبي السعود العمادى (ت 982هـ) في تفسيره؛ من ذلك تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾؛ حيث يقول: «... رُوي أنهم أمسكوا عن الغنائم فنزلت... وقيل "ما" عبارة عن الفدية فإنها من جملة الغنائم، ويأباه سباق النظم الكريم وسياقه».³

وبمقابل هذه اللفظة استخدم العلماء في هذه المرحلة لفظة "اللاحق" للتعبير عن القرائن المقالية اللاحقة بآخر الكلام؛ ومن أمثلة ما دل عليه اللاحق ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: 71]؛ فقد ذكر ابن جرير فيها قولين: أحدهما: أنهم قد بُيِّنَ لهم البقر الذي يريدونه، والآخر: أن هذا القول تكذيب لما قبل ذلك من أمر موسى - عليه السلام - بذبح البقرة. ثم رجع المعنى الأول لدلالة اللاحق عليه، وهو أن الله عز وجل قد أخبر أنهم قد ذبحوها بعد ذلك.⁴

ويُعد البقاعي (ت 885هـ) أول من استعمل هذا اللفظ بهذا المفهوم كما جاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾ [النور: 22]: «وما كان السياق والسباق واللاحق موضحاً للمراد لم يُحتج إلى ذكر أداة النفي فقال: ﴿أَنْ يُؤْتُوا﴾...».⁵

واستعمله كذلك الألوسي (ت 1270هـ) كما في تفسيره لقوله تعالى: ﴿... وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: 4]؛ حيث قال: «وقيل: المعية مجاز مرسل عن العلم بعلاقة السببية، والقرينة: السباق واللاحق مع استحالة الحقيقة...».⁶

¹ - التفتزاني (سعد الدين بن مسعود)، المطول في شرح التلخيص، (د، تح)، المكتبة الأزهرية: استانبول: 1330هـ، (د، ط)، ص: 107.

² - الكرمانى (شمس الدين محمد بن يوسف)، تحقيق الفوائد الغيائية، تح: علي بن دخيل الله العوفي، مكتبة العلوم والحكم: المدينة المنورة، ط: 1، 1424هـ - 2004م: 2 / 595.

³ - أبو السعود العمادى (محمد بن محمد بن مصطفى)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربى، بيروت، (د، ط - د، ت): 4 / 36.

⁴ - الطبري، جامع البيان: 217 - 218.

⁵ - البقاعي (إبراهيم بن عمر)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (د، تح)، دار الكتاب الإسلامى: القاهرة، (د، ط - د، ت): 13 / 238.

⁶ - الألوسي (أبو الفضل شهاب الدين محمود بن عبد الله)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: 1، 1415هـ - 1995م: 14 / 168.

والظاهر من كلام الألويسي أنه يضعف هذا القول بدلالة صيغة التمريض وقوله بعد ذلك: « وأنت تعلم أن الأسلم ترك التأويل فإنه قول على الله تعالى من غير علم ولا نؤوّل إلا ما أوّله السلف»¹، والحق معه في هذا؛ لأنه لا يُصار إلى التأويل إلا لقرينة صارفة للكلام عن ظاهره، ولا قرينة صارفة هنا، والمعية لا تنافي العلو ولا تستلزم الممازجة والاختلاط؛ فالعرب تقول: " لازلنا نسير والقمر معنا"، مع بعد ما بينهما، فإذا كان هذا سائغا في حق المخلوق فإنه في حق الخالق من باب أولى، فالمعية على حقيقتها، ومن ادعى غير ذلك فعليه الدليل.

¹ - المصدر السابق: 14 / 168.

ج- أقسام القرينة عند القدامى:

لعل أبرز من تعرض لأقسام القرائن في التراث العربي الإسلامي هم الأصوليون والبلاغيون مع أنهم قد اعترفوا بصعوبة حصر القرائن في تقسيم يستغرق كل أجزاءها، ولا أدل على ذلك من اختلاف التقسيمات عندهم؛ فبعضهم يجعلها مقالية وحالية، وبعضهم يجعلها لفظية ومعنوية، وطائفة منهم تراها لفظية وغير لفظية،¹ وبعض القرائن يصعب انضواؤها تحت أحد هذين القسمين.

أما الأصوليون فقد قسموا القرائن إلى قرائن مقالية وقرائن حالية أو معنوية، فالقرائن المقالية هي ما يذكره المتكلم من كلام لبيان المعنى المراد؛ وهي بدورها تنقسم قسمين:

أ- قرائن مقالية متصلة: وهي التي تكون في سياق واحد مع الكلام المحمل؛ ومن أمثلتها الاستثناء كقوله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [البقرة: 148]؛ فالاستثناء هنا قرينة لفظية متصلة تدل على أن جهر المظلوم بما وقع له من الظلم مستثنى من الجهر بالسوء الذي لا يحبه الله عز وجل.

ب- قرائن مقالية منفصلة: وهي التي ترد في سياق آخر منفصلة عن الكلام المحمل؛ كأن يكون المحمل في القرآن الكريم والقرينة الموضحة له في السنة النبوية.

أما القرائن الحالية فهي الأدلة المعنوية التي تُفهم من حال المتكلم، أو من الحس، أو العقل، أو عرف المخاطبين، أو ما ينقدح في الذهن عند سماع الدليل.²

أما البلاغيون والنحاة فقد قسموا القرائن كذلك إلى قرائن لفظية وقرائن حالية:

1- القرائن اللفظية: وتنقسم عندهم إلى:

أ- دليل لفظي عام: وذلك كأن يدل سياق الكلام على تقدير كلمة محذوفة حتى يستقيم المعنى؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 175].

ب- دليل صوتي: وقد أشار إليه كثيرا ابن جني في كتابه الخصائص؛ من ذلك قوله: «وأنت تحسّ هذا من نفسك إذا تأملتته؛ وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه، فتقول: "كان والله رجلاً"، فتزيد في قوة اللفظ ب"الله" هذه الكلمة، وتتمكّن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليها، أي: رجلاً فاضلاً أو شجاعاً أو كريماً أو نحو ذلك...»³.

¹ - ينظر: ضياء الدين القالاش، القرائن في علم المعاني: 69.

² - ينظر: القرافي (شهاب الدين أحمد بن إدريس)، نفائس الأصول في شرح المحصول، تح: عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض، مكتبة نزار مصطفى، القاهرة، ط: 1، 1416هـ - 1995م: 2836/6.

³ - ابن جني، الخصائص: 373/2.

ج- دليل إعرابي: وذلك كقوله تعالى: ﴿قُلْ بَلْ مَلَّةٌ إِبراهيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: 135]؛ حيث دلت علامة النصب على وجود عامل محذوف تقديره من السياق: "نتبع".

2- القرائن الحالية: وهي التي يسميها اللغوي الإنجليزي فيرث "Firth" "سياق الحال Context of situation"؛ وهي العناصر التي تلبس الموقف الكلامي كشخصية المتكلم والسامع والمحيط الثقافي والعوامل والظواهر الاجتماعية المتصلة بالسلوك اللغوي لكل من يشارك في العملية التواصلية.¹ وقد أشار سيوييه إليها كثيرا في كتابه؛ من ذلك ذكره للقرينة الدالة على حذف المبتدأ؛ وهي قرينة كثيرا ما ترتبط بحاسة من الحواس الخمس، يقول - رحمه الله - : « وذلك أنك رأيت صورة شخص فصار آية لك على معرفة الشخص فقلت: عبدُ الله وربِّي، كأنك قلت: ذاك عبد الله، أو هذا عبد الله»².

3- القرائن العقلية: ويبدو لنا أنها تدخل ضمن القرائن الحالية؛ ويمكن أن يُمثل لها بقوله تعالى: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَاعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء: 64]؛ فالعقل يدل على أن الأمر في هذه الآية ليس على ظاهره؛ لأن الله سبحانه لا يأمر بالفحشاء، وإنما الغرض منه التعجيز، فإبليس ليس له سلطان على أحد من خلق الله عز وجل وإن فعل ما فعل.

فالملاحظ عن القدامى أنهم قسموا القرائن قسمين رئيسيين: قرائن مقالية وقرائن حالية، أو قرائن لفظية ومعنوية، إلا أنهم لم يستفصلوا في ضبط أنواع القرائن اللفظية ولا المعنوية ضبطا وافيا، إلا ما جاء عن بعضهم تلميحا لا تصريحاً مبثوثا مبعثرا في كتبهم.

¹ - ينظر: حمودة (ظاهر سليمان)، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية، الإسكندرية، 1418هـ - 1998م، ص: 130.

² - سيوييه، كتاب سيوييه: 2 / 130.

2- مصطلح القرينة في الفكر اللغوي المعاصر:

أ- القرينة عند اللغويين المعاصرين:

1- عند العرب:

لا جديد يُذكر فيما يخص مصطلح القرينة عند اللغويين العرب المعاصرين سوى ما نجده عند تمام حسان، لكن اللافت للنظر أنه لم يتعرض لتعريف هذا المصطلح إلا بعد مرور عشرين عاما من طرحه لنظريته؛ وذلك في كتابه "البيان في روائع القرآن" حيث عرّف القرينة اللفظية بأنها: « عنصر من عناصر الكلام يُستدل به على الوظائف النحوية، فيمكن الاسترشاد بها بأن نقول: "هذا اللفظ فاعل، وذلك مفعول به" أو غير ذلك».¹ أما القرينة المعنوية فهي: « العلاقة التي تربط بين عنصر من عناصر الجملة وبين بقية العناصر؛ وذلك كعلاقة الإسناد».²

وهذا المفهوم من الناحية النظرية يختلف بالكلية عما عُرف في تعريف القرينة سواء عند اللغويين أو عند غيرهم؛ فالمعروف أن القرينة لا تشمل الدلالات الوضعية وما يدخل في ذات المستدل عليه، فهي كما يقول نور الدين الجامي: « الأمر الدال على الشيء لا بالوضع»³، أو كما يقول الإسفراييني (ت 418هـ): « الأمر الدال على الشيء من غير الاستعمال فيه»⁴؛ إذ لا يسوغ أن يُطلق على ما وضع بإزاء شيء أنه قرينة عليه، وهذا المفهوم المتعارف عليه للقرينة منبعه الأساسي هو الفكر المنطقي الأصولي الذي ساد البيئة العربية الإسلامية لما تأثرت بعلوم اليونان.

أما من الناحية التطبيقية فنجد أن القرائن اللفظية عند تمام حسان كلها تدل دلالية وضعية باستثناء قرينة التنعيم وهي: «الإطار الصوتي الذي تقال به الجملة في السياق»⁵ فقد رأى بعض العلماء أن دلالتها غير وضعية،⁶ ويبدو لنا أن دلالتها وضعية؛ لأن الإطار الصوتي الذي تقال به الجملة عنصر من عناصر الكلام.

أما القرائن المعنوية فهي في حد ذاتها علاقات - كما يقول تمام حسان - ؛ فهي لا تكون قرائنا إلا بتضافرها مع القرائن اللفظية فيتضح المعنى بمجموع ما تضافر من القرائن، وتُدرّك هذه القرائن في العادة

¹ - تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص: 7.

² - المرجع نفسه: 7.

³ - الجامي (نور الدين عبد الرحمن)، الفوائد الضيائية شرح كافية ابن الحاجب، تح: أسامة الرفاعي، مطبوعات وزارة الأوقاف: بغداد، 1403هـ - 1983م، (د، ط): 1/ 256.

⁴ - ينظر: التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون: 2/ 1315.

⁵ - تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها: 226.

⁶ - ينظر: القالش، القرائن في علم المعاني: 59.

بوضوح بواسطة قرينة السياق، وعلى هذا فلا نرى وجهة الانتقادات التي وُجّهت لهذه النظرية فيما يخص القرائن المعنوية؛ فهذه القرائن لا تعمل بالضرورة مجتمعة؛ فقد يكون الإسناد مثلاً قرينة في سياق ما ولا يكون قرينة في سياق آخر.

ولا نجد في قرائن التعليق عند تمام حسان ما يدل دلالة غير وضعية، ولا يخرج عن مفهوم القرينة المتعارف عليه إلا القرائن الحالية وما يرتبط بها من المواقف الاجتماعية التي ذكرها في مبحث "الدلالة" من كتابه "اللغة العربية معناها ومبناها".¹

وعلى هذا فإن تمام حسان لم يرد بمصطلح القرينة المفهوم المصطلح عليه عند اللغويين والأصوليين السابق ذكره، وإنما أراد معناه اللغوي. ولذا فإننا نرى أنه كان من الأفضل على تمام حسان أن يستخدم مصطلح "الدليل" بدلاً من "القرينة"؛ لأن الدليل في الاصطلاح هو: « ما يلزم من العلم به العلم بشيء آخر»، أو: « ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه إلى مطلوب خبري»²، فلا يُشترط فيه أن لا يشمل الدلالات الوضعية بخلاف القرينة، وإن كان معلوماً أنه لا مشاحة في الاصطلاح، فإن دقة المصطلح مطلوبة في البحث العلمي حتى يتجنب الباحث وقوع الغموض واللبس في المفاهيم التي يطرحها، كما وقع عند تمام حسان في نظريته؛ حيث لاحظ بعض الباحثين وجود تداخل بين المعاني النحوية أو الوظائف من جهة، وبين القرائن اللفظية والمعنوية من جهة أخرى.³

¹ - ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها: 336-372.

² - السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر)، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تح: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب: القاهرة، 1424هـ-2004م، (د، ط)، ص: 77.

³ - بديار البشير، القرائن اللفظية في النحو العربي، مخطوط رسالة دكتوراه في النحو العربي، جامعة الجزائر: 1427هـ-2007م، ص:

2- عند الغرب:

تعرض السيميائيون وعلى رأسهم شارل ساندرس بيرس "Charles Sanders Peirce" لمصطلح "Index" وهو القرينة، وقد ترجمه بعضهم بـ "الشاهد" أو "المؤشر"؛ وقد عرفها بيرس بأنها: « علامة تشير إلى الموضوع الذي تعبر عنه عبر تأثيرها الحقيقي بذلك الموضوع، فهي لا يمكن أن تكون إذن العلامة النوعية؛ لأن النوعية ماهية مستقلة عن أي شيء آخر. وبما أن المؤشر يتأثر بالموضوع فلا بد أن يشارك الموضوع في نوعية ما، والمؤشر يقوم بالدلالة بصفته متأثراً بالموضوع، فالمؤشر إذن يتضمن نوعاً من الأيقون مع أنه أيقون من نوع خاص. فليست أوجه الشبه فقط - حتى بصفته مولدة للعلامة - هي التي تجعل من المؤشر علامة، وإنما التعليل الفعلي الصادر عن الموضوع هو الذي يجعل المؤشر علامة».¹

فالقرينة عند بيرس هي علامة ترتبط بموضوعها ارتباطاً سببياً أو فيزيقياً أو من خلال التجاور؛² مثل: ارتفاع الحرارة قرينة على المرض، والدخان قرينة على النار، والغيوم قرينة على المطر، ونحو ذلك، ويميز بيرس بين نوعين من القرائن: قرائن أصلية، وهي التي تشير إلى موضوعها مباشرة؛ مثل: الدخان قرينة على النار، وقرائن منحدرية: وهي التي تشير إلى موضوعها بواسطة سلسلة من القرائن المتصلة؛ كأن تكون الغيوم قرينة على المطر، والمطر قرينة على انخفاض الحرارة وهكذا دواليك.

ولا يكتمل مفهوم القرينة عند بيرس إلا بتضافر العلاقات الطبيعية والعرفية معاً؛ وذلك لأن بيرس قد أدرج أسماء الإشارة والظروف والضمائر ضمن القرائن "Indexes"؛ حيث يقول: « إن أسماء الإشارة "هذا" و"ذلك" قرائن؛ لأنها تتطلب من المستمع أن يركز انتباهه، وأن يستخدم قوة ملاحظته وأن يؤسس علاقة حقيقية بينه وبين الشيء الذي تحيل إليه الأسماء، وتكمن فاعلية أسماء الإشارة في أنها تحفز المستمع إلى هذا السلوك وإن فشلت في هذا فلا يفهم معناها، وإن قامت أسماء الإشارة بهذه الوظيفة فإنها تصبح من جراء ذلك قرائن».³

فالقرائن عند بيرس لا تقوم على العلامات الطبيعية وحدها بل تتضافر مع العلامات العرفية؛ لأن أسماء الإشارة والضمائر تعد علامات عرفية وليست طبيعية، ويعد بيرس أبرز من تناول مصطلح "القرينة" من اللسانيين الغربيين، وفيما عداه لم نجد من توسع في الكلام عليها سوى "بريتو" "Prieto" الذي عرف

¹ - ملاس مختار، السيميولوجيا والعلامة: المفهوم والمصطلح، بحث منشور في الانترنت.

² - ينظر: أمبرتو إيكو "Umberto Eco"، العلامة تحليل المفهوم وتاريخه، ترجمة: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي: بيروت - الدار البيضاء، ط: 1، 1428هـ - 2008م، ص: 91.

³ - ينظر: سيزا قاسم، بحث السيميوطيقا: حول بعض المفاهيم والأبعاد ضمن كتاب مدخل إلى السيميوطيقا، دار إلياس: بيروت، 1407هـ - 1987م، (د، ط)، ص: 31.

القرينة بأنها: "أمر مدرك يُخبرنا عن شيء ما بالنسبة لأمر آخر ليس مدركاً"؛¹ وهو تعريف يكاد يتطابق مع التعريف المأثور في التراث العربي الإسلامي.

وكذلك "رولان بارت" Roland Barthes الذي يقابل بين القرينة "Index" والمخبر "Informant"؛ فالقرينة عنده هي مجموعة من العلامات أو المعطيات الدالة دلالة غير مباشرة التي تتضمن مدلولات ضمنية؛ مثل مجموعة الأوصاف التي نخبرنا بطريقة غير مباشرة عن مكان ما أو شخصية ما، بخلاف المخبر فهو المعطى الدال دلالة مباشرة مثل: الوصف الدقيق لمكان ما، أو العمر الدقيق لشخص ما.

فالملاحظ أن مصطلح القرينة شاع استعماله عند الغربيين لدى السيميائيين بصفة خاصة كمصطلح ينضوي تحت مصطلح عام هو العلامة "Sign"، وليس مرادفاً له كما يعتقد بعض الباحثين، بل إن القرينة "Index" والأيقون "Icon" والرمز "Symbol" تعتبر أنماطاً للعلامة، وممكن الاختلاف بينها هو طبيعة العلاقة التي تربطها كعلامات مع المرجع "Reference" الذي تحيل إليه في الخارج؛ فإذا كانت العلاقة التي تربط الأيقون كعلامة بالموضوع الذي يحيل عليه هي علاقة المشابهة، فإن علاقة السببية أو المباشرة المتمثلة في التجاور الوجودي هو ما يربط القرينة بالمرجع.²

¹ - ينظر: بديار، القرائن اللفظية: 26.

² - ينظر: نصيرة (عيسى مبارك)، فلسفة العلامة عند رولان بارت، مخطوط رسالة ماجستير في الفلسفة، جامعة الحاج لخضر: باتنة - الجزائر، 1411هـ - 1991م، ص: 35.

ب- تقسيمات المحدثين للقرينة:

اجتهد بعض العلماء المعاصرين في ضبط أنواع القرائن، ونذكر من هذه الاجتهادات أهمها وهي أربعة:

* تقسيم فاضل صالح السامرائي:

ضبط السامرائي القرائن في عشرة أنواع هي:¹

1- القرينة اللفظية: وهي اللفظ الدال على المعنى المقصود في السياق؛ ومثالها قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: 27]؛ فقوله تعالى: "وعلى كل ضامر" قرينة لفظية تدل على أن معنى "رجالا": جمع راجل.

2- القرينة العقلية: وهي التي تتضح بالمنطق العقلي؛ ومثالها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 72]؛ فمن المعلوم عقلا أن العمى هنا هو عمى البصيرة لا عمى البصر.

3- القرينة المعنوية: وهي التي تتوقف عليها صحة المعنى؛ ومثالها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 64]؛ فالمعنى يدل على أن الله عز وجل هو حسب النبي عليه الصلاة والسلام، وهو حسب أتباعه من المؤمنين.

4- القرينة الحالية: وذلك كقول القائل للحاج: "حجا مبرورا"؛ أي حججت حجا مبرورا.

5- قرينة السياق والمقام: وهي التي تُفهم من سياق الكلام؛ ومثالها قوله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ (10) يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (11) رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ (12) أَلَيْسَ لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ (13) ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ بَخِيلٌ (14) إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ (15) يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ (16)﴾ [الدخان: 10-16]؛ سياق الآيات يدل على أن العذاب المذكور هنا هو عذاب الدنيا لا عذاب الآخرة.

6- قرينة النغمة الصوتية: سبق أن ذكرنا أمثلة لها من كلام ابن جني.²

7- القرينة العلمية: وهي ما يُعلم من الكلام بالضرورة؛ ومثالها قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مِّلْكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: 79]؛ فمن المعلوم ضرورة أن الملك لا يأخذ كل سفينة، وإنما يأخذ منها ما كان صالحا فقط.

¹ - ينظر: السامرائي (فاضل صالح)، الجملة العربية والمعنى، دار ابن حزم: بيروت، ط: 1، 1424هـ - 2004م، ص: 59-68.

² - ينظر: الصفحة 26 من هذا البحث.

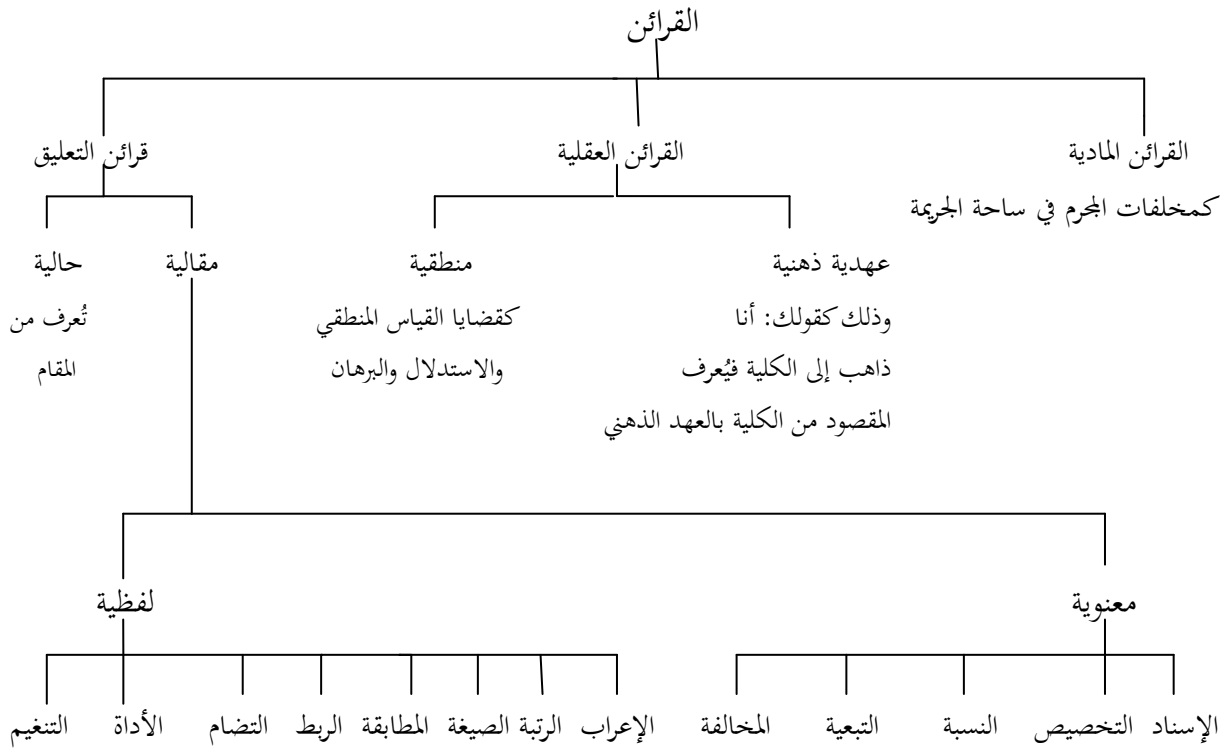
8- قرينة الوقف والابتداء: يرتبط المعنى ارتباطاً مباشراً بمواطن الوقف والابتداء؛ ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ ذَلِكِ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: 2]، فإذا وقف على "رب" كان المعنى أن الكتاب فيه هدى للمتقين، وإذا وقف على "فيه" كان المعنى أن الكتاب لا ريب فيه.

9- قرينة الفهم العام لأهل اللغة: مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾ [فاطر: 45]، وقوله تعالى: ﴿ ... حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾ [ص: 32]، لم يذكر مرجع الضمير هنا اعتماداً على قرينة الفهم العام لأهل اللغة.

10- القرينة الحسية: وترتبط غالباً بالحواس الخمس؛ نحو: تقطيب الوجه، وزى الفم، وغير ذلك.

* تقسيم تمام حسان للقرائن:

يمكن أن نمثل لأقسام القرائن عنده بالمخطط التالي:¹



¹ - ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها: 190.

* تقسيم ضياء الدين القالاش للقرائن:

قسم القالاش القرائن في ضوء علم المعاني ثلاثة أقسام رئيسية: القرائن المقالية، قرينة السياق، القرائن الحالية.¹

أ- القرائن المقالية: وتنقسم بدورها قسمين:

1- القرائن الدالة بلفظها: "وهي التي تدل بلفظها على ما يماثله أو يقاربه في الاشتقاق، ومثالها قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَُم النَّارِ﴾ [الحج: 72]؛ فالتقدير: "النار شر من ذلكم"، فكان المذكور قرينة على المحذوف.

2- القرائن الدالة بمعناها: وتنقسم بدورها قسمين:

أ- الدلالة بالتناسب: وذلك بأن يدل اللفظ المذكور على ما يناسب معناه؛ كقول الشاعر مثلاً "من الطويل":

أقول له ارحل لا تقيم عندنا ** وإلا فكن في السر والجهر مسلماً²

فقوله: "وإلا فكن في السر والجهر مسلماً" قرينة دالة على أن المراد من أمره بالرحيل إظهار كراهة إقامته.

ب- الدلالة بالتضاد: وهي التي يسميها بعض البلاغيين بقرينة المقابلة؛ وهي أن يدل اللفظ المذكور على ما يضاد معناه؛ كقول حطان بن المعلى "من السريع":

أبكاني الدهر ويا ربما ** أضحكني الدهر بما يُرضي³

فقوله: "بما يرضي" قرينة تدل على أنه أضمر مع قوله: "أبكاني الدهر" شيئاً يقابله وحذفه؛ لأن المراد مفهوم، والتقدير: "أبكاني الدهر بما يُسخط".

ب- قرينة السياق: والسياق كما يعرفه ابن البناء المراكشي (ت 721هـ) هو: « ربط القول بالغرض المقصود من غير تصريح به »⁴، والسياق لا يشمل دلالة الحال؛ نقول ذلك لأن كثيراً من الباحثين المعاصرين قد خلطوا بين السياق ودلالة الحال.⁵

¹ - القالاش، القرائن في علم المعاني: 70-136.

² - البيت بلا نسبة، ينظر: العيني (بدر الدين محمود بن أحمد)، المقاصد النحوية في شرح شواهد الألفية، تح: علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام: القاهرة، ط: 1، 1431هـ-2011م، 4/1681، السكاكي، مفتاح العلوم: 259.

³ - ينظر: الخطيب التبريزي (أبو زكريا يحيى بن علي)، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، (د، تح)، دار القلم: بيروت، (د، ط- د، ت): 2/289.

⁴ - ابن البناء المراكشي (أبو أحمد بن محمد بن عثمان)، الروض المريع في صناعة البديع، تح: رضوان بنشقرون، الدار المغربية: الدار البيضاء، 1405هـ، (د، ط) ص: 123.

⁵ - ينظر: القالاش، القرائن في علم المعاني: 92-95.

ج- القرائن الحالية: هي القرائن التي تستفاد من المقام؛ والمقام تنحصر عناصره في ثلاث جهات: المتكلم، المخاطب، وكل ما له ذكر أو حضور متصل بعمل القول.

1- أحوال المتكلم: وهي ثلاثة أقسام:

أ- الأحوال الظاهرة المصاحبة للكلام: أشار إليها الجاحظ بقوله: « وحسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان مع الذي يكون مع الإشارة من الدل والشكل والتفتل والثني واستدعاء الشهوة، وغير ذلك »¹؛ ويمكن أن يُمثَّل لها بقول الهذلول بن كعب العبدي "من الطويل":

تقول وصكت وجهها يمينها ** أبعلي هذا بالرحى المتقاعس²

فالقريئة الحالية المصاحبة للكلام التي حكاها الشاعر دلت على المبالغة في التعجب والإنكار، ولولاها لما فهم هذا المعنى.

ب- الأحوال التي تُعرف عن المتكلم: وهي الخلفية الثقافية والاجتماعية والفكرية والبيئية للمتكلم؛ ويمكن أن نمثل لذلك بقول الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: 23]: « والذي يليق بحال فرعون ويدل عليه الكلام، أن يكون سؤاله هذا إنكاراً لأن يكون للعالمين رب سواه لادعائه الإلهية »³.

ج- الأحوال التي تعرف من المتكلم: وهي قرينة قصد المتكلم؛ كما جاء عن سيبويه: « من ذلك قول العرب في مثل من أمثالهم: " اللَّهُمَّ ضُبْعاً وَذُبّاً " إذا كان يدعو بذلك على غنم رجل. وإذا سألتهم ما يَعْنُونَ قالوا: اللَّهُمَّ اجْمَعْ أو اجعل فيها ضُبْعاً وَذُبّاً. وكلُّهم يفسر ما يَنْوِي »⁴.

2- أحوال المخاطب: ما قيل عن المتكلم يُقال عن المخاطب فلا داعي لإعادة الكلام.

3- الظروف المحيطة بالكلام: وأبرزها:

أ- أسباب النزول: وهي قرينة حالية تبين المراد من الكلام؛ مثالها قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ [البقرة: 115]؛ فمدلول اللفظ يقتضي أن المصلي لا يجب عليه استقبال القبلة سفراً ولا حضراً، لكن سبب النزول يبطل هذا المدلول؛ لأن الآية نزلت لما ارتاب اليهود من تحويل القبلة من الشام إلى مكة المكرمة.

¹ - الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، البيان والتبيين، دار الهلال: بيروت، 1423هـ - 2003م، (د، ط): 84 / 1.

² - ينظر: المرزوقي (أحمد بن محمد)، شرح ديوان الحماسة، تح: غريد الشيخ، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: 1، 1424هـ: 494.

³ - الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمرو)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (د، تح)، دار الكتاب العربي: بيروت، ط: 3، 1407هـ - 1987م: 307 / 3.

⁴ - سيبويه، كتاب سيبويه: 255 / 1.

ب- مناسبات الكلام: ومن ذلك ما يرويه عبد القاهر الجرجاني في "دلائل الإعجاز" في باب حذف المبتدأ: « وقول الأقيشر في ابن عم له موسر، سأله فمنعه وقال: كم أعطيك مالي وأنت تنفقه فيما لا يغنيك؟ والله لا أعطيتك. فتكره حتى اجتمع القوم في ناديهم وهو فيهم، فشكاه إلى القوم وذمه، فوثب إليه ابن عمه فلطمه، فأنشأ يقول "من الطويل":

سريع إلى ابن العم يلطم وجهه ** وليس إلى داعي الندى يسرع
حريص على الدنيا، مضيع لدينه ** وليس لما في بيته بمضيع^{1 2}

فهذه المناسبة التي ذكرها الجرجاني عينت المبتدأ المحذوف وهو ابن عم الشاعر، ودلت على أن المراد بـ "ابن العم" في البيت هو الشاعر نفسه، وأعانت على معرفة الغرض من الحذف؛ وهو صون اللسان عن ذكره تحقيراً له.

ج- العُرف والعادة: وهي قرينة استدلل بها الجرجاني في مواضع من "دلائل الإعجاز"؛ كقوله: "ومن اللطيف في الاستئناف، على معنى جعل الكلام جواباً في التقدير... قول الآخر "من الخفيف":
قال لي كيف أنت قلتُ عليلٌ ** سهرٌ دائمٌ وحزنٌ طويلٌ³
لما كان في العادة إذا قيل للرجل: "كيف أنت؟" فقال: "عليلٌ"، أن يسأل ثانياً فيقال: "ما بك؟ وما علثك؟"، قدّر كأنه قد قيل له ذلك، فأتى بقوله: "سهرٌ دائمٌ" جواباً عن هذا السؤال المفهوم من فحوى الحال⁴.

* ملاحظات على هذه التقسيمات:

- ¹ - الأقيشر الأسدي (المغيرة بن عبد الله)، الديوان، تح: محمد علي دقر، دار صادر: بيروت، ط: 1، 1417هـ - 1997م، ص: 92.
- ² - الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن)، دلائل الإعجاز، تح: محمود شاكر، دار المدني: القاهرة - جدة، ط: 3، 1413هـ - 1993م، ص: 238.
- ³ - لا يُعرف قائله، ينظر: أبو الفتح العباسي (عبد الرحيم بن عبد الرحمن)، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، عالم الكتب: بيروت، (د، ط - د، ت): 1/ 100، 280.
- ⁴ - الجرجاني، دلائل الإعجاز : 238.

1- تقسيم تمام حسان: نلاحظ أن تمام حسان قد أقصى قرينة المعنى المعجمي مع أهميتها في تحديد المعنى.

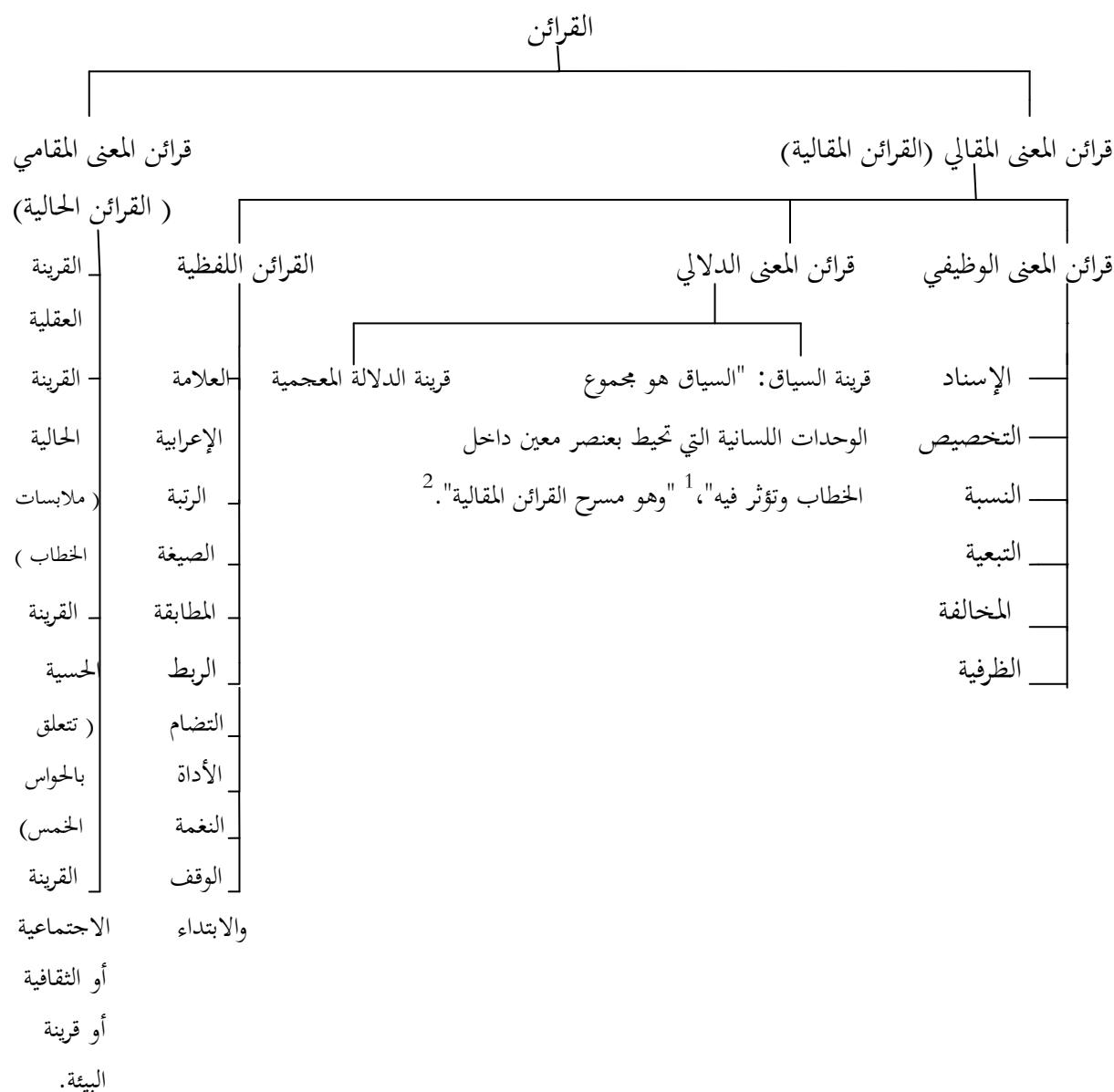
2- تقسيم فاضل صالح السامرائي: لم يول الأستاذ فاضل اهتماما كبيرا بقرائن النظام النحوي؛ فلم يتعرض لذكر قرائن المعنى الوظيفي، وأشار باستحياء إلى بعض القرائن اللفظية دون أن يفصل في ذكرها تفصيلا وافيا.

3- تقسيم ضياء الدين القالشي: تناول الأستاذ القالشي القرائن من وجهة بلاغية بحثة، فكان من نتاج ذلك أن أهمل قرائن النظام النحوي؛ فلم يتعرض لقرائن المعنى الوظيفي، ولا القرائن اللفظية. ولا تشرب عليه في ذلك؛ إذ أن دراسته للقرائن كانت في ضوء علم المعاني.

إنه لا يشك باحث في عظم ما قدمه هؤلاء الباحثون للدرس اللغوي من أثر بليغ ونفع جليل، إلا أنه لا يخلو بحث علمي من نقص وإن قل، فكان لزاما علينا أن نواصل مسيرتهم بأن نكمل جهودهم بتثمين ما فيها من كمال وجبر ما فيها من نقص، مصداقا لقول القائل: "كم ترك الأول للآخر".

ج- اقتراح تقسيم معدل بعض الشيء للقرائن:

استكمالا لجهود من سبقنا من الباحثين واستدراكا على بعض النقائص التي لوحظت في التقسيمات السابقة فإننا نقترح تقسيما للقرائن نرى فيه بعض الجدة، ولا ندعي فيه الكمال، بل إنه لا يعدو أن يكون مخاضا طبيعيا لتلك الجهود.



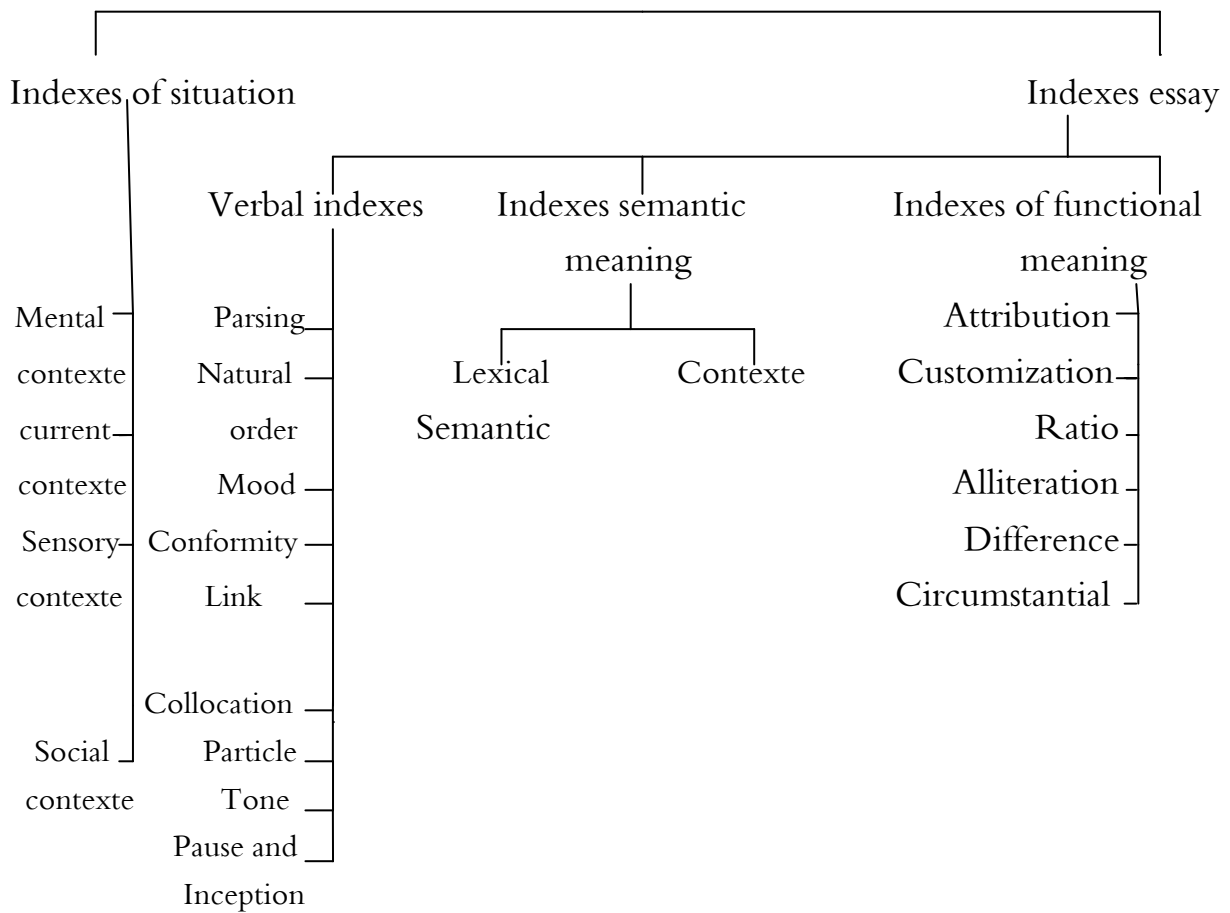
المعنى العام: قرائن المعنى المقالي (القارئ المقالية) + قرائن المعنى المقامي (القارئ الحالية)

مخطط تقسيم القرائن

The Indexes

¹ - عروي (محمد إقبال)، دور السياق في الترجيح بين الأقوال التفسيرية، مطبوعات وزارة الأوقاف بالكويت، ط: 1، 1427هـ - 2007م، ص: 26.

² - تمام حسان، الأصول: 293.



General meaning= Indexes essay+ Indexes of situation

Division indexes scheme

3- تمام حسان رائد نظرية تضافر القرائن في العصر الحديث:

أ- ترجمة موجزة لتمام حسان:

هو تمام حسان عمر محمد داود وُلد في السابع والعشرين من شهر يناير 1918 بقرية الكرنك في صعيد مصر، حفظ القرآن الكريم عام 1929 وتحصل على الشهادة الابتدائية عام 1934 والشهادة الثانوية عام 1939.

وفي عام 1943 حصل على دبلوم في اللغة العربية من مدرسة دار العلوم بالقاهرة، وبعد تخرجه عمل مدرسا بمدرسة النقراشي النموذجية، ثم أوفدته دار العلوم في بعثة دراسية عام 1946 إلى جامعة لندن ليتخصص في علم اللغة، وفي عام 1949 تحصل على شهادة الماجستير في علم اللغة العام فرع الأصوات اللغوية، ثم على الدكتوراه في الفرع نفسه عام 1952، وعُين بعد ذلك مدرسا بكلية دار العلوم قسم فقه اللغة.¹

* مؤلفاته: أَلّف تمام حسان عشرة كتب؛ وهي: 1- مناهج البحث في اللغة.

2- اللغة بين المعيارية والوصفية.

3- اللغة العربية معناها ومبناها.

4- الأصول: دراسة ابستمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي.

5- التمهيد في اكتساب اللغة لغير الناطقين بها.

6- مقالات في اللغة والأدب.

7- البيان في روائع القرآن.

8- الخلاصة النحوية.

9- خواطر من تأمل لغة القرآن.

10- الكتاب التذكاري.²

* ترجماته: لم يتوقف تمام حسان عند حد التأليف بل أسهم في ترجمة عدة أعمال عالمية إلى اللغة العربية؛ نذكر منها: 1- مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب، تأليف: ديلاس أوليري، نشره عام 1957 بمكتبة الأنجلو المصرية.

2- أثر العلم في المجتمع، تأليف برتراند رسل، نشره عام 1958 بمكتبة نهضة مصر.

3- اللغة في المجتمع، تأليف: موريس ميكائيل لويس، نشره عام 1959 بالقاهرة.

¹ - ينظر: عبد الرحمن العارف، تمام حسان رائدا لغويا، عالم الكتب، القاهرة، ط: 1، (د، ت)، ص: 13.

² - ينظر: عبد الله محمد الديس، الفكر النحوي عند تمام حسان - دراسة وصفية تحليلية في ضوء علم اللغة القديم والحديث - ، مخطوط رسالة ماجستير، جامعة مؤتة: عمان - الأردن، 1428هـ - 2008م، ص: 6، 7.

4- الفكر العربي ومكانه في التاريخ، تأليف: ديلاس أوليري، نشره عام 1961 بالقاهرة.

5- النص والخطاب والإجراء، تأليف روبرت دي بوجراند، نشره عام 1998 بالقاهرة.

* بحوثه ومقالاته: نشر ما يزيد على الثلاثين بحثاً ومقالاً في مختلف المجالات والدوريات والمؤتمرات العالمية والعربية.¹

ب- الإطار المنهجي لنظرية تضافر القرائن:

لقد بنى تمام حسان نظريته منطلقاً من أن كل منهج علمي من مناهج البحث المعاصر يُعنى أولاً وأخيراً بالإجابة عن سؤال محوري يطرحه الباحث؛ ألا وهو: "كيف تتم الظاهرة المدروسة؟"، أما إن تعدد الباحث هذه الإشكالية محاولاً الإجابة عن إشكالية أخرى مفادها: "لماذا تتم هذه الظاهرة؟" أو نحو هذا؛ لم يُعد ذلك منهجاً علمياً بل لا مفر من وصفه بالحدس والتخمين.²

من هنا نجد أن منهج تمام حسان في دراسة الظاهرة اللغوية العربية كان منهجاً وصفياً، هذا من جهة، ومن جهة أخرى نجد أن تمام حسان قد استقى من رافدين عظيمين من روافد الفكر الإنساني؛ أولهما ما يُعرف بفكرة "التعليق" أو العلاقات السياقية وهي الفكرة المحورية في نظرية النظم الجرجانية، وثانيهما نظرية سياق الحال "Contexte of situation" لأستاذه فيرث "Firth" رائد المدرسة اللغوية الاجتماعية في العصر الحديث.³

وقد استطاع تمام حسان بحسه اللغوي المرفه أن يوفق بين نظرية السياق لـ "فيرث" والتعليق النحوي عند الجرجاني فيما يُسمى بسياق الحال والسياق اللغوي أو المقال، وانتهى هذا التمازج بين هذين الرافدين الكبيرين عنده بالمنهج الوصفي الوظيفي الذي تبناه وبنى عليه فكرة القرائن.⁴

ج- أسس النظام النحوي للغة العربية عند تمام حسان:

يُبنى النظام النحوي للغة العربية الفصحى - كما يرى تمام حسان - على خمسة أسس هي:

- 1- طائفة من المعاني النحوية العامة وهي معاني الجمل والأساليب.
- 2- مجموعة من المعاني النحوية الخاصة، أو معاني الأبواب النحوية كالفاعلية والمفعولية والابتداء...
- 3- مجموعة من العلاقات التي تربط بين المعاني الخاصة؛ كعلاقة الإسناد والتخصيص والتبعية وغيرها.

¹ - ينظر: المرجع السابق، ص: 8، 9، 10.

² - ينظر: تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1958م، (د، ط)، ص: 42.

³ - ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب: القاهرة، ط: 5، 1427هـ - 2007م، ص: 11.

⁴ - ينظر: خالد بسندي، نظرية القرائن في التحليل اللغوي، مقال منشور بمجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، جامعة الملك سعود - الرياض، المجلد: 4، العدد: 2، 1427هـ - 2007م، ص: 287، 288.

4- القرائن الصوتية أو الصرفية أو الحركات والحروف ومباني التقسيم ومباني التصريف، أي مباني القرائن اللفظية.

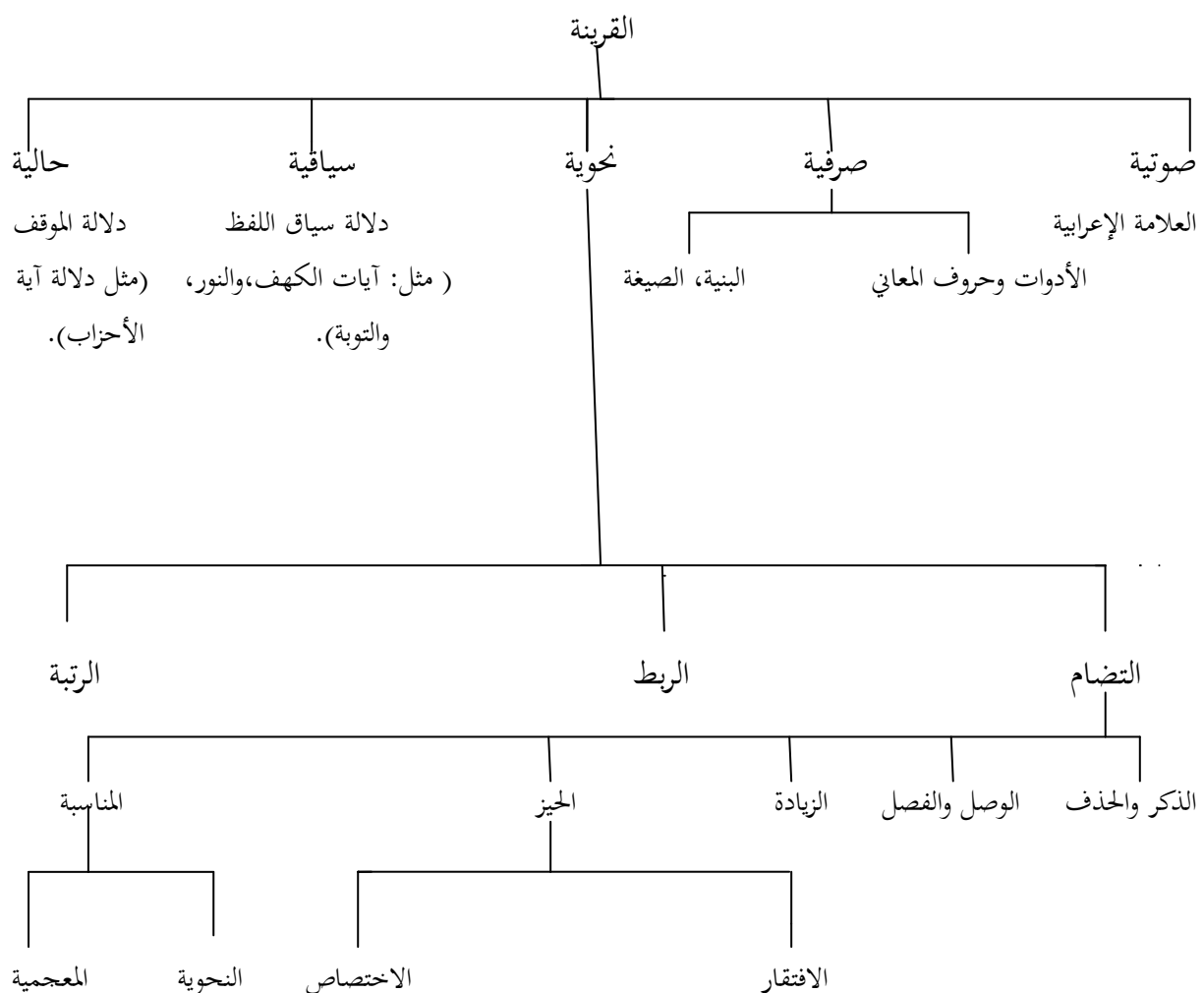
5- القيم الخلافية التي توجد المقابلات ذات الفائدة بين أفراد كل من مجموعة المعاني أو مجموعة المباني.¹

د- مصادر القرائن النحوية عند تمام حسان:

يرى تمام حسان أن للقرائن النحوية خمسة مصادر هي:

- 1- النظام الصرفي.
- 2- النظام النحوي.
- 3- دلالة السياق.
- 4- دلالة الصوت.
- 5- الدلالة الحالية Pragmatic.

وتفصيل ذلك في المخطط التالي:



¹ - ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها: 187.

هـ- ثوابت النحو العربي عند تمام حسان في ضوء نظرية القرائن:

اللغة ككل نظام لها ثوابت ومتغيرات؛ فالثوابت قيم دائمة لا يستغني عنها أي نظام لأنه لا يقوم بدونها، والمتغيرات تخضع لظروف التحول والانتقال، وذلك مثلما يُعرف عند الخبراء العسكريين بمفهوم "الاستراتيجية" و"التكتيك"؛ فالأول هو الثوابت التي تنبني عليها الخطة العسكرية، والثاني هو التحركات التي تحصل في الميدان بحسب الظروف. وثوابت النحو العربي ثلاثة أمور:

1- أمن اللبس في المعنى.

2- طلب الخفة في المبنى.

3- الطرد أو الاطراد الذي مجاله القواعد؛ وهو نتيجة لتحقيق الثابتين الأولين.¹

فالطرد هو الغاية التي سعى النحاة للوصول إليها ليكون النحو بواسطته هيكلًا محكمًا مضبوطًا يعين على فهم طرق الصياغة اللغوية، ولكي يتعدوا عن ما شذ وندر وعن الاضطرار إلى التنظير للرخص والضرائر.

¹ - ينظر: تمام حسان، الخلاصة النحوية، عالم الكتب، القاهرة، ط:1، 1420هـ - 2000م، ص: 22، 23.

الباب الأول: قرينة التضام في ضوء علم النحو

* الفصل الأول: تعريف التضام وبيان أنواعه وعوارضه

* الفصل الثاني: أثر قرينة التضام في تقسيم الكلم العربي

* الفصل الثالث: أثر قرينة التضام في تحديد الوظائف النحوية

* الفصل الرابع: التضام في ضوء المنهج الوصفي

الفصل الأول: تعريف التضام وبيان أنواعه وعوارضه:

1- تعريف التضام لغة واصطلاحاً:

* **التضام لغة:** أصله من "ضم"؛ والضاد والميم أصل واحد يدل على الملازمة بين الشيئين. يقول ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: «"ضم": أصل واحد يدل على ملازمة بين شيئين؛ يقال: ضمنت الشيء إلى الشيء فأنا أضمه ضمّاً، وهذه إضمامة من خيل؛ أي جماعة. وفرس سباق الأضاميم؛ أي الجماعات. وإضمامة من كتب مثل إضبارة، ومن الباب: أسد ضمضم وضماضم: يضم كل شيء¹»، ويقول ابن منظور (ت 711هـ): «الضم: ضمك الشيء إلى الشيء، وضمه إليه يضمه ضمّاً فانضم وتضام... وضم الشيء الشيء: انضم معه، وتضام القوم: إذا انضم بعضهم إلى بعض»².

وقد جاء في حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - {... فإنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته...}³ أي لا ينضم بعضكم إلى بعض في رؤيته. وقال أبو ذؤيب الهذلي "من الوافر":
فألفى القوم قد شربوا فضموا ** أمام القوم منطقهم نسيف⁴
أي: اجتمعوا وانضموا إلى بعضهم.

ومما تدل عليه هذه المادة اللغوية معنى المعانقة والانطواء؛ جاء في أساس البلاغة للزمخشري: «ض م م: ضمنت الشيء إلى الشيء، وضممت الأشياء، وضممته إلى صدري ضمة: عانقته. وانضم إليه، وانضم على كذا: انطوى عليه»⁵.

وعليه فمادة "ضمم" تدل في مجملها على معاني الاجتماع والانضمام والملازمة.

¹ - ابن فارس، مقاييس اللغة: 3/ 357.

² - ابن منظور، لسان العرب: 12/ 357.

³ - الحديث متفق عليه، ينظر: الإمام البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل)، صحيح البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، مصر، ط: 1، 1422هـ - 2002م: 1/ 115. الإمام مسلم (أبو الحسن بن الحجاج النيسابوري)، صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ط: 1، 1406هـ - 1986م: 1/ 439.

⁴ - "منطقهم نسيف": أي خفي، ينظر: أبو ذؤيب الهذلي (خويلد بن خالد)، الديوان، تح: أحمد خليل الشال، دار الكتب المصرية: القاهرة، ط: 1، 1435هـ - 2014م، ص: 105، وينظر: ابن منظور، لسان العرب: 9/ 328.

⁵ - الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمرو)، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: 1، 1419هـ - 1999م: 1/ 587.

* التضام اصطلاحاً "Collocation":

التضام في الاصطلاح هو قرينة من القرائن اللفظية التركيبية التي من خلالها: "يستلزم أحد العنصرين التحليليين عنصراً آخرًا فيُسمى التضام هنا: "التلازم"، أو يتنافى معه فلا يلتقي به ويُسمى هذا التناهي"¹ وهذا الاستلزام قد يكون بمبنى وجودي على سبيل الذكر، أو بمبنى عدمي على سبيل التقدير بسبب الاستتار أو الحذف.

ويُفرق تمام حسان بين التضام والإلصاق؛ فالإلصاق ضم جزء من الكلمة إلى بقيتها، أما التضام فهو استدعاء إحدى الكلمتين للآخرى في الاستعمال على صورة تجعل إحداها تتطلب الأخرى؛ « فياء النداء كلمة مستقلة وليست جزء كلمة، والعلاقة بينها وبين المنادى علاقة تضام لا علاقة إلصاق، والمضاف إليه كلمة غير المضاف ولكن العلاقة بين الكلمتين أن إحداها تستدعي الأخرى ولا تقف بدونها».²

ويعرف فاضل مصطفى الساقى التضام بأنه: «إيراد كلمتين أو أكثر لخلق معنى أعم من معنى أيها، كضم حرف النداء أو حرف الجر إلى الاسم، أو ضم الصلة إلى الموصول، أو ضم فعلي الشرط إلى الشرط»³ وتعرفه نادية رمضان النجار بأنه: «الترايب الأفقي الطبيعي ما بين الكلمات أو رفقة الكلمة أو جبرتها لكلمات أخرى في السياق الطبيعي نحو: "أهلاً وسهلاً"، "لم ينبس بينت شفة"، وقد تطور هذا المفهوم فأصبح يعني دخول الكلمة في سياق مقبول مع الكلمات الأخرى؛ نحو الفعل "أطلق"، فقد يقال: "أطلق لحيته"، "أطلق ساقيه للريح"، "أطلق له الحبل على الغارب..."؛ ولكل منها معنى سياقي يخالف غيره».⁴

وعليه فإن التضام "Collocation" هو ظاهرة شكلية كبرى تصور خصائص النسيج اللغوي لأي لغة من اللغات الإنسانية؛ إذ أن لكل لغة خصائصها في تجاور كلماتها، ومن خلال هذا النسيج تتأتى معاني التراكيب اللغوية كلٌّ حسب سياقه، وتكمن خطورة هذه القرينة في كونها تؤدي وظيفة الربط بين أقسام الكلام في تسلسل مستمر لا متناهي،⁵ فهي مسؤولة إلى حد كبير عن استمرار الكلام وعن إبداع

¹ - تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها: 217.

² - المرجع نفسه: 94.

³ - الساقى (مصطفى فاضل)، أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، مكتبة الخانجي: القاهرة، 1397هـ - 1977م، (د، ط): 196.

⁴ - النجار (نادية رمضان)، التضام والتعاقب في الفكر النحوي، مقال منشور بمجلة علوم اللغة، دار غريب للنشر: القاهرة، مج: 3، العدد: 4، 1420هـ - 2000م، ص: 105.

⁵ - ينظر: جلال شمس الدين، الأنماط الشكلية لكلام العرب، مؤسسة الثقافة الجامعية: الإسكندرية، 1415هـ - 1995م، (د، ط)، ص: 156.

تركيب جديدة تواكب المستجدات؛ فهي سر بقاء اللغة وجوهر العلاقات التركيبية الأفقية
Syntagmatic relations.

2- أنواع التضام النحوي:

ينقسم التضام النحوي قسمين رئيسيين هما: التضام الإيجابي، والتضام السلبي. والتضام الإيجابي بدوره
ينقسم ثلاثة أقسام وهي: الاختصاص والافتقار والاستغناء.

أ- التضام الإيجابي: وأنواعه ثلاثة:

1- الاختصاص: يتناول تمام حسان ظاهرة الاختصاص في جل مؤلفاته؛ ففي الخلاصة النحوية - مثلا -
يرى تمام حسان أن الاختصاص معناه: « أن يدخل الحرف على مدخول بعينه وإن كان ذلك له بسبب
لفظه لا بسبب معناه. فمعنى "إن" مثلا هو التوكيد وهو معنى يمكن الوصول إليه بطرق مختلفة، ولكن "إن"
تختص بالدخول على الاسم المبتدأ، ومعنى "لم" النفي وهو معنى عام يمكن التعبير عنه بطرق مختلفة، ولكن
"لم" تختص بالدخول على المضارع على حين تدخل "ما" أختها على الجملة الاسمية...»¹.

وفي كتابه الآخر "البيان في روائع القرآن" يقول تمام حسان: « وأما الاختصاص فهو من صفات
الحروف والأدوات؛ لأن الأداة إما أن تدخل على نوع معين من الكلمات لا تتعداه إلى غيره فتسمى مختصة
كاختصاص "إن" وأخواتها بالدخول على الأسماء، واختصاص حروف الجر بذلك أيضا، واختصاص الجوازم
بالدخول على المضارع، و إما أن تصلح الأداة للدخول على مختلف أنواع الكلمات مثل "ما" النافية
وأدوات الاستفهام فتكون غير مختصة»².

وفي هذا الكلام نظر؛ إذ أن ظاهرة الاختصاص لا تقتصر على الحروف والأدوات، بل هي بالإضافة
إلى ذلك ظاهرة تركيبية أو قيمة خلافية تميز بين أقسام الكلم في اللغة؛ فالأفعال مثلا تختص بالتصرف
والأسماء تختص بالتصغير، ونحو ذلك.

كما تلعب هذه الظاهرة دورا حاسما في التمييز بين الحرف العامل وغيره؛ فمن أصول الإعراب المعروفة
أن الحرف لا يعمل إلا إذا كان مختصا، يقول ابن الأنباري في مسألة "القول في العامل في الاسم المرفوع بعد
لولا": « وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا إنه يرتفع بالابتداء دون "لولا" وذلك لأن الحرف إنما
يعمل إذا كان مختصا، و"لولا" لا تختص بالاسم دون الفعل، بل قد تدخل على الفعل كما تدخل على
الاسم؛ قال الشاعر:

قالت أمامة لما جئت زائرها * هلا رميت ببعض الأسهم السود

¹ - تمام حسان، الخلاصة النحوية، ص: 80.

² - تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص: 154، 155.

لا درّ درك، إني قد رميتهم ** لولا حُددت ولا عُذرى لمحدود¹ «²

ولذلك لا يُستغرب أن تكون ظاهرة الاختصاص من الضوابط المنهجية التي التزمها النحاة عند النظر في المادة اللغوية التي تُستعمل لاستنباط الحكم، والتي سماها تمام حسان بقواعد التوجيه المبنوية.³ وقد أوجزها في المخطط التالي:



وفيما يلي نستعرض أهم ما يختص بأقسام الكلم العربي:

أ- الأسماء:

- تختص الأسماء بالخفض.
- تختص الأسماء بالنداء.
- تختص الأسماء بدخول "إن" وأخواتها عليها.
- تختص الأسماء بعلامات التثنية.
- تختص الأسماء بالتصغير.

¹ - البيتان من البسيط ويُنسبان للحموح الظفري، ينظر: إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في شواهد العربية: 2/ 455.

² - ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف: 1/ 62-63.

³ - ينظر: تمام حسان، الأصول، عالم الكتب: القاهرة، 1420هـ - 2000م، ص: 201.

ب- الأفعال:

- تختص الأفعال بالتصرف.
- تختص الأفعال بالجزم.
- تختص الأفعال بقاء التأنيث.
- تختص الأفعال بنون التوكيد.
- تختص الأفعال بنون الوقاية.
- تختص "أفعل" بنصب النكرات بعدها على التمييز.

ج- الحروف:

- تختص "إن" المشددة بالأسماء، و"إن" المخففة بالأفعال.¹
- تختص حروف النصب بالدخول على المضارع.²
- تختص الحروف (إن و إذ و لو و إذا) بالشرطية.
- تختص بعض حروف الجر بالدخول على أفعال بعينها؛ نحو: "دخل في..." للدلالة على الأزمنة والأمكنة.³

2- الافتقار:

الافتقار هو عدم استقلالية اللفظ بالإفادة، لذلك لا يوقف عليه في الكلام، بل لا بد له من لفظ آخر لا غنى له عنه يدخل في حيزه حتى يؤدي المعنى المطلوب؛ مثل: حرف الجر الذي لا يستغني عن مجروره، أو الموصول الذي لا يستغني عن صلته، ونحو ذلك. وهو نوعان:

* افتقار متأصل: ويكون للفظ بحسب أصل الوضع؛ فهو يخص العناصر التحليلية التي لا يصح إفرادها في الاستعمال إلا على سبيل الدراسة والتحليل؛ مثل: افتقار حرف الجر إلى المجرور، وحرف العطف إلى المعطوف، وحرف الاستثناء إلى مستثنى، و واو الحال إلى جملة الحال، والضمير إلى مرجعه، والموصول إلى صلته، ونحو ذلك.⁴

* افتقار غير متأصل: وهو لا يخص الكلمة؛ فالكلمة غير مفتقرة بحسب أصل الوضع، وإنما يخص الباب النحوي الذي تقع فيه، فكل كلمة تقع في هذا الباب النحوي يفرض عليها هذا النوع من الافتقار. كافتقار المضاف إلى مضاف إليه، والحال إلى حدث تلابسه، وفعل التعجب إلى تمييز، والمبتدأ إلى خبر؛ ونحو ذلك.

¹ - ينظر: ابن الأنباري، الإنصاف: 1/ 81، 82، 67، 104، 227، 431، 106، 108، 116، 159.

² - سيبويه، كتاب سيبويه: 3/ 5.

³ - ينظر: إبراهيم السامرائي، الفعل زمانه وأبنيته، مطبعة العاني: بغداد، (د، ط)، 1966م، ص: 84.

⁴ - ينظر: تمام حسان، البيان في روائع القرآن: 154.

3- الاستغناء: هو عكس الافتقار؛ إذ أن اللفظ قد يستغني بنفسه عن غيره كاستغناء الفعل اللازم عن المفعول به،¹ واستغناء الصفة عن الرابط بالموصوف، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِمَّنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ﴾ [الأنعام: 99]؛ فالصفتان: "متراكبا"، و"دانية" مستغنيان عن الرابط الذي يربطها بالموصوف قبلها: "حبا"، و"قنوان". ومن ذلك استغناء عطف البيان عن رابط يجمعه بالمعطوف عليه؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَّرَ أُتْتَخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: 74]؛ فأزر عطف بيان للفظ أبيه استغنى عن الرابط اللفظي الذي يجمعه بالمعطوف عليه.

وكذلك استغناء الجملة المضاف إليها الواردة بعد الظرف عن الرابط الذي يربطها بالمضاف؛ كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 73]؛ فالجملة المضافة: "يَقُولُ كُنْ..." مستغنية عن الرابط الذي يربطها بالمضاف "يوم".²

ب- التضام السلبي: يتمثل التضام السلبي في مفهوم التنافي أو التنافر؛ وهو قسيم التلازم، وهو قرينة سلبية نستبعد بواسطتها من المعنى أحد المتضايفين عند وجود الآخر؛ فإذا وجدنا "أل" مثلاً استبعدنا معنى الإضافة المحضة، وإذا وجدنا أداة النداء استبعدنا أن يقع بعدها الاسم المعرف بـ "أل" إلا بواسطة "أي"، وقد عبر النحاة عن التنافي بقواعد سلبية لا تخلوا من لا النافية؛ كقولهم: "لا يدخل الحرف على الحرف"،³ ومن شواهد هذا في الدرس النحوي:

- لا تجتمع أداة النداء مع الاسم المعرف بـ "أل" إلا في وجود "أيها" أو "أيتها".
- لا تجتمع الإضافة مع "أل" التعريف.
- لا يُجمع بين التنوين والإضافة بقسميها.
- لا يدخل حرف الجر على الجمل المحكية أو الأفعال أو الضمائر.
- في وجود "لولا" لا يوجد خبر للمبتدأ.⁴

¹ - ينظر: تمام حسان، الخلاصة النحوية: 80.

² - ينظر: بوراس سليمان، القرائن العلائقية وأثرها في الاتساق - سورة الأنعام نموذجاً، مخطوط رسالة ماجستير في النحو العربي، جامعة باتنة - الجزائر، 1429هـ - 2009م، ص: 69، 70.

³ - ينظر: تمام حسان، البيان في روائع القرآن: 155، اللغة العربية معناها ومبناها: 221.

⁴ - ينظر: ابن السراج (أبو بكر محمد بن السري)، الأصول في النحو، تح: الفتلي، مؤسسة الرسالة: بيروت، (د، ط - د، ت): 2/ 5. ابن الأنباري، الإنصاف: 2/ 490، تمام حسان، البيان: 221، عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف: القاهرة، ط: 15، (د، ت): 35/ 4.

- لا يُجمع بين العوض والمعوض؛ كما في قول العباس بن مرداس السلمي رضي الله عنه "من البسيط":
أبا خراشة أما أنت ذا نفر ** فإن قومي لم تأكلهم الضبع¹
والتقدير: "أن كنت ذا نفر"؛ فحذف الفعل وزاد "ما" على "أن" عوضاً عن الفعل بدليل أنه لا يجوز ذكر الفعل معهما لئلا يُجمع بين العوض والمعوض.
- لا يتعلق الحرف بالحرف.
- لا يدخل العامل على العامل.
- لا يجتمع ساكنان.
- لا يُوصف الضمير ولا يُضاف.
- لا تجتمع علامتا تعريف.
- لا يُعطف الاسم على الفعل.
- لا يجتمع الضدان كالتنوين والإضافة.
- لا تتوالى أربع حركات في كلمة واحدة.
- لا تعمل عوامل الأسماء في الأفعال، ولا عوامل الأفعال في الأسماء.
- لا يقع الإعراب على أحرف المعاني.
- لا يؤكّد الظاهر بالمضمر.²
- لا تجر "حتى" إلا ما كان آخرها؛ كقولهم: "أكلت السمكة حتى رأسها"، وقول الشاعر:
ألقى الصحيفة كي يخفف رحله ** والزاد حتى نعلها ألقاها³
أو متصلاً بالآخر؛ كقوله تعالى: ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القارعة:5]. وقد أجاز بعضهم:
"أكلت السمكة حتى رأسها"؛ أي: "ورأسها"، وكذلك: "أكلت السمكة حتى رأسها"؛ أي: ورأسها
مأكول كذلك؛ نحو قول جرير "من الطويل":
فما زالت تَمْجُ دماءها ** بدجلة حتى ماء دجلة أشكل⁴

¹ - العباس بن مرداس السلمي، الديوان، تح: يحيى العبدوري، مديرية الثقافة: بغداد، (د، ط): 1968م، ص: 128.

² - ينظر: ابن الأنباري: الإنصاف: 1/ 40، 60، 135، 227. 2/ 450، 549. سيبويه، كتاب سيبويه: 3/ 222، ابن جني أبو الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب، (د، تح)، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: 1، 1421هـ - 2001م: 1/ 283.

³ - يُنسب هذا البيت لـ "مروان بن سعيد النحوي" وهو من الكامل؛ ينظر: البغدادي (عبد القادر بن عمر)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي: القاهرة، ط: 4، 1418هـ - 1997م: 3/ 21.

⁴ - "تمجُّ": تمور، "أشكل": متغير اللون، ينظر: ابن منظور، لسان العرب: 2/ 24، 362. جرير بن عطية الخطفي، الديوان، تح: نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، القاهرة، ط: 3، 1406هـ - 1986م: 143.

- لا تجتمع علامتا تأنيث في كلمة واحدة؛ فالأصل في جمع "مسلمة" و"صالحة" - مثلاً - أن يقال: "مسلمات" و"صالحات"؛ إلا أن واحدة من التاءين تقوم مقام الأخرى في الدلالة على معنى التأنيث، فلذلك لم يجمعوا بينهما واكتفوا بواحدة عوضاً عن الأخرى.
- في وجود "كلا" و"كلتا" يُستبعد فيما أُضيف إليهما أن يكون اسماً مفرداً أو جمعاً أو نكرة؛ إذ لا بد من إضافة "كلا" و"كلتا" إلى ضمير يُطابق المؤكّد، فلا يُضاف إلا إلى معرفة مثنى لفظاً أو معنى.¹

3- عوارض التضام النحوي:

¹ - ينظر: ابن جني (عشمان أبو الفتح)، اللمع في العربية، تح: فائز فارس، دار الكتب الثقافية: الكويت، (د، ط- د، ت)، ص: 21، ابن الأنباري (أبو البركات عبد الرحمن بن محمد)، أسرار العربية، دار الأرقم: بيروت، ط: 1، 1420هـ - 2000م: 198-199. ابن عقيل (عبد الله بن عبد الرحمن)، شرح الألفية، تح: محي الدين عبد الحميد، دار التراث: القاهرة، ط: 20، 1400هـ - 1980م: 62/3.

تتمثل عوارض التضام النحوي في ظاهرتين أساسيتين وهما: الفصل والاعتراض؛ والفصل نوعان: نحوي وبلاغي، والذي يهمنا في هذا البحث هو الفصل النحوي بتمظهراته البلاغية والدلالية في القرآن الكريم، والملاحظ أن النحاة القدامى لم يوردوا تعريفا خاصا لهذا المصطلح رغم كثرة حضوره في الموروث النحوي؛ والسبب في ذلك يرجع إلى وضوح معناه؛ إذ لا فرق بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي لهذا المصطلح، فالفصل يعني وجود حاجز يفصل بين عنصرين متلازمين يرتبطان ببعضهما برباط من نوع خاص.

يقول تمام حسان: « الفصل يكون بوضع لفظ بين لفظين آخرين في الجملة، ينتمي أحدهما إلى الآخر كأن يكونا متلازمين، أو بينهما أية صورة من صور التضام»¹، ويقول علي أبو المكارم: « فمن الملحوظ أن لفظ الفصل يُستخدم في البحث النحوي في حالة وجود فاصل من نوع خاص بين جزأي الجملة، أو أجزائها المتلازمة المتوالية»²، ويقول علي عبد العزيز موسى: « هو خرق لقرينة التلازم بالمفرد؛ أي ليس بالجملة»³.

* **أقسام الفصل** : ينقسم الفصل في اللغة العربية قسمين هما: الفصل المطرد، والفصل غير المطرد؛ وذلك راجع إلى اعتبارين هما: العلاقة التي تربط بين المتلازمين، ونوع الفاصل الذي يفصل بينهما.

1- الفصل المطرد: يكون الفصل النحوي سائغا مطردا إذا كانت العلاقة بين المتلازمين علاقة اقتضاء أي أن الأول يقتضي وجود الثاني؛ كما هو الحال بين المسند والمسند إليه أو بين الفعل والفاعل ونحو ذلك؛ إذ أن قواعد النحو لا تقبل وجود أحدهما دون الآخر مذكورا أو مقدرا، لكنها تقبل عدم تجاورهما ضمن ضوابط معينة، لذلك كانت عملية الفصل بينهما أيسر وأسهل فيجوز حذف أحدهما ويبقى الثاني دالا عليه أو يُقدر من خلال السياق.

ويسوغ الفصل النحوي كذلك إذا كان الفاصل بين المتلازمين غير أجني؛ وهو الفاصل الذي يعمل فيه العامل في الجملة ولا يكون غريبا عنه كقوله تعالى: ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ ﴾ [هود: 67].

2- الفصل غير المطرد: ويكون الفصل النحوي غير سائغ ولا مطرد إذا كانت العلاقة بين المتلازمين علاقة مجاورة أو اقتران؛ حيث إنه لا يتم الأول إلا بوجود الثاني فهما كالكلمة الواحدة، يقول ابن جني: « وعلى الجملة فكلما ازداد الجزآن اتصالا قوي فُبح الفصل بينهما»⁴.

¹ - تمام حسان، البيان في روائع القرآن: 176.

² - علي أبو المكارم، أصول التفكير النحوي، دار غريب: القاهرة، ط: 1، 1427هـ - 2007م، ص: 292.

³ - علي عبد العزيز موسى، الفصل النحوي بين مطالب التركيب وقيم الدلالة، مقال منشور بمجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن، 2006م، مج: 3، عدد: 1، ص: 11.

⁴ - ابن جني، الخصائص: 392/2.

وكذلك يقبح الفصل بينهما إذا كان الفاصل بينهما أجنبيًا؛ وهو الفاصل الذي لا علاقة له بالعمل في الجملة؛ أي لا يعمل فيه العامل في الجملة. يقول ابن السراج: « فأما الفعل الذي لا يجوز أن يُفرق بينه وبين ما عمل فيه؛ فنحو قولك: "كانت زيدا الحمى تأخذ"، هذا لا يجوز؛ لأنك فرقت بين "كان" واسمها بما هو غريب منها؛ لأن "زيدا" ليس بخبر لها ولا اسمها، ولا يجوز: "زيد فيك وعمرو راغب" إذ أردت: "زيد فيك رغب وعمرو"؛ لأنك فرقت بين "فيك" ورغب بما ليس منه. وإذا قلت: "زيد رغب نفسه فيك" فجعلت "نفسه" تأكيدًا لـ"زيد" لم يجز؛ لأنك فرقت بين "راغب" و"فيك" بما هو غريب منه، فإن جعلت "نفسه" تأكيدًا لما في "راغب" جاز¹.

¹ - ابن السراج، الأصول في النحو: 237 / 2.

* نماذج الفصل في اللغة العربية:

أ- الفصل المطرد:

من نماذج الفصل النحوي المطرد في اللغة العربية ما يلي:

1- الفصل بين الفعل والفاعل: ويأتي على عدة أنواع منها:

* الفصل بين الفعل والفاعل بالمفعول به: ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ [البقرة: 275]، وقوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ [هود: 67]، وقول عمرو بن كلثوم التغلبي "من الوافر":

إذا بلغ الفطام لنا رضيع ** تخر له الجبابر ساجدينا¹

وقول دعبل بن علي الخزاعي "من الطويل":

ولما أبي إلا جماحا فؤاده ** ولم يسأل عن ليلي ببال ولا أهل²

* الفصل بين الفعل والفاعل بالتمييز:

يجوز أن يُفصل بين الفعل والفاعل بالتمييز؛ نحو قولنا: "طاب نفسا زيد"؛ وذلك لأن هذا التمييز منقول عن فاعل، فأصل هذه الجملة: "طابت نفس زيد". يقول السيوطي (ت 911هـ): «يجوز توسط التمييز بين الفعل ومرفوعه بلا خلاف».³

* الفصل بين الفعل والفاعل بالحال:

يجوز للحال أن تتقدم على صاحبها فتتوسط بين الفعل والفاعل إذا كان عاملها متصرفا فتكون حينئذ فاصلا جائزا؛ لأنه لا يُعد أجنبيا بل هو معمول لذلك العامل؛ نحو قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ [طه: 67]، وقول النابغة الذبياني "من الطويل":

تطير فُضاضا بينهم كلُّ قونس ** وتتبعها منهم فراش الحواجب⁴

وقولنا: "جاء راكبا زيد".

* الفصل بين الفعل والفاعل بالمستثنى:

ذهب جمهور النحويين إلى أن المستثنى منصوب بالفعل بتوسط "إلا"؛ ولذلك فعندما يتقدم المستثنى على المستثنى منه ويفصل بين الفعل والفاعل يُعد هذا الفصل جائزا؛ لأن الفاصل وهو المستثنى ليس أجنبيا،

¹ - عمرو بن كلثوم التغلبي، الديوان، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي: بيروت، ط: 2، 1416هـ - 1996م، ص: 91.

² - ينظر: دعبل بن علي الخزاعي، الديوان، تح: إبراهيم الأميوني، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: 1، (د، ت)، ص: 157.

³ - السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: عبد الحميد هنداي، المكتبة التوفيقية، مصر، (د، ط - د، ت): 2 / 342.

⁴ - النابغة الذبياني، الديوان، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف: القاهرة، ط: 2، 1405هـ - 1985م، ص: 44.

بل هو معمول لذلك العامل؛ نحو قولنا: "قام إلا زيدا القوم". وهذا الفصل الجائز لا يقتصر فقط على الاستثناء التام المثبت، بل إنه يجوز أيضا في الاستثناء التام المنفي.

2- الفصل بين المبتدأ والخبر: ويأتي هذا الفصل كذلك على عدة أنواع منها:

* الفصل بين المبتدأ والخبر بالحال:

قد يُفصل بين المبتدأ والخبر بالحال بشرط أن يكون صاحب الحال نكرة، ويرى النحاة أن مسوغ هذا التقديم هو إزالة اللبس بين الحال والنعت؛ لأن النعت لا يجوز أن يتقدم على المنعوت، فُفرق بينهما من خلال جواز تقدم الحال. يقول محمد محي الدين عبد الحميد: « ولهذا تجدد المسوغات التي يذكرها النحاة لمحيي صاحب الحال نكرة المدار فيها على أن تنفي عن السامع توهم كون الحال صفة؛ انظر - مثلا - إلى تقدم الحال على صاحبها النكرة، فإن السر في هذا هو أن النعت لكونه تابعا لا يجوز أن يتقدم على المنعوت، فإذا تقدم ما قد يُظن نعتا زال بتقدمه هذا التوهم لهذا السبب».¹

ومن ذلك قول الشاعر "من الطويل":

وبالجسم مني بيّنا لو علمته ** شحوبٌ وإن تستشهدني العين تشهد²

فقد فُصل بين المبتدأ والخبر: "بالجسم شحوبٌ" بالحال "بيّنا"، ومسوغ هذا الفصل محيي صاحب الحال نكرة وهو: "شحوب"؛ فالأصل في صاحب الحال أن يكون معرفة، فلما اختل هذا الشرط تقدمت الحال عليه؛ لأن الصفة النكرة إذا تقدمت على موصوفها أُعربت حالا لثلا يقع اللبس بين الحال والنعت. ومن ذلك أيضا قول كثير عزة "من مجزوء الوافر":

لمية موحشا طلل ** يلوح كأنه خلل³

فقد فصلت الحال: "موحشا" بين المبتدأ والخبر: "لمية طلل".

* الفصل بين المبتدأ والخبر بالعطف:

ومن الفصل المطرد في العربية الفصل بين المبتدأ والخبر بالعطف؛ نحو قولنا: "زيد وعمرو قائم"، يقول السيوطي (ت 911هـ): « وَإِذَا جِئْتَ بِعَدِّ مَبْتَدَأَيْنِ بِخَبَرٍ وَاحِدٍ؛ نَحْوُ: "زَيْدٌ وَعَمْرُو قَائِمٌ"، فَذَهَبَ سَبْيُوه

¹ - ينظر: ابن هشام الأنصاري (أبو محمد عبد الله بن يوسف)، أوضح المسالك، تح: محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية: صيدا- بيروت، 1425هـ- 2005م: 2/ 271.

² - البيت بلا نسبة، ينظر: سبويه: كتاب سبويه: 2/ 123.

³ - كثير عزة (عبد الرحمن بن الأسود الخزاعي)، الديوان، تح: إحسان عباس، دار الثقافة: بيروت، 1391هـ- 1976م، (د، ط)، ص: 506، وينظر: البغداد، خزانة الأدب: 3/ 209.

والمأزني والمبرد إلى أن المذكور خبر الأول، وخبر الثاني مخذوف، وذهب ابن السراج وابن عُصفور إلى عكسه، وَقَالَ آخَرُونَ: أَنْتَ مُحَيَّرٌ فِي تَقْدِيمِ أَيِّهِمَا شِئْتَ».¹

* الفصل بين المبتدأ والخبر بالمستثنى:

يجوز النحويون الفصل بين المبتدأ والخبر بالمستثنى بشرط أن يتقدم الخبر ويتأخر المبتدأ، ويُعتبر هذا الفصل جائزا ومطرذا في العربية؛ وذلك لسببين اثنين: الأول منهما أن الفاصل ليس بأجنبي عن المعمول. والثاني: التفريق ما بين الاستثناء والبدل؛ إذ أنه لو لم يُعرب على الاستثناء لوجب أن يُعرب بدلا، والبدل من التابع، والتابع لا يجوز أن يتقدم على المتبوع. يقول محي الدين عبد الحميد في حاشيته على أوضح المسالك: « وإنما لم يكن في المستثنى المتقدم على المستثنى منه إلا النصب سواء أكان الكلام موجبا أم منفيا؛ لأنه لو لم يُنصب على الاستثناء لكان بدلا؛ إذ لا ثالث لهما الوجهين، والبدل تابع والتابع لا يجوز أن يتقدم على المتبوع، فيكون تقدم المستثنى مانعا من إعرابه بدلا لهذه العلة، فلم يبق إلا الوجه الآخر وهو نصبه على الاستثناء»،² ومن ذلك قول الكميت بن زيد الأسدي "من الطويل":

ومالي إلا آل أحمد شيعةٌ * ومالي إلا مذهب الحق مذهب³

فقد فصل المستثنى "آل أحمد" و"مذهب الحق" بين المبتدأ والخبر: "مالي شيعةٌ" و: "مالي مذهبٌ".

ومن ذلك أيضا قول هذيل الأشجعي "من الطويل":

ولكنما يمضي لي الحول كاملا * ومالي إلا الأبيضين شراب⁴

فُصل بين المبتدأ والخبر: "مالي شرابٌ" بالمستثنى المتقدم: "الأبيضين".

¹ - السيوطي: همع الهوامع: 1/ 391. وينظر: ساهر القرالة، صور الفصل الجائز بين المتلازمات النحوية بالتقديم والتأخير، مقال منشور بمجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإنسانية: الأردن، مج: 13، العدد: 2، 2013م، ص: 223.

² - ابن هشام، أوضح المسالك: 2/ 235.

³ - الكميت بن زيد الأسدي، الديوان، تح: محمد نبيل طريفي، دار صادر: بيروت، ط: 1، 1420هـ - 2000م، ص: 217.

⁴ - ينظر: الأنباري (أبو بكر محمد بن القاسم)، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تح: عبد السلام هارون، دار المعارف: القاهرة، ط: 5، (د، ت): 1/ 490.

* الفصل بين المبتدأ والخبر بالظرف والجار والمجرور:

من المعروف أن العرب تتوسع في الظروف والمجرورات ما لا تتوسع في غيرها، فالنظام اللغوي في العربية يكفل لهما حرية واسعة في الحركة بالتقديم والتأخير؛ ذلك لأنها تُعد فاصلا غير حصين فوجودها غالبا لا يؤثر في المعنى سوى أنه يزيده قوة وتأكيذا، يقول أبو البركات الأنباري: «وجود الفصل بالظرف وحرف الجر كما هو مع عدمه»¹ ويقول ابن هشام: «الفصل بالظرف كلا فصل»².

ومن ذلك - مثلا - قوله تعالى: ﴿وَالْأَمْرُ يُؤْمَدُ لِلَّهِ﴾ [الانفطار: 19]، فقد فُصل بين المبتدأ والخبر بالظرف: "يومئذ"، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحریم: 4]، فُصل بين المبتدأ والخبر بشبه الجملة المتكونة من الظرف والمضاف إليه، وفي قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: 6] فصلت شبه الجملة المتكونة من الجار والمجرور "عليهم" بين المبتدأ وهو المصدر المؤول المكوّن من همزة التسوية والجملة الفعلية "أُنذِرْتَهُمْ" وبين الخبر المقدم: "سواء"؛ فالتقدير: "إنذارك وعدمه سواء".

ويشمل هذا الفصل كذلك الفصل بين اسم "كان" واسم "إن" وأخواتهما وبين خبرها بالظرف والجار والمجرور، والفصل بين اسم "لا" العاملة عمل "ليس" وخبرها، والفصل بين اسم "كاد" وخبرها، والشواهد على هذا الفصل كثيرة منها - مثلا - : قوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: 47]؛ حيث فصلت شبه الجملة المكونة من الجار والمجرور "علينا" بين المتلازمين: اسم كان المؤخر: "نصر المؤمنين" وبين خبرها المقدم: "حقا". وقول ذي الرمة "من الطويل":

ألا يا اسلمي يا دار ميّ على البلى ** ولا زال مُنْهَلًا بجرعائك القطر³

فُصل بين اسم "لا زال" المؤخر: "القطر" وخبرها المقدم: "منهلا" بشبه الجملة المتعلقة بالخبر "بجرعائك"؛ فأصل الكلام: "ولا زال القطر منهلا بجرعائك".

ومن الشواهد على هذا الفصل كذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: 143]، وقوله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ [الأنفال: 5]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾ [العاديات: 11]؛ ففي هذه الآيات تفصل شبه الجملة المؤلفة غالبا من الظرف والجار والمجرور بين المتلازمين اسم "إن" وخبرها.

¹ - ابن الأنباري، الإنصاف: 1/ 248.

² - ابن هشام الأنصاري (أبو محمد عبد الله بن يوسف)، أوضح المسالك، تح: يوسف البقاعي، دار الفكر: بيروت، (د، ط - د، ت): 145/2. وينظر: علي عبد العزيز موسى، الفصل النحوي: 11.

³ - ذو الرمة (غيلان بن عقبة)، الديوان، تح: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة: بيروت، ط: 1، 1427هـ - 2007م، ص: 103.

أما فيما يخص "لا" العاملة عمل "ليس" فإن النحاة قد اختلفوا في جواز إعمالها؛ فذهب سيبويه وجماعة من البصريين إلى جواز الإعمال، وذهب الأخفش (ت 215هـ) والمبرد إلى منع إعمالها؛¹ وهو الذي نرجحه لأن مما تقتضيه قواعد الصناعة النحوية أن الحرف لا يعمل إلا إذا كان مختصاً، ومعلوم أن "لا" حرف مشترك بين الأسماء والأفعال، فمن حقه ألا يكون عاملاً.

وعلى الرغم من ذلك فإن شبه الجملة المؤلفة من الظرف والجار والمجرور تفصل بين متلازميها (اسمها وخبرها) عند من يرى إعمالها، ومن شواهد ذلك قول الشاعر "من الطويل":

تعز فلا شيء على الأرض باقيا ** ولا وزرٌ مما قضى الله واقيا²

فقد فصلت شبه الجملة المؤلفة من الجار والمجرور في شطري البيت بين اسم "لا" وخبرها.

ومما يعمل عمل "كان" وأخواتها أفعال المقاربة؛ فهي تدخل على الجملة الاسمية فترفع المبتدأ وتنصب الخبر، لكن لما كانت فرعاً عن "كان" وأخواتها في العمل، ومعلوم في أصول النحو العربي أن الفروع تنحط دائماً عن درجة الأصول لم يكن لها تلك الحرية المعهودة في "كان" وأخواتها من حيث التقدم والتأخر؛ لذلك فإن الفصل بين أسمائها وأخبارها قليل جداً، ومن شواهد ذلك قول الشاعر "من الخفيف":

كُربَ القلب من جواه يذوب ** حين قال الوُشاة: "هند غضوب"³

ففصلت شبه الجملة "من جواه" بين اسم كاد "القلب"، وبين خبرها الجملة الفعلية "يذوب"؛ فتقدير الكلام: "كرب القلب يذوب من جواه".

¹ - ينظر: الأنباري، الإنصاف: 1/ 134.

² - لا يُعرف قائل هذا البيت، ينظر: ابن هشام الأنصاري (أبو محمد عبد الله بن يوسف)، تلخيص الشواهد وتلخيص الفوائد، تح: عباس مصطفى الصالحي، دار الكتاب العربي: بيروت، ط: 1، 1406هـ - 1986م: 1/ 294.

³ - يُنسب هذا البيت لهذبة بن الخشرم العذري وللكلبة اليربوعي ولرجل من طيء، ينظر: شُرَّاب (محمد حسن)، شرح الشواهد الشعرية في أمهات الكتب النحوية، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط: 1، 1427هـ - 2007م: 1/ 116.

ب- الفصل غير المطرد: من نماذج الفصل غير المطرد في اللغة العربية ما يلي:

1- الفصل بين المضاف والمضاف إليه:

يستتبع جمهور النحويين الفصل بين المتضايين لأنهما بمنزلة الكلمة الواحدة ذات الجزأين، فلا يصح الفصل بينهما؛ يقول ابن يعيش (ت 643هـ): «الفصل بين المضاف والمضاف إليه قبيح لأنهما كالشيء الواحد؛ فالمضاف إليه من تمام المضاف يقوم مقام التنوين ويعاقبه، فكما لا يحسن الفصل بين التنوين والمتون كذلك لا يحسن بينهما»¹، فهم لا يميزون هذا الفصل إلا في ضرورة الشعر، أما الكوفيون فيجيزونه في سعة الكلام لكثرة الشواهد الواردة فيه، وتوسط ابن مالك (ت 672هـ) الفريقين فقسم هذا الفصل قسمين: ما يجوز فيه الفصل في سعة الكلام، وما يجوز فيه الفصل للضرورة.²

فمن الأول: الفصل بين المضاف والمضاف إليه بما نصبه المضاف؛ كقوله تعالى في قراءة ابن عامر (ت 118هـ): ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ﴾ [الأنعام: 137]؛³ فقد فصل بين المضاف "قتل" وهو مصدر والمضاف إليه "شركائهم" بمفعول المصدر "أولادهم". وكذلك قراءة بعض السلف وهي قراءة شاذة: "فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله"؛ ففصل بين المضاف "مخلف" وهو اسم فاعل والمضاف إليه "رسله" بمفعول المضاف "وعده".⁴ وكذلك يفصل بين المتضايين بالقسم؛ كما حكى الكسائي (ت 189هـ) عن العرب: "هذا غلام- والله- زيد".

وقد يفصل الجار والمجرور بين الوصف العامل ومعموله؛ نحو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: {هل أنتم تاركوا لي صاحبي}⁵، وزاد ابن مالك في "شرح الكافية الشافية" الفصل بين المتضايين بـ "إما"؛ كقول تأبط شرا "من الطويل":

هما خُطَّتَا إِمَّا إِسَارٍ وَمِنَّةٍ ** وإما دمٌ والقتل بالحرٍّ أجدُرُّ⁶

¹ - ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل: 2/ 188.

² - ينظر: ابن عقيل، شرح الألفية: 3/ 82. وينظر: عبد العزيز موسى علي، الفصل النحوي: 12.

³ - ينظر: محسن (محمد سالم)، القراءات وأثرها في علوم العربية، مكتبة الكليات الأزهرية: القاهرة، ط: 1، 1404هـ - 1984م: 2/ 234.

⁴ - ينظر: الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير)، جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط: 1، 1416هـ - 1996م: 17/ 44.

⁵ - الحديث صحيح، ينظر: الألباني (محمد ناصر الدين)، مختصر صحيح البخاري، مكتبة المعارف: الرياض، ط: 1، 1422هـ - 2002م: 3/ 174.

⁶ - "خُطَّتَا": خُطَّتَانِ، وقد حُذِفَتِ التَّوْنُ لِلضَّرُورَةِ، "إِسَارٍ": الْأَسْرَ، ينظر: تأبط شرا (ثابت بن جابر)، الديوان، تح: طلال حرب، دار صادر: بيروت، ط: 1، 1416هـ - 1996م، ص: 34، حسن شُرَاب، شرح الشواهد الشعرية: 1/ 458.

ومن الثاني - وهو الفصل للضرورة - الفصل بين المتضايين بأجنبي عن المضاف، كقول أبي حية النيميري "من الوافر":

كما خُطَّ الكتابُ بِكَفٍّ - يَوْمًا - ** يهودي يُقَارِبُ أو يُزِيلُ¹

فُفصل بين المضاف "كف" والمضاف إليه "يهودي" بـ "يوما" وهو أجنبي عن المضاف؛ إذ هو معمول للفعل "خط".

ومنه الفصل بين المتضايين بنعت المضاف؛ كقول معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - "من الطويل":

نحوثُ وقد بلَّ المرادي سيفه ** من ابن أبي شيخ الأباطح طالب²

فُفصل بين المتضايين "أبي" و"طالب" بنعت المضاف وهو "شيخ الأباطح"؛ فتقدير الكلام: "من ابن أبي طالب شيخ الأباطح".

ومنه كذلك الفصل بين المتضايين بالنداء؛ كقول الشاعر "من الرجز":

كأن بردون أبا عصام ** زيدٍ حمائرٌ دُق باللجام³

حيث فُصل بين المتضايين: "بردون" و"زيد" بالنداء: "أبا عصام"؛ إذ تقدير الكلام: "كأن بردون زيد يا أبا عصام".

هذه أهم الحالات التي ذكرها النحويون في الفصل بين المتضايين، وإن كان بعضهم قد توسع في هذا الأمر خلافا للقياس؛ إذ يقتضي القياس تقليص هذه الحالات إلى أقصى الحدود؛ لأن الفصل بين المتضايين يضعف قرينة التلازم ويُفقد الدلالة التي اكتسبها المضاف من المضاف إليه، فكل من المتضايين مفتقر إلى الآخر تركيبيا ودلاليا؛ ففي قولنا مثلا: "زيدٌ مثل الأسد" لا يكتسب المضاف إليه حركة الجر إلا من خلال تركبه مع المضاف، كما أن المضاف لا تكتمل دلالته ولا يفيد حكما على المبتدأ إلا باقترانه بالمضاف إليه.

2- الفصل بين الجار ومجروره:

يُعد الفصل بين الجار والمجرور أقبح من الفصل بين المتضايين؛ لأن حروف الجر - كما يقول النحاة - عوامل ضعيفة لا تقوى على العمل إذا لم تباشر معمولاتها، ولذلك كان الأصل فيها ألا تعمل مع الحذف؛

¹ - أبو حية النيميري (الهيثم بن الربيع)، الديوان، تح: يحيى الجبوري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي: دمشق، 1395هـ - 1975م، (د، ط)، ص: 163، وينظر: البغدادى، خزنة الأدب: 4/ 419.

² - ينظر: بدر الدين العيني، المقاصد النحوية في شرح شواهد الألفية: 1/ 38.

³ - البيت لا يُعرف قائله، ينظر: المصدر نفسه: 3/ 1381.

يقول ابن جني: « والفصل بين الجار ومجروره لا يجوز، وهو أقبح منه بين المضاف والمضاف إليه»¹، ويقول محي الدين عبد الحميد ناقلاً مذهب البصريين في عدم جواز عمل الحرف محذوفاً: « إن حذف حروف الجزم وبقاء عملها وحذف حروف الجر وبقاء عملها لا يجوز؛ لأنها عوامل ضعيفة»².

لذلك لا يجوز الفصل بين الجار ومجروره إلا للضرورة الشعرية بالظروف والمجرورات، أو إذا كان الفاصل بينهما زائداً نحو قول الشاعر "من الوافر":

سَرَاهُ بَنِي أَبِي بَكْرٍ تَسَامَى ** عَلَى كَانِ الْمِسْؤَمَةِ الْعِرَابِ³

ونرى أنه لا يجوز لـ "كان" أن تفصل بين الجار ومجروره وإن كانت زائدة؛ لأن هذا البيت من الشاذ الذي لا يقاس عليه إضافة إلى أنه مجهول القائل.

أما "لا" الزائدة في نحو قولهم: "جئت بلا زاد"، و"غضبت من لا شيء" فإن النحويين قد اختلفوا فيها؛ فالكوفيون يرون أنها اسم وأن الجار دخل عليها نفسها وما بعدها مجرور بالإضافة، والبصريون يرون أنها زائدة كـ "كان" في قولنا: "زيد كان فاضل".

والذي نرجحه هو مذهب الكوفيين لأمرين: الأول أن الحرف الزائد إنما يُزاد في الجملة - كما يقول النحاة - لإفادة معنى إضافي كالتوكيد، وإن كنا لا نرى بالزيادة في القرآن الكريم، بينما اللام هنا جاءت لتنفيذ معنى متأصلاً في الجملة لا يقوم إلا بها، والثاني: أنه من المعلوم في أصول الصناعة النحوية أن الحرف لا يتعلق بالحرف؛ يقول ابن الأنباري متحدثاً عن "ياء" النداء: « والوجه الثاني: أن لام الجر تتعلق بها؛ نحو: "يا لزيد، ويا لعمر" فإن هذه اللام لام الاستغاثة وهي حرف جر، فلو لم تكن "يا" قد قامت مقام الفعل وإلا لما جاز أن يتعلق بها حرف الجر؛ لأن الحرف لا يتعلق بالحرف»⁴، وعلى هذا فإن اللام هنا قد قامت مقام الاسم وليست فاصلة بين الجار والمجرور.

أما الفصل بين الجار والمجرور للضرورة الشعرية بالظروف والمجرورات؛ فكقول الشاعر "من الطويل":

مخلقة لا يُستطاع ارتقاؤها ** وليس إلى - منها - النزول سبيل⁵

ففصل بين الجار ومجروره بشبه الجملة: "منها".

وقول الآخر "من الطويل":

¹ - ابن جني، الخصائص: 397/2، وينظر: عباس حسن، النحو الوافي: 53/3، عبد العزيز علي موسى، الفصل النحوي: 13.

² - ينظر: حاشية الإنصاف في مسائل الخلاف: 433/2.

³ - البيت بلا نسبة، "سَرة": جمع "سَرِيٍّ" وهو السيد الشريف، "المِسْؤَمَةُ": المعلمة، "العِرَاب": العربية، ينظر: البغدادي، خزنة الأدب: 9/207، بديع يعقوب، المعجم المفصل في شواهد العربية: 365/1.

⁴ - ابن الأنباري، الإنصاف: 267/1.

⁵ - البيت بلا نسبة، ينظر: ابن جني، الخصائص: 397/2، حسن شُراب، شرح الشواهد الشعرية: 341/2.

إن عمرا لا خيرَ في - اليوم - عمرو ** إن عمرا مكثُرُ الأحران¹

ونرى أن الفصل بين الجار ومجروره مرفوض تركيبيا ودلاليا لأنه لم يرد إلا في أبيات نادرة مجهولة القائل؛ فهي من الشاذ الذي يُحفظ و لا يقاس عليه.

3- الفصل بين الموصول وصلته:

لا يجوز الفصل بين الموصول وصلته؛ « لأن الصلة من تمام الموصول، وهما كالجاء الواحد في التركيب النحوي»،² يقول ابن جني: « ولا يجوز الفصل بين الصلة والموصول بالأجنبي، وَلَوْ قُلْتُ: "ضربت التي سَوَّطاً أَخُوها جَعْفَر" لم يجر؛ وَلَأنَّكَ فصلت بالسَّوْطِ وَهُوَ أَجْنَبِي بَيْنَ الصَّلَةِ وَالْمَوْصُولِ، وَصِحَّةُ الْمَسْأَلَةِ أَنْ تَقُولَ: "ضربت التي أَخُوها جَعْفَر سَوَّطاً" أو "ضربت سَوَّطاً التي أَخُوها جَعْفَر" أو "سَوَّطاً ضربت التي أَخُوها جَعْفَر"، كل ذلك جائز³.

فالنحاة لا يميزون الفصل بين الموصول وصلته بالأجنبي - وهو ما لم يكن من جملة الصلة نفسها - ، ولا بتابع الموصول من نعت أو بدل؛ فلا يصح قولنا: "جاء الذي الناسُ يحب رؤيته"، ولا قولنا: "جاء الذي - زيد - يكرم جاره"، ولا قولنا: "أكرمت الذي - نفسه - زارني"؛ يقول العكبري (ت 616هـ): «وَالْفَصْلُ بَيْنَ الصَّلَةِ وَالْمَوْصُولِ بِالصِّفَةِ أَوْ الْبَدَلِ غَيْرُ جَائِزٍ؛ لِأَنَّ الْمَوْصُولَ لَمْ يَتِمَّ، فَلَا يُوصَفُ، وَلَا يُبَدَلُ مِنْهُ»⁴.

ومع هذا فإنه يجوز الفصل بين الموصول وصلته في حالات معينة:

1- الحالة الأولى: أن يكون الفصل بجملة القسم أو النداء أو الدعاء؛ وهذا يُسمى الاعتراض، وسيأتي الحديث عنه لاحقا.

2- الحالة الثانية: أن يكون الفصل بـ "كان" الزائدة؛ نحو قولنا: "جاء الذي - كان - زائرنا بالأمس".

3- الحالة الثالثة: أن يكون الفصل بأجزاء جملة الصلة على بعضها الآخر؛ ففي قولنا - مثلا - : "حزنت بالخبر الذي بالأمس سمعته" يجوز لنا أن نقدم "بالأمس" وهي متعلقة بجملة الصلة "حزنت" فتفصل بين الموصول وصلته؛ فنقول: "حزنت بالخبر الذي بالأمس سمعته".

¹ - البيت بلا نسبة، ينظر: السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر، (د، ط - د، ت)، 472 / 2، حسن شُرَاب، شرح الشواهد الشعرية: 288 / 3.

² - عبد العزيز علي موسى، الفصل النحوي: 14.

³ - ابن جني، اللمع في العربية: 1 / 190.

⁴ - العكبري (أبو البقاء عبد الله بن الحسين)، التبيان في إعراب القرآن، تح: علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى الحلبي: القاهرة، (د، ط - د، ت): 460 / 1.

4- الفصل بين الموصوف وصفته:

لا يجوز الفصل بين الصفة والموصوف إلا أن يكون الفاصل جملة معترضة تؤكد الكلام أو تبين معنى من معانيه؛ يقول ابن عصفور (ت 669هـ) في شرحه لجمال الزجاجي (ت 337هـ): « قال: "واعلم أنه لا يجوز الفصل بين الصفة والموصوف بأجنبي؛" ونعني بالأجنبي ما ليس بصفة، إلا أن يكون الفاصل جملة اعتراض؛ وجملة الاعتراض هي التي يكون فيها تأكيد الكلام وتبيين لمعنى من معانيه... ولا يجوز فيما عدا ذلك إلا في ضرورة الشعر».¹

ومما يجوز من الفصل بين الموصوف وصفته فيما عدا الاعتراض الفصل بأجنبي غير محض؛ كالفصل بين الموصوف والصفة بمعمول الصفة؛ كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق: 44]، فالجار والمجرور ليس أجنبيا محضا عن الصفة، وكذلك ما كان معمولا للموصوف؛ نحو قولنا: "تسريني قراءة الكتاب الجادة"، والفصل بالمبتدأ الذي يشتمل خبره على الموصوف؛ كقوله تعالى: ﴿أَيُّ اللّهِ شَكٌّ فَأَطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: 10]، والفصل بـ"كان" الزائدة كقول الشاعر "من البسيط":

في غرف الجنة العليا التي وجبت ** لهم هناك بسعي - كان - مشكور²

وما عدا هذا من الفصل يُحمل على الضرورة الشعرية؛ كالفصل بين الصفة والموصوف بالاسم المعطوف كما في قول لبيد بن ربيعة العامري "من الرمل":

فَصَلَقْنَا فِي مُرَادِ صَلَقَةٍ ** وَصُدَاءٍ أَحَقَّتْهُمُ بِالْثَّلَلِ³

ففصل بين "صلقة" وصفته وهي: "أحقتهم" بالمعطوف.

وكذلك الفصل بينهما بالمجرور كقول الشاعر "من الطويل":

أمرّت من الكتاب خيطا وأرسلت ** رسولا إلى أخرى جريا يُعينها⁴

ففصل بالمجرور: "إلى أخرى" بين "رسولا" وصفته وهي "جريا".

ومما يحمل على الضرورة الشعرية أيضا قول عروة بن الورد "من الطويل":

أقول لقوم في الكنيف تروّحوا ** عشية بتنا عند ماوان رزح⁵

¹ - (ابن عصفور) علي بن مؤمن، شرح جمل الزجاجي، تح: صاحب أبو جناح، مكتبة الإسكندرية، (د، ط - د، ت): 221، 222.

² - البيت بلا نسبة، ينظر: البغدادي، خزانة الأدب: 210 / 9.

³ - "صلقة": الصباح، "صداء": حي من اليمن، "الثلل": الهلاك، ينظر: لبيد بن ربيعة العامري، الديوان، تح: حمدو طماس، دار المعرفة: بيروت، ط: 1، 1420هـ - 2000م، ص: 160، ابن منظور، لسان العرب: 1 / 208، 10 / 205، 11 / 90.

⁴ - "الجرى": الوكيل، ينظر: أبو بكر الأنباري، شرح القصائد السبع: 164، ابن منظور، لسان العرب: 14 / 142.

⁵ - "تروّحوا": ساروا بالعشي، "ماوان": واد فيه ماء بين النقرة والريذة، "رزح": سقطوا من الإعياء، ينظر: عروة بن الورد العبسي، الديوان، تح: أسماء أبوبكر محمد، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: 1، 1418هـ - 1998م، ص: 51. ابن منظور، لسان العرب: 2 / 464، 448 - 425 / 13.

وهو يريد: "أقول لقوم رُزَّح في الكنيف تروحوا عشية بتنا عند ماوان".

وما قلناه عن الموصوف وصفته يقال عن سائر التوابع؛ فلا يجوز الفصل بالأجنبي المحض بين المؤكَّد وتوكيده، ولا بين البدل والمبدل منه، ولا بين المعطوف والمعطوف عليه؛ وذلك حرصاً على بقاء قوة قرينة التلازم بين هذه الأزواج والتي تسهم أساساً في وضوح التراكيب النحوية واطرادها.

ويلاحظ أن الفصل بين التابع والمتبوع وإن كان نادراً كما أسلفنا إلا أنه أسوغ من الفصل بين الجار والمجرور أو بين المضاف والمضاف إليه أو بين الصلة والموصول؛ لأن قوة الترابط في هذه الأزواج أقوى منها بين التابع والمتبوع، يقول ابن جني: « وعلى الجملة فكُلُّما ازداد الجزءان اتصالاً قوي قُبُح الفصل بينهما ».¹

5- الفصل بين فعل التعجب ومعموله:

من المعلوم في قواعد الصناعة النحوية أنه لا يجوز التصرف في الجملة التعجبية بتقديم ولا تأخير ولا فصل؛ فلا يجوز الفصل بين فعل التعجب ومعموله بأجنبي، فلا يصح - مثلاً - : "ما أبخل الزكاة مانع!" ونحن نريد: "ما أبخل مانع الزكاة!". والسبب في منع الفصل هو مشابهة فعل التعجب للاسم لجواز تصغيره، وتصحيح المعتل منه كقولنا: "ما أقومه!"، كما أن صيغة التعجب تلزم طريقة واحدة كالأمثال التي يُقتصر فيها على السماع.

يقول ابن الوراق (ت 381هـ) في كتابه "علل النحو": « وَأَعْلَمُ أَنَّ الْفَصْلَ بَيْنَ فِعْلِ التَّعَجُّبِ وَمَا عَمِلَ فِيهِ لَا يَجُوزُ، هَكَذَا ذَكَرَ سَبِيحُ بْنُ سَبِيحٍ، وَقَدْ أَجَازَ بَعْضُهُمُ الْفَصْلَ بَيْنَهُمَا بِالظُّرُوفِ وَحُرُوفِ الْجَرِّ. فَأَمَّا امْتِنَاعُ الْفَصْلِ فَلِأَنَّ (أَحْسَنَ) قَدْ لَزِمَ طَرِيقَةً وَاحِدَةً، فَقَدْ شَابَهُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ الْحُرُوفُ فِي الْعَمَلِ، وَكَانَ الْمَنْصُوبُ بَعْدَهُ - وَإِنْ كَانَ مَعْرِفَةً - يَشَبُه التَّمْيِيزَ، وَإِنْ كَانَ لَيْسَ بِتَمْيِيزٍ فِي الْحَقِيقَةِ... وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ: يَجْرِي مَجْرَى الْمُثَلِّ، لَا يُفَارِقُهُ لَفْظُهُ فِي الْمَذْكَرِ وَالْمُنْثَى وَالتَّثْنَةِ وَالْجَمْعِ، وَالْأَمْثَالُ حَقَّقَهَا أَلَا تُغَيِّرُ عَمَّا سُمِعَتْ، فَلَمَّا اجْتَمَعَ فِي فِعْلِ التَّعَجُّبِ هَذِهِ الْجِهَاتُ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا مُنِعَ الْفَصْلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَفْعُولِهِ، إِذْ كَانَتْ الْأَشْيَاءُ حَقَّقَهَا أَلَا يُفْصَلُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَا تَعْمَلُ فِيهِ ».²

ويجوز الفصل بين فعل التعجب ومعموله عند جمهور النحويين إذا كان الفاصل ظرفاً أو جاراً ومجروراً متعلقين بفعل التعجب؛ نحو قول العباس بن مرداس السلمي "من الطويل":

وقال بني المسلمین: تقدموا ** وأحب إلينا أن تكون المقدماً³

¹ - ابن جني، الخصائص: 2/ 392.

² - ابن الوراق (أبو الحسن محمد بن عبد الله)، علل النحو، تح: محمود جاسم درويش، مكتبة الرشد: الرياض، ط: 1، 1420هـ - 2000م: 1/ 331.

³ - العباس بن مرداس السلمي، الديوان، تح: يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط: 1، 1412هـ - 1991م، ص: 142، وينظر: العيني، المقاصد النحوية: 3/ 1480. إميل يعقوب، المعجم المفصل في شواهد العربية: 7/ 63.

ففصل بين فعل التعجب "أَحِبَّ" ومعموله "أن تكونا المقدما" بالجار والمجرور "إلينا"، وقول البحترى "من الطويل":

بني تغلب أعزز علي بأن أرى ** دياركم أمست وليس لها أهل¹

وقول الآخر "من الطويل":

خليلي ما أحرى بذى اللب أن يُرى ** صبوراً، ولكن لا سبيل إلى الصبر²

وقول أوس بن حجر "من الطويل":

أقيم بدار الحزم مادام حزمها ** وأحر إذا حالت بأن أتحولاً³

ففصل بالظرف: "إذا حالت" بين فعل التعجب "أحر" ومعموله وهو الجملة المصدرية: "أن تحولاً".

ولا يجوز الفصل بين فعل التعجب ومعموله إذا كان الجار والمجرور غير متعلق بفعل التعجب؛ فلا يجوز أن نقول في نحو: "ما أنبل المكرم للأيتام!"، "ما أنبل للأيتام المكرم"؛ لأن الجار والمجرور هنا متعلق بالمكرم لا بفعل التعجب.

وننبه في الأخير إلى أنه قد يجب في بعض الحالات الفصل بين فعل التعجب ومعموله بالظرف أو الجار والمجرور أو المتضايقين المتعلقين بفعل التعجب؛ نحو: "ما أحسن - شهر الصيام - أن يدوم!"، فمعمول فعل التعجب "أن يدوم" يشتمل على ضمير يعود على المضاف، فيجب أن يتقدم المضاف لثلا يعود الضمير على متأخر.

¹ - ينظر: البحترى (أبو عبادة الوليد بن عبيد)، الديوان، تح: محمد كامل الصيرفي، دار المعارف: مصر، ط: 3، (د، ت)، ص: 1616، الأمدي (أبو القاسم الحسن بن بشر)، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحترى، تح: عبد الله المحارب، مكتبة الخانجي: القاهرة، ط: 1، 1414هـ - 1994م: 379/3.

² - قائله مجهول، ينظر: العيني، المقاصد النحوية: 3/ 1483.

³ - أوس بن حجر، الديوان، تح: محمد يوسف نجم، دار صادر: بيروت، ط: 3، 1399هـ - 1979م، ص: 83.

2- الاعتراض:

أ- مفهوم الاعتراض:

الاعتراض هو أن تعترض جملة مجرى النمط التركيبي للكلام بما يحول دون اتصال عناصر الكلام بعضها ببعض؛ فهو تركيب لغوي عدولي يُعد أجنبيا عن مجرى السياق النحوي، فلا صلة له بغيره ولا محل له من الإعراب. ويُحدث تغييرا في الدلالة الأصلية للتركيب بما يفيد من تعبير عن خاطر طارئ من دعاء أو قسم أو قيد أو نفي أو وعد أو أمر أو نهي، أو أمر يريد المتكلم أن يلفت إليه انتباه السامع.

يقول ابن جني في باب الاعتراض: «اعلم أن هذا القليل من هذا العلم كثير قد جاء في القرآن وفصيح الشعر ومنثور الكلام، وهو جار عند العرب مجرى التأكيد، فلذلك لا يُشنع عليهم ولا يستنكر عندهم أن يُعترض به بين الفعل وفاعله، والمبتدأ وخبره، وغير ذلك مما لا يجوز الفصل "فيه" بغيره، إلا شاذًا أو متأولا»¹.

ويقول عنه الزركشي (ت 794هـ): «هُوَ أَنْ يُؤْتَى فِي أَثْنَاءِ كَلَامٍ أَوْ كَلَامَيْنِ مُتَّصِلَيْنِ مَعْنَى شَيْءٍ يَتِمُّ الْعَرَضُ الْأَصْلِيُّ بِدُونِهِ، وَلَا يَفُوتُ بِقَوَاتِهِ، فَيَكُونُ فَاصِلًا بَيْنَ الْكَلَامِ وَالْكَلامَيْنِ لِنُكْتَةٍ. وَقِيلَ: هُوَ إِزَادَةٌ وَصَفٍ شَيْئَيْنِ؛ الْأَوَّلُ مِنْهُمَا قَصْدًا وَالثَّانِي بِطَرِيقِ الْأَنْجَارِ، وَلَهُ تَغْلِيْقٌ بِالْأَوَّلِ بِضَرْبٍ مِنَ التَّأْكِيدِ. وَعِنْدَ النَّحَاةِ جُمْلَةٌ صُعْرَى تَتَخَلَّلُ جُمْلَةً كُبْرَى عَلَى جِهَةِ التَّأْكِيدِ»².

ويعرفه تمام حسان بقوله: «اعتراض مجرى النمط التركيبي بما يحول دون اتصال عناصر الجملة ببعض اتصالا تتحقق به مطالب التضام النحوي فيما بينها»³.

ب- أقسام الاعتراض:

- 1- اعتراض مفيد: يفيد معنى جديدا مع تأكيد المعنى الأصلي.
- 2- اعتراض غير مفيد: وهو إما أن لا يفيد معنى فيكون دخوله كخروجه، وإما أن يفسد المعنى ويضعف التأليف.

يقول أبو هلال العسكري (ت 395هـ) عن الاعتراض غير المفيد: «وهو اعتراض كلام في كلام لم يتم، ثم يرجع إليه فيتمه؛ كقول النابغة الجعدي "من الوافر" :

¹ - ابن جني، الخصائص: 1/ 336.

² - الزركشي (أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله)، البرهان في علوم القرآن، نج: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية: القاهرة، ط: 1، 1376هـ - 1956م: 3/ 56.

³ - تمام حسان، البيان في روائع القرآن : 183.

ألا زعمت بنو سعد بأبي ** - ألا كذبوا- كبير السن فاني¹»²

* ومن نماذج الاعتراض المفيد:

قوله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ [هود: 42]؛
فجمله " وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ " معترضة بين جملي " وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ " و " يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا "؛ وقد صورت هذه
الجملة وضع الابن أثناء الطوفان.

* ومن نماذج الاعتراض غير المفيد:

قول زهير بن أبي سلمى "من الطويل":

سئمت تكاليف الحياة ومن يعيش ** ثمانين حولا - لا أبا لك- يسأم³

فجمله: "لا أبا لك" جملة قسم معترضة بين جملي: "ومن يعيش ثمانين حولا" وجملة: "يسأم".

ج- مواضع الاعتراض:

1- الاعتراض بين الفعل والفاعل: وذلك نحو قول امرئ القيس "من الطويل":

ألا هل أتاها - والحوادثُ جمّةٌ - ** بأن امرأ القيس بن تَمْلِكَ يَبْقَرُ⁴

فجمله: "والحوادث جمّة" معترضة بين الفعل وفاعله.

وقال رجل من بني دارم يمدح بني عجل وقد فكوه من أسره "من الطويل":

وقد أدركتني - والحوادثُ جمّةٌ - ** أسنة قوم لا ضعاف ولا عزل⁵

2- الاعتراض بين الفعل ومفعوله: وذلك كقول أبي النجم العجلي "من الرجز":

وبدلت - والدهر ذو تبدل - ** هَيْفًا دبورا بالصَّبَا والشمأل⁶

3- الاعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه:

¹ - النابغة الجعدي (عبد الله بن قيس)، الديوان، تح: واضح الصمد، دار صادر: بيروت، ط: 1، 1418هـ - 1998م، ص: 179
² - العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله)، الصناعتين، تح: علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية: بيروت، 1419هـ - 1999م، (د، ط)، ص: 394.

³ - زهير بن أبي سلمى، الديوان، تح: حمدو طماس، دار المعرفة: بيروت، ط: 2، 1426هـ - 2006م، ص: 70.
⁴ - يُنسب هذا البيت لامرئ القيس ولم أعثر عليه في ديوانه. "يَبْقَرُ": نزل الحضر وترك قومه بالبادية، ينظر: ابن منظور، لسان العرب: 4/ 75.

⁵ - ينظر: الفارسي (أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار)، شرح الأبيات المشككة الإعراب، تح: محمود الطناحي، مكتبة الخابجي: القاهرة، ط: 1، 1408هـ - 1988م، ص: 440.

⁶ - "هَيْفٌ": ريح حارة من اليمن، ينظر: السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر)، شرح شواهد المغني، تح: محمد الشنقيطي، لجنة التراث العربي: القاهرة، 1386هـ - 1966م، (د، ط): 1/ 450. وينظر: ابن منظور، لسان العرب: 9/ 351.

وذلك كقوله تعالى: ﴿ فَاعْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ - وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ - وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾ [المائدة:6]؛ فاعترض بجملة: "وامسحوا برؤوسكم" بين المعطوف: "أرجلكم" والمعطوف عليه "وجوهكم".

4- الاعتراض بين الشرط وجوابه: وذلك كقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا - وَلَنْ تَفْعَلُوا - فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة:24]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ - قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:101]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ - لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ - فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المؤمنون:117].

5- الاعتراض بين الموصوف وصفته:

وذلك كقوله تعالى: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (75) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (76) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ [الواقعة: 75، 76]. ففي الآية اعتراضان؛ الأول: الاعتراض بجملة: "إنه لقسم لو تعلمون عظيم" بين فعل القسم: "لا أقسم" وجوابه: "إنه لقرآن كريم". والثاني: الاعتراض بجملة الشرط: "لو تعلمون" بين "قسم" الموصوف و "عظيم" صفته.

6- الاعتراض بين الموصول وصلته:

وذلك كقول جرير بن عطية الخطفي "من الكامل":

ذاك الذي - وربك - يعرف مالكا ** والحق يدفع ترهات الباطل¹

ومن ذلك قول الفرزدق "من الطويل":

تعال فإن عاهدتني لا تخونني ** نكن مثل من - يا ذئب - يصطحبان²

7- الاعتراض بين المتضايفين:

من ذلك ما حكاه الكسائي عن العرب: "هذا غلام - والله - زيد".

8- الاعتراض بين الحرف ومدخوله:

أ- بين الجار والمجرور: يُعد الاعتراض بين الجار والمجرور في لغة العرب من الشاذ الذي لا يُقاس عليه؛ ومنه قولهم: "اشتريته بـ - أرى - ألف درهم".³

ب- بين الحرف ومدخوله: كقول رؤبة بن العجاج "من الرجز":

ليت - وهل ينفع شيئاً ليت - ** ليت شباباً بُوع فاشتريت⁴

¹ - جرير، الديوان: 580.

² - الفرزدق (همام بن غالب)، الديوان، تح: محمد عبد الرحيم، دار الراتب الجامعية: بيروت، 1429هـ - 2009م، ص: 455.

³ - ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب: 1/ 512.

⁴ - رؤبة بن العجاج، الديوان، تح: وليم بن الورد البروسي، دار ابن قتيبة، الكويت، (د، ط - د، ت)، ص: 171.

ج- بين "قد" والفعل: ومن ذلك قول الشاعر وهو أخو يزيد بن عبد الله البجلي "من الطويل":

أَحَالِدُ قَدْ - وَاللَّهِ - أَوْطَأْتُ عَشْوَةً ** وما قائلُ المعروفِ فينا يُعْنَفُ¹

د- بين حرف النفي ومنفيه: ومن ذلك قول ابن هرمة "من المنسرح":

ولا- أراها- تزال ظالمة ** تُحْدِثُ لِي نَكْبَةً وَتَنْكُؤُهَا²

9- الاعتراض بين جملتين مستقلتين:

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: 36]، والعطف في الآية الكريمة بين الجملتين: "إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ" و"إِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ"، وما بينهما جملتان معترضتان، وهذا عند من قرأ بسكون التاء وهي القراءة المشهورة.

10- الاعتراض بين المبتدأ والخبر:

من ذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ - لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا - أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الأعراف: 42]، وقول معن بن أوس "من الطويل":
وفيهن- والأيام يعثرن بالفتي- ** نوادبُ لا يمللنه ونوائحُ³
وقول الشنفرى "من الطويل":

شكا وشكت، ثم ارعوى بعدُ وارعوت ** وللصَّبْرُ- إن لم ينفع الشكو- أجهلُ⁴

وقول سالم بن دارة اليربوعي "من البسيط":

أنا ابن دارة معروفًا بما نسبي ** وهل بدارة - يا للناس - من عار⁵

ففصل بحرف النداء والمنادى بين المبتدأ المؤخر: "عار" وشبه الجملة المتعلقة بالخبر المقدم المحذوف: "بدارة".

¹ - ينظر: المرادي (أبو محمد الحسن بن قاسم)، الجنى الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة - محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: 1، 1413هـ- 1993م: 280.

² - إبراهيم بن هرمة القرشي، الديوان، تح: محمد نقّاع- حسين عطوان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق 1379هـ- 1969م، (د، ط)، ص: 56.

³ - معن بن أوس المزني، الديوان، تح: فان بول شوارتز، مكتبة ستانفورد: كاليفورنيا- الولايات المتحدة الأمريكية، 1903م، ص: 35.

⁴ - الشنفرى (عمرو بن مالك)، الديوان، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي: بيروت، ط: 2، 1417هـ- 1996م، ص: 65.

⁵ - ينظر: سيبويه، كتاب سيبويه: 79 / 2. ابن جني، الخصائص: 270 / 2.

الفصل الثاني: ظواهر التضام وأقسامها

• أقسام ظواهر التضام: تندرج ضمن قرينة التضام مجموعة من الظواهر التركيبية؛ هذه الظواهر تنقسم قسمين رئيسيين هما:

أ- ظواهر أساسية أو كبرى: وهي الظواهر التي تتعلق تعلقا مباشرا بالتركيب اللغوي، ومنها تتفرع بقية الظواهر الفرعية؛ وهي أربع ظواهر أشار إليها تمام حسان في كتابه "البيان في روائع القرآن"؛¹ وهي: الحذف والزيادة والفصل والاعتراض، وستناول هذه الظواهر بالتفصيل في الجانب التطبيقي للبحث.

ب- ظواهر فرعية: وهي ظواهر تتشعب عن الظواهر الكبرى ولا ترتبط ارتباطا مباشرا بالتركيب اللغوي، وسنشير إليها هنا إشارة خاطفة، ولا نتوسع فيها بخلاف الظواهر الكبرى، وذلك حتى لا يتشعب بنا البحث ونخرج به عن الإطار الموضوعي الذي سطرناه له، كما سنفرد لهذه الظواهر الفرعية بحثا خاصة في المستقبل القريب إن شاء الله تعالى. وأهم هذه الظواهر الفرعية ما يلي:

I- ظاهرة إدخال اللفظ على غير مدخوله:

أشار إليها تمام حسان في كتابه "البيان في روائع القرآن"؛² وهي تندرج ضمن ظاهرة الحذف، وقد عُرفت عند النحاة القدامى باسم "حذف المدخول الأصلي"؛ ومما ورد من هذه الظاهرة في القرآن الكريم ما يلي:

1- قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنَّا لَمَّا لِيُؤْفِقَنَّهُمْ رُبُّكَ أَعْمَاهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [هود: 111]؛ نلاحظ دخول "لَمَّا" على اللام الموطئة للقسم، لذلك يقدر النحاة فعلا محذوفا لأن الحرف لا يدخل على الحرف، وتقدير الكلام عندهم: "وَإِنْ كُنَّا لَمَّا يُؤْفِقَنَّهُمْ أَعْمَاهُمْ".

لكن السؤال الذي يطرح نفسه الآن: "لماذا جيء بهذا التركيب العدولي في هذا المقام بالذات؟". نلاحظ أن هذه الآية قد جاءت في سياق الحديث عن الجزاء الأخروي وتوفية الناس أعمالهم في يوم الدين، ذلك اليوم الذي كان النبي - عليه الصلاة والسلام - وأصحابه المستضعفون في مكة يتلهفون شوقا له من جراء ما عانوا من العذاب في سبيل الدعوة لدين الله عز وجل خلال فترة الاستضعاف. كما جاءت هذه الآية تسليية للنبي - عليه الصلاة والسلام - وللعصبة المؤمنة معه في هذا الظرف العصيب؛ كل هذا اقتضى المجيء باللام الموطئة للقسم زيادة على "إِنَّ" المؤكدة ونون التوكيد الثقيلة مبالغة في التوكيد الذي اقتضاه هذا المقام.

¹ - ينظر: تمام حسان، البيان في روائع القرآن: 157-195.

² - ينظر: المرجع نفسه: 187.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ (103) وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدودٍ (104) يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (105) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (106) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (107) وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَّجْدُودٍ (108) فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوفُونَ نَصِيحُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ (109) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (110) وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُؤَفَّقِينَ رَبُّكَ أَعْمَاهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (111) فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (112) وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءِ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: 103 - 113].

2- قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ [الإسراء: 100]؛ يرى النحاة أن الأصل في "لو" أن تدخل على الفعل الماضي، وقد دخلت هنا على الضمير، لذلك يُقدرون فعلا ماضيا محذوفا؛ أي: "قل لو كنتم تملكون"،¹ ونظير هذه الآية من الشعر قول العباس بن مرداس السلمي - رضي الله عنه - "من البسيط":

أبا حراشة أما أنت ذا نفرٍ * فإن قومي لم تأكلهم الضَّبْعُ²

أي: "لأن كنت ذا نفر"؛ فحذف الخافض والفعل الماضي وعُوِّضَ بـ "ما" التي أدغمت في النون. ونحن لا نوافقهم على هذا التقدير؛ لأننا نرى أن الأصل في "لو" أنها تُضَامُ الجملة الفعلية بصفة عامة لا الأفعال فقط، ولذلك فلا داعي لتقدير فعل محذوف في الآية الكريمة. لكن يبقى السؤال عن سر الجيء بهذا النمط التركيبي في الآية الكريمة؛ والجواب الذي يتبادر لنا أنه جيء به في هذا السياق لسببين: السبب الأول: أن الآية جاءت في سياق تحدي الإنس والجن في أمور عظيمة ليس لهم إلا التسليم فيها لله عز وجل كي تُقام عليهم الحجة بكفرهم.

قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (85) وَلَئِنْ سَأَلْتُمْ لَنَدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا (86) إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا (87) قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (88) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا

¹ - ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب: 354.

² - سبق تخريج البيت، ينظر: الصفحة: 51 من هذا البحث.

(89) وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا (90) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (91) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَنَا بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (92) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِزَيْتِكَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا (93) وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا (94) قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْنُشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا (95) قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (96) وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (97) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (98) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا (99) قُلْ لَوْ أَنَّكُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا (100) [الإسراء: 85 - 100].

فاقتضى هذا المقام المجيء بالجملة الفعلية عوضاً عن الفعل لتقديم الضمير العائد على المتحدثين مبالغة في تحديهم وإظهار عجزهم عن القيام بهذا الفعل.

السبب الثاني: أن السورة بصفة عامة تتحدث عن الإنسان وأحواله، بدليل أن هذه السورة هي ثاني سورة في القرآن بعد سورة القيامة من حيث عدد المرات التي ذكر فيها لفظ "الإنسان"؛ فقد ذكر فيها هذا اللفظ أربع مرات وذكر في سورة القيامة خمس مرات. ولم يُوجَّه التحدي للإنس والجن مجتمعين إلا في موضعين من القرآن الكريم؛ في هذه السورة وفي سورة الرحمن في قوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُتُوا مِنْ أَفْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُتُوا لَا تَنْفُتُوا إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ [الرحمن: 33].

فاقتضى هذا السمث البياني العام الذي طبع السورة أن يُؤتى بالجملة الفعلية عوضاً عن الفعل لإبراز الضمير الذي يعود على الإنسان كما هو ظاهر الآية، ويحتمل أيضاً أن يكون عائداً على الإنس والجن معاً. ونكتفي بهذين النموذجين لكون هذه الظاهرة تدرج - كما ذكرنا سابقاً - تحت ظاهرة الحذف التي سنتحدث عنها بالتفصيل في الجانب التطبيقي لهذا البحث إن شاء الله تعالى.

وقد أشار تمام حسان أيضاً إلى ظاهرتي "التضمين" و"النيابة" واعتبرهما مما يندرج تحت ظاهرة "إدخال اللفظ على غير مدخوله"¹، ويبدو لنا أنه لا توجد صلة مباشرة بين هاتين الظاهرتين؛ لأن ظاهرتي "التضمين" و"النيابة" - كما هو معلوم - تتعلق بالمعاني المعجمية للحروف، ولا تتعدى في غالب الأحيان الجانب

¹ - ينظر: تمام حسان، البيان في روائع القرآن: 187.

الإفرادي إلى الجانب التركيبي، بخلاف ظاهرة "إدخال اللفظ على غير مدخوله" كما سبق أن بيّنا.

II- ظاهرة التكرار:

II- 1- تعريف التكرار لغة واصطلاحاً:

أ- التكرار لغة:

جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس: «كرَّ: الكاف والراء أصل صحيح يدل على جمع وترديد، ومن ذلك: "كرّرت الشيء"؛ وذلك رجوعك إليه بعد المرة الأولى، فهو التردد الذي ذكرناه»¹، أما مجمع اللغة العربية فيعرف "التكرار" بأنه: «إعادة الشيء مرة بعد أخرى؛ فكرر الشيء تكريراً و تكرر أعاده مرة بعد أخرى، وتكرر عليه كذا أعيد عليه مرة بعد أخرى»².

فالتكرار لغة هو ذكر الشيء أو فعله مرتين فما فوق وهو يفيد ضرباً من التأكيد، غير أنه يُفرّق بين التكرار والتأكيد بأن التأكيد شرطه الاتصال وأن لا يزيد على ثلاثة؛ كقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [الفجر: 21]، وقولنا: "أقبل محمدٌ محمد"، والتكرار لا يُشترط فيه ذلك؛ فتكرار الشيء هو الرجوع إليه بعد المرة الأولى فعلاً كان أو قولاً.

ب- التكرار اصطلاحاً:

يعرفه إبراهيم عبادة بقوله: «يُطلق على ضم الشيء إلى مثله في اللفظ مع كونه إياه في المعنى للتوكيد والتقرير، والغالب فيما يفيد التوكيد أن يُذكر بلفظين فصاعداً، لكنهم اختصروه في بعض المواضع بإجرائه مجرى المثنى والمجموع لمشابهته لهما من حيث أن التأكيد اللفظي أيضاً ضم الشيء إلى مثله في اللفظ وإن كان إياه في المعنى، ومن ذلك قولهم "لبيك وسعديك"، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ [الملك: 4] في كون اللفظ في صورة المثنى وليس به»³، وجاء في معجم المصطلحات النحوية والصرفية أن التكرار: «إعادة اللفظ أو الجملة، وقد يكون في الحروف نحو: "إنَّ إنَّ محمداً قائم"، أو في الجمل نحو قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: 5، 6]»⁴.

ونلاحظ أن هذين التعريفين لم يفرقا بين التكرار والتأكيد، ولذلك فإن التكرار بمعناه الاصطلاحي الدقيق هو إعادة اللفظ أو الحرف أو الجملة باللفظ والمعنى مرة أو مرتين أو ثلاث مرات فما فوق لغرض

¹ - ابن فارس، مقاييس اللغة: 5/ 126.

² - إبراهيم أنيس- عبد الحليم منتصر- عطية الصوالحي- محمد خلف الله أحمد، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق: القاهرة، ط: 4، 1425هـ- 2005م، ص: 126.

³ - محمد إبراهيم عبادة، معجم مصطلحات النحو والصرف، دار المعارف: الإسكندرية، (د، ط- د، ت)، ص: 259.

⁴ - (اللبدي) محمد سمير نجيب، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة: بيروت- لبنان، ط: 1، 1405هـ- 1985م، ص: 194.

التأكيد والتقرير غالبا أو لغرض آخر يقتضيه المقام، ولا يُشترط في هذه الإعادة اتصال الألفاظ المكررة، ولا أن لا يزيد عدد مرات الإعادة فيه على ثلاث مرات بخلاف التأكيد.

II-2- التكرار والتضام في ضوء لسانيات النص:

يعتبر علماء لسانيات النص كلا من التكرار والتضام مظهرًا من مظاهر الاتساق المعجمي؛ فإذا كان التضام عند هؤلاء الباحثين يمثل توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة، نظرا لارتباطهما بحكم علاقة معينة؛ كعلاقة التضاد أو التنافر أو الجزئية؛ كما في قولنا مثلا: "ما لهذا الولد يتلوى في كل وقت وحين؟! البنات لا تتلوى" "Girls do not wriggle all the time?!" Why does this boy wriggle all the time?؛¹ فالولد والبنات ليسا مترادفين ولا يحيلان إلى ضمير واحد، ومع ذلك فورودهما في الخطاب يساهم في النصية؛ لارتباطهما بعلاقة التضاد.

فإن التكرار في مقابل ذلك يقتضي إعادة مكون معجمي أو مرادف له، ويسمى بعضهم هذه الصورة "الإحالة التكرارية" "Epanafora"؛ ومفادها: "أن يُكرر لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كل جملة من جمل النص قصد التأكيد"،² وهذا ما يُسهم بشكل واضح في الحفاظ على ترابط أجزاء النص وتماسكها. ويعرف صبحي إبراهيم الفقي التكرار تعريفاً يضمن له وظيفته النصية المتمثلة في تحقيق التماسك النصي؛ فيرى أن التكرار هو إعادة لفظ أو عبارة أو جملة أو فقرة، وذلك باللفظ نفسه أو الترادف لتحقيق أغراض كثيرة أهمها: تحقيق التماسك النصي بين عناصر النص المتباعدة.³

¹ - محمد خطاي، لسانيات النص "مدخل إلى انسجام الخطاب"، المركز الثقافي العربي: بيروت- الدار البيضاء، ط: 1، 1991م- 1411هـ، ص: 25.

² - ينظر: الأزهر الزناد، نسيج النص "بحث في ما يكون به الملفوظ نصا"، المركز الثقافي العربي: بيروت- الدار البيضاء، ط: 1، 1993م- 1413هـ، ص: 119.

³ - ينظر: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق - دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء: القاهرة، ط: 1، 1421هـ - 2001م: 20 / 2.

II- 3- أنواع التكرار:

يتمظهر التكرار في أنماط عديدة نذكر منها ما يلي:

1- التكرار التام (التكرار المباشر) "Full reccurence":

يُقصد به تكرار الكلمة بذاتها دون أي تغيير، ويرى كل من " روبرت آلان دي بو جراند" Robert "Alain De Beaugrand" و"وولفجانج أولرخ دريسلار" "Wolfgang Ulirch Dresler" بأن هذا النوع من التكرار يساهم في الانسجام النصي، كما يساهم كذلك في تجسيد المعنى في النصوص الشعرية "Poetic texts".¹

وينقسم هذا النمط من التكرار باعتبار مرجعه قسمين هما:

أ- تكرار اللفظ والمعنى مع وحدة المرجع: وذلك كقول أبي حية النميري "من الطويل":

رَمْتَنِي وَسْتُرُ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ** عَشِيَّةَ آرَامِ الْكِئَاسِ رَمِيمٌ
رَمِيمٌ الَّتِي قَالَتْ لِحَارَتِ بَيْتِهَا ** ضَمَنْتُ لَكُمْ أَلَا يَزَالُ يَهِيمُ
أَلَا رَبُّ يَوْمٍ لَوْ رَمْتَنِي رَمِيْتُهَا ** وَلَكِنْ عَهْدِي بِالنُّضَالِ قَدِيمٌ²
وقول امرئ القيس "من الطويل":

دِيَارٌ لَسَلَمَى عَافِيَاتٌ بَذِي الْخَالِ ** أَلَحَّ عَلَيْهَا كُلُّ أَسْحَمٍ هَطَالٍ
وَتَحْسَبُ سَلَمَى لَا تَزَالُ تَرَى طَلًّا ** مِنْ الْوَحْشِ أَوْ يَبْضًا بِمِثْنَاءِ مِخْلَالٍ
وَتَحْسَبُ سَلَمَى لَا تَزَالُ كَعَهْدِنَا ** بَوَادِي الْخُرَامَى أَوْ عَلَى رَأْسِ أَوْعَالٍ
لِيَالِي سَلَمَى إِذْ تُرِيكَ مُنْصَبًّا ** وَجِيدًا كَجِيدِ الرَّثْمِ لَيْسَ بِمِغْطَالٍ³
فكُلٌّ مِنْ "رَمِيمٍ" و"سَلَمَى" يحيل على مرجع واحد.

¹ - ينظر: جميل عبد المجيد، البديع بين اللسانيات النصية والبلاغة العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، ط: 1، 1418هـ-1998م، ص: 80، وينظر: ميلود نزار، الإحالة التكرارية ودورها في التماسك النصي بين القدماء والحديثين، مجلة علوم إنسانية: العراق، السنة السابعة، العدد: 44، جانفي 2010م، ص: 24.

² - "الْكِيَّاسُ": اسم موضع ببلاد عبد الله بن كلاب، "آرام": مفردا "إِزْم" وهي حجارة تُنصب عَلَمَا في المفازة، "رَمِيمٍ": اسم امرأة، ينظر: أبو حية النميري، الديوان: 172-173، ابن منظور، لسان العرب: 12/14، ياقوت الحموي (شهاب الدين بن عبد الله)، معجم البلدان، (د، تح)، دار صادر: بيروت، ط: 2، 1415هـ-1995م: 1/135.

³ - "عافيات": خاليات دارسات، "ذو خال": موضع بنخل، "ألح السحاب بالمكان": أقام به، "الأسحَم": الأسود، وأراد به هنا: السحاب الكثير الماء، "الطَّلَا": ولد الظبية، "البَيْضُ": بيض النعام، "مِثْنَاءُ": أرض سهلة، "مِخْلَال": يكثر النزول بها، "وادي الخُرَامَى" و"رأس أَوْعَال": موضعان، "مُنْصَبًّا": نَعْرًا مُتَّسِفًا مستويا، "الجِيد": العنق، "الرَّثْمُ": الظبي الصغير، "مِغْطَال": مجرد من القلائد والحلي، ينظر: امرؤ القيس (جندب بن حجر الكندي)، الديوان، تح: أنور أبو سويلم - علي الهروط - علي الشوملي، دار عمار: عمان- الأردن، ط: 1، 1412هـ-1991م، ص: 92-93، وينظر: حسن السندوي - أسامة صلاح الدين ميمنة، شرح ديوان امرئ القيس، دار إحياء العلوم: بيروت، ط: 1، 1410هـ-1990م، ص: 180-181.

ومما ورد من هذا النمط في القرآن الكريم مايلي:

1- قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاحة: 5]؛ وقد أفاد هذا التكرار معنى التوكيد والحصر، فلو كان التعبير: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ ونستعينك" لتوهم السامع أن الاستعانة لا تدخل ضمن العبادة، وأنها يمكن أن تُصرف لغير الله عز وجل، فقد يستعين به تعالى وبغيره، فكرر الضمير المنفصل لقطع دابر هذا التوهم، ولتأكيد حصر كل من العبادة والاستعانة بالله عز وجل دون سواه.

2- قوله تعالى: ﴿الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: 5]؛ كُثر اسم الإشارة العائد على هذه الطائفة من الناس للدلالة على أنها هي الطائفة المخصوصة بالفلاح دون سواها، ولو كان التعبير: "أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَهُمُ الْمُفْلِحُونَ"، لتوهم السامع أنه من الممكن أن يكون لغيرهم نصيب من هذه الصفة.

3- قوله تعالى: ﴿قَوْلٍ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا قَوْلٍ لَهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: 79]؛ تكررت كلمة "ويل" في الآية الكريمة للدلالة على شدة التهيب من هذا العمل الشنيع، وأن العذاب الموعود لهؤلاء مضاعف؛ فعذاب على الكتابة وعذاب على الافتراء على الله عز وجل وعذاب على الكسب المترتب على هذا الافتراء.

كما أفاد هذا التكرار تبكيت اليهود والرد عليهم في زعمهم أن هذا العمل الذي يقومون به لا يعدوا أن يكون مجرد معصية يدخلون على إثرها النار لأيام معدودة؛ ولذلك جاء تفنيد هذا الزعم بعد هذه الآية مباشرة، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (80) بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: 80-81].

4- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 42]؛ لما كان المعروف عن النساء أنهن ناقصات عقل ودين كما ثبت ذلك عن النبي عليه الصلاة والسلام،¹ كُثر فعل الاصطفاء هنا للدلالة على أن مريم - عليها السلام - ليست كبقية نساء العالمين، بل هي أفضلهن، وهي من النساء القلائل اللواتي كُملن في عقلمن ودينهن؛ ويؤكد ذلك قول

¹ - ينظر: أبو عبد الله أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، تح: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط: 1، 1421هـ - 2001م: 246/9، صحيح البخاري: 1/68، صحيح مسلم: 1/86.

النبي - عليه الصلاة والسلام-: {كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْثَمٌ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الشَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ} ¹.

5- قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعْجَبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَعْنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الرعد: 5]؛ تكرر الضمير العائد على هؤلاء المكذبين بالبعث للدلالة على شدة الوعيد الذي ينتظرهم، وقد اقتضى المقام هذا التأكيد؛ فقد جاءت هذه الآية في سياق الحديث عن الآيات الكونية التي تشهد على قدرة الله عز وجل على إعادة الخلق كما بدأه أول مرة، والتي لا يُنكرها إلا أمثال هؤلاء المعاندين الذين طمس الله بصيرتهم، والذين يستحقون أشد العذاب لقيام الحجة عليهم بهذه الآيات البينات.

قال تعالى: ﴿المر تلك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون (1) الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون (2) وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون (3) وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون (4) وإن تعجب فعجب قولهم أءذا كنا تراباً أءنا لفي خلقٍ جديدٍ أولئك الذين كفروا برهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (5) ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلث وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب (6)﴾ [الرعد: 1-6].

6- قوله تعالى: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً (1) ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويثبت نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً (2) وينصرك الله نصراً عزيزاً (3) هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عليهم حكيماً (4) ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزاً عظيماً (5) ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً (6) ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عزيزاً حكيماً﴾ [الفتح: 1-7].

نلاحظ تكرر قوله تعالى: ﴿ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عليهم حكيماً﴾؛ وهو تكرر اقتضاه المقام، فسياق الكلام كما هو واضح عن الفتح العظيم الذي امتن الله به على عباده المؤمنين، وأعز

¹ - صحيح البخاري: 4 / 158 - 164، 5 / 29، 7 / 75، صحيح مسلم: 4 / 1886، مسند الإمام أحمد: 32 / 288 - 444.

به دينه ونصر به جنده، ورأى فيه الكفار والمنافقون عزة الإسلام رأي العين، وتجلت فيه عظمة قدرة الله عز وجل وعظمة علمه وحكمته بعدما ظن المنافقون والمنافقات بالله ظن السوء؛ فظنوا أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهلهم أبداً، فكان من علم الله وحكمته أن قدّر هذا الفتح حين شاء، ولهذا كان هذا المقام أنسب مقام لتأكيد عزة الله عز وجل وجبروته في السماء والأرض وتأكيد علمه وحكمته؛ ولأجل هذا كرّرت هذه الجملة في هذا السياق.

7- قوله تعالى: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (50) وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الذاريات: 50-51]؛ اجتهد كثير من العلماء والمفسرين في معرفة الغاية من تكرار هذه الجملة في هذا السياق، منهم الزمخشري الذي يقول في تفسيره: «كُرِّرَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ عِنْدَ الْأَمْرِ بِالطَّاعَةِ وَالنَّهْيِ عَنِ الشِّرْكِ، لِيُعْلَمَ أَنَّ الْإِيمَانَ لَا يَنْفَعُ إِلَّا مَعَ الْعَمَلِ، كَمَا أَنَّ الْعَمَلَ لَا يَنْفَعُ إِلَّا مَعَ الْإِيمَانِ، وَأَنَّهُ لَا يَفُوزُ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا الْجَامِعُ بَيْنَهُمَا؛ أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿... لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: 158]؛ والمعنى: قل يا محمد: "فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ" ¹.

وفي هذا التكرار لفظة لطيفة إلى معنى هام لا ينبغي أن يغفل عنه الإنسان وإلا خسر الدنيا والآخرة؛ مفاده أنه لا يكفي الفرار إلى الله عز وجل واللجوء إليه بعبادته، بل لا بد من إفراجه بالعبادة وعدم الإشراك به؛ فمعظم المشركين يعبدون الله عز وجل ويفرون إليه ولكنهم لا يفردونه بالعبادة. فكان خطاب الله عز وجل إلى خلقه لم يكتمل في الآية الأولى حتى أُضيف إليه الخطاب الآخر في الآية الثانية؛ حتى كأن الآيتين تبدوان كآية واحدة، وما كان لهذا المعنى أن يُستفاد لولا تكرار تلك الجملة.

¹ - الزمخشري، الكشاف: 405 / 4.

ب- تكرار اللفظ والمعنى مع اختلاف المرجع:

ويكون ذلك بتكرار اللفظ مع اختلاف المعنى وهو ما يُعرف في البلاغة العربية بـ "الجناس التام"؛ ويمكن توضيحه بقول أبي نواس "من الطويل":

وأيُّ فتى في الناس أرجو مقامه ** إذا أنت لم تفعل وأنت أخو الفضل

فقل لأبي العباس إن كنت مذنباً ** فأنت أحق الناس بالأخذ بالفضل

ولا تجحدوا بي وُدَّ عشرين حجةً ** ولا تفسدوا ما كان منكم من الفضل¹

فلاحظ أن كلمة "الفضل" تكررت مع اختلاف المرجع الذي تُحيل إليه؛ فكلمة "الفضل" الأولى يشير بها الشاعر إلى "الفضل بن الربيع" أخو الممدوح، وكلمة "الفضل" الثانية تعني "السماحة"، أما الثالثة فيقصد بها "النعمة والامتنان".

وقول أبي تمام يصف فرسان ممدوحيه "من الطويل":

إِذَا الْحَيْلُ جَابَتْ قَسْطَلُ الْحَرْبِ صَدَّعُوا ** صُدُورَ الْعَوَالِي فِي صُدُورِ الْكَتَائِبِ²

فـ"صدور العوالي" هي المتقدم من الرماح مما هو قريب من السنان، أما "صدور الكتائب" فهي صدور أفراد الجيش المحارب.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ [

الروم: 55]؛ و"الساعة" الأولى يُقصد بها "يوم القيامة" وأما الثانية فتعني المدة الزمنية المعروفة.

¹ - أبو نواس (الحسن بن هانئ)، الديوان، (د، تح)، دار صادر: بيروت، (د، ط - د، ت)، ص: 520.

² - "قَسْطَلُ الحرب": غبار الحرب، "صَدَّعُوا": كَسَّرُوا، ينظر: أبو تمام الطائي (حبيب بن أوس)، الديوان بشرح الخطيب التبريزي، تح: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي: بيروت، ط: 2، 1414هـ - 1994م: 1 / 115، وينظر: عبد الرحمن حبنكة الميداني، البلاغة العربية، دار القلم: دمشق، ط: 1، 1416هـ - 1996م: 2 / 488، ابن منظور، لسان العرب: 11 / 557.

2- التكرار الجزئي "Partial recurrence":

ويُقصد به تكرار كلمات ذات جذر لغوي واحد؛ كما جاء في قول الشاعر:

فدع الوعيد فما وعيدك ضائري ** أطينن أجنحة الذباب يضير¹!

فكلمتي "ضائري" و"يضير" ذات جذر لغوي واحد وهو "ضير". ومما ورد من هذا التكرار في القرآن الكريم مايلي:

1- قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (1) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: 1-3]؛ فكلمتي "الرَّحْمَنِ" و"الرَّحِيمِ" ذات جذر لغوي واحد وهو "رَحِمَ"؛ وقد أفاد هذا التكرار بيان مطلق الرحمة الإلهية في الدنيا والآخرة.

2- قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [المائدة: 4]؛ نلاحظ تكرار كلمات ذات جذر لغوي واحد وهي: "عَلَّمْتُمْ" و"تُعَلِّمُونَهُنَّ" و"عَلَّمَكُمُ"؛ وفائدة هذا التكرار أنه يبين فضيلة العلم، فبه تتفاضل حتى البهائم؛ فالجوارح المعلمة فضلها الله عز وجل على سائر الجوارح بجواز أكل ما أمسكتها بخلاف غيرها.

3- قوله تعالى: ﴿وَالْتَقَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (29) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ [القيامة: 29-30]؛ نلاحظ أن كلمتي "الساق" و"المساق" ذات جذر لغوي واحد؛ وقد أفاد هذا التكرار أن النفس لحظة الاحتضار تُساق إلى ربها سوقا من طرف الملائكة، تماما كما تُساق يوم الحشر كما في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (20) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: 20-21]، وكما في قوله عليه الصلاة والسلام: {لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَخْرُجَ رَجُلٌ مِّنْ قَحْطَانَ يَسْئَلُ النَّاسَ بَعْصَاهُ}؛² وهذا يدل على شدة انقيادهم له.

فهذا الجذر اللغوي يدل بمختلف اشتقاقاته على معنى الانقياد والاستسلام من طرف المساق، وعلى معنى الاستعلاء والقهر من طرف السائق؛ كما في قول الشاعر:

لَوْلَا قُرَيْشٌ هَلَكْتَ مَعَدَّ ** وَاسْتَأَقَ مَالُ الْأَضْعَفِ الْأَشَدَّ³

واستخدام هذا الجذر اللغوي في كلٍّ من الحشر والاحتضار يشير إشارة لطيفة إلى أن الموت هو قيامة كل إنسان بمفرده؛ فكلٌّ من مات فقد قامت قيامته، فإذا كانت القيامة الكبرى هي انتهاء أجل هذه الدنيا

¹ - البيت من الكامل وهو لعبد الله محمد بن أبي عيينة، ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 121.

² - الحديث متفق عليه، ينظر: صحيح البخاري: 4/ 183- 58/ 9، صحيح مسلم: 4/ 2232، مسند أحمد: 15/ 237.

³ - البيت من الرجز ولا يُعرف قائله، ينظر: ابن منظور، لسان العرب: 10/ 166، إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في شواهد العربية:

بأسرها فالقيامة الصغرى هي انتهاء أجل الإنسان بمفرده، وعلى هذا فدنيا كل إنسان هو ذلك المقدار الضئيل من الحياة الذي يعيشه في هذه الدنيا.

3- التكرار بالمرادف أو شبه المرادف "Reccurence by synonym, or near synonym"

ويكون هذا التكرار عن طريق تكرار المعنى دون اللفظ؛ ومن ذلك ما جاء في قول امرئ القيس "من الطويل":

فيا لك من ليل كأن نجومه ** بكلِّ مُغارِ القَتْلِ شُدَّتْ يَبْذِلُ

كأن الشرا عُلقت في مصابِها ** بأمراسِ كَتَّانٍ إلى صُمِّ جَنْدَلٍ¹

فمعنى البيتين متقارب حتى كأن البيت الثاني تفصيل وشرح للبيت الأول؛ فالثريا هي نوع من النجوم، و"يذبل": جبل في ناحية نجد وهو يشتمل على "صُمِّ جندل" وهي الحجارة الصماء غير المتخلخلة، وقوله: "شُدَّتْ بكلِّ مغارِ القتل" مقارب في معناه لقوله قتي البيت الثاني: "عُلقت بأمراسِ كَتَّانٍ". ومن هذا التكرار أيضا ما جاء في قول أبي تمام "من الطويل":

نحوض بثقل العبء مضطلع به ** وإن عَظُمَتْ فيه الخطوبُ وجَلَّتْ²

فالعَبء هو الثقل، و"جَلَّتْ" ترادف "عظمت".

ومما ورد من هذا التكرار في القرآن الكريم ما يلي:

1- قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (7)﴾ [الفاتحة: 7]؛

فالذين أنعم الله عز وجل عليهم هم ليسوا من "الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ" وَلَا من "الضَّالِّينَ"؛ فهذه الجمل الثلاث متقاربة في المعنى، وقد أفاد هذا التكرار تأكيد نزاهة المؤمنين عن الصفات القبيحة التي طبعت طائفة كبيرة ممن سبقهم من أهل الكتاب.

2- قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نُبْخِزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 22]؛ ف"الحُكم" و"العلم" متقاربان في المعنى؛ لأن الحكم يحتمل أن يكون بمعنى الرياسة والسيادة، ويحتمل أن يكون من الحكمة وهي العمل بالعلم النافع، وفي هذا التكرار تعريض باليهود ومن سار على دربهم ممن أوتوا العلم ولم يُزِينُوا علمهم بالحكمة.

3- قوله تعالى: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنْهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ [الكهف: 53]؛

¹ - "مُغارِ القَتْلِ": الحبل المفتول جيدا، "مصَابِها": مواضعها، "أمراسِ كَتَّانٍ": حبال محكمة القتل من الكتان، ينظر: امرؤ القيس، الديوان:

73، حسن السندوي، شرح ديوان امرئ القيس: 173.

² - أبو تمام، الديوان، ص: 164.

فالجملتان "فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَافِعُوهَا" و"وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا" متقاربتان في المعنى؛ وقد أفاد هذا التكرار المبالغة في إبلاس المشركين والكافرين وتقنيطهم من النجاة من النار في هذا اليوم بعدما فرطوا في سبل النجاة في حياتهم الدنيا.

4- قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (1) فَيَمَّا لِيُذْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (2)﴾ [الكهف: 1-2]؛ نلاحظ أن قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ يُقارب في المعنى وصف الكتاب بـ"قَيِّمًا"، وقد استدعت طبيعة السورة بما تضمنته من قصص عجيبة لم يعهد الناس سماعها - كقصة أصحاب الكهف وقصة صاحب الجنتين وقصة موسى مع الرجل الصالح - أن يُبالغ في تنزيه هذا الكتاب من أي زيف أو هوى أو خطأ في نقل الحقائق كما وقعت، فالمعهد في قصص البشر أنها لا تخلو من الهوى والزيف والمبالغة استمالةً لأسماع الناس وأهوائهم.

وقد جيء بهذا التكرار في بداية السورة قطعاً للطريق أمام كل محاولة من الكفار للتشكيك في نزاهة هذه القصص، وتشبيهها بقصص وأساطير الأولين.

5- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ﴾ [سبأ: 5]؛ تُطلق كلمة "رجز" على عدة معاني منها: القدر، وعبادة الأوثان، والشرك، والعذاب؛¹ وعلى هذا فجملة "عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ" يُحتمل أن تكون من باب التكرار بالمرادف. ويبدو لنا أنه جيء بهذه الكلمة بالذات للدلالة على التناسب بين الجزاء والعمل؛ فهؤلاء قد استحقوا هذا العذاب الشديد لشركهم بالله عز وجل وعبادتهم الأوثان.

ومن هذا التناسب أيضا الدلالة على قذارة وحقارة ذلك العمل الذي قاموا به؛ وهو السعي في معاجزة آيات الله عز وجل العظيمة التي سبق ذكرها قبل هذه الآية مباشرة في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (1) يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْعَفُورُ (2) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (3) لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (4)﴾ [سبأ: 1-4].

¹ - ينظر: الفيروزآبادي (محمد الدين محمد بن يعقوب)، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة: بيروت - لبنان، ط: 1426هـ - 2005، ص: 511.

فهؤلاء الكفار أقدر وأحق وأذل من أن يعاجزوا هذه الآيات العظيمة التي تدل على عظمة الباري عز وجل، وما كان لهذه المعاني أن تتحقق لو لم تُستخدم كلمة "رجز" في وصف العذاب.

4- شبه التكرار "Semi – recurrence":

يحدث هذا النمط من التكرار على المستوى الصوتي وهو أقرب شيء إلى ما سماه السكاكي "الجناس المحرّف"¹ ويكون بتكرار بعض الوحدات الصوتية في الكلمة، وفائدته أنه يُضفي على النص نوعاً من التماسك في البنية الصوتية للكلام، وقد ورد بكثرة في القرآن الكريم؛ من ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّهُمْ عِدًّا (84) يَوْمَ تَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا (85) وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرْدًا (86) لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (87) وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (88) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا (89) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (90) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (91)﴾ [مريم: 84-91].

ومما ورد منه في الشعر العربي قول المرقش الأصغر "من مجزوء البسيط":

بادوا وأصبحتُ من بعدهم ** أحسبني خالدا ولا أريتم
يا ابنة عجلان ما أصبرني ** على خطوط كنحت بالقُدوم²

وقوله أيضا:

ومن عزيز الحمى ذي مُنعة ** أضحى وقد أثرت فيه الكُلوم
بئنا أخو نعمة إذ ذهبْت ** وتحولت شقوة إلى نعيم³

¹ - ينظر: الخطيب القزويني (جلال الدين محمد بن عبد الرحمن)، التلخيص في علوم البلاغة، تح: عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي: القاهرة، ط: 2، 1932م، ص: 389. وينظر: سعد مصلوح، نحو آجرومية للنص الشعري- دراسة في قصيدة جاهلية، مقال منشور بمجلة فصول: مصر، العدد: 12، المجلد: 10، يوليو- أغسطس 1991م، ص: 158.

² - "لا أريتم": لا أبرح، المرقشان: الأصغر عمرو بن حرملة والأكبر عمرو بن سعد، الديوان، تح: كارين صادر، دار صادر: بيروت، ط: 1، 1418هـ- 1998م، ص: 94.

³ - "الحمى": ما مُنع وما حُفظ، ينظر: المصدر نفسه: 96.

5- تكرار الجملة (التكرار الجراماتيكي) "Reccurence sentences":

وهو عبارة عن تكرار نظم الجمل وشبه الجمل مع اختلاف المعنى، ويُسمى هذا التكرار أيضا بالتكرار التركيبي "Structural Reccurence" أو: "التوازي" "Parallel"،¹ ويساهم هذا التكرار بشكل كبير في الحفاظ على تماسك النص، كما يساهم أيضا في استمراريته من خلال توليد عدد لا متناه من الجمل وأشباه الجمل؛ ومما ورد من هذا التكرار في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: 52]؛ فقوله تعالى: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ يوازي قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾.

ومما ورد من ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى أَلِلَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (59) أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَوَلَمْ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (60) أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَوَلَمْ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (61) أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (62) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (63) أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (64)﴾ [النمل: 59-64]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (84) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (85) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (86) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (87) قُلْ مَنْ يَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (88) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ (89)﴾ [المؤمنون: 84-89].

وقد أفاد هذا التكرار إقامة الحجة على المشركين بآيات ربوبية الله عز وجل التي يؤمنون بها، والتي لا سبيل لأحد من البشر لإنكارها، لإلزامهم بتوحيد الألوهية الذي ينكرونه.

ومما ورد من هذا التكرار في الشعر العربي قول الشنفرى "من الطويل":

ولا جُبًّا أَكْهَى مُرَبِّ بَعْرِسِهِ ** يُطَالِعُهَا فِي شَأْنِهِ كَيْفَ يَفْعَلُ
ولا خَرِقَ هَيْقٍ كَأَن فَوَّادَهُ ** يَظَلُّ بِهِ الْمَكَاءُ يَعْلُو وَيَسْقُلُ
ولا خَالِفٍ دَارِيَّةٍ مُتَغَزِّلٍ ** يَرُوحُ وَيَغْدُو دَاهِنًا يَتَكَحَّلُ

¹ - ينظر: أحمد عفيفي، "نحو النص": اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق: القاهرة، ط: 1، 1421هـ - 2001م، ص:

ولست بعِلٍّ شرُّه دون خيره ** أَلَفَّ إذا ما رُعَّتْهُ إِهْتَاَجُ أَعَزَّلُ

ولست بمُخْيَارِ الظَّلَامِ إذا انتَحَتْ ** هُدَى الهَوَجَلِ العِيسِيفِ يَهْمَاءُ هَوَجَلُ¹

فقد نفى الشاعر بواسطة هذا التكرار عن نفسه صفات الجبن والخوف وأثبت لنفسه صفات القوة والبسالة. وبنفس هذا الأسلوب يثبت الشاعر قدرته الخارقة على الإغارة على القبائل دون أن يتفطنوا له؛ وذلك بتكرار جملة مقول القول في عجز البيتين التاليين:

فقالوا: "لقد هَرَّتْ بليِلٌ كَلَابُنَا" ** فقلنا: "أذئِبَّ عَسَّ أم عَسَّ فُرْعُلُ؟!"

فلم يكُ إلا نَبَأُهُ ثُمَّ هَوَمَتْ ** فقلنا: "قَطَاةُ رِيَعٍ أم رِيَعٍ أَجْدَلُ؟!"²

ولا يخفى ما أفاده هذا التكرار من تماسك وتلاحم بين أجزاء النص من الناحية الشكلية، إضافة إلى التماسك الدلالي الذي ذكرناه سابقا في الآيات القرآنية والأبيات الشعرية.

ملاحظة: لا شك أن لظاهرة التكرار حكما وأسرارا عديدة في لسان العرب عموما وفي القرآن الكريم خصوصا، ولا يسعنا المجال هنا للحديث عنها، لذلك سنفرد لها بحثا خاصا في القريب العاجل إن شاء الله تعالى.

¹ - "الجَبَّأُ": الجبان، "الأَكْهَى": الكدير الأخلاق الذي لا خير فيه، "مُرِبٌ": مقيم، ملازم، "عَرْسُه": امرأته، "الحَرْقُ": ذو الوحشة من الخوف، "الهَيْقُ": الظليم (ذكر النعام)، ويُعرف بشدة نفوره وخوفه، "المَكَّاءُ": نوع من الطيور، "الخَالِيفُ": الذي لا خير فيه، "الدَّارِيَّ" أو "الدارية": المقيم في داره لا يبرحها، "المَتَعَزِّلُ": المتفرغ لمغازلة النساء، والمتشبه بهن، "العِلَّ": الذي لا خير عنده، والصغير الجسم يشبه الثُراد، "أَلَفَّ": عاجز ضعيف، "إِهْتَاَجُ": خاف، "الأَعَزَّلُ": الذي لا سلاح عنده، "المُخْيَارُ": المتحير، "إِنْتَحَتْ": قصدت، "الهَوَجَلُ": الرجل الطويل الذي فيه حُوق، "العِيسِيفُ": الماشي على غير هدى، "اليَهْمَاءُ": الصحراء، "الهَوَجَلُ": الشديد المسلك المهول، ينظر: الشنفرى، الديوان: 61-62.

² - "هَرَّتْ": نبحت نباحا ضعيفا، "عَسَّ": طاف بالليل، "الْفُرْعُلُ": ولد الضبع، ينظر: المصدر نفسه: 70.

الفصل الثالث: أثر قرينة التضام في تقسيم الكلم العربي

لقد أعمدت معايير عدة في تقسيم الكلم العربي؛ هذه المعايير تنقسم قسمين: معايير شكلية، ومعايير وظيفية. تتمثل المعايير الشكلية في القرائن اللفظية؛ وهي: الصورة الإعرابية، الرتبة، الصيغة، الجدول، التضام، الرسم الإملائي. وبتتبعنا لجهود علماء النحو - القدماء منهم والمحدثون - في تقسيم الكلم نجد أن أهم معيار اعتمدوه في هذا التقسيم هو قرينة التضام، لذلك رأينا أن نفرّد مبحثاً خاصاً نبرز فيه أهمية هذه القرينة ودورها البارز في تقسيم الكلم العربي.

أ- التقسيم الثلاثي:

لقد لاحظ النحاة العرب القدامى مجموعة من الملاحظات الشكلية ترتبط بقرينة التضام، وقد ساعدتهم هذه الملاحظات على تقسيم الكلم العربي ثلاثة أقسام، ويمكن أن نوجزها في العناصر التالية:

1- الكلمة التي تقع بعد حرف النداء لا تكون إلا اسماً، وعلى هذا فإن حروف النداء لا تُضام إلا أسماء. ويدخل في هذه الأسماء عندهم: الصفات، والضمائر، وأسماء الإشارة، ولعل هذا باعتبار المرجع "Reference" الذي تحيل عليه في الواقع؛ لأن كلا من الصفات والضمائر وأسماء الإشارة تحيل في الواقع على أسماء ذوات محضة. ويُضيف النحاة إلى هذا التضام بين حرف النداء ومدخوله شرطاً وظيفياً آخر يتمثل في كون الكلمة المضامة لحرف النداء مناداة؛ لأن حرف النداء قد يدخل أحياناً على ما ليس باسم، كقوله تعالى: ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ [يس:26].

يقول أبو البركات الأنباري: « فإن قيل: ما علامات الاسم؟ قيل: علامات الاسم كثيرة، فمنها... ومنها النداء؛ نحو: "يا زيد"، و"يا عمرو"، ومنها الترخيم؛ نحو: "يا حار" و"يا مال" في ترخيم "حارث" و"مالك"، وقد قرأ بعض السلف: ﴿وَنَادُوا يَا مَالٍ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رُبُّكَ﴾¹، ويقول ابن هشام: « يتميز الاسم عن الفعل والحرف بخمس علامات... الثالثة: النداء، وليس المراد به دخول حرف النداء؛ لأن "يا" تدخل في اللفظ على ما ليس باسم، نحو: ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي﴾، "أَلَا يَا اسْجُدُوا" في قراءة الكسائي، بل المراد كون الكلمة مناداة، نحو: "يا أيها الرجل"، و"يا قُل"، و"يا مكرمان".²

2- الاسم المضاف يتطلب دوماً مضافاً إليه ولا تكون علاقة الإضافة إلا مع الأسماء، فتُعد علاقة الافتقار غير المتأصل بين المضاف والمضاف إليه علامة شكلية تدل على اسمية المضاف، أما المضاف إليه فلا يكون إلا اسماً أو ضميراً مع أن النحاة القدامى يضعون الضمائر في خانة الأسماء.

¹ - الأنباري، أسرار العربية: 39.

² - ابن هشام، أوضح المسالك: 43/1.

يقول ابن فارس: « وَكَانَ الْفَرَّاءُ يَقُولُ: "الاسم ما احتمل التنوين أَوْ الإضافة أَوْ الألف واللام" »¹، ويقول ابن مالك: « وَيَعْتَبَرُ الْاسْمُ بِنِدَائِهِ... وصلاحيته بلا تأويل لإخبار عنه، أو إضافة إليه »² وقد استفاد النحاة القدامى من علاقة الإضافة في تمييز الاسم عن قسيمه الفعل والحرف في ضوء تقسيمهم الثلاثي، والحقيقة أن الإضافة ليست ميزة تركيبية تحدد الماهية الحقيقية للأسماء؛ وذلك أن الأسماء في حد ذاتها - في ضوء هذا التقسيم الثلاثي - تنقسم بالنسبة إلى حكم الإضافة ثلاثة أقسام: أسماء جائزة للإضافة، وأسماء ملازمة للإضافة، وثالثة ممتنعة للإضافة.

أ- الأسماء جائزة للإضافة: وهي أغلب الأسماء المذكورة مع اختلاف في جواز إضافة صدر العدد إلى عجزه؛ فأجازه الكوفيون ومنعه البصريون.

ب- الأسماء الممتنعة من الإضافة: منها أسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، والضمائر، وأسماء الشرط، وأسماء الاستفهام، و"أجمعون" وبأبها، و"أي" عندما تكون موصولة لنداء ما فيه "أل"، ومثنى وثلاث ورباع... الخ.

ج- الأسماء الملازمة للإضافة: وهي قسمان:

• الملازم الإضافة إلى المفرد: ومنها: عند، ولدى، ولدن، وبين، ووسط، وشبه، وقاب، وكلا، وكلتا، وسوى، وذو، وذات، ولبيك، وسعديك، وحنانيك، ودواليك، وأول، ودون، وفوق، وتحت، ويمين، وشمال، وخلف... الخ.

• الملازم الإضافة إلى الجملة: وهو: "إذ، وحيث، وإذا، ولما، ومذ، ومنذ"³؛ ومن هنا يظهر العيب والخلل الكبير في التقسيم الثلاثي للكلم العربي.

3- لاحظ علماء العربية القدامى أن الاسم يقبل التضام مع "أل" التعريف غير الموصولة ولا الاستفهامية؛ نحو: الدار، الرجل... أما الموصولة فإنها قد تدخل على الفعل المضارع كقول ذي الخرق الطهوي "من الطويل":

يقول الخنا وأبغض العجم ناطقا ** إلى رينا صوت الحمار يجدع
ويستخرج اليربوع من نافقائه ** ومن جحره بالشيحة يتقصع⁴

¹ - ابن فارس (أبو الحسين أحمد الرازي)، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: 1، 1418هـ - 1998م، ص: 48. وينظر: الساقى، أقسام الكلم العربي: 196 - 200. جلال شمس الدين، الأنماط الشكلية لكلام العرب، ص: 111 - 118.

² - ابن مالك (أبو عبد الله محمد بن عبد الله)، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تح: محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي: بيروت، 1387هـ - 1967م، (د، ط)، ص: 3.

³ - ينظر: مكى الكلابي محمد وذاح وشاكر علوان، الإضافة في العربية دراسة تركيبية دلالية، مقال منشور بمجلة جامعة كربلاء العلمية: العراق، مج: 7، العدد: 2، 1429هـ - 2009م: 10، 11.

⁴ - ينظر: البغدادي، خزنة الأدب: 482/5.

وأما الاستفهامية فإنها قد تدخل على الفعل الماضي؛ نحو قولنا: "أفعلت؟" بمعنى هل فعلت؟
يقول ابن هشام: «يتميز الاسم عن الفعل والحرف بخمس علامات: ... الرابعة: "أل" غير الموصولة،
كالفرس والغلام، فأما الموصولة فقد تدخل على المضارع، كقوله "من البسيط":

ما أنت بالحكم الترضى حُكومتُهُ ** ولا الأصيل ولا ذي الرأي والجدل¹»²

أما دخول "أل" الموصولة على الفعل المضارع فإنه من الشاذ الذي يُحفظ ولا يقاس عليه ولا تُبنى عليه قاعدة، والصحيح أن "أل" الموصولة إنما تدخل على الصفات لا الأفعال ولا الأسماء. وقد اختلف علماء العربية في "أل" الداخلة على الصفات؛ فمنهم من يقول أنها حرف تعريف لا موصولة، وهو مذهب الأخفش، ومنهم من يقول أنها حرف موصول لا اسم موصول، وهو مذهب المازني (249هـ)، والثالث أنها اسم موصول وهو مذهب الجمهور. وهذا الاختلاف من عيوب التقسيم الثلاثي؛ لأن "أل" الداخلة على الأسماء ليست هي "أل" الداخلة على الصفات؛ فالأولى حرف تعريف والثانية اسم موصول.

وقد اعترف كثير من علماء العربية - ولو تلميحاً - بالتفريق بين الاسم والصفة؛ منهم المرادي (749هـ) حيث يقول في سياق حديثه عن "أل": «الحادي عشر: الموصولة؛ وهي الداخلة على الصفات؛ نحو: الضارب، والمضروب؛ وفيها ثلاثة أقوال: الأول أنها حرف تعريف، لا موصولة، وهو مذهب الأخفش. والثاني أنها حرف موصول، لا اسم موصول. وهو مذهب المازني. والثالث أنها اسم موصول، وهو مذهب الجمهور. ولكل قول أدلة، يطول ذكرها؛ والصحيح مذهب الجمهور، لعود الضمير إليها، في نحو: "الضاربها زيد هند"³.

4- من خصائص الأسماء أنها تتضام مع حروف الجر تضاماً لفظياً؛ كقولنا: "خرجت من الدار"، أو تضاماً معنوياً كقولنا: "عجبت من أن قمت"؛ لأن الجملة المصدرية تُؤول بالاسم أي: "عجبت من قيامك".

5- من خصائص الاسم كذلك أنه يقبل أن يُسند إليه ما تتم به الفائدة، سواء كان المسند فعلاً أو اسماً أو جملة؛ فالمسند يفتقر دوماً افتقاراً غير متأصل إلى اسم يُسند إليه، يقول ابن هشام: «فالاسم ما يقبل "أل" أو النداء أو الإسناد إليه... الثالثة: "الإِسْنَادُ إِلَيْهِ"؛ وَهُوَ أَنْ يُسْنَدَ إِلَيْهِ مَا تَتِمُّ بِهِ الْفَائِدَةُ، سَوَاءً كَانَ الْمُسْنَدُ فِعْلاً أَوْ اسْماً أَوْ جُمْلَةً؛ فَالْفِعْلُ كـ "قَامَ زَيْدٌ" فـ "قَامَ" فِعْلٌ مُسْنَدٌ وَ"زَيْدٌ" اسْمٌ مُسْنَدٌ إِلَيْهِ، وَالْإِسْمُ نَحْوُ: "زَيْدٌ"

¹ - ينسب البيت للفرزدق ولم أعثر عليه في ديوانه.

² - ابن هشام، أوضح المسالك: 45 / 1.

³ - المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني: 202.

أَخُوكَ"؛ فالأخ مُسْنَدٌ وَزَيْدٌ اسْمٌ مُسْنَدٌ إِلَيْهِ، وَالْجُمْلَةُ نَحْوُ: "أَنَا قُتِمْتُ" فَقَامَ فِعْلٌ مُسْنَدٌ إِلَى التَّاءِ وَقَامَ وَالتَّاءُ
جُمْلَةٌ مُسْنَدَةٌ إِلَى "أَنَا"، وَهَذِهِ الْعَلَامَةُ هِيَ أَنْفَعُ عِلَامَاتِ الْإِسْمِ¹.

6- يقبل الفعل التضام مع حروف خاصة؛ منها: حروف النصب ك: "أن، ولن، وكى"، وحروف الجزم ك:
"لم، ولما، ولام الأمر، ولا الناهية"، وحروف الشرط ك: "إن، ولو، وأما، ولولا"، ونحوها، وبعض الحروف
الأخرى ك: "قد"، و"سوف"، و"السين".

7- يتضام الفعل اللازم مع حروف جر خاصة توصله إلى المفعول به؛ نحو قولنا: "جلس محمد على
الكرسي".²

* **ملاحظة:** ذكرنا "أل" التعريف ضمن علاقات التضام التي لاحظها علماء العربية القدامى في تقسيمهم
للکلم العربي، مع أن تمام حسان قد أوردها ضمن علاقات الإلصاق لا التضام. لكن رأي تمام حسان لا
يُسلم له على الإطلاق؛ لأن "أل" الداخلة على الصفات هي بمثابة الاسم الموصول والصفة هي بمثابة
الصلة، وكما هو معلوم فإن الموصول يفتقر إلى صلته افتقاراً متأسلاً، فالعلاقة التي بين "أل" والصفة الداخلة
عليها هي علاقة تضام لا علاقة إصاق.

¹ - ابن هشام الأنصاري (أبو محمد عبد الله بن يوسف)، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تح: عبد الغني الدقر، الشركة
المتحدة: سوريا، (د، ط- د، ت)، ص: 23.

² - ينظر: الأنباري، أسرار العربية: 40، تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها: 107.

* الأسس التي اعتمدها علماء العربية القدامى في تقسيمهم للكلم العربي:

من اللافت للنظر أن نحاة العربية القدامى قد أدرجوا مجموعة من أقسام الكلم المستقلة؛ كالصفات والضمائر والظروف تحت قسم واحد وهو الاسم، وهذا ما يدفعنا إلى التساؤل عن الأسس التي اعتمدها في هذا التقسيم وعلاقتها بقرينة التضام.

ذكر محمود أحمد نخلة في كتابه: "الاسم والصفة في النحو العربي والدراسات الأوربية" أن باحثة ألمانية تدعى: "أولركة موزل" "U. Mosel" قد توصلت في بحث لها بعنوان: "المصطلح النحوي عند سيبويه" إلى أن سيبويه قسم الكلم على أساس توزيعه في الجملة "Distribution"¹؛ وهذا التوزيع هو الذي حمل سيبويه على جمع أنواع متعددة من الكلم تحت قسم الاسم، فقد وجد سيبويه أن « عناصر الفصيحة الفرعية لها في مقابل الفصائل الفرعية الأخرى نفس التوزيع »²، ولذلك نجد أن سيبويه لم يضع حدا للاسم واكتفى بالتمثيل له باسم الجنس؛ حيث يقول: « فالكَلِم: اسمٌ، وفَعْلٌ، وحَرْفٌ جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل »³.

فاسم الجنس عند سيبويه هو الأصل في الأسماء، وغيره محمول عليه، « فإذا أمكن أن يحل عنصر لغوي محله في موضع واحد على الأقل دون أن يتغير التركيب أو تصبح الجملة غير صحيحة نحوياً؛ فهذا العنصر اسم ولا ريب »⁴. ويلاحظ أن العلامات التي وضعها النحاة الأوائل لتعريف الاسم تنطبق على اسم الجنس، باستثناء بعض الوظائف النحوية التي لا يؤديها سوى الاسم المشتق، وهذا لا يعني أن الاسم المشتق عند النحاة الأوائل لا يندرج تحت خانة الاسم؛ لأنهم لا يشترطون في اسم الجنس أن يقع في موضع الاسم المشتق، فاسم الجنس هو الأصل المحمول عليه، ووقوع الاسم المشتق في أحد مواضع اسم الجنس يدخله تحت خانة الاسم في التقسيم الثلاثي للكلم.

من هنا نفهم أن النحاة الأوائل كانوا يفرقون ضمناً بين الاسم والصفة، إلا أن عدم تصريحهم بقسم مستقل للصفات قد أوقعهم في مشاكل كانوا في غنى عنها قد ذكرنا بعضاً منها، فسيبويه - مثلاً - كان على وعي كبير بالأنواع المندرجة تحت قسم الاسم؛ كاسم الجنس والمصدر والصفة والظرف والضمير. ففي تحليله النحوي يفرق بين هذه الأنواع إذا اقتضى الأمر ذلك؛ فمن ذلك - مثلاً - تفرقه بين الاسم والصفة في قوله: « أما ما كان على ثلاثة أحرف من غير الأفعال فإنه يكون فعلاً، ويكون في

¹ U. Mosel, Die syntaktische terminologie bei Sibawaih, Diss. (Munich 1975), S: 71 - 1

² - محمود أحمد نخلة، الاسم والصفة في النحو العربي والدراسات الأوربية، دار المعرفة الجامعية: الإسكندرية، 1414هـ - 1994م، (د، ط)، ص: 15.

³ - سيبويه، كتاب سيبويه: 12 / 1.

⁴ - محمود نخلة، الاسم والصفة: 16.

الأسماء والصفات؛ فالأسماء مثل: صقر، وفهد، وكلب، والصفة نحو: صعب، وضخم، وخدل¹، كما أنه يفرق بين الاسم والظرف عند تقابلهما؛ كما في قوله: «واعلم أنّ المضاف إليه ينجر بثلاثة أشياء: بشيء ليس باسم ولا ظرف، وبشيء يكون ظرفاً، وباسم لا يكون ظرفاً»²، وفي موضع آخر يجعل الظروف أسماء؛ يقول: «وهذه الظروف أسماء، ولكنها صارت مواضع للأشياء»³ وكأن سيبويه بهذا الكلام يجعل الظرف نوعاً من الأسماء.

وقد لاحظ محمود نخلة أن سيبويه والنحاة من بعده قد اعتمدوا في تقسيمهم للكلم على خمسة أسس هي:

الأساس التوزيعي	Distribution basis
الأساس الاستبدالي	Substitute basis
الأساس الوظيفي (النحوي)	The Grammar basis
الأساس الصرفي	The morphological basis
الأساس الدلالي	Semantic basis

ويعني بالأساس التوزيعي: السوابق واللواحق الخاصة بالأسماء والأفعال؛ فتدخل فيه علاقات التضام والإلصاق، وهذا ما نلمسه - على سبيل المثال - في إشارة سيبويه إلى علاقتي الافتقار غير المتأصل والاستغناء في تكوين الجملة العربية؛ فإن الفعل مفتقر إلى الاسم في تكوين الجملة، أما الاسم فإنه قد يستغني عن الفعل؛ يقول - رحمه الله - في كتابه: «ألا ترى أنّ الفعل لا بدّ له من الاسم وإلا لم يكن كلاماً، والاسم قد يستغني عن الفعل؛ تقول: الله إلهنا، وعبدُ الله أخونا»⁴.

ويستند سيبويه على قرينة التضام السليبي التي تتمثل في التنافي أو التنافر عند تفريقه بين الفعل والاسم؛ حيث يقول: «ويبين لك أنّها ليست بأسماء أنّك لو وضعتها مواضع الأسماء لم يجز ذلك؛ ألا ترى أنّك لو قلت: "إنّ يضرب يأتينا"، وأشباه هذا لم يكن كلاماً؟!»⁵.

ويستدل سيبويه كذلك بقرينة التضام على اسمية بعض الحروف كـ"كم" الخبرية التي تؤلف مع الخبر جملة يحسن السكوت عليها؛ فهي تفتقر إلى الخبر افتقاراً غير متأصل، يقول: «...لأنّ "كم" اسمٌ و"رب" غير

¹ - سيبويه، كتاب سيبويه: 242 / 4.

² - المصدر نفسه: 419 / 1.

³ - المصدر نفسه: 420 / 1.

⁴ - المصدر نفسه: 21 / 1، وينظر: محمود نخلة، الاسم والصفة: 73.

⁵ - سيبويه، كتاب سيبويه: 14 / 1.

اسم بمنزلة من؛ والدليل عليه أن العرب تقول: "كم رجل أفضل منك"، تجعله خبر "كم"، أخبرناه يونس عن أبي عمرو¹.

وعلى منوال سيبويه يسير الفارسي الذي يحكم باسمية "أين" لافتقارها إلى الخبر، و"إذ" لافتقارها إلى المضاف إليه؛ يقول في تعليقه على كتاب سيبويه: «... وإنما حكمنا لها بأنها أسماء مع امتناعها من أن يُخبر عنها أنها اختصت بخاصة لا تكون إلا للأسماء كإذ التي اختصت بالإضافة، و"أين" التي تتم مع اسم آخر كلاماً»².

ولكن هذه الخصيصة ليست كافية للحكم باسمية هذه الأدوات؛ فإن هذه الأدوات لها من السمات الشكلية والوظيفية ما يميزها عن الأسماء، فمن هذه السمات المتعلقة بقرينة التضام:

- أنها لا تُوصف ولا يُوصف بها فلا تكون مسندا ولا مسندا إليه، ولا يُخبر بها ولا يُخبر عنها.

- لا يتألف منها مع مثلها كلام.

- تفتقر بشكل متأصل إلى ضمائمها.

- تؤدي وظيفتي التعليق والربط بين أجزاء الكلام.

وقد تفتن أبو القاسم الزجاجي إلى الخصائص التي تميز الأداة عن الاسم، لذلك فإنه جعل أدوات الشرط كلها حروفا ولم يجعلها أسماء؛ فقال: «حروف الجزاء: إن، ومهما، وإذما، وحيثما، وكيف، وكيفما، وأين، وأينما، وأنى، وأيان، ومن، وما»³ وكذلك أخرج من خانة الاسم كل الأدوات التي ترفع ما بعدها بالابتداء والخبر وسماها حروف الرفع؛ وهي: إنما، وكأنما، ولعلما، وبينما، وأين، وكيف، وهل، وبل، ومتى.

ولم تكن للزجاجي الجرأة الكافية لإخراج الموصولات من طائفة الأسماء مع أنه ذكر لها من الخصائص الشكلية والوظيفية ما يبرر إخراجها منها؛ يقول في كتابه "الجمال": «واعلم أن الاسم الموصول لا يُنعت، ولا يُؤكَّد، ولا يُعطف عليه، ولا يُستثنى منه إلا بعد تمام صلته؛ لأنه بعد صلته بمنزلة اسم واحد، ولا يصح معناه إلا بالعائد عليه من صلته»⁴ فكيف يكون الموصول اسما وهو يفتقر افتقارا متأصلا إلى صلته؟! وكفى بهذه القرينة برهانا على عدم اسميته.

¹ - المصدر السابق: 2 / 161.

² - الفارسي (أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار)، التعليقة على كتاب سيبويه، تح: عوض حمد القوزي، ط: 1، 1410هـ - 1990م، دار الكتب المصرية: القاهرة: 1 / 16.

³ - الزجاجي (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق)، الجمال، تح: ابن أبي شنب، ط: 2، مطبعة باريس، 1957م، ص: 45. وينظر: الساقى، أقسام الكلام العربي: 42.

⁴ - الزجاجي، الجمال: 338.

ويبدو أن الكوفيين كانوا أكثر جرأة من نظرائهم البصريين في التصريح بالخروج عن سلطة القسمة الثلاثية؛ فهذا هو الفراء (ت207هـ) يجعل اسم الفاعل العامل قسيما للفعل الماضي والمضارع ويسميه الكوفيون بالدائم، وقد كان أبو العباس ثعلب (ت291هـ) يأتي باسم الفاعل فيسميه "فعلا" حيناً و"دائماً" حيناً آخر؛ يقول في سياق حديثه عن ضمير الإشارة "هذا": « وإذا جاءوا مع "هذا" بالألف واللام كانت الألف واللام نعتاً لهذا، فقالوا: "هذا الرجل قائم". وقد أجاز أهل البصرة إذا كان معهوداً أن ينصب الفعل، وقد أجازوه أيضاً بعض النحويين، والفراء يأباه»¹ فقد سمي ثعلب "قائم" فعلاً، وهذه التسمية قد شاعت عند الكوفيين.

ومن جهة أخرى نجد أن الفراء يحس بوجه الشبه الذي يربط بين ضمائر الإشارة والموصولات لاشتراكها في مجموعة من السمات الشكلية والوظيفية؛ أبرزها صفة الاستغناء عن تكرار الاسم الظاهر التي يتصف بها كلٌّ منها مع الضمائر؛ فأجاز لذلك أن تكون الإشارة موصولاً، فقال: « والعرب قد تذهب بـ "هذا" و"ذا" إلى معنى "الَّذِي"؛ فيقولون: "ومن ذا يقول ذاك؟" في معنى: "من الَّذِي يقول ذاك؟"، وأنشدوا:

عَدَسٌ ما لعبادٍ عليكِ إمارة ** أَمِنَتْ وهذا تحمِلين طليق²

كأنه قَالَ: "والذي تحمِلين طليق" ³.

¹ - ثعلب (أبو العباس أحمد بن يحيى)، مجالس ثعلب، تح: عبد السلام هارون، دار المعارف: القاهرة، 1960م-1380هـ، (د، ط): 1/12.

² - البيت من الطويل وهو لـ"يزيد بن مفرغ الحميري"، "عَدَسٌ": زجر للبعلة، وقد جعله هنا اسماً للبعلة، ينظر: يزيد بن مفرغ الحميري، الديوان، تح: عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 2، 1402هـ-1982م، ص: 170. ابن منظور، لسان العرب: 6/133.

³ - الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد)، معاني القرآن، تح: عبد الفتاح شلبي وآخرون، الدار المصرية: القاهرة، ط: 1، (د، ت): 1/138.

ب- التقسيم السباعي:

لقد لعبت قرينة التضام دورا محوريا في التقسيم السباعي للكلم العربي؛ إذ استفاد منها علماء العربية المحدثون أيما استفادة في التخلص من ربة التقسيم الثلاثي، ومنح الاستقلالية لبعض أقسام الكلم نظرا لما تميزت به من خصائص التضام. وفيما يلي نستعرض أهم أقسام الكلم العربي التي مُنحت الاستقلالية بفضل ما تميزت به من خصائص التضام:

1- الصفة: وهي صفة الفاعل والمفعول والصفة المشبهة وصيغ المبالغة والتفضيل، وهي تشترك مع الأسماء من حيث التضام في كونها تقبل النداء والإضافة والتنوين وأن تكون مسندا إليه فاعلا أو نائب فاعل. وتشترك مع الأفعال في أن تكون مسندا، وأن تضام المفعول به مباشرة إذا كانت متعدية أو بواسطة الحرف إذا كانت لازمة، ووقوع الصفة في منطقة مشتركة بين الاسم والفعل من حيث التضام قد حدا بعلماء العربية المحدثين أمثال: مصطفى فاضل الساقى، وتام حسان أن يجعلوها قسما قائما بذاته بين أقسام الكلم.¹

2- الضمير: يتضام الضمير مع المضاف ولكنه لا يكون هو مضافا أبدا؛ وهو ما يميزه عن الأسماء والصفات، وكذلك يتميز الضمير بحاجته إلى ضميمة المرجع، وتحتاج الضمائر الموصولة إلى أن تُضام الصلة. 3- الظرف: تتميز الظروف من حيث التضام بأنها ذات افتقار متأصل إلى الإضافة، وبعضها يختص بتضامه مع الأداة "ما"؛ نحو: "متى"، و"أين"، و"حيث"، و"إذ"، و"إذا"، وهي على نوعين: ف"إذ"، و"لما"، و"حيث" لا تتضام إلا مع الجمل بخلاف: "متى"، و"أين"، و"أيان"، و"أنى" التي تتضام مع المفرد والجملة.

يقول تمام حسان: « الظروف مبان تقع في المبنيات غير المتصرفة بأقرب الوشائج بالضمائر والأدوات»² ويقول ثامر سلوم: « والظرف عنصر أساسي أيضا من عناصر التشكيل الصرفي... بيد أن النحاة - ومنهم عبد القاهر الجرجاني - توسعوا في الظروف كثيرا؛ فعاملوا بعض الأبنية الأخرى معاملة الظروف فأدت هذه الأبنية داخل سياقها أو تشكيلها اللغوي وظائف الظروف، واستوعبت من وجهة الترتيب كل خصائصها ومميزاتها».³

¹ - ينظر: بوضياف محمد صالح، التضام في القرآن الكريم في سورتي هود وطه، مخطوط رسالة ماجستير، جامعة تلمسان: الجزائر، 1430هـ - 2010م، ص: 70.

² - تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها: 119.

³ - ثامر سلوم، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، دار الحوار، سوريا، ط: 1، 1403هـ - 1983م، ص: 85.

4- الأداة: « هي من عناصر التشكيل الصرفي»، وهي « مبني تقسيمي يؤدي معنى التعليق»¹ وهي تتضام دائما مع بنائها أو تركيبها، فهي تقتضي دائما شيئا ينضم إليها؛ لأنه لا معنى لها خارج التركيب أو السياق. فأدوات الجمل تفتقر إلى الجملة بعدها، وأدوات العطف تفتقر إلى المعطوف، وأدوات الجر إلى المجرور... الخ

ومما تتميز به الأدوات كذلك من حيث التضام عن الضمائر والظروف أنها أشد تأصلا في حقل الرتبة منهما؛ فأدوات الجمل لها الصدارة في التركيب، ومرتبة حروف الجر التقدم على مجرورها، وحروف العطف على المعطوف، وواو المعية على المفعول معه، وحروف القسم على المقسم به، وواو الحال على جملة الحال. 5- الخوالب: هي كلمات تُستعمل للإفصاح عن موقف انفعالي ما، وهي شبيهة بما يسمونه في الإنجليزية: "Exclamation"، وهي أربعة أنواع:

- خالفة الإحالة: وهي التي يسميها النحاة اسم الفعل؛ كـ "هيهات"، و"وي"، و"صه".
- خالفة الصوت: ويسميها النحاة اسم الصوت؛ نحو: "هلا" لزجر الخيل، و"كخ" للطفل، و"عاه" للإبل، الخ...

- خالفة التعجب: ويسميها النحاة صيغة التعجب؛ نحو صيغتي: "ما أفعل" و"أفعل به" وهي تراكيب مسكوكة "Idiomatic" كالأمثال التي لا تتغير.

أما خصائصها من حيث التضام؛ فالملاحظ أن جميع هذه الخوالب تفتقر إلى ضمائم معينة، والرتبة بين الخالفة وضميمتها محفوظة؛ كما يتضح من الرتبة بين "نعم" وضميمتها، والرتبة بين خالفة التعجب والأداة، وبينها وبين المتعجب منه، والرتبة بين "أفعل" وبين ما لحقت به الباء بعده، والرتبة بين الإحالة وما يأتي معها، كما أن بعض هذه الخوالب تفتقر إلى ضمائمها افتقارا متأسلا؛ كافتقار خالفة التعجب إلى "ما" أو "باء الجر".²

¹ - المرجع السابق: 91.

² - ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها: 117-118، وينظر: بوضياف، التضام في القرآن الكريم في سورتي هود وطه: 68.

الفصل الرابع: أثر قرينة التضام في تحديد الوظائف النحوية

كثيراً ما يعتمد علماء العربية القدماء منهم والمحدثون على قرينة التضام في تحليلاتهم النحوية للسياق اللغوي من أجل الكشف عن الوظائف النحوية للعناصر اللغوية؛ إذ أن قرينة التضام لها الأثر البالغ في انسجام العناصر النحوية، فهي تحدد وظائفها وما تشير إليه من معان نحوية في السياق، وسنحاول في هذا الفصل إبراز دور قرينة التضام في تحديد هذه الوظائف في السياق النحوي.

أ- المرفوعات:

1- المبتدأ والخبر: تتضافر مجموعة من القرائن اللفظية والمعنوية في بيان المبتدأ والخبر، ومن بين هذه القرائن قرينة التضام التي تتمثل في مجموعة من الظواهر منها: الاختصاص، والافتقار، والاستغناء، والتنافر، والحذف، والذكر، والإضمار.

فمن أول العلامات التي يُعرف بها كلٌّ من المبتدأ والخبر هي الاستغناء عن العوامل اللفظية، وهو ما عبر عنه اللغويون القدماء بلفظ "التجرد عن العوامل اللفظية"؛ لأن المبتدأ مرفوع بعامل معنوي هو الابتداء، والخبر مرفوع بالمبتدأ أو بهما معاً. يقول الزمخشري: «هما الاسمان المجردان للإسناد؛ نحو قولك: "زيد منطلق"؛ والمراد بالتجريد إخلاؤهما من العوامل التي هي: "كان" و"إن" و"حسبت" وأخواتها؛ لأنهما إذا لم يخلوا منها تلعبت بهما وغصبتهما القرار على الرفع، وإنما أشتراط في التجريد أن يكون من أجل الإسناد؛ لأنهما لو جردا للإسناد لكانا في حكم الأصوات التي حقها أن يُنعق بها غير معربة»¹.

كذلك يتميز المبتدأ بالافتقار المتأصل إلى الخبر؛ إذ لا غنى للمبتدأ عن الخبر، يقول ابن مالك:

والخبر الجزء المتمم للفائدة ** كالله بر، والأيايدي شاهده²

ومن ظواهر التضام التي يُعرف بها كل من المبتدأ والخبر ظاهرة الحذف؛ فقد يتطلب سياق نحوي ما حذف أحد ركني الإسناد إما وجوباً أو جوازاً، ويكون ذلك قرينة دالة على الوظيفة النحوية للمحذوف والظاهر.

ففي سياق الإخبار عن المبتدأ بمخصوص "نعم" و"بئس"؛ نحو قولنا: "نعم القائد إلياس"، و"بئس المعين إِيَاد" أي هو، والإخبار عنه بمصدر نحو: "صبر جميل" أي صبري صبر جميل، أو بما يشعر القسم نحو: "في ذمتي لأحضرن" أي: "في ذمتي عهد"؛ يُحذف المبتدأ وجوباً.³

¹ - الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمرو)، المفصل في علم العربية، تح: علي بو ملحم، دار الهلال: بيروت، ط: 1، 1413هـ-1993م، ص: 43.

² - ابن مالك (أبو عبد الله محمد بن عبد الله)، ألفية ابن مالك، (د، تح)، دار التعاون، مصر، (د، ط- د، ت): 17.

³ - بنظر: محمد علي السراج، الباب في قواعد اللغة وآلات الأدب، تح: خير الدين شمسي باشا، دار الفكر: دمشق، ط: 1، 1403هـ-1983م، ص: 85.

ويُحذف الخبر وجوبا بتضام المبتدأ مع "لولا" الامتناعية بشرط أن يكون الخبر كونا مطلقا؛ كقولنا: "لولا زيد لغرقت" أي: "لولا زيد موجود"، يقول ابن مالك في ألفيته:

وبعد لولا غالبا حذف الخبر ** حتم، وفي نص يمين ذا استقر¹

أما إذا كان الخبر كونا مقيدا فإما أن يدل عليه دليل أولا، فإن لم يدل عليه دليل وجب ذكره، وإن دل عليه دليل جاز إثباته وجزاز حذفه، ؛ كقول النبي - عليه الصلاة والسلام -: { لولا قومك حديثو عهد بكفر لهدمت الكعبة وبنيتها على قواعد إبراهيم }²، وقول أبي العلاء المعري "من الوافر":

يذيب الرعب منه كلَّ عَضْبٍ ** فلولا الغمدُ يمسكه لسالا³

ويُستفاد من قرينة التضام السليبي أو التنافر في معرفة المواضع التي يُحذف فيها الخبر وجوبا؛ فبعد "واو" المعية التي لا يصح أن تكون عاطفة يجب حذف الخبر؛ كقولنا: "كل صانع وما صنع" أي: "كل صانع وما صنع مقترنان"، كذلك لا يكون خبر في ورود الحال بعد المبتدأ كقولنا: "ضربي العبد مسيئا"؛ فالحال تسد مسد الخبر؛ يقول ابن مالك في ألفيته:

وقبل حال لا يكون خبرا ** عن الذي خبره قد أضمر

كضربي العبد مسيئا، وأتم ** تبيني الحق منوطا بالحكم⁴

وإذا تضام المبتدأ مع أداة استفهام أو نفي وكان وصفا وما بعده مثنى أو جمع فإن المبتدأ حينذاك يفتقر افتقارا متأصلا إلى الفاعل أو نائبه بدلا عن الخبر؛ كقولنا: "أقادم أخواك؟"، "ما مخذول تابعوك"، ف "أخواك": فاعل سد مسد الخبر، و "تابعوك": نائب فاعل سد مسد الخبر.

¹ - ابن مالك، الألفية: 18.

² - الإمام مسلم، صحيح مسلم: 969/2.

³ - "العَضْبُ": السيف القاطع، ينظر: أبو العلاء المعري (أحمد بن عبد الله)، الديوان "سقط الزند"، (د، تح)، دار صادر- دار بيروت: بيروت، 1376هـ-1957م، (د، ط)، ص: 52.

⁴ - ابن مالك، الألفية: 18. وينظر: السراج، الباب: 86.

2- الفاعل:

يفتقر الفعل افتقاراً متأصلاً إلى الفاعل؛ إذ لا يُتصور عقلاً ومنطقاً وجود فعل بدون فاعل أو حدث بدون محدث، ولذلك اعتبر النحاة الفاعل بمثابة الجزء من الفعل، فهما كالكلمة الواحدة؛ يقول ابن مالك:
والأصل في الفاعل أن يتصلاً * والأصل في المفعول أن ينفصلاً¹

فالعلاقة بين الفعل والفاعل هي علاقة تضام بخلاف العلاقة بين الفعل والمفعول.

وعلماء العربية لم يَمروا على هذه العلاقة بين الفعل والفاعل مرور الكرام، بل إنهم فلسفوا هذه العلاقة حتى بحثوا في عللها الأول والثواني والثالث بدءاً من الفارسي مروراً بابن جني وانتهاءً بالأنباري الذي يقول في كتابه "أسرار العربية": «فإن قيل: "فَلَمْ لا يجوز تقديم الفاعل على الفعل"؟ قيل: لأن الفاعل تَنَزَّلَ منزلة الجزء من الكلمة؛ وهو الفعل، والدليل على ذلك من سبعة أوجه: أحدهما: أنهم يسكنون لام الفعل، إذا اتصل به ضمير الفاعل؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [البقرة: 51] لئلا يتوالى أربعة متحركات لوازم في كلمة واحدة، إلا أن يُحذف من الكلمة شيء للتخفيف؛ نحو: عُجِّلِطْ، وَعُكِّلِطْ، وَعُغِّلِطْ.²

فلو لم ينزلوا ضمير الفاعل منزلة حرف من سِخ الفعل وإلا لما سكَّنوا لامه؛ ألا ترى أن ضمير المفعول لا تُسَكَّن له لام الفعل إذا اتصل به؛ لأنه في نية الانفصال، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: 12] فلم يسكن لام الفعل إذ كان في نية الانفصال، بخلاف قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى﴾؛ لأنه ليس في نية الانفصال.

والوجه الثاني: أنهم جعلوا النون في الخمسة الأمثلة علامة للرفع، وحذفها علامة للجزم والنصب، فلولا أنهم جعلوا هذه الضمائر التي هي: الألف، والواو، والياء في: يفعلان، ويفعلون، وتفعلين يا امرأة، بمنزلة حرف من سِخ الكلمة، وإلا لما جعلوا الإعراب بعده.

والوجه الثالث: أنهم قالوا: "قامت هند" فألحقوا التاء بالفعل، والفعل لا يؤنث، وإنما التأنيث للاسم، فلو لم يجعلوا الفاعل بمنزلة جزء من الفعل، وإلا لما جاز إلحاق علامة التأنيث به.

والوجه الرابع: أنهم قالوا في النسب إلى كنت "كنتي"؛ قال الشاعر من "الطويل":

فأصبحت كنتيًّا وأصبحت عاجنًا * وشر خصال المرء كنت وعاجن³

فأثبتوا التاء، ولو لم يتنزل منزلة حرف من سِخ الكلمة، وإلا لما جاز إثباتها.

¹ - ابن مالك، الألفية: 25.

² - "عُجِّلِطْ" و"عُجَالِطْ" و"عُكِّلِطْ" و"عُكَالِطْ" و"عُغِّلِطْ" و"عُغَالِطْ" صفة للبن، وهو كل لبن خائر ثخين، ينظر: ابن منظور: لسان العرب: 7/ 353.

³ - البيت بلا نسبة، ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب: 234.

والوجه الخامس: أنهم قالوا: "حبذا"، وهي مركبة من فعل وفاعل، فجعلوها بمنزلة اسم واحد، وحُكم على موضعه بالرفع على الابتداء.

والوجه السادس: أنهم قالوا: "زيد ظننت قائم" فألغوها، والإلغاء: إنما يكون للمفردات، لا للجمل، فلو لم ينزل الفعل مع الفاعل بمنزلة كلمة واحدة، وإلا لما جاز الإلغاء.

والوجه السابع: أنهم قالوا للواحد: "قفًا" على التثنية؛ لأن المعنى: قف قف، قال الله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [ق: 24]؛ فثنى وإن كان الخطاب لملك واحد؛ لأن المراد به: ألقى ألقى، والتثنية ليست للأفعال، وإنما هي للأسماء، فلو لم يتنزل الاسم منزلة بعض الفعل، وإلا لما جازت تثنيته باعتباره. وإذا ثبت بهذه الأوجه أن الفاعل يتنزل منزلة الجزء من الفعل؛ لم يجوز تقديمه عليه.¹

¹ - الأنباري، أسرار العربية: 79 - 81.

ب- المنصوبات:

1- المشغول عنه:

تتمظهر الاستفادة من قرينة التضام في تمييز وظيفة المشغول عنه في عدة مظاهر يمكن أن نوجزها في النقاط التالية:

1- يجب أن يكون المشغول عنه مفتقرا لما بعده؛ ف"زيد" في نحو قولنا: "نجح زيد فأكرمه" لا يُعد مشغولا عنه لعدم افتقاره لما بعده؛ لأن جملة "نجح زيد" تامة نحويا استوفت ركني الإسناد بخلاف قولنا مثلا: "زيدا ضربته".

2- يجب أن لا يتضام المشغول عنه مع عامل لفظي قبله؛ نحو قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة: 7]؛ ف"كُلَّ" في هذه الحالة مفعول "أحسن" منصوب، وجملة "خلقه" في موضع جر نعت، فلا اشتغال في هذا ونحوه.

3- يتنافر المشغول عنه مع ما يختص بالجملة الاسمية وذلك كإذا الفجائية؛ فلا يقال - مثلا - : "خرجت فإذا زيدا يضربه عمرو"؛ وذلك لأن "إذا" الفجائية لا يليها الفعل، والمشغول عنه منصوب بفعل مقدر قبله.

4- لا يُفصل المشغول عنه عن الفعل بحرف من الحروف التي لها صدر الكلام؛ كحروف الشرط والاستفهام وبعض حروف النفي وحروف العرض والتحضيض؛ فلا يقال - مثلا - : "زيدا هل ضربته؟"، "إن زيدا لقيته فاضربه"، "زيدا هلاّ ضربته"، "زيدا ما ضربته... الخ؛ لأن هذه الحروف لا يعمل ما بعدها فيما قبلها، وما لا يعمل لا يصح أن يفسر عاملا؛ فالعرب قد أنزلت المفسّر في هذا الباب منزلة العامل.¹

5- يُشترط في المشغول عنه ألا يفصل بينه وبين الفعل فاصل باستثناء توابع المشغول عنه من النعت والتوكيد والعطف البياني أو العطف بالواو والبدل، وباستثناء المضاف إليه والظرف والجار والمجرور، ويصح الفصل بالظرف والجار والمجرور معا؛ وذلك لأن العرب تتسع في الظروف والمجورات ما لا تتسع في غيرها.

فعلى هذا لا يجيز النحويون نحو: "أزيدا أنت تضربه؟" بخلاف: "أزيدا اليوم تضربه؟" و: "أزيدا في الدار تضربه؟" و: "أزيدا الظريف تضربه؟" ... أما إذا كان المشغول وصفا عاملا فلا بد من الفصل المذكور آنفا؛ نحو: "أزيدا أنت ضاربه؟"؛ لأن الوصف - كما يقول النحويون - لا يعمل حتى يعتمد على الضمير، فلا يصح أن يكون الوصف مفسّرا لناصب المشغول عنه إلا بإسناده إلى الضمير.

يقول المكودي (ت807هـ) في شرحه لألفية ابن مالك: «... فنحو: "أزيدا أنت ضاربه" كقولك "أزيدا تضربه"، فإن قلت: قد تقدم أنه لا يجوز الاشتغال في نحو: "أزيدا أنت تضربه" للفصل، والفصل

¹ - ينظر: ابن أبي الربيع الإشبيلي (عبيد الله بن أحمد)، البسيط في شرح جمل الزجاجي، تح: عياد بن عيد الشيبني، دار الغرب الإسلامي: بيروت، ط: 1، 1407هـ - 1987م، ص: 618 - 623.

موجود في هذا المثال، قلت: لا يمتنع الفصل إلا مع الفعل لاستقلال الفعل، بخلاف الوصف فإنه لا يستقل بنفسه بل لا بد له من شيء يسند إليه، فتتزل "أنت ضاربه" منزلة "تضربه"¹.

2- المنادى:

تتعدد الأحكام النحوية للنداء تبعاً لتضام أداة النداء مع المنادى أو تضام المنادى مع تابعه، ونوجز هذه الأحكام في النقاط التالية:

1- متى يُنصب المنادى لفظاً ومتى يُنصب محلاً؟

أ- ينصب المنادى لفظاً في ثلاثة مواضع:

1- إذا تضامت أداة النداء مع المضاف مثل: "يا رب العالمين"، "يا مجيب دعوة المضطرين"، "يا ربنا"، ونحو ذلك.

2- إذا كان المنادى شبيهاً بالمضاف؛ والشبيه بالمضاف هو الذي يتضام مع معموله؛ وذلك كقولنا: "يا ذكياً فؤاداً"، "يا قارئاً كتاباً"، "يا حسناً وجهه"؛ ونحو ذلك.

3- إذا تضامت أداة النداء مع نكرة غير مقصودة بالنداء؛ كقول السائل: "يا محسنين"، وقول ابن الحارث المذحجي اليميني "من الطويل":

فيا راكبا إما عرضت فبلغن ** ندماي من نجران أن لا تلاقيا²

فالشاعر لا يريد راكباً بعينه، وإنما أي راكب يحمل شكواه إلى ندماه بنجران؛ يقول الفراء: « النكرة المقصودة الموصوفة المناداة تؤثر العرب نصبها»³.

ب- وينصب المنادى محلاً كذلك في ثلاثة مواضع:

1- إذا تضامت أداة النداء مع علم مفرد؛ مثل: يا زيد، يا محمد، يا غلام.

2- إذا تضامت أداة النداء مع نكرة مقصودة بالنداء؛ وهي النكرة التي تكتسب التعريف بقصد المنادى إليها بالنداء؛ وذلك مثل كلمة "رجل" في قول الأعشى ميمون "من البسيط":

قالت هريرة لما جئت زائرهما ** ويلي عليك وويلي منك يا رجل⁴

3- إذا تضامت أداة النداء مع لام الاستغاثة، أو لام التعجب؛ كقول الشاعر "من الخفيف":

¹ - المكودي (أبو زيد عبد الرحمن بن علي)، شرح ألفية ابن مالك، تح: عبد الحميد هندراوي، المكتبة العصرية: بيروت، 1425هـ-2005م، (د، ط)، ص: 104.

² - ينظر: البغدادي: خزانة الأدب: 1/ 414، 2/ 194-197.

³ - ينظر: أحمد فارس، النداء في اللغة والقرآن، دار الفكر اللبناني: بيروت، ط: 1، 1409هـ-1989م، ص: 87، نقلاً عن الفراء.

⁴ - الأعشى (ميمون بن قيس البكري)، الديوان، تح: محمد حسين، مكتبة الآداب: مصر، (د، ط- د، ت)، ص: 55.

يا لعطافنا ويا للرياح ** وأبي الحشرج الفتى النّفّاح¹

وقول الآخر "من الخفيف":

يا لقومي ويا لأمثال قومي ** لأناس عتوهم في ازدياد²

وقول قيس بن ذريح "من الوافر":

تكفني الوشاة فأزعجوني ** فيا للناس للواشي المطاع!³

والدليل على أن المنادى منصوب محلا هنا جوازُ نصب تابعه؛ وذلك كقولنا: "يا زيدُ الفاضلُ"، و"يا زيدُ الفاضلُ"، وما رُوي من قول الشاعر "من الوافر":

ألا يا قيسُ والضحاكُ (ك) سيرا ** فقد جاوزتما خَمَرَ الطريق⁴

فقد رُوي البيت بنصب الضحاك عطفًا على محل المنادى ورفعه عطفًا على لفظه؛ وفي هذا دليل على أن المنادى هنا منصوب محلا.

2- المنادى الذي يتعاقب عليه الضم والفتح:

أ- العلم المفرد الموصوف بـابن أو ابنة المضاف لـعلم آخر (اسم، كنية، لقب)؛ مثل: "يا محمدُ بنَ زيدٍ"، و"يا هندُ ابنةَ محمدٍ"، ومنه قول رؤبة بن العجاج "من الرجز":

يا حَكَمَ بنَ المنذرِ بنِ الجارود ** سُراقِدُ المجدِ عليك ممدود⁵

فهنا يجب نصب النعت لأنه مضاف إضافة محضة، أما المنادى فيجوز فيه الوجهين: البناء على الضم على الأصل، والفتح اتباعًا لحركة ابن وابنة.

وقد سبق أن ذكرنا أن علاقة التضام بين الصفة والموصوف هي علاقة اقتران شديدة تجعلهما كأنهما كلمة واحدة، ومن الأدلة على وثاقة هذه الصلة بين الصفة والموصوف دخول الفاء على خبر "إن" في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفْقَرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ [الجمعة: 8]؛ فالمعروف أن الفاء لا تدخل على خبر "إن"، والموصول يجوز أن تدخل الفاء على خبره. فلما وُصف اسم "إن" في الآية باسم موصول وكانت الصفة وموصوفها كالكلمة الواحدة جُعِلَ خبر اسم "إن" الموصوف بالاسم الموصول في حكم الموصول فأدخلت الفاء على خبره.

¹ - البيت بلا نسبة، ينظر: سيبويه، كتاب سيبويه: 217 / 2.

² - البيت بلا نسبة، ينظر: ابن مالك (أبو عبد الله محمد بن عبد الله)، شرح الكافية الشافية، تح: عبد المنعم هريدي، مطبوعات جامعة أم القرى: مكة المكرمة، ط: 1، (د، ت): 1335 / 3.

³ - قيس بن ذريح الليثي، الديوان، تح: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة: بيروت، ط: 2، 1425هـ - 2004م، ص: 93.

⁴ - البيت بلا نسبة، "الخَمَرُ": وهدة يختفي فيها الذئب، ينظر: ابن منظور، لسان العرب: 257/4، ابن يعيش، شرح المفصل: 1 / 320.

⁵ - رؤبة بن العجاج، الديوان: 172.

ولوثاقة الاتصال بين الصفة والموصوف أتبعوا حركة المنادى لحركة وصفه، كما أتبعوا حركة الراء في "امرى" لحركة الهمز وحركة النون في ابنم للميم. ومن أجل هذا حذفوا تنوين الموصوف وألف الابن والابنة إلا في ضرورة الشعر؛ كما في قول الأغلب العجلي "من الرجز":

جارية من قيس بن ثعلبة ** كريمة أخوالها والعصبه¹

وقول الخطيئة "من الطويل":

إلا يكن مالٌ يُثاب فإنه ** سيأتي ثنائي زيدا بن مهلهل²

ب- العلم المفرد الذي يتكرر مضافاً؛ مثل قول عبد الله بن رواحة - رضي الله عنه - "من الرجز":

يا زيدُ زيدَ اليعملات الذُّبل ** تطاول عليك الليلُ فانزل³

وقول جرير "من البسيط":

يا تيمَ تيمَ عدي لا أبا لكم ** لا يلقينكم في سوءِ عمر⁴

وقول الآخر "من الطويل":

يا سعدُ سعدَ الأوس كن أنت ناصرا ** ويا سعدُ سعدَ الخزرجين الغظارف⁵

فهنا يجوز الضم والفتح في المنادى، أما التابع فيتعين نصبه لإضافته.

أما إذا تكرر المنادى العلم المفرد ولم يصف الثاني؛ مثل قول رؤبة بن العجاج "من الرجز":

إني وأسطارٍ سَطْرَن سَطرا ** لقائل: يا نصرُ نصرُ نصرا⁶

فإنه يجب ضم المنادى، أما مُكْرَّره فيجوز ضمه بدلا ويجوز رفعه ونصبه توكيدا لفظيا على لفظ المنادى أو محله.

وقد يضطر الشاعر إلى تنوين المنادى الذي يجوز أن يتعاقب عليه الضم والفتح؛ إما رفعا كقول الأحوص الأنصاري "من الوافر":

¹ - ينظر: السيرافي (أبو محمد يوسف بن أبي سعيد)، شرح أبيات سيبويه، تح: محمد علي هاشم، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1394هـ-1974م، (د، ط): 2/ 272، أحمد فارس، النداء في اللغة والقرآن: 95.

² - الخطيئة (جرول بن أوس)، الديوان، تح: محمد عبد الرحيم، دار الراتب الجامعية: بيروت، ط: 1، 1428هـ-2008م، ص: 149.

³ - عبد الله بن رواحة الخزرجي، الديوان، تح: وليد قصاب، دار العلوم للطباعة والنشر - مطبعة المتوسط: بيروت، ط: 1، 1401هـ-1981م، ص: 152، وينظر: سيبويه، كتاب سيبويه: 2/ 185.

⁴ - جرير، الديوان: 174.

⁵ - لا يُعرف قائله، ينظر: عباس حسن، النحو الوافي: 4/ 54.

⁶ - رؤبة بن العجاج، الديوان: 174.

سلام الله يا مطرٌ عليها ** وليس عليك يا مطرُ السلام¹
وقول الآخر "من البسيط":

لا تحجني يا حميدٌ إن لي ** فتكة الليث إذا الليث غضب²
وإما نصباً كقول جرير "من الوافر":

أعبدا حلّ في شعبي غريباً ** ألوما لا أبالك واغتراباً³

3- نداء المبهم:

قد تتضمن أداة النداء مع المبهم؛ والمبهم شيئان: أي، واسم الإشارة. ف"أي": يوصف بشيئين: بما فيه الألف واللام مقحمةً بينهما أداة التنبيه، وباسم الإشارة؛ كقولنا: "يا أيها الرجل"، و"يا أيهذا"؛ فمن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: 6]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر: 27]، وقول ذي الرمة "من الطويل":

ألا أيُّهذا الباخعُ الوجدُ نفسه ** لشيءٍ تحته عن يديه المقادير⁴
وقول الأعشى ميمون "من الطويل":

ألا أيُّهذا السائلي أين يَمَمْتُ ** فإنَّ لها في أهلٍ يشرب موعداً⁵
وقول طرفة بن العبد البكري "من الطويل":

ألا أيُّهذا الزاجري أحضر الوغى ** وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي⁶
وأما اسم الإشارة فإنه لا يوصف بما فيه الألف واللام؛ كقولنا: "يا هذا الرجل"، و"يا هؤلاء الرجال"، وأنشد سيبويه لخز بن لوذان "من الكامل":

يا صاح يا ذا الضامرُ العنس ** والرحل والأقتاب والحِلْس⁷
ولعبيد بن الأبرص الأسدي "من الكامل":

¹ - الأحموس بن محمد الأنصاري، الديوان، تح: إبراهيم السامرائي، مطبعة النعمان: النجف الأشرف - العراق، 1388هـ - 1969م، (د)، ط)، ص: 183، وينظر: العيني، المقاصد النحوية: 1/ 172.

² - لا يعرف قائله، ينظر: عباس حسن، النحو الوافي: 4/ 24.

³ - جرير، الديوان: 650.

⁴ - ذو الرمة، الديوان، ص: 120.

⁵ - الأعشى ميمون، الديوان: 135.

⁶ - طرفة بن العبد البكري، الديوان، تح: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: 3، 1423هـ - 2003م، ص: 25.

⁷ - ينظر: سيبويه، كتاب سيبويه: 1/ 424.

يا ذا المخوِّفنا بمقتل شيخه ** حُجِّرَ تَمْنِيَّ صاحب الأحلام¹

و"أي" و"أية" ليستا إلا وسيلة لنداء نعتهما، أما اسم الإشارة فقد يكون وسيلة لنداء ما بعده، وقد يكون هو المقصود بالنداء، ومع هذا فإن كلا منها يجب وصفه ولا يصح الاقتصار عليه.

والكوفيون يروون البيت الأول بجر "الضامر" على أن "ذا" بمعنى صاحب؛ ويحتجون لذلك بحجج منها: أن روايتهم هذه تجعل معنى البيت صحيحاً؛ إذ يصبح معناه: "يا صاحب الإبل الضامر، ويا صاحب الرجل والأقتاب والجلس". وكذلك فإنه من المعروف أن صفة المنادى إذا كانت مضافة كانت منصوبة فما وجه الرفع هنا؟، ويُجاب عن الحجة الأولى بأن العطف في البيت هو من باب العطف على محذوف مقدّر؛ كما في قولنا: "علفتها تبنا وماءً بارداً"، والتقدير: "علفتها تبنا وسقيتها ماءً بارداً"، وقول الراعي النميري "من الوافر":

إذا ما الغانيات برزن يوماً ** وزجَّجْنَ الحواجب والعيونا²

أي: "وكحلن العيونا".

أما الحجة الثانية فيُجاب عنها بأن "أل" إذا دخلت على الصفة تكون بمعنى "الذي"؛ وعلى هذا فالتقدير: "يا ذا الذي ضمرت عنسه"، والموصول مع صلته بمنزلة المفرد العامل فيما بعده.

4- تنافر أداة النداء مع "أل" التعريف:

من المعلوم أن أداة النداء تتنافى مع الاسم المعرف بـ "أل" إلا في وجود: "أيها" أو "أيتها"، ويُستثنى من ذلك أربع حالات:

1- لفظ الجلالة: "يا الله"؛ لأن الألف واللام لا تفارقه.

2- الجمل المحكية؛ كما لو سُمي شخص: "الشهاب المنير"، فتكون هذه الجملة علماً على مُسمَّى فحينئذ يجوز مناداته بإدخال أداة النداء على "أل"؛ فيقال: "يا الشهاب المنير"، فيكون مبنياً على ضم مقدر على آخره مع ظهور حركة الحكاية.

3- اسم الجنس المشبه به؛ مثل: يا الغيثُ كرمًا، يا الخطيبُ فصاحةً، يا الصخرةُ قوةً.

4- ضرورة الشعر؛ كقول الشاعر "من الرجز":

فيا الغلامان اللذان فرا ** إياكما أن تعقبانا شراً³

¹ - عبيد بن الأبرص الأسدي، الديوان، تح: تشارلز ليال، المطبعة الشرقية: لندن، 1913م، (د، ط)، ص: 337.

² - الراعي النميري (أبو جندل عبيد بن حصين)، الديوان، تح: رابنهرت فايزرت، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية: بيروت، 1401هـ- 1981م، (د، ط)، ص: 269. وينظر: أبو فراس النعساني الحلبي، المفضل في شرح أبيات المفصل، تح: سعيد محمود عقل، دار الجيل: بيروت، ط: 1، 1424هـ- 2004م، ص: 53.

³ - البيت بلا نسبة، ينظر: العيني، المقاصد النحوية: 4/ 1696.

وقول الآخر "من الوافر":

من أجلك يا التي تيمت قلبي ** وأنت بخيلة بالوصل عني¹

5- حذف أداة النداء:

ويجوز حذف أداة النداء فيما لا يُوصف به "أي"؛ كقوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ [يوسف: 29]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: 143]. ولا تُحذف فيما يوصف به "أي"؛ فلا يقال: "رجل"، ولا: "هذا"، أما ما ورد من قول العجاج "من الرجز":

جاري لا تستنكري عذيري ** سعي وإشفاقي على بعيري²

وقولهم "من الرجز":

أطرق كرا أطرق كرا ** إن النعام في القرى³

وقولهم: "أصبح ليل"، و"افتقد مَخْنُوقٌ"؛ فكله من الشاذ الذي لا يُقاس عليه. أما المستغاث والمندوب والمتعجب منه فلا تُحذف أداة النداء فيه على أية حال.

6- أحكام تابع المنادى:

1- حكم تابع المنادى المنصوب لفظاً:

إذا كان المنادى منصوباً لفظاً فإن تابعه يُعطى الحكم الذي يستحقه لو كان هو المنادى؛ ويكون ذلك في حالتين:

الأولى: أن يكون التابع بدلاً؛ كقولنا: "يا أبا حسن علي"، و"يا أبا حسن أبا مالك"؛ فالتابع الأول يجب بناؤه على الضم، والثاني يجب نصبه إذا أعربا بدلين؛ لأن هذا الحكم النحوي هو الذي يستحقه كل منهما لو كان هو المنادى.

الثانية: أن يكون التابع عطف نسق مجرداً من "أل" والإضافة؛ مثل: يا أبا عبد الله ومحمد؛ فالتابع هنا يجب رفعه لأنه الحكم الذي يستحقه لو كان هو المنادى؛ وباستثناء هاتين الحالتين فإن التابع يجب نصبه بإجماع النحويين، سواء كان مفرداً؛ مثل: يا طالب العلم الكريم، ويا طلاب العلم أجمعين، ويا طلاب العلم الرجال، أو كان غير مفرد مثل: يا أخا محمد المذهب الخلق، ويا طلاب العلم جميعكم.

2- حكم تابع المنادى المبني:

ينقسم تابع المنادى المبني من حيث الحكم النحوي أربعة أقسام:

¹ - البيت بلا نسبة، ينظر: سيبويه، كتاب سيبويه: 2/ 197.

² - العجاج (عبد الله بن رؤية)، الديوان، تح: عبد الحفيظ السطلي، مكتبة أطلس: دمشق، 1391هـ - 1971م، (د، ط)، ص: 332.

³ - تُضرب هذه العبارة مثلاً لِلْمُعْجَبِ بِنَفْسِهِ؛ كَمَا يُقَالُ: "فَعُضُّ الطَّرْفِ"، ينظر: ابن منظور، لسان العرب: 10/ 219.

أ- ما يُعطى الحكم الذي يستحقه لو كان هو المنادى؛ وذلك إذا كان بدل غلط؛ نحو: "يا محمدُ خالدٌ"، فهنا يجب بناء البدل على الضم، أو إذا كان عطف نسق مفرداً مجرداً من "أل"؛ مثل: "يا محمدُ وخالدٌ".
ب- ما يجب نصبه: وذلك إذا كان التابع مضافاً مجرداً من "أل" سواء كانت الإضافة محضة؛ وهي التي تفيد تعريف المضاف أو تخصيصه، كما في قول الشاعر "من الطويل":

أزید أخوا وَرَقَاءَ إِن كُنْتَ ثائِراً ** فَقَدْ عَرَضْتَ أَخْنَاءُ حَقَّ فِخْاصِمْ¹

أو كانت الإضافة غير محضة؛ وهي الإضافة التي تفيد مجرد تخفيف اللفظ. لكن بعض العلماء يشترط أن تكون الإضافة محضة، فإذا كانت غير محضة فإن التابع يجوز نصبه على المحل ورفع على اللفظ؛ كقولنا: "يا محمدُ محمودُ الخليفة" أو "محمودُ الخليفة".

ج- ما يجب رفعه:

إذا كان التابع نعت "أي" و"آية" أو اسم الإشارة؛ كقولنا: "يا أيها الرجل"، و"يا أيتها الفتاة"، و"يا هذا المسكين"؛ إذا كان اسم الإشارة وسيلة لنداء النعت، فإذا لم يكن كذلك فإن النعت حينئذ يجوز فيه الرفع والنصب.

د- ما يجوز فيه الرفع والنصب:

أ- النعت المضاف المحلى بـ "أل"؛ مثل: "يا محمد الذكيُّ العقل"؛ فالإضافة هنا غير محضة وهي على نية الانفصال؛ أي: يا محمدُ الذكيُّ عقله.

ب- التابع المفرد سواء كان مُحلاً بـ "أل" أو مجرداً منها؛ كقول العجاج "من الرجز":

يا حَكْمُ الْوَارِثِ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ ** أُوْدِيَتْ إِنْ لَمْ تَحُبْ حَبْوُ الْمُعْتَنَكِ²

حيث رُوي بالرفع على اللفظ والنصب على المحل.

ج- عطف النسق المفرد المحلى بـ "أل"؛ كقوله تعالى: ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ﴾ [سبأ: 10]؛ حيث تُرئى بنصب "الطير" على المحل ورفعه على اللفظ.

3- حكم تابع المنادى المحرور لفظاً:

يرى جمهور النحويين أن تابع المنادى المحرور لفظاً يجب جره؛ كقولنا: "يا لِعَبَادِ اللَّهِ الْمُوحِدِينَ الصَّالِحِينَ!"، ويرى بعض العلماء جواز نصب التابع هنا على المحل؛ لأن المنادى وإن كان محروراً لفظاً إلا أنه منصوب محلاً. ونرى ضعف هذا الرأي؛ لأن العدول عن المطابقة في الحركة الإعرابية بين التابع والمتبوع لا يكون - في

¹ - البيت بلا نسبة، "ورقاء": حي من قيس، "أخناء الأمور": أطرافها ونواحيها، ينظر: سيبويه، كتاب سيبويه: 2/ 183، حسن شراب، شرح الشواهد الشعرية: 3/ 98.

² - لم أعر عليه في ديوانه، "إِعْتَنَكَ الْبَعِيرُ وَإِسْتَعْنَكَ": حبا في العانك فلم يقدر على السير، و"العانك": رملة فيها تعقد لا يقدر البعير على المشي فيها إلا أن يجبو. ينظر: ابن منظور، لسان العرب: 10/ 471، المبرد، المقتضب: 4/ 208.

رأينا- إلا لمقتضى دلالي يقتضيه السياق؛ كإرادة المدح أو الذم أو التشويق أو إيقاظ الأذهان ونحو ذلك، وهو ما يُعرف في العربية بظاهرة القطع؛ أي قطع النعت المرفوع إلى النصب مفعولا به لفعل محذوف تقديره: "أمدح" أو "أذم"، أو قطع النعت المنصوب إلى الرفع على اعتباره خبرا لمبتدأ محذوف تقديره: "هو".

وقد وردت هذه الظاهرة كثيرا عن العرب؛ من ذلك ما رواه سيبويه من قولهم: "الحمد لله الحميد هو" و"الملك لله أهل الملك"¹؛ فُقطعت النعت "الحميد" و"أهل" إلى النصب على اعتباره مفعولا به لفعل محذوف تقديره: "أمدح". ومن ذلك أيضا قول الخرنق بنت هفان "من الكامل":

لا يبعدن قومي الذين همُّ ** سُمُّ العُداة وآفَةُ الجُزر

النازلين بكل معترك ** والطيبون معاهد الأزر²

فُقطعت النعت "النازلين" إلى النصب لغرض بلاغي اقتضاه المقام وهو: المدح والفخر.

3- الحال:

لا تُضام الحال إلا جملة تامة؛ ذلك لأنها فضلة جاءت بعد مضي الجملة لتبين هيئة الفاعل أو المفعول أو هياتهما معا. فالحال تفتقر دائما إلى حدث تلابسه؛ فمما جاءت فيه الحال مبينة لهيئة الفاعل قوله تعالى: ﴿فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ اَنْفِرُوا جَمِيعًا﴾ [النساء: 71]، ومما جاءت فيه الحال مبينة لهيئة المفعول قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام: 114].

ومما جاءت فيه مبينة لهياتهما معا قول قيس بن الملوح "من الطويل":

تعلقت ليلي وهي ذات مؤصد ** ولم يبدُ للأتراب من ثديها حجم

صغيرين نرعى البهم يا ليت أننا ** إلى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم³

فنصب "صغيرين" على الحال من التاء في "تعلقت" وهي فاعله، ومن "ليلى" وهي مفعوله، وقول عنتر بن شداد العبسي "من الوافر":

متى ما تلقني فردين ترجف ** روانف أليتيك وتُستطارا⁴

فنصب "فردين" على الحال من ضمير الفاعل والمفعول في "تلقني".

¹ - ينظر: سيبويه، كتاب سيبويه: 62/2، أحمد فارس، النداء في اللغة والقرآن: 101.

² - "آفة الجزر": كناية عن الكرم، "الطيبون معاهد الأزر": كناية عن العفة، الخرنق بنت بدر بن هفان البكرية، الديوان برواية أبي عمرو بن العلاء، تح: يسري عبد الغني عبد الله، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: 1، 1410هـ - 1990م، ص: 43، وينظر: السيرافي، شرح أبيات سيبويه: 33/2.

³ - قيس بن الملوح، الديوان، تح: عبد الستار أحمد فراج، دار مصر للطباعة: القاهرة، 1399هـ - 1979م، (د، ط)، ص: 186.

⁴ - عنتر بن شداد العبسي، الديوان، مطبعة الآداب: بيروت، 1893م، (د، ط)، ص: 37. وينظر: الأنباري، أسرار العربية: 1/150.

وقد تتضمن الحال كذلك مع الجملة الاسمية؛ كقوله تعالى: ﴿وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [هود: 22]، وقوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِيرِ مُعْرِضِينَ﴾ [المدثر: 49]، وفي هذه الحالة لا يجوز أن تتقدم الحال على صاحبها، وكذلك لا يجوز أن تتقدم عليه إذا كان العامل في الحال فعلا جامدا؛ كقولنا: "ما أوفاك صاحباً!"، أو صفة تشبه الفعل الجامد وهي اسم التفضيل كقولنا: "المؤمن أشجع الناس محارباً"، أو مصدراً، أو صلة للحرف المصدرى، أو صلة لـ "أل".

والحال التي تتضمن الجملة الاسمية غالباً ما تفيد معنى التوكيد؛ كقوله تعالى: ﴿هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [فاطر: 31]، وقولنا - مثلاً - : "أنا عبد الله أكلاً كما يأكل العبيد"؛ ففيه تقرير للعبودية وتحقيق وتأکید لها.¹

وإذا وقعت الحال جملة اسمية فإن النحاة يشترطون لها أن تتضمن مع الواو، كقولنا: "جاء زيد وهو راكب"؛ والسري في ذلك أن الواو تمنع توهم كون جملة الحال صفة؛ لأن النعت لا يفصل بينه وبين منعوته بالواو، وقد يشذ أحياناً فتخلوا جملة الحال الاسمية من الواو؛ كما لو كانت جملة الحال مؤكدة لمضمون الجملة؛ كقولنا: "زيد أبوك عطوفاً"، أو ما جاء من قولهم: "كلمته فوه إلى في"، ونحو ذلك.

وإذا كانت جملة الحال جملة فعلية فعلها ماض فإن البصريين والفراء من الكوفيين يشترطون لهذا الفعل أن يتضمن مع "قد" ظاهرة أو مقدرة، ولم يشترط ذلك الكوفيون، ووافقهم الأخفش من البصريين. واستدل البصريون لشرطهم هذا بحجتين عقليتين؛ أولاهما: أن الفعل الماضي لا يدل على الحال فلا يجوز أن يقوم مقامه، والثانية: أنه من المعروف أن "قد" تقرب الماضي من الحال، فإذا تضامنت مع الفعل الماضي جاز أن يقع حالاً؛ كقولنا: "مررت بزيد قد قام"؛ فالذي يصلح أن يوضع موضع الحال هو ما يصلح أن يقال فيه: "الآن" أو "الساعة"، ونحن إذا قلنا: "مررت بزيد قد قام الآن أو الساعة" جاز ذلك، فدل هذا على صحة شرطهم.

واستدل الكوفيون بالسماع والقياس؛ فمن السماع قوله تعالى: ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصْرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [النساء: 90]؛ فـ "حصرت" فعل ماضي في موضع الحال، وتقديره: "حصرة صدورهم"، والدليل على صحة هذا التقدير قراءة الحسن البصري (ت 110هـ)، ويعقوب الحضرمي (ت 205هـ)، والمفضل عن عاصم (127هـ): ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصْرَةً صُدُورُهُمْ﴾²، وقول أبي صخر الهذلي "من الوافر":
وإني لتعروني لذكراك نُفْضَةً ** كما انتفض العصفور بلله القطر³

¹ - ينظر: الزمخشري، المفصل: 81، 82.

² - ينظر: محمد الصادق قمحاوي، طلائع البشر في توجيه القراءات العشر، دار العقيدة: القاهرة، ط: 1، 1427هـ - 2007م، ص: 55.

³ - ينظر: البغدادي، خزائن الأدب: 214/3. وينظر: الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف: 1/ 205 - 206.

ف"بلله": فعل ماض وهو في موضع الحال، فدل ذلك على جوازه.

وأما القياس؛ فلأن كل ما جاز أن يقع صفة للنكرة نحو: "مررت برجل قاعد وغلّام قائم" جاز أن يقع حالا للمعرفة نحو: "مررت بالرجل قاعدا"، والفعل الماضي يجوز أن يقع صفة للنكرة؛ نحو: "مررت برجل قعد" فينبغي أن يجوز أن يقع حالا للمعرفة نحو: "مررت بالرجل قعد"؛ ونحو ذلك.

ويدل على ذلك إجماع النحويين على أنه يجوز قيام الفعل الماضي مقام الفعل المستقبل؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: 110]؛ أي: "يقول"، وإذا جاز أن يقوم الماضي مقام المستقبل جاز أن يقوم مقام الحال.

وقد حاول البصريون تأويل آية النساء بما يتوافق ومذهبهم؛ فالمبرد - مثلاً - يضعف القراءة ويرى أن القراءة الصحيحة هي: ﴿أو جاءوكم حصرة صدورهم﴾؛ وهو قول ضعيف جداً لأن القراءة الأولى قراءة صحيحة متواترة وهي محل اتفاق القراء السبعة. وحاول المبرد أيضاً تخرّيج الآية على الدعاء؛ كما يقال: "جاء زيد أكرمه الله"؛ وهذا قول بعيد أيضاً لأنه لا يُدعى عليهم بأن تُحصّر صدورهم عن قتال قومهم، بل يُدعى عليهم بأن يجعل الله بأسهم بينهم.¹

ومنهم من قال أن جملة: ﴿حَصَرْتُ صُدُورَهُمْ﴾ خبر بعد خبر؛ فالمعنى: "أو جاءوكم" ثم أخبر بعدها فقال: "حصرت صدورهم". وقيل: إن جملة ﴿حَصَرْتُ صُدُورَهُمْ﴾ صفة للحال المحذوفة؛ أي: "قوما حصرت صدورهم"، وقيل: بل تُقدر فيها "قد" أي: "جاءوكم قد حصرت صدورهم".²

والذي يظهر لنا رجحان قول الكوفيين لأمرين؛ الأول: أن وقوع الفعل الماضي حالا في لسان العرب قد كثر كثرة تُسيغ لنا القياس عليه، ولا سيما في كتاب الله عز وجل؛ فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: 11]، فجملة "خسر" في موضع نصب الحال، وكذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ [النمل: 49]؛ فجملة "تقاسموا" في موضع نصب الحال. يقول أبو حيان الأندلسي (ت 745هـ) في تفسيره لآية الحج السابقة: «... وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى إِضْمَارٍ "قَدْ"؛ لِأَنَّهُ كَثُرَ وَقُوعُ الْمَاضِي حَالًا فِي لِسَانِ الْعَرَبِ بِغَيْرِ "قَدْ" فَسَاغَ الْقِيَاسُ عَلَيْهِ».³

¹ - المبرد، المقتضب: 4/ 124، 125.

² - ينظر: منصور صالح الوليدي، الخلاف النحوي في المنصوبات، عالم الكتب الحديث - جدارا للكتاب العالمي: الأردن - إريد، ط: 1، 1425هـ - 2005م، ص: 129.

³ - أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف)، البحر المحيط في التفسير، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر: بيروت، 1420هـ - 2000م: 489 / 7.

والثاني: أن القواعد الأصولية للنحو العربي تقف إلى جانب هذا القول؛ فمن هذه القواعد: "أنّ ما لا يفتقر إلى تقدير أولى مما يفتقر إلى تقدير"، و"الألفاظ إذا أمكن حملها على ظاهرها فلا يجوز العدول بها عنه"، وكذلك فإنه من المعروف في النحو العربي أنه لا يجوز لنا الخروج عن المتناولات القرينة من غير برهان ولا قرينة، والبرهان العقلي الذي استدل به البصريون لا يصمد أمام كثرة ما شُئع من وقوع الفعل الماضي حالا في لسان العرب، ولا سيما إذا كان المسموع هو القرآن الكريم.

ويجوز لجملة الحال أن تستغني عن الرابط الذي يرجع إلى صاحب الحال إجراء لها مجرى الظرف لانعقاد الشبه بينه وبين الحال؛ كقولنا: "أتيتك وزيدٌ قائم"، و"لقتيك والمطرٌ نازل"،¹ وقول امرئ القيس "من الطويل":

وقد أغتدي والطيّر في وكناتها * بمنجّرد قيد الأوابد هيكل²

4- المفعول معه:

من شروط المفعول معه أن يتضام مع الواو التي تكون بمعنى "مع"، وهي بدورها يُشترط لها أن تتضام مع الفعل أو ما هو بمعنى الفعل؛ فمن تضامها مع الفعل قولنا مثلاً: "ما صنعت وأباك؟"، و"ما زلتُ أسير والقمر"، وقول الله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ [يونس: 71]، وقول الشاعر:

فكونوا أنتم وبني أبيكم * مكان الكلّيتين من الطحال³

ومن تضامها مع ما هو بمعنى الفعل قولنا - مثلاً - : "مالك وزيدا؟"، و"ما شأنك وعمرا؟"؛ لأنّ المعنى ما تصنع وما تلابس؟، وكذلك قولنا: "حسبك وزيدا درهمٌ"؛ لأنّها بمعنى "كفاك"، وقول مسكين الدارمي "من الوافر":

فما لك والتلدّد حول نجد * وقد غصت تهامة بالرجال⁴

وقول الآخر "من الطويل":

إذا كانت الهيجاء وانشقت العصا * فحسبك والضحاك سيفٌ مهند⁵

¹ - ينظر: الزمخشري، المفصل: 83، تمام حسان، الأصول: 192، 196، 197.

² - امرؤ القيس، الديوان: 16.

³ - البيت بلا نسبة، ينظر: سيبويه، كتاب سيبويه: 1/ 298.

⁴ - مسكين الدارمي (ربيع بن عامر)، الديوان، تح: عبد الله الجبوري، خليل إبراهيم عطية، مطبعة دار البصري، بغداد، ط: 1،

1389هـ - 1970م، ص: 66، وينظر: البغدادي، خزنة الأدب: 3/ 142.

⁵ - يُنسب البيت إلى جرير وإلى لبيد ولم أعثر عليه في ديوانيهما، ينظر: حسن شُرّاب، شرح الشواهد الشعرية: 1/ 318.

وأكثر النحويين يشترطون في المفعول معه أن يتضام مع جملة تامة لأنه فضلة؛ فلا يجوز إذن أن نقول: "كل رجل وصنعتَه"، و"ما أنت وعبدَ الله؟"، و"كيف أنت وقصعةٌ من ثريد؟!" بالنصب بل يجب الرفع، فمما ورد عن العرب من ذلك قول المخبّل السعدي "من الكامل":

يا زبرقان أخوا بني خَلَفٍ ** ما أنت وَيَبْ أبليك والفخرُ!¹

وقول الآخر "من الوافر":

وكنْتَ هناك أنت كريم قيس ** فما القيسيُّ بعدك والفخارُ؟²

وما رواه الأخفش عن العرب من قولهم: "الرجالُ وأعضاؤُها" و"النساءُ وأعجازُها"،³ وقد أجاز بعضهم النصب على تقدير خبر محذوف؛ منهم إمام النحاة سيبويه والصيمري (ت 436 هـ)، فالعرب تقول: "ما أنت وعبدَ الله؟"، و"كيف أنت وقصعةٌ من ثريد؟"، و"كلُّ رجل وصنعتَه"، ويقول أسامة بن حبيب الهذلي "من المتقارب":

فما أنا والسَّيْرُ في مَتَلَفٍ ** يُعَبِّرُ بالذِّكْرِ الضَّابِطِ⁴

والتقدير: "ما كنت أنت وعبدَ الله؟"، و"كيف تكون أنت وقصعةٌ من ثريد؟"، و"كل رجل كائن وصنعتَه"، و"فما أنا كائن والسَّيْرُ"، ويبدو لنا أن هذا الرأي هو الراجح؛ لأن حذف الخبر وحذف "كان" واسمها مما يطرد في كلام العرب، ومعلوم من الأصول أن ما حُذف لدليل أو عوض فهو في حكم الثابت، وعلى هذا فإن المفعول معه لكونه فضلة لا يتضام إلا مع جملة تامة، وإن حُذف أحد أركانها فهو في تقدير المذكور.

يقول سيبويه: «وزعموا أنَّ ناسا يقولون: "كيف أنت وزيدا؟"، و"ما أنت وزيدا؟"؛ وهو قليل في كلام العرب، ولم يحملوا الكلام على "ما" ولا "كيف"، ولكنهم حملوه على الفعل، على شيء لو ظَهَرَ حتَّى يلفظوا به لم يَنْقُضْ ما أرادوا من المعنى حين حملوا الكلام على "ما" و"كيف"؛ كأنه قال: "كيف تكون وقصعةٌ من ثريد؟"، و"ما كنت وزيدا؟"؛ لأنَّ "كنت" و"تكون" يقعان ههنا كثيرا ولا يَنْقُضَانِ ما تريد من معنى الحديث، فَمَضَى صدرُ الكلام وكأنَّه قد تَكَلَّمَ بها "وإن كان لم يلفظ بها، لوقوعها ههنا كثيرا".⁵

¹ - ينظر: السرياني، شرح أبيات سيبويه: 1/ 144.

² - لا يعرف قائله، المصدر السابق: 1/ 286.

³ - ينظر: أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف)، التذييل والتكميل، تح: حسن هندراوي، دار القلم: دمشق، ط: 1، (د، ت): 2/ 150.

⁴ - "المُتَلَفُ": المفازة، "الضَّابِطُ": القوي على عمله، ينظر: الشعراء الهذليون، ديوان الهذليين، تح: محمد الشنقيطي، الدار القومية: القاهرة، 1385هـ - 1965م، (د، ط): 2/ 195، ابن منظور، لسان العرب: 9/ 18، 7/ 341.

⁵ - سيبويه، كتاب سيبويه: 1/ 303.

كما يشترط بعض النحويين أن يتضام المفعول معه مع جملة مكونة من فعل وفاعل دون المفعول؛ نحو قولنا: "سرتُ وزيدا"؛ لئلا يلتبس المفعول معه بالمفعول به، فلا يقال لذلك: "ضربتُك وزيدا" على أن "زيدا" مفعول معه، « وإذا أُريد المفعول معه أُتي بالأصل وهو "مع" ».¹

ويبدو لنا أن هذا الرأي مرجوح، وينقضه ما جاء من قولهم - مثلا - : "حسبك وزيدا درهم"؛ فالكاف مفعول في المعنى لأن المعنى: "يكفيك وزيدا درهم"، أما الجملة السابقة: "ضربتُك وزيدا" فإن الواو باقية على الأصل وهو العطف ما لم يأت ما يدل على خلاف ذلك.

5- التمييز:

يتضام التمييز مع الجملة لرفع الإبهام الموجود فيها، وهو نوعان: تمييز الذات وتمييز النسبة؛ أما تمييز النسبة فهو ما جاء لتفسير جملة مبهمة النسبة، كقوله تعالى: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: 4]، وقوله تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ [القمر: 12]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: 33]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: 87].

أما تمييز الذات فغالبا ما يتضام مع المقادير؛ كقولنا: "عندي رطل زيتا ومنوان عسلا، وقفيزان بُرا، وثلاثون ثوبا، وملء الإناء عسلا"، و"على التمرة مثلها زيدا"، و"ما في السماء موضع كف سحابا". أو مع الجمل التي فيها معنى التعجب؛ كقولنا: "ويحه رجلا!"، و"لله درّه فارسا!"، و"حسبك به ناصرا!"، و"ما أغزره علما!".

ولا يجوز تقدم تمييز الذات على عامله مطلقا؛ فلا يقال: "كتابا اشتريت عشرين"، أما تمييز النسبة ففي تقدمه على عامله خلاف بين النحويين؛ فأجازه بعض الكوفيين وأبو عثمان المازني وأبو العباس المبرد من البصريين مستدلين بقول المخبل السعدي "من الطويل":

أَتَهَجَّرُ لَيْلَى بِالْفِرَاقِ حَبِيبَهَا ** وَمَا كَانَ نَفْسًا بِالْفِرَاقِ تَطِيبُ²

ومنع البصريون لأن تمييز النسبة هو الفاعل في المعنى؛ فقولنا: "طاب زيد نفسا" يعني: "طابت نفس زيد"، ولما كان كذلك لم يجز تقديمه على عامله كما لو كان فاعلا لفظا.

¹ - ينظر: أبو حيان الأندلسي، ارتشاف الضرب: 3/ 1492، الوليدي، الخلاف النحوي في المنصوبات: 124.

² - ينظر: القيسي (أبو علي الحسن بن عبد الله)، إيضاح شواهد الإيضاح، تح: محمد الدعجاني، دار الغرب الإسلامي: بيروت، ط: 1، 1408هـ - 1988م: 1/ 249.

ويبدو لنا أن الراجح هو المنع لما سبق ذكره من حجة البصريين، أما ما استدل به الكوفيون فهو من النادر الذي يُحفظ ولا يقاس عليه ولا تُبنى عليه قاعدة، لاسيما وأن للبيت رواية أخرى وهي: "وما كان نفسي بالفراق تطيب".

6- المستثنى:

تفتقر أداة الاستثناء افتقارا متأصلا إلى المستثنى، والمستثنى بدوره تتعدد أحكامه النحوية بحسب تضامه مع أداة الاستثناء، وبحسب تضام أداة الاستثناء مع الجملة التي قبلها. ومن هذه الأحكام الحالات الإعرابية الخمسة التي تعتور المستثنى وهي:

1- وجوب النصب على الاستثناء: ويكون ذلك عند تضام أداة الاستثناء مع جملة تامة مثبتة، سواء كان الاستثناء بـ "إلا" أو "عدا" أو "خلا"، أو "ما عدا"، أو "ما خلا"، أو "ليس"، أو "لا يكون"، ونحو ذلك؛ كقولنا: "جاءني القوم إلا زيدا"، وقول لبيد بن ربيعة العامري "من الطويل":

ألا كل شيء ما خلا الله باطل ** وكل نعيم لا محالة زائل¹

ويكون ذلك أيضا عند تضام المستثنى مع المستثنى منه، وذلك عند تقدم المستثنى على المستثنى منه؛ كقولنا: "ما جاءني إلا أخاك زائر"، وقول الكميّ بن زيد الأسدي "من الطويل":

وما لي إلا آل أحمد شيعة ** وما لي إلا مذهب الحق مذهب²

وكذلك عند تضام أداة الاستثناء مع ما هو من غير جنس المستثنى منه؛ وهو ما يُعرف عند النحاة بالاستثناء المنقطع؛ كقوله تعالى: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ [هود: 43]، وقولنا - مثلا -: "رحل التجارُ إلا بضائعهم".

2- ما يجوز فيه النصب على الاستثناء والبدل: ويكون ذلك عند تضام أداة الاستثناء مع جملة تامة منفية؛ كقولنا: "ما جاءني أحد إلا زيدا"، أو "إلا زيد"، وقوله تعالى: ﴿مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾ [النساء: 66].

3- ما يجب فيه الجر: وهو ما أُستثنى بـ "غير" و"حاشا" و"سوى" و"سواء"؛ كقولنا: "جاءني القوم غير زيد"، فـ "غير" في هذه الحالة تفتقر إلى المستثنى منه افتقارا متأصلا، وإن كانت توجد بينهما علاقة الإضافة فضلا عن علاقة الاستثناء، أما "حاشا" فيجوز النصب بها كذلك.

4- ما يجوز فيه الرفع والجر: ويكون ذلك عندما يتضام المستثنى مع "لاسيما"؛ كقول امرئ القيس "من الطويل":

¹ - لبيد بن ربيعة العامري، الديوان، تح: حمدو طماس، دار المعرفة: بيروت، ط: 1، 1425هـ - 2005م، ص: 85.

² - الكميّ بن زيد الأسدي، الديوان، ص: 517.

ألا رب يوم لك منهم صالح ** ولا سيما يومٍ بدارة جلل¹

5- ما يبقى على إعرابه قبل تضامه مع أداة الاستثناء: وذلك كقولنا: " ما جاءني إلا زيد"، و"ما رأيت إلا زيدا"، و" ما مررت إلا بزيدا"؛ وله شبه بالمفعول معه لأن العامل فيه يكون بتوسط حرف.

وقد تتضام أداة الاستثناء مع الفعل؛ كما في قولهم - مثلاً - : " نشدتك بالله إلا فعلت"؛ ومعناه: "ما أطلب منك إلا فعلك"، وقولهم: " أقسمت عليك إلا فعلت"؛ أي: " ما أطلب منك إلا قسمك"، وفي حديث عمر - رضي الله عنه - : « عزمت عليك لما ضربت كاتبك سوطاً »؛ أي إلا ضربت.

وإذا تضامت أداة الاستثناء مع البديل فإنه قد يُحمل على محل الجار والمجرور بدلاً من لفظه؛ كقولنا: " ما جاءني من أحد إلا عبدُ الله "، و" ما رأيت من أحد إلا زيدا"، و" لا أحد فيها إلا عليّ"، و" ليس عمرو بشيء إلا شيئاً لا يُعبأ به"، ومن ذلك قول الشاعر "من الكامل":

أبني لُبني لستم بيدٍ ** إلا يدا ليست لها عضد²

ويلاحظ أن أداة الاستثناء قد تتضام مع جملة ابتدائية؛ كقولنا: " ما مررت بأحد إلا زيدٌ خير منه"، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴾ [الحجر: 4]، وقد اختلف النحاة في محل هذه الجملة المضامة لأداة الاستثناء؛ فيرى الزمخشري ومن تبعه من النحويين كأبي البقاء العكبري وابن يعيش أنها في محل جر نعت لـ " قرية"، والقياس يقتضي أن لا تتوسط الواو بينهما؛ كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ﴾ [الشعراء: 208]، وإنما توسطت هنا لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال في الحال: "جاء زيد عليه ثوب"، و"جاء زيد وعليه ثوب".³

وقد رد جماعة من النحويين على ما ذهب إليه الزمخشري منهم أبو حيان وابن مالك مستدلين بعدم جواز الفصل بين الصفة والموصوف بأداة الاستثناء وبفساد قياس الصفة على الحال في ذلك؛ لأنه قياس مع الفارق، وزعموا أن ما ذهب إليه الزمخشري لم يُعرف لبصري ولا كوفي قبله فلا يُلْتَفَت إليه، ولذلك أعربوا الجملة الواقعة بعد أداة الاستثناء في موضع نصب الحال، أما الواو فهي التي تفيد أن الحالة التي بعدها في اللفظ هي في الزمن قبل الحالة التي قبل الواو؛ كما في قوله تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ [الزمر: 73].⁴

¹ - امرؤ القيس، الديوان، ص: 36.

² - ينسب البيت لطرفة بن العبد وهو في ديوانه، ص: 33، ولأوس بن حجر، وهو في ديوانه، ص: 134.

³ - ينظر: الزمخشري، الكشاف: 2/ 570، المفصل: 90.

⁴ - ينظر: ابن مالك (أبو عبد الله محمد بن عبد الله)، شرح التسهيل، تح: عبد الرحمن السيد، محمد بدوي المختون، دار حجر: القاهرة، ط: 1، 1410هـ - 1990م: 2/ 302، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط: 6/ 466.

واحتكاما إلى السياق الذي وردت فيه الآية فإننا نرجح جواز الوجهين، فكما هو معلوم أن من إعجاز القرآن العظيم التوسع في المعنى، ويكون ذلك بتأدية أكثر من معنى بأوجز لفظ، فيجوز أن تكون الجملة الواقعة بعد أداة الاستثناء في محل جر نعت للقرية وتكون الواو لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف؛ أي تأكيد حصول العلم بأجل إهلاك القرية وكتابته في اللوح المحفوظ، وأن أي أمة من الأمم لها أجل معلوم مقدّر في العلم الأزلي ومكتوب في اللوح المحفوظ لا تستأخر عنه ساعة ولا تستقدم، والسياق يقتضي هذا التأكيد بدليل قوله تعالى بعد هذه الآية مباشرة: ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ [الحجر: 5].

وهذا بخلاف آية الشعراء فإن السياق الذي وردت فيه لا يقتضي إفادة هذا المعنى السالف ذكره؛ حيث يقول جل شأنه: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (205) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (206) مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ (207) وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ (208) ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الشعراء: 205-209].

وكذلك يجوز أن تكون الجملة الواقعة بعد أداة الاستثناء في محل نصب حال، وتكون الواو حينئذ لإفادة أن ما بعدها في اللفظ يكون في الزمن متقدما على الذي قبلها؛ فالكتابة في اللوح المحفوظ متقدمة على الإهلاك، وكذلك إرسال المنذرين إلى القرى متقدم على إهلاكها.

ملاحظة: تُعرب "غير" تبعا لما قبلها، وهي تعني المغايرة؛ ودلالاتها عليها من جهتين: جهة الذات، وجهة الصفة؛ ففي قولنا: "مررت برجل غير زيد"، نعني أن المرور كان بإنسان آخر، أو مَنْ صفته ليست صفة "زيد"، وفي قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: 22]؛ رُفِعَ اسم الجلالة هنا على أن "إلا" صفة بمعنى "غير". ولا يجوز إعرابه بدلا؛ لأن المعنى سيصير: "لو كان فيهما الله لفسدتا"، ويمتنع كذلك النصب على الاستثناء لوجهين؛ أحدهما: فساد المعنى. فلو نُصِبَ لفظ الجلالة على الاستثناء لكان المعنى: "أن فساد السماوات والأرض امتنع لوجود الآلهة مع الله تعالى"، وهذا معنى باطل.

والوجه الثاني: أن "آلهة" في الآية نكرة، والجمع إذا كان نكرة لا يُسْتثنى منه عند جماعة من النحويين؛ لأنه ليس له عموم يدخل فيه المستثنى لولا الاستثناء.¹

¹ - ينظر: الزمخشري، المفصل: 89، العكبري، التبيان: 2/ 915.

ج- المجزورات:

1- الإضافة: يفتقر المضاف إلى المضاف إليه افتقارا غير متأصل؛ وإضافة الاسم للاسم على ضربين: معنوية ولفظية.

فالإضافة المعنوية هي التي يفتقر فيها المضاف إلى المضاف إليه افتقارا يفيد تعريفا؛ كقولنا: "دار زيد"، أو تخصيصا كقولنا: "معدنٌ ذهب". وهي على العموم تكون بمعنى اللام كقولنا: "دار زيد" و"أرضه" و"حقله" و"ولده"... أو بمعنى "من" كقولنا: "خاتم ذهب"، "ثوبٌ حرير"، "باب ساج"... والإضافة اللفظية هي التي تفتقر فيها الصفة إلى مفعولها؛ كقولنا: "ضاربٌ زيد"، "راكب فرس"؛ أي "ضاربٌ زيدا"، و"راكبٌ فرسا". أو إلى فاعلها كقولنا: "زيدٌ كريمٌ المعدن"، و"معمورٌ الدار"؛ أي: "كريم معدنه"، و"معمورةٌ داره"، وهذا النمط من الإضافة لا يفيد إلا تخفيفا في اللفظ والمعنى. ومما يقتضيه القياس واستعمال الفصحاء في الإضافة المعنوية أن يتضام المضاف إليه مع مضاف مجرد من "أل" التعريف؛ كما في قول الفرزدق "من الكامل":

ما زال مذ عقدت يده إزاره ** فسما وأدرك خمسة الأشبار¹

وقول ذي الرمة "من الطويل":

وهل يرجع التسليم أو يكشف العمى ** ثلاث الأثافي والديار البلاقع²

وأما في الإضافة اللفظية فإن المضاف إذا كان مثنى أو جمعا جاز له أن يتضام مع المضاف إليه؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ﴾ [الحج: 35]، بخلاف ما إذا كان مفردا فإنه لا يجوز له ذلك؛ فلا يقال: "الضاربُ زيد" لأنه لا يحقق خفة بالإضافة.

وإذا تضام المضاف مع الضمير المتصل في باب الإضافة اللفظية فإن من النحاة من يرى لزوم إضافته لأنه لا سبيل إلى النصب؛ لأن النصب يكون بثبوت النون أو التنوين كقولنا: "ضاربٌ زيدا"، و"ضاربان زيدا". ومع المضمّر لا يثبت التنوين ولا النون؛ لأن بينهما معاقبة فلا يجتمعان مع المضمّر، وهذا مذهب الزمخشري. ومنهم من يرى لزوم الإضافة في نحو: "ضاربوك"، وأما الكاف في نحو: "الضاربك"، و"الضاربوك" فيجوز أن تكون في موضع جر وهو الاختيار، وأن تكون في موضع نصب؛ لأنه يجوز أن نقول: "الضاربو زيدا"، ويُستدل على ذلك بقول قيس بن الخطيم "من المنسرح":

¹ - الفرزدق، الديوان: 226.

² - "الأثافي": حجارة الموقد، "البلاقع": جمع "بَلَقَعَ" وهي الأرض القفر التي لا شيء فيها. ينظر: ذو الرمة، الديوان: 156. المرتضى الزبيدي (محمد بن محمد)، تاج العروس، دار الهداية، مصر، (د، ط- د، ت): 359 / 20.

الحافظو عورة العشيّة لا ** يأتيهم من ورائنا نَطْفُ¹

أما أبو الحسن الأخفش فيرى أن المضمّر إذا اتصل باسم الفاعل فهو في موضع نصب على كل حال.² والذي نرجحه هو مذهب سيويه لاعتضاده بأدلة السماع؛ ومن ذلك قول عبد الرحمن بن حسان "من الخفيف":

أيها الشامي ليحسب مثلي ** إنما أنت في الضلال تهيم³

فالصواب أن "الياء" هنا في موضع نصب. وأما قول الشاعر "من الطويل":

هم الآمرون الخير والفاعلو⁴ ** إذا ما خشوا من مُحدث الأمر مُعْظِما⁴

وقول الآخر "من الطويل":

ولم يَرْتَفِقْ والناس مُحْتَضِرُونَهُ ** جميعا وأيدي المَعْتَفِينَ رَوَاهُ⁵

فهو من ضرورة الشعر.

* الأحكام التركيبية المتعلقة بالإضافة:

يمكن أن نلخص هذه الأحكام في النقاط التالية:

1- ما يفتقر افتقارا غير متأصل إلى الاسم المفرد الظاهر أو الضمير مع جواز قطع المضاف من الإضافة لفظا دون معنى؛ ومن هذه الألفاظ: (كل، بعض، أي، غير، مع، والجهات الست وهي: فوق، تحت، يمين، شمال، خلف).

2- ما يفتقر افتقارا غير متأصل إلى الاسم المفرد الظاهر أو الضمير دون الجملة، ولا يجوز قطعه من الإضافة؛ وله أربع صور:

أ- أن يضاف إلى اسم ظاهر مفرد نحو: "أولو"، "ذات"، "ذوو"، "ذواتا"، "ذوات"؛ نحو قوله تعالى: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ [الرحمان: 48].

¹ - "النطف": العيب، ينظر: قيس بن الخطيم الأوسي، الديوان، تح: ناصر الدين الأسد، دار صادر: بيروت، 1967م، (د، ط)، ص: 115. ابن منظور، لسان العرب: 9/ 334. الزمخشري، المفصل: 107.

² - ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل: 2/ 135-136.

³ - عبد الرحمن بن حسان الأنصاري، الديوان، تح: سامي مكّي العاني، مطبعة المعارف: بغداد، 1391هـ - 1971م، (د، ط)، ص: 51، وينظر: البغدادي، خزانة الأدب: 1/ 129.

⁴ - البيت بلا نسبة، ينظر: المصدر نفسه: 4/ 270.

⁵ - البيت بلا نسبة، ينظر: المصدر نفسه: 4/ 266، "يرتفق": يتكئ على مرفقيه، "المعتفون": جمع "المعتفَى" وهو طالب الإحسان، "رواهُ": مَنْ يغشونه ويأتون إليه. ينظر: ابن منظور، لسان العرب: 3/ 171.

ب- أن يضاف إلى ضمير المخاطب دون غيره من الضمائر كالمصادر المثناة التي يراد بها التكرير؛ نحو: "لبيك"، "سعديك"، "حنانيك"، "هذاذك"، "حذاريك"، "مجازيك"؛ أي: تلبية بعد تلبية، وإسعادا بعد إسعاد، ونحو ذلك.

ج- أن يضاف إلى الضمير فقط مثل كلمة: "وحد"، و"كل" المستعملة في التوكيد؛ نحو: "جاء المعلم وحده"، وقوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر: 30].

د- أن يضاف إلى اسم ظاهر مفرد أو ضمير؛ كالكلمات التالية: "كلا"، "كلتا"، "عند"، "لدى"، "سوى"، "لدى"، "لدى"، "فصاري"، كقوله تعالى: ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا﴾ [الكهف: 33]، غير أن "كلا" و"كلتا" يشترط النحويون لإضافتها ثلاثة شروط وهي: - التعريف: فلا يجوز نحو: "كلا رجلين"، "كلتا امرأتين" عند الجمهور، ويجوز ذلك عند الكوفيين.

- أن تكون دالة على التثنية أو الجمع.

- أن تتضام مع كلمة واحدة؛ فلا يجوز: "كلا زيد وعمرو"، ماعدا ما جاء من ذلك للضرورة الشعرية؛ كقول الشاعر "من البسيط":

كلا أخي وخليلي واجدي عضدا ** في النائبات وإمام الملمات¹

بالإضافة إلى "أي" التي تفتقر افتقارا غير متأصل إلى النكرة مطلقا؛ نحو: "أي رجل"، و"أي رجلين"، و"أي رجال". وللمعرفة بشرط أن تكون مثناة كقوله تعالى: ﴿أَيُّ الْقَرِيْقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم: 73]، أو مجموعة كقوله تعالى: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: 7]، ومنها "لدى" بمعنى "عند"؛ وهي تختص بأربعة أمور: أ- أنها ملازمة لمبتدأ الغايات لذلك فهي تتعاقب مع "عند"؛ كقوله تعالى: ﴿أَتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: 65].

ب- غالبا ما تُجر ب "من".

ج- أنها مبنية إلا في لغة قيس، وبلغتهم قُرئ: ﴿من لدنه﴾.

د- جواز تضامها مع الجمل؛ كقول القطامي عمير بن شبيب التغلبي "من الطويل":

صريع غوان راقهن ورقنه ** لدى شاب حتى سود الذوائب²

3- ما يتضام مع جملة اسمية أو فعلية مثل: "حيث" و"إذ"؛ نحو قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ [البقرة: 58]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 80].

¹ - البيت لا يعرف قائله، ينظر: العيني، المقاصد النحوية: 3/ 1336.

² - القطامي (عمير بن شبيب التغلبي)، الديوان، تح: محمود الربيعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، 1421هـ - 2001م، (د، ط)، ص: 280، وينظر: القيسي، إيضاح شواهد الإيضاح: 1/ 479.

4- ما يتضام مع الجملة الفعلية دون غيرها كـ"إذا" الشرطية الدالة على المستقبل، كقول الشاعر "من الهزج":

وإذا تُباع كريمة وتُشتري ** فسواك بائعها وأنت المشتري¹

و"لما" الظرفية؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَيِّئًا بِهِمْ﴾ [العنكبوت: 33]، و"إذا" الشرطية تختص بالدخول على الجملة الفعلية؛ والجملة الفعلية هي ما كان المسند فيها فعلا كقوله تعالى: ﴿إذا السماء انشقت﴾ [الانشقاق: 1]، لذلك فلا حاجة إلى تكلف تقدير فعل مضمّر يكون المبتدأ فاعلا له، لاسيما وأن ذلك يتعارض مع القواعد الأصولية للنحو العربي التي تقرر أن مالا يفتقر إلى تقدير أولى مما يفتقر إلى تقدير، وأن التمسك بالظاهر واجب مهما أمكن، وقد شذ دخولها على الجملة الاسمية، ومن ذلك قول الشاعر:

فرحنا إذا قدمت قدوم سعد ** وإذا رؤياك من الأيام عيد²

وتنقسم الأسماء المضافة إضافة معنوية قسمين: قسم لازم الافتقار للمضاف إليه فلا معنى له إلا معه، وقسم غير لازم لذلك. واللازم على ضربين: ظروف، وغير ظروف. فالظروف نحو: فوق، وتحت، وأمام، وقدام، وخلف، ووراء، وتلقاء، وتُجاه، وحذاء، وحِدة، وعند، ولدن، وبين، ووسط، ومع، ودون. وغير الظروف نحو: مثل، وشبه، وغير، ويبد، وقيد، وقَدَّأ، وقاب، وقيس، وأي، وبعض، وكل، وكلا، وذو (ومؤنثه، ومثناه، وجمعه)، وأولو، وأولات، وقد، وقط، وحسب.³ وغير اللازم للافتقار: وهو كل ما يُضاف في حال دون حال.

وقد يكون المضاف مقحما في المعنى دخوله وخروجه سواء؛ ومن ذلك قول لبيد "من الطويل":

إلى الحول ثم اسمُ السلام عليكما ** ومن ييك حولا كاملا فقد اعتذر⁴

وقول ذي الرمة "من البسيط":

لا ينعشُ الطرف إلا ما تخونه ** داع يناديه باسم الماء مبعوم⁵

وقوله أيضا "من الطويل":

¹ - ينظر: عباس حسن، النحو الوافي: 2/ 347.

² - ينظر: مكي الكلابي محمد وذاح شاعر علوان، الإضافة في العربية دراسة تركيبية دلالية، مقال منشور بمجلة جامعة كربلاء العلمية: العراق، مج: 7، العدد: 2، 1430هـ - 2009م ص: 9، 10.

³ - ينظر: عباس حسن، النحو الوافي: 1/ 80.

⁴ - لبيد بن ربيعة العامري، الديوان: 51.

⁵ - "بغمت الظبية": صاحبت إلى ولدها بأرخم صوت، ينظر: ابن منظور، لسان العرب: 12/ 51. ذو الرمة، الديوان: 249.

تَدَاعَيْنَ بِاسْمِ الشَّيْبِ فِي مُتَتَلَّمٍ ** جوانبه من بَصْرَةٍ وَسَلَامٍ¹

فيرى النحويون أن المضاف وهو "اسم" في هذه الأبيات مقحم دخوله وخروجه سواء، وكذلك لفظ "حي" في نحو قول جبار بن سلمى "من الكامل":

يَا قُرُّ إِنْ أَبَاكَ حَيَّ خُوَيْلِدٍ ** قد كنتُ خائفة على الإحماق²

ولفظ "مقام" في نحو قول الشماخ "من الوافر":

ذعرتُ به القطا ونفيتُ عنه ** مقام الذئب كالرجل اللعين³

هكذا يرى بعض النحويين وإن كنا لا نشاطرهم هذا الرأي؛ فالزيادة في المبنى تقتضي ولا بد زيادة في المعنى، ففي البيت الأول أفاد المضاف وهو "اسم" معنى التوكيد؛ فالشاعر يطلب من قومه أن ييكونوا عليه حولا كاملا، فإذا تم الحول فالسلام عليكم؛ أي لا أريد منكم غير هذا، فمن ييك حولا كاملا فهو يستحق فعلا السلام.

وفي البيت الثاني إنما أراد الشاعر بالمضاف وهو "اسم" اللفظ؛ أي "يناديه بلفظ الماء" فهو في سياق حكاية بغام الظبية.

أما إضافة "حي" كما ورد ذلك في كلام العرب فليس لغوا، بل إنه يحمل دلالة على التحقير؛ أي أن هذا الشخص ليس شيئا سوى أنه حي.⁴

وتفتقر أسماء الزمان والمكان إلى الفعل افتقار المضاف إلى المضاف إليه؛ كما في قوله تعالى: ﴿ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ [المائدة: 119]، وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [المطففين: 6]، وقول النابغة الذبياني "من الطويل":

على حين عاتبْتُ المشيب على الصبا ** وقلتُ: "ألمأ أصحُ والشيب وازعُ"⁵

وقول شبيب التغلبي "من الكامل":

حَنَّتْ نَوَارٌ وَ لَاتَ هُنَّا حَنْتَ ** وبدا الذي كانت نوارُ أجنتِ⁶

¹ - "الشَّيْبُ": صوت مشافر الإبل عند الشرب، "الْمُتَتَلَّمُ": الحوض المتكسر، "البَصْرَةُ": حجارة رخوة بيضاء، "السَّلَامُ": جمع "سَلَمَة" وهي الحجارة، ينظر: المصدر السابق: 260، حسن شراب، شرح الشواهد الشعرية: 13/3.

² - "قُرُّ": ترخيم قُرَّة، "الإحماق" مصدر "أَحْمَقَ الرجل" إذا وُلِدَ له ولد أحمق، ينظر: النعساني الحلبي، المفضل في شرح أبيات المفضل: 122.

³ - ينظر: الشماخ بن ضرار الذبياني، الديوان، تح: أحمد الشنقيطي، مطبعة السعادة: مصر، 1327هـ - 1907م، (د، ط): 92.

⁴ - ينظر: النعساني الحلبي، المفضل: 120 - 122.

⁵ - النابغة الذبياني (أبو أمامة زياد بن معاوية)، الديوان، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط: 2، 1405هـ - 1985م، ص: 32.

⁶ - ينظر: العيني، المقاصد النحوية: 1/ 382.

وقول الأعشى "من الخفيف":

لات هنا ذكرى جُبيرة أو من ** جاء منها بطائف الأهوال¹

وقولهم: "اجلس حيث جلس زيد"، ونحو ذلك.

ويرى بعضهم أن هذا مما يتعارض مع أصول العربية؛ لأن الإضافة إنما يراد بها تعريف المضاف وإخراجه من إيغاله في الإبهام إلى تخصيص محدود، والأفعال لا تكون إلا نكرات ولا يُخصص منها شيء فامتنت الإضافة إليها.²

والذي نراه أن الإضافة هنا إنما هي إلى الجملة نفسها لا إلى الفعل وحده بدليل أن موضع الجملة هو موضع جر باتفاق، ولو كانت الإضافة إلى الفعل لكان مجرورا أو مفتوحا في موضع جر؛ والذي يدل على ذلك أيضا قولهم - مثلا - : "أتيتك زمن الحجاج أمير" و "أتيتك إذ الخليفة عبد الملك" فأضافوا هنا إلى الجملة الابتدائية ولم يضيفوا إلى المفردة في حد ذاتها.

وحملوا على ظروف المكان والزمان ما يقارنها في المعنى كـ "آية" و "ذو"؛ ومن ذلك قول الشاعر "من الوافر":

بآية يُقدمون الخيل شُعْنًا ** كأنّ على سَنابِكها مُداما³

وقول يزيد بن عمرو بن الصعق "من الوافر":

ألا مَنْ مُبلغ عني تميما ** بآية ما يُحبون الطعاما⁴

وقولهم: "اذهب بذي تسلم"؛ أي: اذهب بالأمر الذي يسلمك.

وقد يُحذف المضاف إذا أمن اللبس كما في قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: 82]؛ فالمعلوم من سياق الحال أن المسؤول هو أهل القرية لا القرية نفسها، أما قول ذي الرمة "من الطويل":

عشيّة فر الحارثيون بعد ما ** قضى نخبه في مُلتقى القوم هَوْبُر⁵

فإن هذا من باب الضرورة الشعرية؛ لأن الحذف هنا مُلبس، فالشاعر إنما يريد "ابن هوبر" لا "هوبر" نفسه.

وقد يبقى المضاف إليه عند حذف المضاف على إعرابه؛ كقولهم: "ما كلُّ سوداء تمرّة ولا بيضاء شحمة". وقول أبي دؤاد جارية بن الحجاج "من المتقارب":

¹ - الأعشى ميمون، الديوان: 35.

² - ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل: 2/ 180.

³ - ينسب للأعشى ولم أعثر عليه في ديوانه، "السَّنابك": جمع "سَنَبَك" وهو مقدم الحافر، ينظر: ابن منظور، لسان العرب: 5/ 10.

⁴ - ينظر: البغدادي، خزنة الأدب: 6/ 512.

⁵ - "هَوْبُر": اسم رجل وهو: "يزيد بن هوبر"، ينظر: ذو الرمة، الديوان: 144.

أَكَلَّ امرئ تحسبين امرءًا ** وناِرٍ توقد بالليل نارا¹

أي: "وكلَّ نارٍ". وقد يحذفان معا كما في قوله أيضا "من الطويل":

أيا من رأى لي بَرِّقٍ شَرِيقٍ ** أسالِ الْبَحَارَ فانتَحَى لِلْعَقِيقِ²

أي: "أسال سقيا سحابه"؛ فحذف المضاف والمضاف إليه الأول، أما المضاف إليه الثاني فاستكنَّ في الفعل

حين أُسند إليه. وقول الأسود بن يعفر أو الكلجة اليربوعي "من الطويل":

فأدرك إبقاء العرادة ظلُّعُها ** وقد جعلتني من خزيمة إصبعا³

أي: "ذا مسافة إصبع".

¹ - أبو دواد الإيادي (جارية بن الحجاج)، الديوان، تح: أنوار محمود الصالحي - أحمد هاشم السامرائي، دار العصماء: دمشق، ط: 1، 1431هـ - 2010م، ص: 112، وينظر: البغدادي، خزنة الأدب: 7 / 180.

² - "شَرِيق": مُشْرِق، "البحار": المراد بها هنا: الوديان، "العقيق": اسم موضع، ينظر: أبو دواد الإيادي، الديوان، ص: 138، حسن شُرَّاب، شرح الشواهد الشعرية: 2 / 185.

³ - "العرادة": اسم فرس من خيل الجاهلية، لم أعر عليه في ديوان الأسود بن يعفر، ينظر: الفارسي، شرح الأبيات المشككة الإعراب: 455، ابن منظور، لسان العرب: 3 / 289.

2- المجرور بالحرف:

حروف الجر ليست سواء في تضامها؛ فمنها ما يفتقر افتقاراً متأسلاً إلى الظاهر والمضمر وهي خمسة أحرف: "من" و"إلى" و"على" و"الباء" و"اللام"، ومنها ما يفتقر إلى الظاهر فقط ولا يختص بظاهر معين؛ وهي ثلاثة أحرف: "الكاف" و"حتى" و"الواو"، ومنها ما يفتقر إلى لفظ الجلالة دون سواه وهو التاء؛ قال الله تعالى: ﴿تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ [يوسف: 85]، وقال أيضاً: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَتَرَكْتُ اللَّهَ عَلَيْنَا﴾ [يوسف: 91].

ومنها ما يفتقر إلى كلم خاص من الظواهر دون غيره؛ وهي "كي" التي لا تجر إلا أمرين اثنين: أحدهما "ما" الاستفهامية، والثاني: "أن" المضمرة وصلتها؛ في قولنا - مثلاً - : "جئتك كي تكرمي"؛ ف"أن" المضمرة والفعل في تأويل مصدر مجرور بـ "كي"؛ والتقدير: "جئتك للإكرام"؛ ومن حروف الجر ما يفتقر إلى نوع خاص من الظواهر؛ وهي: "منذ" و"مذ" فإن ضمائمها لا تكون إلا اسم زمان معين، ولا يكون ذلك المعين إلا ماضياً أو حاضراً لا مستقبلاً؛ كقولنا: "ما رأيته منذ يوم الجمعة ومنذ يومنا".

ومنها ما يفتقر إلى نوع خاص من المضمرات ونوع خاص من المظهرات وهو "رب"؛ فضميمته من المضمرات لا تكون إلا ضمير غيبة مفرداً مذكراً، كقولنا: "ربه رجلاً لقيت"، و"ربه رجلاً"، و"ربه امرأة"، و"ربه امرأتين"، و"ربه نساء"، وضميمته من المظهرات لا تكون إلا نكرة موصوفة؛ نحو: "رب عمل صالح فرطت فيه".¹

وقد تُحذف "رب" ويبقى عملها لاسيما بعد الواو؛ ومن ذلك قول امرئ القيس "من الطويل":

وليلٍ كموج البحر أرخى سدوله ** عليّ بأنواع الهموم ليبتلي²

وقول رؤبة بن العجاج "من الرجز":

وبلدٍ مغبرة أرجاؤه ** كأن لون أرضه سماؤه³

وقول جرّان العود عامر بن الحارث النميري "من الرجز":

وبلدٍ ليس بها أنيس ** إلا اليعافيرُ وإلا العيسُ⁴

ويقل ذلك بعد "الفاء" و"بل"؛ ومن ذلك قول امرئ القيس "من الطويل":

¹ - ينظر: ابن هشام، شرح شذور الذهب: 408 / 1.

² - امرؤ القيس، الديوان: 15.

³ - رؤبة بن العجاج، الديوان: 3.

⁴ - "اليعافير": جمع "يعفور" وهو الظبي في لون التراب، ينظر: جرّان العود (عامر بن الحارث النميري)، الديوان، (د، تح)، دار الكتب المصرية: القاهرة، ط: 1، 1350هـ - 1930م، ص: 52. وينظر: ابن منظور، لسان العرب: 4 / 555.

فمثلك حُبلى قد طرقتُ ومرضع ** فألهيتها عن ذي تائم ومحول¹

وقول رؤية بن العجاج "من الرجز":

بل بلدٍ ملء الفجاج قَتْمُهُ ** لا يشتري كتانهُ وجَهْرُهُ²

وعموماً فإنه يجوز حذف حرف الجر إذا كان المحرور مصدراً مؤوَّلاً؛ كقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: 25]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: 158]، وقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾ [المتحنة: 1]؛ أي: يخرجون الرسول وإياكم لأن تؤمنوا.

¹ - امرؤ القيس، الديوان: 30.

² - لم أعثر عليه في ديوانه، "القَتَم": سواد ليس بشديد، "جَهْرَم": ثياب من كتان، ينظر: ابن منظور، لسان العرب: 12 / 111، 460.

د- أثر قرينة التضام في تحديد الوظائف النحوية للأدوات:

تلعب قرينة التضام دورا رئيسيا في تحديد الوظائف النحوية للأدوات، ويبدو ذلك جليا من خلال الظواهر التالية:

1- كف الأدوات عن العمل:

يتسبب تضام بعض الأدوات مع حروف خاصة بإبطال عملها النحوي، وبالتالي فقدان اختصاصها بالافتقار إلى صنف معين من أصناف الكلم؛ منها "ما" الكافة التي تتضام مع بعض الأدوات فتبطل عملها وتكف اختصاصها، وهذه الأدوات هي:

أ- "إن وأخواتها": إذا تضامت مع "ما" الكافة بطل اختصاصها بالدخول على الأسماء وبالتالي يبطل عملها النحوي؛ مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالشُّوْءِ وَالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة: 169]، وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ﴾ [الأنفال: 6].

ب- "رب": وهو مما يفتقر افتقارا متأصلا إلى الأسماء، لكن بتضامه مع "ما" الكافة يبطل اختصاصه بها، كقوله تعالى: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: 2]. ويرى جمهور النحاة أن "ما" الحجازية تفقد عملها بتضامها مع "إن" الزائدة، واستدلوا بقول الشاعر "من البسيط":

بني غَدَانَةٌ ما إن أنتم ذَهَبْتُمْ * ولا صَرِيفٌ ولكن أنتم خَزَفْتُمْ¹

وخالفهم في ذلك يعقوب بن السكيت (ت 244هـ) فرأى إعمال "ما" مستدلا برواية النصب، وهو رأي ضعيف يسقط أمام الحجة العقلية والحجة النقلية؛ فالحجة النقلية قول الشاعر الحجازي فروة بن مسيك "من الوافر":

وما إن طُبْنَا جَبْنٌ ولكن * منايانا ودَوْلَةٌ آخِرِينَا²

والحجة العقلية أن "ما" ضعيفة في العمل؛ لأنها فرع على "ليس" فيه، فلما كان عملها ضعيفا بطل مع الفصل، ويدل على ذلك أن عملها يبطل كذلك إذا تقدم خبرها على اسمها في قولنا - مثلا - : "ما قائم زيد".

¹ - لا يعرف قائله، "غَدَانَةٌ": حي من بني يربوع، "الصَرِيف": الفضة، "الخَزَف": الفخار، ينظر: العيني، المقاصد النحوية: 2/ 635، ابن منظور، لسان العرب: 9/ 61 - 191، 10/ 38.

² - "الطَّبُّ": العلة والسبب، ينظر: سيبويه، كتاب سيبويه: 3/ 153، حسن شراب، شرح الشواهد الشعرية: 3/ 206، بديار، القرائن اللفظية في النحو العربي: 335.

2- جلب العمل للأدوات:

تكتسب بعض الأدوات العمل من خلال تضامها مع أداة أخرى فتصير مختصة بالدخول على صنف معين من أصناف الكلم؛ من ذلك - مثلاً - : "حيث" و "إذ" فإنهما لا يختصان بالدخول على الأفعال إلا بتضامهما مع "ما"؛ كما في قول العباس بن مرداس السلمي - رضي الله عنه - " من الكامل":

إذ ما مررت على الرسول فقل له ** حقا عليك إذا اطمأن المجلس¹

وقول الآخر "من البسيط":

وأني حيثما يثني الهوى بصري ** من حيثما سلكوا أدنوا فأنظور²

3- تحديد المعاني الوظيفية للأدوات:

كثيرا ما يستدل علماء العربية بقرينة التضام في تحديد المعاني الوظيفية للأدوات؛ ويتجلى ذلك فيما يلي:

أ- اللام الفارقة: يتضام خبر "إن" المؤكدة مع اللام لتمييزها عن النافية؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: 4]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾ [الأنعام: 156].

ب- التفريق بين "ما" الخبرية الموصولة والنافية الاستفهامية: لا تكون "ما" خبرية موصولة إلا بتضامها مع "ليس" أو "لم" أو "لا" أو "إلا"؛ كقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: 167]، وقوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 151]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 30]، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ [البقرة: 32].

ج- تضام "من" مع "رب": تأتي "من" لمعان متعددة ولكنها بتضامها مع "رب" لا تكون إلا نكرة موصوفة؛ كما في قول عمرو بن قميئة "من السريع":

يا رب من ييغض أذودنا ** رُحْن على بغضائه واغتندين³

وقول ذي الرمة "من الطويل":

ألا رب من قلبي له الله ناصح ** ومن هو عندي في الظباء السَّوانح⁴

د- تضام "أم" المنفصلة مع حروف الاستفهام: إذا تضامت "أم" المنفصلة مع حروف الاستفهام كانت لمجرد الإضراب؛ ومن ذلك قول أفنون التغلبي "من البسيط":

¹ - العباس بن مرداس السلمي، الديوان، ص: 88، وينظر: السرياني، شرح أبيات سيويه: 2 / 102.

² - لا يُعرف قائله، ينظر: القيسي، إيضاح شواهد الإيضاح: 1 / 383.

³ - عمرو بن قميئة التغلبي، الديوان، تح: حسن كامل الصيرفي، مطبوعات معهد المخطوطات العربية، دار الكاتب العربي: القاهرة، 1385هـ - 1965م، (د، ط)، 196، وينظر: سيويه، كتاب سيويه: 2 / 108.

⁴ - يُنسب البيت لذي الرمة ولم أعثر عليه في ديوانه، "السَّوانح": هي ما يأتي عن اليمين من الظباء، ينظر: كتاب سيويه: 2 / 109، ابن منظور، لسان العرب: 2 / 409.

أَتَىٰ جزوا عامرا سيئا بفعلهم ** أم كيف يجزونني السُّوْأَى من الحسن
 أم كيف ينفع ما تُعْطِي العُلُوقُ به ** رُئْمَانُ أَنْفٍ إِذَا مَا ضُنُّن بِاللَّبَنِ؟¹!
 وقول عمر بن أبي ربيعة "من الرجز":

أم كيف صبرك إذ ثويت معالجا ** سقما خلافهم وسقمك بادي؟²
 وقول عنتره بن شداد "من الكامل":

هل غادر الشعراء من متردم ** أم هل عرفت الدار بعد توهم؟³
 هـ - تضام "إن" و"إلا": إذا افتقرت "إن" إلى "إلا" افتقارا متأصلا فإن "إن" حينذاك تكون نافية؛ نحو قوله
 تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: 110]، وقوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام:
 25].

و - تضام أدوات الاستفهام مع بعض الأدوات الأخرى:
 * إذا افتقرت الهمزة إلى "هل" افتقارا متأصلا فإنها تخرج من الاستفهام إلى معنى الخبر؛ كما في قول زيد
 الخير الطائي "من البسيط":

سائل فوارس بني يربوع بشدتنا ** أَهْلُ رَأُونَا بسفح القاع ذي الأكَمِ⁴
 * إذا افتقرت همزة الاستفهام إلى أداة نفي تحول معناها إلى الإثبات؛ كما في قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ
 عَبْدَهُ﴾ [الزمر: 36]، وقول مسلم بن الوليد "من البسيط":
 أليس أكرم خلق الله قد علموا ** عند الحفاظ عمرو بن جندب⁵
 وقول جرير "من الوافر":

ألستم خير من ركب المطايا ** وأندى العالمين بطون راح⁶
 * إذا افتقرت "هل" افتقارا متأصلا إلى "لا" زال عنها معنى الاستفهام وتحول معناها إلى التحضيض.

¹ - "العُلُوقُ": هي الناقة التي تَرَامُ بأنفها وتمنع درتها؛ "رُئْمَانُ": العطف والحبة، ينظر: القيسي، إيضاح شواهد الإيضاح: 2/ 700، ابن منظور، لسان العرب: 10/ 268.

² - عمر بن أبي ربيعة المخزومي، الديوان، تح: أحمد كرم الطباع، دار القلم، بيروت، (د، ط - د، ت)، ص: 49، وينظر: المبرد، المقتضب: 291/3.

³ - عنتره بن شداد، الديوان: 80.

⁴ - "القاع": الأرض المنبسطة، "الأكَمِ": جمع أَكْمَةٍ وهي التل أو المرتفع من الأرض، ينظر: زيد الخير بن مهلهل الطائي، الديوان، تح: أحمد مختار البرزة، دار المأمون للتراث: دمشق، ط: 1، 1408-1988م، ص: 155، وينظر: ابن يعيش، شرح المفصل: 5/ 101.

⁵ - يُنسب البيت لمسلم بن الوليد ولم أعثر عليه في ديوانه، ينظر: سيبويه، كتاب سيبويه: 2/ 37.

⁶ - ينظر: جرير، الديوان: 89.

يرى بعض النحويين أن التضام بين أداتين قد يخرج إحداها من قسم الحروف؛ وذلك إذا كانت إحداها مختصة بالدخول على الأسماء، وذلك بناء على القاعدة الأصولية التي تقول: "إن الحرف لا يتعلق بالحرف"، وقد استدلوا على ذلك بقول مزاحم العقيلي "من الطويل":

عَدْتُ مِنْ عَلَيْهِ بَعْدَ مَا تَمَّ ظَمُّهَا ** تَصِلُ عَنْ قَيْضٍ بَزِيرَاءَ مَجْهَلٍ¹

وقول القطامي عمير بن شبيب التغلبي "من البسيط":

فَقَلْتُ لِلرَّكَبِ لَمَّا أَنْ عَلَا بِهِمْ ** مِنْ عَنِ يَمِينِ الْحَبِيَّاءِ نَظْرَةً قَبْلُ²

وقول العجاج "من الرجز":

بِيضٌ ثَلَاثُ كِنَعَا جُحْمٌ ** يَضْحَكُنْ عَنْ كَالْبَرْدِ الْمُنْهَمُ³

ويبدو لنا أن هذا الاستدلال ليس في محله؛ لأن ما ورد من ذلك يمكن حمله على الضرورة الشعرية، كما أنه ليس في الكثرة التي تسمح ببناء قاعدة فهو من النادر الذي يُحفظ ولا يُقاس عليه.

¹ - "تَصِلُ": من الصليل وهو صوت الشيء اليابس، "القَيْضُ": قشرة البيضة العليا، "الزَّيرَاءُ": ما غلظ من الأرض وارتفع، "المَجْهَلُ": القفر الخالي من الأعلام، ينظر: مزاحم بن الحارث العقيلي، الديوان، تح: نوري القيسي، حاتم الضامن، مكتبة عبد الله الجبوري: العراق، (د)، ط- 2، ص: 120، القيسي، إيضاح شواهد الإيضاح: 322/1، حسن شُرَاب، شرح الشواهد الشعرية: 233/2.

² - "الْحَبِيَّاءُ": اسم موضع، ينظر: القطامي، الديوان، ص: 198، وينظر: ابن منظور، لسان العرب: 163/14.

³ - لم أعر عليه في ديوانه، "النَّعَاجُ": جمع "نَعَجَةٍ" وهي البقرة الوحشية، "جُحْمٌ": جمع "جَمَّاء" وهي التي لا قرن لها من النعاج، "الْمُنْهَمُ": الذائب، ينظر: الأنباري، أسرار العربية: 192/1. الزركشي، البرهان في علوم القرآن: 376/4.

الفصل الخامس: التضام في ضوء المنهج الوصفي

أ- الخطوات الإجرائية للمنهج الوصفي:

يعتمد المنهج الوصفي كغيره من مناهج البحث في اللغة على مجموعة من الخطوات الإجرائية لخصها "ماريو باي" "Mario Bay" في كتابه "أسس علم اللغة" فيما يلي:

- 1- الاهتمام الخاص بالأصوات والصيغ النحوية للغة المدروسة.
- 2- معرفة الأسس الفونيمية والمورفيمية التي تسمح بوصف تفصيلي دقيق إلى حد كبير، عكس المنهج الذي يقوم على الاستنتاجات العشوائية.
- 3- تحليل أنواع الصيغ والمفردات اللغوية والكشف عن الأنظمة الصوتية والنحوية والصرفية والمعجمية للغة الموصوفة؛ كنظام النفي والاستفهام ونظام السوابق واللاحق فيما يتعلق بوصف النظام الصوتي.
- 4- جمع المادة اللغوية ثم فحصها ومقارنتها، وعادة ما يتدرج الباحث من الكلمات القصيرة السهلة إلى التعبيرات الأطول والجمل الكاملة.¹

من هنا يظهر لنا جليا أن المنهج الوصفي "Descriptive method" يعتمد أساسا على دراسة الأنماط في الصوت والكلمة والجمل؛ فهو منهج يركز اهتمامه على دراسة العلاقات المؤلفة للكلام، وهذا يعني أن العمليات النحوية "Grammatical processes" كما يسميها "إدوارد ساپير" "Edward Sapir" أو التحليل النحوي "Grammatical analysis" ينبغي أن يكون شكليا "Formal".

يقول روبينز "Robins": « إن النحو مسألة خاصة بالشكل اللغوي، وإن التحليل النحوي جزء من تحليل "الشكل النحوي"، ولذلك فإن إقامة فصائل نحوية وإن الوصف النحوي على أساس "المعنى"، كما يفهم بوجه عام، أو على أساس من المعنى على مستويات غير المستوى النحوي، هما نتيجة لهذا غير ذوي شأن بالنحو».²

وهذا التوجيه الشكلي في دراسة اللغة مستمد أساسا من علم الاجتماع الذي يؤكد لنا أن العمليات الكلامية المتعددة في كل لغة تصدر في الحقيقة عن عدد محدود من التصنيفات ذات العناصر المترابطة مع بعضها بعلاقات مطردة؛ هذه التصنيفات هي ما يُعرف بالبنية "Structure". يقول "كلود ليفي

¹ - ينظر: ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة: أحمد مختار عمر، ط: 8، 1419هـ - 1999م، ص: 120 - 128. علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة: بغداد، 1406هـ - 1986م، (د، ط)، ص: 11.

² - محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية: بيروت، (د، ط - د، ت)، ص: 213، نقلا عن: (Robins) "Archivum Robert Henry, Some considerations on the status of grammar in linguistics", Vol II, fase 2: 101- 102, "Linguisticum", وينظر: بوضياف محمد الصالح، التضام في القرآن الكريم: 136.

ستراوس " Claude Lévi-Strauss " في تعريف البنية: « البنية تحمل - أولا وقبل كل شيء - طابع النسق أو النظام؛ فالبنية تتألف من عناصر يكون من شأن أي تحول يعرض للواحد منها أن يحدث تحولا في باقي العناصر الأخرى».¹

ويعرفها "ألبر سوبول" "Albert Soboul" قائلا: « إن مفهوم البنية هو مفهوم العلاقات الباطنة الثابتة المتعلقة وفقا لمبدأ الأولوية المطلقة لكل على الأجزاء، بحيث لا يكون من الممكن فهم أي عنصر من عناصر البنية خارجا عن الوضع الذي يشغله داخل تلك البنية؛ أعني داخل المنظومة الكلية الشاملة»؛² فالبنية هي إذن مجموعة من العناصر والعلاقات لا غنى لأحدهما عن الآخر، فهي تماما كالعقد الذي لا وجود له في غياب أحد ركنيه.

فالمنهج الوصفي يرى أن اللغة ظاهرة اجتماعية تتكون من مجموعة من القوالب أو الأنماط التي تسير في سلسلة متناهية؛ فيرتبط كل نمط بالذي يليه بواسطة مجموعة من الوظائف البنائية في الكلام "Structure functions"؛ ذلك أنها منتشرة وتشارك فيها طائفة معينة من الناس وتظهر في نمط واحد غالبا لفترة طويلة من الزمن.

ولأجل ذلك ركز الوصفون في دراستهم للغة على مواقع الوحدات اللغوية في النمط أو البنية أو الشكل اللغوي وعلاقة هذه الوحدات بعضها ببعض؛ أي سلوكها التركيبي. يقول "روينز": « لا نهتم في عملية التصنيف النحوي بـ"هل هناك معان مشتركة بين كلمات مثل: cuts", "adores", "bisects" في الجمل التالية:

-This knife cut the cake

-This line bisects the angle

- Jack adors jill

ولكن الحقيقة التي تهمنا هي أن تلك الكلمات تسلك في الجمل بنفس الطريقة التي تسلك بها كلمات مثل : "Comes", "eats", "lives"، وتبعا لذلك فإننا نضعهم في قسم عام واحد».³

وقد استثمر تمام حسان معطيات المنهج الوصفي في دراسة اللغة العربية لا سيما في كتابه "اللغة العربية معناها ومبناها"؛ ويظهر ذلك جليا من خلال تركيزه على العلاقات بنوعها الإيجابي والسلبي في مستويات اللغة الثلاثة: الصوتي والصرفي والنحوي؛ فالنظام النحوي للغة العربية حسب تمام حسان يتكون من:

¹ - ينظر: زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، مكتبة مصر، 1410هـ - 1990م، (د، ط)، ص: 31.

² - المرجع نفسه: 35.

³ - ينظر: جلال شمس الدين، الأنماط الشكلية في كلام العرب: 57، 61، نقلا عن Robins, General linguistics, An introductory survey, Longman - London, 1970 : 174- 175

- أ- طائفة من المعاني النحوية العامة؛ كالخبر والإنشاء والنفي والإثبات والتوكيد... الخ
- ب- مجموعة من المعاني النحوية الخاصة أو معاني الأبواب؛ كالفاعلية والمفعولية والحالية... الخ
- ج- مجموعة من العلاقات التي تربط بين المعاني الخاصة وتكون قرائنا معنوية عليها؛ كالإسناد والتبعية... الخ
- د- ما يقدمه علما الصرف والصوتيات "Morphology and phonology" لعلم النحو من المباني الصالحة للتعبير عن معاني الأبواب والعلاقات.

ن- القيم الخلافية أو المقابلات بين أحد أفراد كل عنصر مما سبق وبقية أفرادها.¹

ونستدرك على تمام حسان فنضيف عنصرا آخر وهو: "مجموعة من العلاقات التركيبية التي تربط بين مبنى الوحدات اللغوية ومعناها"؛ وهو يشبه إلى حد كبير مصطلح "التعليق" عند عبد القاهر الجرجاني، إلا أن الجرجاني ركز على المعنى على حساب المبنى، وتتجلى أهمية المبنى في هذه العلاقات التركيبية "Structural relations" عند تمام حسان في قرينة التضام "Collocation" على الخصوص؛ ففي النسق الهراثي الذي اقترحه تمام حسان وهو قوله: « حنكف المستعص بسفاحته في الكمظ فعند التزان تعنيذا فسيلا... »²، نلمس بالفعل التكامل بين المبنى والمعنى؛ ذلك أن هذه الألفاظ رغم أنه لا معنى لها إلا أنها قد رُصفت ونُظمت بطريقة اللغة العربية.

فالعربي الذي يسمع هذا النسق يستطيع رغم غياب المعنى أن يميز الوظائف النحوية لكل هذه الوحدات؛ وذلك بفضل تضافر مجموعة من القرائن اللفظية كالصيغة والرتبة والمطابقة والأداة والعلامة الإعرابية، والقرينة التي بفضلها يحصل التركيب اللغوي برمته هي قرينة التضام؛ فالفعل في هذا التركيب يفتقر إلى الفاعل، والفاعل باعتباره لازما يستغني عن المفعول به، وحرف الجر يفتقر إلى مجروره، والاسم المحرور باعتباره اسما يختص بتضامه مع حرف الجر كما يختص بالإضافة، والمضاف يفتقر إلى المضاف إليه... وهكذا نلاحظ أن قرينة التضام هي التي تحافظ على سلامة التركيب من الناحية البنائية؛ فهي التي تنتج السلاسل الكلامية وتحافظ على استمرارية اللغة، فهي بالفعل سر التركيب اللغوي وهي عمدة القرائن اللفظية.

ونحن لا نوافق تمام حسان في إقصاء المعنى المعجمي من التحليل النحوي؛ إذ أنه ضروري في معرفة المعاني الوظيفية للوحدات اللغوية، فالمعنى الوظيفي يرتبط إلى حد كبير بالمعنى المعجمي؛ ومثال ذلك قولنا: "اشتمل الصماء"؛ فالذي يجهل المعنى المعجمي لكلمة "الصماء" سوف يتبادر إلى ذهنه مباشرة أنها تؤدي وظيفة المفعول به، والحقيقة أنها تؤدي وظيفة المفعول المطلق؛ لأن "الصماء" نوع من الاشتمال فهي صفة تدل على نوع المصدر.

¹ - ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها: 36-37.

² - تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، (د، ط- د، ت): 193.

ونوافق تمام حسان في إجراء التحليل النحوي للأنساق الهوائية لإبراز أهمية جانب المبنى ولاسيما قرينة التضام؛ فلا وجود لدراسة لغوية جادة ومتكاملة بإقصاء أحد قطبي الظاهرة اللغوية: المبنى أو المعنى.

ب- التضام والمحورين التركيبي والاستبدالي "Synchronic and diachronic":

يمثل المحور التركيبي العلاقات السنتاجمية "Syntagmatic relations"؛ وهي العلاقات التي تنشأ بين سلسلة من الوحدات اللغوية التي تكون مع بعضها وحدة متشابكة طويلة الامتداد، مثل الجمل التالية:
"Over the hill- The green trees – No smoking – Birds fly"

ويعرفها "هارتمان" Hartmann و"ستورك" Stork بأنها: « العلاقات الأفقية بين العناصر اللغوية والتي تكوّن تتابعات ممتدة»¹، وعلى سبيل المثال في الجملة التالية: "Read book" توجد علاقة سنتاجمية بين الـوحدين "read" و "book" : verb + noun

وفي العربية - مثلاً - : "جاء زيد مسرعاً" ← فعل + اسم مرفوع + اسم منصوب؛ فالتحليل النحوي يفضي إلى تحليل الجملة إلى أقسام الكلم المعروفة: الاسم والفعل والحرف والضمير...، وعلى المستوى الفونولوجي يفضي إلى تحليل الكلمة إلى مجموعة متتابعة من الصوامت والصوائت.

وتنقسم العلاقات السنتاجمية أو الأفقية قسمين رئيسيين وهما: العلاقات التضامية "Coccurance relations" والعلاقات الترتيبية "Positional relations".²

1- العلاقات التضامية "Coccurance relations"

إن العلاقات التضامية هي علاقات بنائية "Structural relations" تعمل في ظل القرائن اللفظية الأخرى على إنتاج سلاسل لغوية لا متناهية؛ فالوحدات اللغوية لا ترتبط فيما بينها لتشكيل سلسلة لغوية معينة إلا بواسطة قرينة التضام، وقد يشترط لتشكيل هذه السلسلة اللغوية أن تكون بعض الوحدات اللغوية مطابقة للأخرى في الجنس والعدد؛ وهنا تتدخل قرينة المطابقة. كما قد يُشترط لهذه الوحدات أن تكون على ترتيب معين لا تخالفه؛ وهنا تتدخل قرينة الرتبة، وهكذا دواليك مع بقية القرائن اللفظية؛ فالتضام هو بمثابة الإسمت الذي يربط بين لبنات ذات صفات محددة، فكل لبنة مفترقة في تكوين جدار ما إلى نظيرتها كافتقار الوحدة اللغوية في نسيج لغوي ما إلى ضميمتها.

¹ - ينظر: جلال شمس الدين، الأنماط الشكلية: 152، نقلاً عن Reinhard Hartman and F. C. Stork,

Dictionary of language and linguistics applied science , London ,1993, p: 10

² - المرجع نفسه: 152.

ومن خلال العلاقات التضامية تتجلى فكرة "القيمة" التي جاء بها سوسير في أجلى صورها ويبرز بعدها النسبي؛ إذ لا قيمة لأية وحدة لغوية في ذاتها، إنما قيمتها من خلال تضامها مع مثيلاتها من الوحدات اللغوية الأخرى المتجاورة معها في نسق لغوي واحد.

يقول "إيفور أرمسترونغ ريتشاردز" Ivor Armstrong Richards في كتابه "فلسفة البلاغة": «إن النعمة الواحدة في أي قطعة موسيقية لا تستمد شخصيتها ولا خاصيتها المميزة لها إلا من النعمات المجاورة لها، وإن اللون الذي نراه أمامنا في أي لوحة فنية لا يكتسب صفته إلا من الألوان الأخرى التي صاحبته وظهرت معه، وحجم أي شيء وطوله لا يمكن أن يُقدر إلا بمقارنته بحجوم وأطوال الأشياء الأخرى التي تُرى معه، وكذلك الحال في الألفاظ؛ فإن معنى أية لفظة لا يمكن أن يحدد إلا من علاقة هذه اللفظة بما يجاورها من ألفاظ»،¹ ويقول أيضا: «إن معظم الصفات الغامضة التي يصف بها النقاد أساليب الكتابة الثرية المختلفة إنما ترتد أولا وأخيرا إلى ما يحققه الارتباط والتواءم بين الكلمات بعضها ببعض».²

فالكلمة أو الوحدة اللغوية في الفكر السوسيري لا قيمة لها إلا بتضامها مع نظيراتها في السلسلة اللغوية الواحدة، وجعل بعضها بسبب من بعض، وبناء بعضها على بعض وفق علاقات يسميها سوسير العلاقات الترابطية أو الائتلافية "Associative"؛ حيث يقول: «إن مفهوم التركيب لا ينطبق على الكلمات وحسب، بل على مجموع الكلمات والوحدات المعقدة والمقاييس والأصناف كافة؛ (الكلمات المركبة والمشتقة وأقسام الجملة والجملة الكاملة)»،³ ويقول أيضا: «إن المفاهيم عبارة عن خلافات محضة، وهي لا تُعرف إيجابا حسب مضمونها، وإنما سلبا حسب علاقاتها ببقية العناصر في النظام، وأخص خصائصها هي أن تكون ما لا تكونه البقية».⁴

وفي الحقيقة ليس هذا الكلام إلا صدّى لنظرية النظم الجرجانية، وسنلمس هذا الأمر حقيقة في الباب الثاني المتمثل في الدراسة التطبيقية في القرآن الكريم التي يبرز فيها جيدا الجانب البلاغي لقرينة التضام.

¹ - ينظر: بوضياف، قرينة التضام في القرآن الكريم: 133، نقلا عن: زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القدم والحديث، دار النهضة العربية: بيروت، 1404هـ - 1984م، (د، ط): 293.

² - المرجعان نفسهما: 133، 293.

³ - ينظر: Ferdinand de Saussure, cours de linguistique generale, Editions Talantikit - Bejaia, 2002, p: 148، وينظر: محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد: بيروت، ط: 1، 1424هـ - 2004م، ص: 31.

⁴ - ينظر: كاترين فوك، بيارلي جوفيك، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، تعريب: المنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية: بن عكنون- الجزائر، 1404هـ - 1984م، (د، ط)، ص: 22.

2- العلاقات الترتيبية "Positional relations":

هي علاقات أفقية لا يمكن فصلها عن العلاقات التضامية وهي تخص قرينة الرتبة؛ ونظرا لضيق المجال المخصص للجانب النظري في هذه الرسالة فإننا سوف نضرب عنها الذكر صفحا.

الباب الثاني: ظواهر التضام في التركيب القرآني وتمظهراتها البلاغية والدلالية

* الفصل الأول: ظاهرة الحذف في التركيب القرآني وتمظهراتها البلاغية والدلالية

* الفصل الثاني: ظاهرة الزيادة في المبنى لتأكيد المعنى

* الفصل الثالث: ظاهرة الفصل النحوي في التركيب القرآني وتمظهراتها البلاغية والدلالية

* الفصل الرابع: ظاهرة الاعتراض في التركيب القرآني وتمظهراتها البلاغية والدلالية

الفصل الأول: ظاهرة الحذف في التركيب القرآني وتمظهراتها البلاغية والدلالية

تمهيد:

يُعد التضام ظاهرة نحوية كبرى تندرج تحته مجموعة من الظواهر التركيبية الجزئية؛ كالحذف والزيادة والفصل والاعتراض وغيرها، وسنحاول في هذا الباب تسليط الضوء على أهم هذه الظواهر التركيبية الجزئية في القرآن الكريم؛ وهي أربع ظواهر: الحذف والزيادة والفصل والاعتراض، وسنقتصر في هذه الدراسة على هذه الظواهر الأربع دون سواها لكونها أهم ظواهر التضام التي تتعلق بشكل مباشر بالبنية التركيبية للنص القرآني.

والأکید أن هذه الدراسة لن تكون إحصائية استقصائية تتطرق إلى جميع ما ورد منها في القرآن الكريم، بل ستقتصر على أبرز النماذج من كل ظاهرة، شأنها في ذلك شأن الدراسات اللغوية التي تتناول ظواهر يصعب حصرها واستقصاؤها لاسيما إذا كانت المدونة المدروسة هي القرآن الكريم، وكفى به معجزا.

1- تعريف الحذف:

الحذف هو علاقة تركيبية بين أجزاء الكلام تعني إسقاط جزء من العبارة اللغوية أو كلها إسقاطاً لا يُجُل بالفهم؛ بشرط وجود ما يدل على المحذوف من قرينة لفظية أو معنوية.¹

2- أقسام الحذف: يقسم النحويون الحذف خمسة أقسام؛ هي كالتالي:

أ- **الاقتطاع:** وهو إسقاط بعض حروف الكلمة وغالباً ما يكون الجزء الأخير منها؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: 186]، وقوله تعالى: ﴿عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: 9]، فحذف حرف الياء من الكلمتين الأخيرتين في الآيتين، وقول الوليد بن عقبة بن أبي معيط "من الرجز":

قلت لها قفي فقالت قاف ** لا تحسبينا قد نسينا الإيجاف²

وهذا الحذف لا يُعد من قبيل التضام؛ لأنه مقصور على الكلمة المفردة.

ب- **الاكتفاء:** يكون بذكر أحد المتلازمين اكتفاء به لقرينة يقتضيها المقام؛ وهو نوعان: نوع يكون بحذف الكلمة كلها، ونوع آخر يكون بحذف بعضها؛ فالنوع الأول كقول ابن مطروح "من الكامل":

لا أنتهي لا أنثني لا أرعوي ** مادمت في قيد الحياة ولا إذا³

وفي رواية أخرى:

والله، لا خطر السلو بخاطري ** مادمت في قيد الحياة ولا إذا

أي: "ولا إذا مت". والنوع الثاني كقول ابن سناء الملك "من الكامل":

لقد كففتُ عنان عيني جاهدا ** حتى إذا أعيتُ أطلقتُ العنا⁴

أي: العنان.

¹ - ينظر: عبد الكريم خالد التميمي، الحذف والتقدير رؤية في الأسلوب القرآني، مقال منشور بمجلة آداب البصرة: كلية الآداب - جامعة البصرة: العراق، العدد: 51، 1430هـ - 2010م، ص: 91. يونس حمش خلف، الحذف في اللغة العربية، مقال منشور بمجلة أبحاث كلية التربية: نينوى - العراق، مج: 10، عدد: 2، 1430هـ - 2010م، ص: 287.

² - "الإيجاف": سرعة السير، ينظر: ابن جني، الخصائص: 1/ 31، 247. تمام حسان، البيان في روائع القرآن: 158.

³ - ابن مطروح (بجي بن عيسى جمال الدين)، الديوان، تح: حسين نصار، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية: القاهرة، 1425هـ - 2004م، (د، ط)، ص: 84، وينظر: ابن حجة الحموي (أبو بكر تقي الدين)، خزانة الأدب وغاية الأرب، تح: عصام شقيو، دار الهلال: بيروت، ط: 1، 1424هـ - 2004م: 1/ 282.

⁴ - ابن سناء الملك (أبو القاسم هبة الله)، الديوان، تح: محمد إبراهيم نصر - حسين نصار، دار الكاتب العربي: وزارة الثقافة المصرية - القاهرة، 1388هـ - 1969م، (د، ط)، ص: 328، وينظر: ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب: 1/ 289.

ج- الاحتباك أو الحذف المقابلي: عرفه الزركشي بقوله: « وهو أن يجتمع في الكلام متقابلان؛ فيُحذف واحد منهما لدلالة الآخر عليه»¹، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فِتْنَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ﴾ [آل عمران: 13]؛ أي فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة تقاتل في سبيل الطاغوت.

د- الضمير والتمثيل: وهو إضمار أحد جزئي الكلام لدلالة الآخر عليه؛ كقول الفرزدق "من الطويل":

فلو كان عبد الله مولى هجوته ** ولكن عبد الله مولى مواليا²

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: 159]، وقد شهد الواقع أنهم لم ينفضوا حوله - عليه الصلاة والسلام - وهو المضمّر.

و- أن يُستدل بالفعل لشيئين وهو في الحقيقة لأحدهما: وذلك كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ [الحشر: 9]؛ أي: "واعتقدوا الإيمان"، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْكَمَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: 40]؛ أي: "هُجرت صلوات"، وقول الشاعر "من الرجز":

لما حطّطتُ الرجل عنها واردا ** علفْتُها تبنا وماءً باردا³

أي: "وسقيتها ماءً بارداً".

¹ - الزركشي، البرهان في علوم القرآن: 3/ 129.

² - لم أعثر عليه في ديوان الفرزدق، ينظر: سيبويه، كتاب سيبويه: 3/ 313.

³ - لا يُعرف قائله، ينظر: العيني، المقاصد النحوية: 3/ 1073. زهير العرود، الحذف في شعر المتنبي، مخطوط رسالة ماجستير في النحو العربي، جامعة اليرموك: إربد- الأردن، 1424هـ - 2004م، ص: 12.

3- شروط الحذف:

لقد استنبط ابن هشام مجموعة من الشروط لا يستقيم الحذف إلا بها، نوجزها فيما يلي:

1- وجود دليل على المحذوف سواء كان لفظياً أو حالياً؛ فلا حذف إلا بقرينة، يقول ابن جني: « قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته»¹، والدليل اللفظي يتعلق بالقرائن اللفظية؛ كدلالة العلامة الإعرابية أو التنعيم أو ما تقتضيه القوانين التركيبية للنحو؛ كقوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا ﴾ [النحل: 30]؛ أي أنزل خيراً.

والدليل الحالي: يحصل بالنظر إلى الظروف الملازمة للنص اللغوي؛ وهو ما سماه "Firth" سياق الحال أو المقام "Context of situation"؛ وهو جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالُوا سَلَامًا ﴾ [هود: 69]؛ أي: "قالوا سلمنا سلاماً".

وكلا الدليلين اللفظي والحالي يسمى بالدليل غير الصناعي، ومما تدل عليه الصناعة النحوية ما جاء في قوله تعالى: ﴿ تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ ﴾ [يوسف: 85]؛ والتقدير: لا تفتأ، فلو كان السياق سياق إثبات لدخلت اللام على الفعل وأكد بالنون وجوباً كقوله تعالى: ﴿ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثَنَّ ﴾ [التغابن: 7]. أما إذا كان المحذوف فضلة فلا يشترط لحذفه دليل، ولكن يشترط ألا يسبب حذفه إخلالاً بالمعنى أو اللفظ؛ كحذف المستثنى منه في نحو قولنا: "ما ضربت إلا زيدا" أي: "ما ضربت أحداً إلا زيدا".²

2- ألا يكون المحذوف كالجزء؛ فلا يُحذف الفاعل ولا نائبه ولا اسم كان وأخواتها، وقد رأى الباحث "طاهر حمودة" أن إطلاق هذا الشرط غير دقيق؛ لأن هناك مواضع قياسية ورد فيها هذا الحذف، منها: أ- أن يكون العامل مصدراً؛ كقوله تعالى: ﴿ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْجَبَةٍ (14) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴾ [البلد: 14، 15].

ب- فاعل "أفعل" في التعجب؛ نحو قوله تعالى: ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ﴾ [مريم: 38].

ج- عند إسناد الفعل إلى نائب الفاعل.

د- عند إقامة البدل مقام الفاعل؛ نحو: "ما قام إلا هند"، ف"هند" ليست فاعلاً بدليل التزام التذكير في الفعل رغم كون الفاعل مؤنثاً حقيقي التأنيث.

ن- فاعل "قل" و"كثر" و"طال" عند تضامها مع "ما" الزائدة حيث تكفها عن طلب الفاعل.

¹ - ابن جني، الخصائص: 362/2.

² - ينظر: زهير العرود، الحذف في شعر المتنبي: 17.

هـ- عند حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه كقولهم: "بنو فلان يطؤونهم الطريق؛" والأصل: "يطؤونهم أهل الطريق"، فحذف الفاعل في المعنى وهو "أهل" وأقيم المضاف إليه مقامه فاعلا في اللفظ.

و- إذا أقيم مقام الفاعل حال مفصلة؛ نحو قول الشاعر "المتدارك":

كرة ضربت بصَوَالِحَةٍ ** فَتَلَقَّهَا رَجُلٌ رَجُلٌ¹

ي- الاستغناء بصفة الفاعل عنه؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيٍّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: 34]؛ فالتقدير: "شيء من نبي المرسلين".²

ولا نوافقه على ما ذهب إليه، ونرد على أدلته السابقة بما يلي:

أ- إذا كان العامل مصدرا كما ورد في الآية السابقة فإنه يتحمل الضمير؛ لأن الجامد إذا أُول بالمشقق تحمل الضمير، وعليه فإن الفاعل مستتر فيه كفاعل فعل الأمر تماما.

ب- مادامت صيغة "أفعل" التعجب هي صيغة فعل الأمر فإن الفاعل مستتر فيه؛ وهذا أمر واضح.

ج- لا فرق صناعيا بين الفاعل ونائب الفاعل فكلاهما مسند إليه؛ فالقول بحذف الفاعل في هذه الحالة قول يفتقر إلى الدقة العلمية.

د- في نحو قولنا: "ما قام إلا هند"؛ الفاعل ضمير مستكن في الفعل والمستثنى بدل منه.

هـ- بالنسبة للأفعال التي تتصل بها "ما" الكافة؛ نحو قولنا: "طالما أوفيت بوعدك"، و"قلما يخلف النبيل وعده"، و"كثر ما حمدت لك الوفاء"؛ فإننا نذهب فيها إلى ما ذهب إليه "عباس حسن" بإعراب الفعل فعلا ماضيا، و"ما" مصدرية، والمصدر المنسبك منها ومن صلتها في محل رفع فاعل؛ فالتقدير: "طال إيفاءك بوعدك"، و"قل إخلاف النبيل وعده"، و"كثر حمدي لك الوفاء".³

و- إذا أقيم مقام الفاعل حال مفصلة فإنها تنوب عنه فتؤدي الوظيفة النحوية للفاعل كما ورد في البيت السابق.

ي- أما في نحو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيٍّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: 34] فقد أيد "طاهر حمودة" رأيه بحذف الفاعل بدليلين أحدهما صناعي والآخر معنوي؛ فالصناعي: أن "من" لا تُزاد في الإيجاب عند الجمهور، والمعنوي أن التقدير: "شيء من نبي المرسلين" يناسب المعنى؛ لأن جميع أنباء المرسلين لم تُقص في القرآن الكريم.⁴

¹ - البيت لا يُعرف قائله، "صَوَالِحَةٍ": جمع "صَوَالِح" وهو فارسي معرب يعني العود المعوج، ينظر: ابن منظور، لسان العرب: 2/ 310.

² - ينظر: طاهر سليمان حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية: الإسكندرية - مصر، 1418هـ - 1998م، (د، ط)، ص: 136-138.

³ - ينظر: عباس حسن، النحو الوافي: 2/ 72.

⁴ - ينظر: حمودة، ظاهرة الحذف: 138.

ونحن نرد عليه بأن "من" حرف جر أفاد معنى التبعيض، و"نبا": فاعل مجرور لفظا مرفوع محلا، مستدلين على ذلك بالسياق الذي وردت فيه الآية؛ حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ (34) وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (35)﴾ [الأنعام: 34، 35].

فالمقام الذي جاءت فيه هذه الآيات هو مقام تسليية للنبي - عليه الصلاة والسلام - لما يلاقيه من أذى قومه بتذكيره بحال الأنبياء قبله وما لاقوه من أذى وعنت في سبيل الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، فافتضى هذا المقام الإتيان بـ "من" الدالة على معنى التبعيض، لتقرير أن ما يلاقيه النبي - عليه الصلاة والسلام - من أذى في سبيل الدعوة هو من سنة الله التي خلت في الذين من قبله، وأنه لم يأت به مع ذلك إلا النزر اليسير من أنبيائهم؛ وهذا أدعى لتسليية النبي عليه الصلاة والسلام.

ونحن إنما رددنا على هذا الرأي من أجل أن نذكر الباحثين أن قواعد الصناعة النحوية إنما تُبنى على الاستقراء الناقص لا على الاستقراء التام باعتبار النحو علما مضبوطا، لذلك لا ينبغي علينا أن ننساق وراء الاستثناءات والشواذ ونترك من أجلها القواعد النحوية المطردة.

3- أن لا ينتقض الهدف من الحذف بوجود مضاد له، لذلك لا يجوز الحذف عند التوكيد؛ لأن الغرض من الحذف الاختصار والتخفيف والإيجاز، والتوكيد يستدعي التفصيل والإطالة؛ يقول ابن جني: « فكل ما حُذف تخفيفاً فلا يجوز توكيده لتدافع حاله به؛ من حيث التوكيد للإسهاب والإطناب، والحذف للاختصار والإيجاز، فاعرف ذلك مذهبا للعرب»،¹ ولذلك رد الفارسي قول الزجاج (ت 311هـ) في قوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا لَسَاحِرٌ﴾ [طه: 63]؛ حيث قال الزجاج: « التقدير: "إن هذان لهما ساحران"»،² فقال الفارسي: « الحذف والتوكيد متنافيان».³

4- ألا يكون المحذوف عوضا عن شيء محذوف؛ وذلك كحذف "ما" في نحو قولنا: "أما أنت منطلقا انطلقت"؛ فالأصل في الكلام: "لأن كنت منطلقا انطلقت"، فحذف الفعل "كان" فصار التقدير: "لأن أنت منطلقا"، فزيدت "ما" وصارت عوضا من الفعل كراهية مباشرة "إن" الاسم، ومن ذلك قول العباس بن مرداس السلمي "من البسيط":

¹ - ابن جني، الخصائص: 290 / 1.

² - الزجاج (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري)، معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجليل شلي، عالم الكتب: بيروت، ط: 1، 1408هـ - 1988م: 361 / 3.

³ - ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب: 579 / 1.

أبا خراشة أما أنت ذا نفرٍ * فإن قومي لم تأكلهم الضَّبْعُ¹

فالتقدير: "الآن كنتَ ذا نفرٍ قويّ وشدّدت؟! " فحذفت همزة الاستفهام واللام كما حذفت "كان" وعُوض عنها بـ "ما" التي أُدغمت بـ "أن"، فانفصل اسم "كان" وصارت أنت.

5- ألا يكون المحذوف عاملاً ضعيفاً؛ لذلك لا يُحذف الجار والناصب والجازم للفعل إلا في مواضع قويّة فيها الدلالة، وكثير فيها استعمال تلك العوامل، ولا يُقاس عليه؛ مثل حذف "رب" مع بقاء عملها قياساً بعد الواو، يقول ابن هشام: «... عدم جواز حذف الجار مع بقاء عمله، وكذلك لا يجوز حذف الجازم والناصب للفعل إلا في مواضع قويّة فيه الدلالة، وكثير فيه استعمال تلك العوامل، ولا يجوز القياس عليها».²

6- ألا يؤدي الحذف إلى اختصار المختصر: فلا يُحذف - مثلاً - اسم الفعل دون معموله لأنه اختصار للفعل، كما لا تُحذف الحروف؛ يقول ابن جني: «أخبرنا أبو علي - رحمه الله - قال: "قال أبو بكر: حذف الحروف ليس بالقياس". قال: "وذلك أن الحروف إنما دخلت الكلام لضرب من الاختصار، فلو ذهبت تحذفها لكنت مختصرة لها هي أيضاً، واختصار المختصر إجحاف به"».³

فالحروف تنوب عن جملة أو كلمة؛ فـ "إلا" - مثلاً - تنوب عن جملة فعلية وهي "أستثني"، و"ليت" كذلك تنوب عن جملة فعلية وهي "أتمنى"، و"هل" تنوب عن "أستفهم؟" وهكذا. فلما كانت هذه الحروف تنوب عما هو أكثر منها من الجمل وغيرها لم يجز من بعد هذا أن نزيد عليها في الاختصار حتى نحذف بها.

7- ألا يؤدي الحذف إلى إعمال العامل الضعيف مع إمكان إعمال العامل القوي؛ فلا يُحذف الضمير - مثلاً - في: "زيدٌ ضربته"؛ لأنه يؤدي إلى إعمال المبتدأ وإهمال الفعل مع أنه أقوى. ويجوز الكسائي هذا الحذف قياساً إذا كان الضمير مفعولاً به، وكذلك الفراء وابن مالك إذا كان المبتدأ لفظ "كل" أو لفظاً يشبهه في العموم والافتقار،⁴ ولعلهم يستدلون بقراءة ابن عامر: ﴿وكلُّ وعد الله الحسنَى﴾ [الحديد: 10]،⁵ وقول أبي النجم العجلي في رواية الرفع "من الرجز":

¹ - سبق تخريج البيت، ينظر: الصفحة: 51 من هذا البحث، وينظر: جلال الدين السيوطي، همع الموماع: 1/ 443.

² - ابن هشام، مغني اللبيب: 1/ 79.

³ - ابن جني، الخصائص: 2/ 275.

⁴ - ينظر: حمودة، ظاهرة الحذف: 151.

⁵ - ينظر: القيسي (مكي بن أبي طالب)، مشكل إعراب القرآن، تح: حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط: 2، 1405هـ - 1985م: 2/ 717.

قد أصبحت أمُّ الخيار تدعي ** عليّ ذنبا كُلُّه لم أصنع¹

8- عدم اللبس: لا يجوز الحذف إلا إذا أُمن اللبس؛ ويُدفع اللبس أحيانا بسياق اللفظ كما في قراءة ابن محيصن (ت 123هـ): { سواء عليهم أُنذرتهم أم لم تنذرهم } [البقرة: 6]، وقول عمر بن أبي ربيعة "من الطويل":

فو الله ما أدري وإن كنت داريا ** بسبع رمين الجمر أم بثمان؟²

أي: "أبسبع؟"، وقد يُدفع بالقرينة الصوتية كما في قول الكميت "من الطويل":

طربتُ وما شوقا إلى البيض أطرب ** ولا لعبا مني، وذو الشيب يلعب؟³

والتقدير: "أو ذو الشيب يلعب؟"، وكذلك قول عمر بن أبي ربيعة "من الخفيف":

ثم قالوا تحبها؟ قلتُ بَهْرًا ** عدد الرمل والحصى والتراب⁴

ومن أجل هذا المانع وهو خوف اللبس عدَّ النحويون إسقاط بعض حروف الكلمة في الضرورة الشعرية

حذفا قبيحا لا يجوز إلا في الضرورة؛ وهو ما يُسمى بالاقتطاع كما في قول أبي دواد الإيادي "الكامل":

يذرين جندل جابر بجنوبها ** فكأنما تُذكي سنابكها الحُبا⁵

أراد: "الحُباب"؛ وهي النار المتولدة من قدح حوافر الخيل، وقيل: طائر على مثال الجندب الصغير يُرى منه نور ضعيف ليلا.

9- ألا يؤدي الحذف إلى تهيئة العامل للعمل وقطعه عنه؛ لذلك لا يجوز نحو: "ضربني وضربتُ زيد"؛ لأن

حذف المفعول الثاني يؤدي إلى تهيئة الفعل الثاني "ضربت" للعمل في "زيد" على أنه مفعول به ثم يُقطع

العمل لكون "زيد" فاعلا بالفعل الأول "ضربني"، ولا يجوز هذا الحذف إلا في الضرورة الشعرية؛ ومن ذلك

قول عاتكة بنت عبد المطلب عمة النبي عليه الصلاة والسلام "من الكامل":

بعكاظ يُعشي الناظرين ** إذا هم لخوا شعاعه⁶

فالتقدير: "يعشي الناظرين إذا لمحوه شعاعه".

¹ - أبو النجم العجلي (الفضل بن قدامة)، الديوان، تح: محمد أديب- عبد الواحد جمران، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1427هـ-2006م، (د، ط)، ص: 256، وينظر: سيبويه: كتاب سيبويه: 1/ 85.

² - عمر بن أبي ربيعة المخزومي، الديوان، ص: 209.

³ - الكميت بن زيد الأسدي، الديوان: 512.

⁴ - "بَهْرًا": أي جَهًّا، ينظر: عمر بن أبي ربيعة، الديوان، ص: 30، سيبويه، كتاب سيبويه: 1/ 311، ابن منظور، لسان العرب: 4/ 82.

⁵ - "السَّنَابِك": حوافر الخيل، ينظر: أبو دواد الإيادي، الديوان، ص: 40، وينظر: ابن منظور، لسان العرب: 1/ 297.

⁶ - "يعشي": من "الإعشاء" وهو عدم الإبصار بالليل دون النهار، ينظر: العيني، المقاصد النحوية: 3/ 1015، ابن منظور، لسان العرب: العرب: 15/ 56.

4- أسباب الحذف:

يمكن حصر أسباب الحذف فيما يلي:

أ- كثرة الاستعمال: تُعد كثرة الاستعمال من أبرز الأسباب التي تُفسّر بها ظاهرة الحذف؛ يقول سيبويه: « وما حُذف في الكلام لكثرة استعمالهم كثير. ومن ذلك: "هل من طعام؟" أي "هل من طعام في زمان أو مكان"، وإنما يريد: هل طعام، فمن طعام في موضع طعام، كما كان: "ما أتاني من رجل" في موضع "ما أتاني رجل". ومثله جوابه: "ما من طعام" ¹ ».

ومما يُحذف لكثرة الاستعمال حرف النداء؛ كقوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ [يوسف: 29]، وكذلك المبتدأ؛ كقول من رأى شخصا يعرفه: "عبدُ الله وربي"؛ أي: "هذا عبدُ الله" على إضمار المبتدأ، ويكثر حذف الفعل والفاعل للغرض ذاته؛ ومن ذلك قول العرب: "الجار قبل الدار" بتقدير فعل محذوف وهو: "التمسوا".

ب- الاختصار والاحتراز عن العبث: وذلك لدلالة قرينة ما على المحذوف؛ كدلالة القرينة الحالية - مثلا - في قولهم: "الهللُ والله" أي: "هذا الهلال"؛ فحُذف المبتدأ استغناء عنه بقرينة الحال.

ج- التفعيم والتعظيم: وذلك في مقام يكون السكوت فيه أبلغ من الكلام؛ كما في قوله تعالى في وصف الجنة: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: 73]، وفي وصف النار: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُفُّوا عَلَى النَّارِ﴾ [الأنعام: 27]؛ يقول حازم القرطاجني (ت 684هـ): « إنما يحسن الحذف لقوة الدلالة عليه، أو يُقصد به تعديد أشياء؛ فيكون في تعدادها طول وسامة فيُحذف ويكتفى بدلالة الحال، وتترك النفوس تجول في الأشياء المكتفى بالحال عن ذكرها» ² وقال: « ولهذا القصد يُؤثر في المواضع التي يراد بها التعجب والتهويل على النفوس» ³.

د- تقاصر الزمن عن الإتيان بالمحذوف: ويكون ذلك في أساليب الإغراء والتحذير؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ [الشمس: 13]؛ ف"ناقة الله" تحذير؛ أي احذروا ناقة الله فلا تقربوها، و"سقيهاها": إغراء، بتقدير: "الزموا سقيا ناقة الله".

ر- كونه لا يصلح إلا له: ومن ذلك قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الأنعام: 73]، وقوله تعالى: ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: 107، البروج: 16]؛ فهاتان الصفتان لا تصلحان إلا لله تعالى، ولذلك حُذف اسم الجلالة من الآيتين.

¹ - سيبويه، كتاب سيبويه: 2 / 130.

² - حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي: بيروت، ط: 3، 1406هـ- 1986م: 391.

³ - المصدر نفسه: 391.

س- صيانتته عن الذكر تشريفاً له: ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (23) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (24) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (25) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (26) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (27) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشعراء: 23-28]؛ حيث حُذف المبتدأ في ثلاثة مواضع قبل ذكر الرب عز وجل؛ فالتقدير: "هو رب السموات والأرض...والله ربكم...والله رب المشرق والمغرب..."؛ لأن موسى - عليه الصلاة والسلام - استعظم جرأة فرعون على السؤال، فاقتصر على ما يُستدل به من أفعاله الخاصة به ليعلمه أنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وعلى النقيض من ذلك قد يُلجأ للحذف صيانة للسان عن ذكر المحذوف تحقيراً له؛ كقوله تعالى: ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمِيٌّ﴾ [البقرة: 18]؛ أي: هم أو المنافقون.¹

ن- التوسع في المعنى: ويكثر الحذف لهذا الغرض في القرآن الكريم؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 4]؛ والتقدير: "على العبادة"، أو "على الأمور كلها"، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ [يونس: 25]؛ أي كل واحد،² وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ [الضحى: 7]؛ أي هداك وهدى بك.

ه- شهرة المحذوف حتى يكون ذكره وعدمه سواء: وهو نوع من دلالة الحال التي هي أنطق من لسان المقال؛ ومن ذلك قراءة حمزة بن حبيب الزيات (ت156هـ) لقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: 1]؛³ حيث قرأ حمزة بخفض الميم لشهرة هذا المقام بتكرير الجار فقامت الشهرة مقام الذكر، ومن ذلك أيضاً قول رؤية بن العجاج (ت145هـ): "خير"، في جواب من قال له: "كيف أصبحت؟".⁴

و- قصد البيان بعد الإبهام: وذلك كالحذف بعد فعل المشيئة؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ﴾ [النحل: 9]؛ أي: ولو شاء هدايتكم لهداكم، وغالبا ما يقع هذا النوع من الحذف بعد أداة الشرط؛ لأن

¹ - ينظر: الزركشي، البرهان: 105 / 3 - 108.

² - ينظر: مرشد سعيد محمود، الحذف والتقدير في القرآن الكريم، مخطوط رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية بباكستان، 1410هـ - 2010م: 8.

³ - ينظر: ابن مجاهد البغدادي (أبو بكر أحمد بن موسى التميمي)، السبعة في القراءات، تح: شوقي ضيف، دار المعارف: مصر، ط: 2، 1400هـ - 1980م: 226.

⁴ - ينظر: الزركشي، البرهان: 108 / 3.

مفعول المشيئة المذكور في جوابها، وقد يقع الحذف مع غيرها استدلالا بغير الجواب؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: 255].¹

وإنما اطرء حذف مفعول المشيئة والإرادة لأنه يُذكر في الجواب أبدا؛ فقوله تعالى - مثلا - : ﴿قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾ [فصلت: 14]؛ معناه: "لو شاء ربنا إرسال الرسل لأنزل ملائكة".

ي- قصد الإبهام: قد يقصد المتكلم إلى الحذف جلبا لانتباه السامع وحصره لتركيزه حتى لا ينصرف ذهنه إلى تفاصيل لا يُرغب له فيها، فضلا عما فيه من إيجاز العبارة وإطلاق معناها دون تقييدها بالمحذوفات، ومن ذلك - مثلا - قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَحْصَيْتُمْ﴾ [البقرة: 196]؛ حيث حُذف الفاعل وأُسند الفعل لنائبه لأن الشارع الحكيم إنما يريد ترتيب الحكم على مطلق وقوع الإحصار دون التطرق إلى ذكر فاعله الذي قد يؤثر اختلافه في الحكم؛ ومثل ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء: 86]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المجادلة: 11].

وقد يُحذف المفعول لعدم أهميته في سياق الكلام ولتركيز انتباه السامع على حال الفاعل؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ (23) فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: 23-24]؛ فحُذف المفعول في خمسة مواضع: الإبل أو الغنم في موضع، والماء في أربعة مواضع؛ لأن هاتيه المفاعيل ليست لها أهمية تُذكر في هذا السياق؛ لأن السياق إنما يركز على صفة السقي وصفة الذیاد، ولا علاقة في ذلك لكون المسقي أو المذود إبلا أو غنما.² ومثل ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: 258]؛ فالمهم في هذا السياق هو أنه سبحانه وتعالى هو وحده من يحيي ويميت أيا كان هذا الشيء الذي يحييه ويميته، وهذا النوع من الحذف قد سماه بعض النحويين والبلاغيين بالحذف اقتصارا؛ وهو الحذف لغرض الإعلام بمجرد إيقاع الفاعل للفعل من غير تعيين من أوقع عليه.

¹ - ينظر: السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر)، الإتيقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، ط: 4، 1394هـ-1974م: 192/3.

² - ينظر: حمودة، ظاهرة الحذف: 108.

* الدراسة التطبيقية:

1- حذف الحرف في القرآن الكريم:

نظرا لكون الحرف من العوامل الضعيفة فإن حذفه لا يكون إلا في مواضع قويت فيها الدلالة وكثر فيها استعمال تلك العوامل، وهذا الحذف قد يكون للحروف الداخلة على الجملة أو الحروف الداخلة على المفرد:

أ- حذف الأداة الداخلة على الجملة: من ذلك - مثلا - حذف أداة الاستفهام؛ وحذف أداة الاستفهام قد يُقطع به نتيجة توافر قرائن لفظية تدل عليه كما في قول عمر بن أبي ربيعة "من الطويل":
فو الله ما أدري وإن كنت داريا ** بسبع رمين الجمار أم بثمان؟¹
فالتقدير: "أبسبع...؟"، وذلك لاشتغال الجملة على "أم". وقد يكون الحذف للتوسع وإثراء المعنى كما في قول الكميت "من الطويل":

طربت وما شوقا إلى البيض أطرب ** ولا لعبا مني، وذو الشيب يلعب!²
فبعض النحاة يقدر همزة محذوفة للإنكار أو التعجب؛ والتقدير: "أو ذو الشيب يلعب؟!"، مع أن العبارة تحتل أيضا في هذا السياق أن تكون إخبارا حقيقيا؛ أي: أتنزه عن اللعب، مع أن ذا الشيب قد يلعب.³

ومن هذا القبيل قراءة ابن أبي عبله (ت 152هـ) - وهي قراءة شاذة - : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ [البقرة: 217]،⁴ والتقدير: "أيجوز قتالٌ فيه؟"، والجملة في محل جر بدل من "الشهر الحرام"، وهذه القراءة سائغة نحويا ودلاليا؛ إلا أن قراءة الجمهور بالجر أنسب للسياق؛ فظاهر من السياق أن الصحابة لا يتساءلون عن حكم القتال في الشهر الحرام، فإن ذلك معلوم لديهم، وإنما هم المشركون استنكروا قتالا وقع من طرف بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم - كما ورد في أسباب النزول - ، فتقدير الآية: "يسألونك عن الشهر الحرام عن قتال وقع فيه"، فأجابهم سبحانه وتعالى أن الكفر به والصد عن سبيله أعظم جرما من قتال وقع في الشهر الحرام.⁵

¹ - سبق تخريجه، ينظر: ص: 147.

² - سبق تخريجه في الصفحة نفسها.

³ - ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب: 1/ 20-21.

⁴ - ينظر: القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد)، تفسير القرطبي، تح: أحمد البردوني - إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية: القاهرة، ط: 2، 1384هـ - 1964م: 3/ 44.

⁵ - ينظر: المصدر نفسه: 3/ 40-43.

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي...﴾ [الأنعام: 76]؛ حيث يرى الأخفش - وتبعه على ذلك كثير من النحاة والمفسرين - أن التقدير في الآيات الثلاث: "أهذا ربي..." مستدلين على ذلك بما ورد عن العرب كقول أبي خراش الهذلي "من الطويل":

رفوني وقالوا يا حويلد لا تُرْع ** فقلت وأنكرت الوجوه هُم هُم؟¹

أي: "أهْم هُم؟".

ورد ذلك ابن الأنباري قائلا: « وهذا لا يجوز إلا حيث يكون ثم فاصل بين الخبر والاستفهام إن دل دليل لفظي كوجود "أم..."²؛ وذلك كقوله تعالى: ﴿أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: 34] أي: "أفهم الخالدون؟"، وقول الأخطل "من الكامل":

كذبتك عينك أم رأيت بواسط ** غلَسَ الظلام من الرِّياب خيالاً؟³

يريد: "أكذبتك؟".

وقول الأسود بن يعفر "من الطويل":

لعمرك ما أدري وإن كنت داريا ** شعيت بن سهم أم شعيت بن منقر؟⁴

يريد: "أشعيت؟".

وقد قيل في هذه الآية عدة أقوال منها: أن هذا القول من إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - كان منه في مهلة النظر وحال الطفولة وقبل سن التكليف؛ فلا يكون ذلك كفرا منه، وقيل: إن في هذا السياق حذفاً وتقدير الكلام: "هذا ربي على قولكم"، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَدْنَاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾ [فصلت: 47]؛ وهو جل وعلا واحد لا شريك له، فالمعنى أين شركائي على قولكم، فإبراهيم - عليه الصلاة والسلام - يستعرض أقوالهم الباطلة ثم يفندوها بالحجج والبراهين.⁵

ونحن نستبعد القول الأول؛ فمن البعيد أن يأتي زمان على سيد الخفاء والموحدين بعد محمد - عليهم الصلاة والسلام - لا يعرف فيه ربه، ولهذا فإن سياق هذه الآيات يحتاج إلى تقدير محذوف؛ إما التقدير الذي ذكرناه للتو، أو تقدير أداة استفهام: "أهذا ربي!..."، والغرض من هذا الاستفهام الإنكار والتوبيخ؛

¹ - ينظر: الشعراء الهذليون، ديوان الهذليين: 144 / 2.

² - ينظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط: 565 / 4.

³ - "العَلَس": ظلمة آخر الليل، "الرِّياب": اسم امرأة منقول من اسم السحاب، ينظر: الأخطل (أبومالك غياث بن غوث التغلبي)، الديوان، تح: مهدي ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 2، 1414هـ - 1994م، ص: 245، السيوطي، شرح شواهد المغني: 144 / 1.

⁴ - الأسود بن يعفر النهشلي، الديوان، تح: نوري حمودي القيسي، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة: مطبعة الجمهورية: بغداد، 1390هـ - 1970م، (د، ط)، ص: 37، وينظر: سيبويه، كتاب سيبويه: 175 / 3.

⁵ - ينظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط: 565 / 4.

أي: "أمثل هذا يكون ربا؟!!"، أما ما ذكره ابن الأنباري من أنه لا يجوز تقدير أداة الاستفهام إلا بوجود قرينة لفظية تدل على معنى الاستفهام فإن هذا مما لانسلم له به؛ لأن القرينة المعنوية التي استدللنا بها وهي قرينة عصمة الأنبياء من الشرك بالله أقوى من القرينة اللفظية التي ينبغي وجودها، لذلك فإنه يُستغنى عنها في مثل هذا السياق.

ومما يسوغ فيه تقدير همزة الاستفهام قوله تعالى: ﴿وَدَا التُّونَ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: 87]؛ فقله جل وعلا: ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ يحتل ثلاثة معان وكلها واردة والله أعلم؛ فأحدها: أنه ظن أن لن نقضي عليه بالعقوبة، والعرب تستعمل "قَدَّرَ" بمعنى "قَدَّرَ"؛ يقول أبو صخر الهذلي "من الطويل":
ولا عائدا ذاك الزمان الذي مضى ** تباركت ما تُقَدِّرُ يكن ولك الشكر¹
أي: ما تُقَدِّرُ.

وثانيها: فظن أن لن نصيق عليه؛ فالعرب تقول: "قَدَّرَ عليه" بمعنى ضيق عليه والدليل قوله تعالى: ﴿فَقَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ [الفجر: 16] أي: ضيق عليه، فكأن يونس - عليه السلام - قد ظن أن الله تعالى قد وسع عليه في أمر الرسالة إن شاء أن يقيم بين قومه وإن شاء أن يخرج.²
وثالثها: "أفطن أن لن نقدر عليه؟"، وهو استفهام إنكاري يُراد به التوبيخ والتأنيب؛ أي: "أفطن أن لن نقضي عليه بالعقوبة"، أو: "أن لن نصيق عليه".³ ويجوز حملا على لسان الحال لا لسان المقال: "أفطن أنه يعجز ربه فلا يقدر عليه بفعلته تلك"؛ والذي يؤيد تقدير الاستفهام الإنكاري في الآية الكريمة سياق قصة يونس عليه السلام؛ فإنه لما أوعده قومه بالعذاب بعد ثلاث لجؤوا إلى الله عز وجل واستغفروه فُرفع عنهم العذاب،⁴ فانطلق هو مغاضبا من قومه دون إذن من الله عز وجل، فكأنه بفعلته هذه ظن أن عقوبة الله عز وجل لا تدركه ولم يقصد هذا الظن قصدا، ولما لم يقصد هذا الظن ناسب ذلك أن يؤتى بالاستفهام الإنكاري.

¹ - لم أعثر عليه في ديوان الهذليين، ينظر: الثعلبي (أبو إسحاق أحمد بن محمد)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تح: أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي: بيروت ط: 1، 1422هـ - 2002م: 6 / 302.

² - ينظر: ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن)، زاد المسير في علم التفسير، تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي: بيروت، ط: 1، 1422هـ - 2002م: 3 / 209.

³ - ينظر: القرطبي، تفسير القرطبي: 11 / 332. ويُنسب هذا القول إلى سليمان بن المعتز، وحكى القاضي منذر بن سعيد أن بعضهم قرأ: "أفطن" بالألف.

⁴ - المصدر نفسه: 11 / 330.

ومن جهة أخرى فإن الإتيان بلفظ التقدير الذي يحتمل المعنيين السابقين فيه إشارة إلى أن خروج يونس - عليه السلام - من قومه له سببان: سبب مباشر وسبب غير مباشر؛ فالسبب المباشر هو ظنه أنه في متسع من أمره بعد أن أنذر قومه بوقوع العذاب فيهم بعد ثلاثة أيام؛ إن شاء بقي معهم وإن شاء فارقهم دون إذن من الله عز وجل، فهذا المعنى ناسبه الأسلوب الخبري الذي يفيد القطع والتقرير، والسبب غير المباشر هو ظنه أن العقوبة لن تدركه بفراره من قومه - دون التريث حتى يأذن الله عز وجل له - فناسب هذا المعنى أن يُؤتى بالاستفهام الإنكاري الذي يُنكر به على الفعل - وهو الفرار خوفا من عقوبة الله عز وجل التي ستحل بقومه - دون إذن مسبق من الله سبحانه وتعالى.

ونحن إذ نلجأ إلى التقدير في النص القرآني لا ننسى أنه خلاف الأصل؛ إذ الأصل في الكلام حمله على ظاهره إلا لقربة. فهو إما أن يُحمل على الجواز من باب التوسع وإثراء معاني النص، وهو من سمات الإعجاز البلاغي للنص القرآني؛ حيث يؤدي عدة معان بأوجز لفظ وأقصر عبارة، وكل هذه المعاني مرادة له، وإما أن يُضطر إليه اضطرارا إذ لا مناص منه.

ومن ذلك - مثلا - قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: 22]؛ فقد تعددت أقوال العلماء والمفسرين في هذه الآية الكريمة؛ فمنهم من رأى أن هذا إقرار من موسى - عليه الصلاة والسلام - بالنعمة؛ فكأنه يقول: "وتريتك لي نعمة علي حيث عبَّدت غيري واتخذتني ولدا، ولكن ذلك لا يرد رسالتي"، وهذا ما ذهب إليه السدي (128هـ) والطبري وأبو حيان،¹ ومنهم من رأى أن هذا من موسى - عليه السلام - على جهة الإنكار منه أن تكون نعمة؛ فكأنه يقول: "أو يحق لك أن تمن علي نعمة ترك قتلي من أجل ظلمك لبني إسرائيل واستعبادهم!؟"، فهذه ليست بنعمة إذ كان الواجب عليك أن لا تقتلهم و لا تستعبدهم،² ويؤيد هذا التأويل قراءة الضحاك (102هـ): {وتلك نعمة مالك أن تمنها}.³

ومجوز أيضا احتكاما إلى السياق الذي وردت فيه الآية أن تكون على تقدير استفهام محذوف؛ أي: "أو تلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل؟"؛ كقول عمر بن أبي ربيعة "من المنسرح":

لم أنس يوم الرحيل وقفقتها * * * وطرفها في دموعها غرق
وقولها والركاب واقفة * * * تتركني هكذا وتنطلق؟⁴

¹ - ينظر: أبو حيان، البحر المحيط: 8 / 148.

² - ينظر: القرطبي، تفسير القرطبي: 13 / 95.

³ - ينظر: ابن عطية (أبو محمد عبد الحق الأندلسي)، المخرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1422هـ - 2001م: 4 / 228.

⁴ - لم أعثر عليه في ديوانه، ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير: 3 / 337.

أي: "أتركي هكذا وتنطلق؟".

وقد رد النحاس (ت 338هـ) هذا التقدير مدعيا أنه لا يجوز تقدير همزة الاستفهام إلا بقرينة لفظية كوجود "أم" مثلا؛ كقول امرئ القيس "من المتقارب":

تروح من الحي أم تبتكر؟ ** وماذا يضرك لو تنتظر¹

أي: أتروح؟، وهذا الرد منه غير سائغ؛ لأن قرينة السياق في الآية الكريمة قد قامت مقام القرينة اللفظية، وهي التي سوغت لنا تقدير أداة الاستفهام.

وكل هذه الأقوال واردة ويميزها سياق الآية الكريمة وهذا من مظاهر الثراء الدلالي للنص القرآني، إلا أننا نرى أن أنسب ما يمكن أن نُحمل عليه الآية الكريمة بنيويا ووظيفيا أنها خرجت مخرج التبكيث والتبكيث يكون باستفهام وبغير استفهام،² وبالتالي فإننا لسنا بحاجة إلى تقدير أداة استفهام طالما أنه يمكن حمل الآية على ظاهرها؛ فقد أبكت موسى - عليه السلام - فرعون بالحجة المسكتة، ففي الشطر الأول من الآية الكريمة أقر له أن صنيعه معه هو بالفعل منة ونعمة، ولكنها منة ونعمة في إطار منطق فرعون الإبادي تجاه بني إسرائيل، فإبقاء رجل منهم على قيد الحياة هو نعمة ومنة ضمن هذا الإطار الدموي؛ فبأوجز عبارة أسكت موسى - عليه السلام - فرعون واضطره إلى تغيير مجرى الحوار إلى موضوع آخر.

أما قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ﴾ [محمد: 15]؛ فالحالة هنا تختلف عما سبق؛ حيث تتصافر قرينة السياق مع القرينة اللفظية وهي كاف التشبيه في قوله تعالى: ﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ...﴾ على حتمية تقدير همزة الاستفهام في صدر الآية الكريمة؛ فسياق السورة من أولها إلى آخرها مبني على المقابلة والمفارقة بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، فالناس قسمان لا ثالث لهما: مؤمن تقي أو كافر شقي. يقول سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالُهُمْ (1) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (2) ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ (3) فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَنْخَسْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (4) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (5) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ (6) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِ

¹ - امرؤ القيس، الديوان: 105.

² - ينظر: القرطبي، تفسير القرطبي: 13/ 96.

تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (7) وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ (8) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَخْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (9) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا (10) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ (11) إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿[محمد: 1 - 12].

ثم أنكر سبحانه التسوية بين من كان على هدى من ربه ومن اتبع هواه وزين له سوء عمله، وأردف ذلك بالإنكار على التسوية بين الجنة ونعيمها والنار وجحيمها، وكأن من سوى بين الفريقين لزمه بمنطقه التسوية بين الجنة والنار، وأنى يكون ذلك؟! يقول تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (14) مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَعْفَرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ (15) وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفًا وَلِلَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (16) وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: 14 - 17].

وإنما حذفت أداة الاستفهام للمبالغة في تصوير مكابرة من يسوي بين المؤمن والكافر حتى كأنه يسلم له ما ينطوي تحت تلك التسوية من تسوية بين الجنة ونعيمها والنار وجحيمها،¹ وهذا ما يرده المنطق السليم فيكون عرضه ردا له، ونظير هذا قول حضرمي بن عامر "من المنسرح":

إِنْ كُنْتُ أَرْزَنْتَنِي بِهَا كَذِبًا ** جَزَاءُ فَلَاقِيَتْ بَعْدَهَا عَجَلًا
أَفْرَحُ أَنْ أُرْزَأَ الْكَرَامَ وَأَنْ ** أُوْرَثَ دَوْدًا شَصَائِصًا نُبَلًا؟!²

فأنكر فرحه برزية الكرام ووراثه الذود ردا على من قال له: "أفرح بموت الكرام ووراثتهم؟!"، وحذف حرف الإنكار مبالغة في تصوير قبح ما أتهم به؛ فهو من التسليم الذي تحته كل إنكار.³
أما ما ذهب إليه سيبويه من أن الخبر محذوف تقديره: "فيما يُتلى عليكم مثل الجنة"؛⁴ فيبدو لنا أنه تكلف بعيد لا يرتضيه السياق، وينجر عنه فك الارتباط والتناسب بين هذه الآية والآية التي قبلها، ومثله في البعد ما ذهب إليه ابن عطية (ت 542هـ) من أن الخبر محذوف تقديره: "ظاهر"؛ فكأنه قيل: "مثل"

¹ - ينظر: الزمخشري، الكشاف: 4 / 321.

² - "أَرْزَنْتَنِي": أتهمني، "شَصَائِص": جمع "شَصُوص" وهي الناقة قليلة اللبن، "النُّبَل": الصغار الأجسام، وقيل: "النُّبَل": جمع "نُبْلَة" وهي ما يُتناول من الأرض من حجارة ونحوها، ينظر: البغدادى، خزانة الأدب: 3 / 429، ابن منظور، لسان العرب: 11 / 641.

³ - ينظر: الزمخشري، الكشاف: 4 / 321.

⁴ - ينظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط: 9 / 466.

الجنة ظاهر في نفس من وعى هذه الأوصاف"،¹ ونستبعد أن تكون كلمة "مثل" هنا بمعنى "صفة"؛ لأن ذلك يعني أن تكون الآية غير داخلية في حيز الاستفهام الإنكاري الذي صُدّرت به الآية التي قبلها، وهذا ما يؤدي إلى عدم الانسجام والتناسب الدلالي بين الآيتين.

ب- حذف الأداة الداخلة على المفرد:

من حذف الأدوات الداخلة على المفرد ما يُسمى بنزع الخافض وهو ثلاثة أصناف؛ نزع الخافض القياسي، ونزع الخافض السماعي المطرد، ونزع الخافض السماعي غير المطرد، وسنكتفي بإيراد بعض النماذج فقط لكل صنف من هذه الأصناف الثلاثة.

1- نزع الخافض القياسي في القرآن الكريم:

من ذلك - مثلاً - قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: 25]؛ حيث ذهب جمهور النحاة والمفسرين إلى أن الأصل في قوله تعالى: ﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾ أن يكون مجروراً بالباء؛ لأن "بشّر" يتعدى إلى مفعولين، الأول: يتعدى إليه بنفسه، والثاني يتعدى إليه بالباء، ثم اختلفوا في موضع "أن" ومعمولها؛ فمنهم من ذهب إلى أنها في موضع نصب لأنه لما حُذف حرف الجر اتصل الفعل بما بعده فنصبه، وسموه "المنصوب بنزع الخافض"، وذهب آخرون إلى أنها في موضع جر؛ لأن الجر هو الأصل فيبقى منوياً ومقدّراً بعد الحذف كأنه موجود.²

ولعبد الجبار فتحي زيدان مذهب مخالف لما عليه النحاة في هذا؛ حيث يرى أن المصدر المؤول هو غير المصدر الصريح؛ لأن المصدر المؤول يدل على الذات والحدث والزمن بخلاف المصدر الصريح الذي يدل على الحدث فحسب.³ وتبعاً لهذا فإن كلا من "أن" و"أنَّ" لم تُستعمل لغرض المصدرية بل لغرض الوصل إلى الجملة الاسمية والفعلية، إلا أنهم لما أرادوا تأكيد الاسم الذي يليها شددوا النون، وهذا ما اقتضى نصب الاسم فتكون "أنَّ" الثقيلة أُستعملت لغرضين: الوصل إلى الجملة الاسمية وتوكيد مبتدأ هذه الجملة. كما استغنت الجملة المصدرية بـ "أنَّ" أو "أن" عن الباء لاشتغالها عن دلالة التفسير، إلا إذا جيء بها لغرض إلصاق معنى الفعل بمضمون الجملة المفسّرة كقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: 47].

¹ - ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز: 5 / 114.

² - ينظر: القرطبي، تفسير القرطبي: 1 / 239.

³ - ينظر: ابن قيم الجوزية (أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر)، بدائع الفوائد، (د، تح)، دار الكتاب العربي: بيروت، (د، ط - د، ت): 1 / 92 - 93. ابن هشام، مغني اللبيب: 1 / 44 - 45.

والذي يدل على أن الخافض أستخدم لحاجة السياق لدلالته استعمال "على" بدلا من "الباء" في قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَبَشِّرْهُم بِأَنْ يَكُونَ لَهُمْ كَبِيرٌ ﴾ [الحجر: 54] أي: "أبشروني بأن يُولد لي غلام على الرغم من كبر سني"، فلو أستخدمت "الباء" لما أدت هذا المعنى.¹

وما ذهب إليه "عبد الجبار زيدان" رأي وجيه، إلا أننا نرى أن المشكل الجوهرى ليس في عدم التفريق بين المصدر المؤول والمصدر الصريح، وإنما جوهر القضية في عدم التفريق في التحليل الوظيفي بين المستوى الإفرادي والمستوى الجملي؛ فالفعل "بشّر" وأضرابه يفتقر في المستوى الإفرادي إلى مفعولين يتعدى إلى الأول منهما مباشرة وإلى الثاني بواسطة حرف الجر، أما على المستوى الجملي فإنه يفتقر إلى مفعولين يتعدى إليهما مباشرة بدون حاجة إلى حرف الجر، وقد يتطلب السياق أحيانا وجود حرف الجر لإفادة معنى التوكيد.

فلو قارنا - مثلا - بين قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ [البقرة: 25]، وقوله تعالى: ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء: 138]، وقوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾ [الأحزاب: 47] لوجدنا أن السياق الذي وردت فيه الآيتين الأخيرتين يختلف عن سياق الآية الأولى؛ فأية النساء جاءت في سياق ذم المنافقين والتشجيع بأعمالهم القبيحة، وهذا بدءا من الآية 137 إلى الآية 145، فافتضى هذا المقام المجيء بالباء من أجل تأكيد استحقاق العذاب لهم.

أما آية الأحزاب فقد جاءت في مقام مدح المؤمنين والتفضل عليهم ببعثة خاتم النبيين - صلى الله عليه وسلم - بدءا من الآية 40 حتى الآية 47 فافتضى هذا المقام المجيء بالباء من أجل تأكيد استحقاق المؤمنين للتفضل الكبير من ربهم عز وجل، ويختلف الأمر تماما في آية البقرة فإنها لم تأت في سياق مدح المؤمنين، ولذلك لم يكن هناك حاجة للمجيء بالباء التي تفيد التوكيد.

ولعل الذي يؤيد ما ذهبنا إليه أن العرب أحيانا تضطر في شعرها إلى تعدية الفعل إلى مفعولين دون حاجة إلى حرف الجر؛ وذلك حملا منها للمستوى الإفرادى على المستوى الجملي كما جاء في قول عمرو بن معد يكرب الزبيدي "من البسيط":

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به * فقد تركتك ذا مال وذا نَشَبٍ²

¹ - ينظر: عبد الجبار فتحي زيدان، النصب على نزح الخافض والتضمين من بدع النحاة والمفسرين، مكتبة الجيل العربي: الموصل - العراق، ط: 2، 1430هـ - 2010م، ص: 36-37.

² - "النَّشَب": المال الثابت كالضياح ونحوها، وقيل: "النَّشَب" جميع المال، ينظر: عمرو بن معدي كرب الزبيدي، الديوان، تح: مطاع الطرايشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط: 2، 1405هـ - 1985م، ص: 63.

2- قال الله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ [النساء: 127].

قد يتبادر للكثيرين أن جملة "أن تنكحوهن" في محل نصب بنزع الخافض كما يقول النحاة؛ ذلك أن فعل "الرغبة" يتعدى غالبا بحرفين هما: "في" أو "عن"؛ فرغب في الشيء: أراده وسعى في تحصيله، ورغب عنه: أعرض عنه وزهد فيه. ولكننا لا نستطيع معرفة المحل الإعرابي لهذه الجملة دون فقه لمعنى الآية ومعرفة سبب نزولها؛ قال ابن جرير الطبري متحدثا عن سبب نزول الآية: « قال سعيد بن جبير: وكان الولي إذا كانت المرأة ذات جمال ومال رغب فيها ونكحها واستأثر بها، وإذا لم تكن ذات جمال ومال أنكحها ولم يَنْكِحْهَا».¹

فلما كان الحكم الشرعي واحدا في الحالتين "الرغبة فيهن" أو "الرغبة عنهن" أريد تأدية المعنيين معا، ولذلك حُذف الحرف لإطلاق الرغبة، وبالتالي فإن الجملة في محل نصب على المفعولية ولا يصح القول بأنها في محل نصب بنزع الخافض.²

2- نزع الخافض السماعي المطرد في القرآن الكريم:

قد يُحذف حرف الجر مع بقاء معموله شذوذا كما حُكي عن رؤية أنه قيل له: "كيف أصبحت؟" فقال: "خير، عافاك الله"؛ أي: بخير، وكقول الشاعر "من الطويل":

إذا قيل: "أي الناس شرُّ قبيلة" ** أشارت كليب بالأكف الأصابع³

أي: "إلى كليب"، وقول الآخر "من الكامل":

وكرمة من آل قيس ألفتُهُ ** حتى تَبَدَّخَ فارتقى الأعلام⁴

أي: إلى الأعلام. ويُحذف مع نصب معموله كثيرا؛ كقول ساعدة بن جؤيَّة "من الكامل":

لَدُنْ هَجْرَ الْكَفِّ يَعْسِلُ مَتْنُهُ ** فيه، كما عَسَلَ الطَّرِيقُ الثَّلَبُ⁵

أي: عسل في الطريق.

وقول المتلمس الضبعي "من البسيط":

¹ - الطبري، تفسير الطبري: 255 / 9.

² - ينظر: فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني، دار عمار: عمان- الأردن، ط: 4، 1427هـ- 2007م، ص: 186.

³ - يُنسب البيت للفرزدق ولم أعثر عليه في ديوانه.

⁴ - لا يُعرف قائله، "ألفتُهُ": أعطيته ألفا، "تَبَدَّخَ": تكبر وعلا وشرف، "الأعلام": جمع "عَلَم" وهو الجبل، ينظر: العيني، المقاصد النحوية: 1271 / 3.

⁵ - "لَدُنْ": لان ونعم، "مَتْنُهُ": المراد ظهر الرمح وصدرة، "يَعْسِلُ": عَسَلَ الثَّلَبُ: اضطرب في عدوه وأسرع، ينظر: ساعدة بن جؤيَّة الهذلي، الديوان، تح: ميساء قتلان، مخطوط رسالة ماجستير في الآداب، جامعة دمشق: 1424هـ- 2003م، ص: 171، وينظر: القيسي، إيضاح شواهد الإيضاح: 213 / 1.

آلَيْتُ حَبَّ الْعِرَاقِ الدَّهْرَ أَطْعُمُهُ ** والحب يأكله في القرية السوس¹

أي: آليت على حبّ العراق.

وقول جرير "من الوافر":

تمرون الديارَ ولم تعوجوا ** كلامكم عليّ إذا حرام²

أي: تمرون على الديار.

والأفعال التي ذكرها النحاة في باب النصب على نزع الخافض السماعي المطرد هي: اختار، واستغفر، وأمر، وأنبأ، وحدّث، ودخل، وزوّج، وسكن، وسمّى، وشكر، وصد، وكال، ومسح، ونبأ، ونصح، وهدى، ووزن. وسنكتفي بذكر بعض النماذج فقط من القرآن الكريم على سبيل التمثيل لا الحصر.³

1- قال الله تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا﴾ [الأعراف: 155].

لما كان الفعل "اختار" يتعدى إلى مفعولين أحدهما يتعدى إليه بنفسه، والثاني يتعدى إليه بحرف الجر ذهب جل النحاة والمفسرين إلى أن "قومه" منصوب بنزع الخافض؛ والتقدير: "اختار موسى من قومه سبعين رجلاً".⁴ ولا نشاطهم هذا الرأي، وإن كان هذا الوجه الإعرابي سائغاً يقتضيه السياق فإن هناك أوجه أخرى تتلاءم والدلالات المترشحة عن هذا النص القرآني.

فمن هذه الأوجه الإعرابية أن ينتصب "قومه" على المفعولية ويكون "سبعين" بدلاً منه؛ فقد جاء في كتب التفسير أن الله سبحانه وتعالى أوجب التوبة على جميع بني إسرائيل، ولما كان من المتعذر أن يذهبوا جميعهم إلى أرض الميقات جاز لتحقيق توبتهم أن ينوب عنهم من يمثلهم ويتكلم بلسانهم؛ فاختار موسى - عليه السلام - من كل سبط من أسباط بني إسرائيل ستة رجال فكانوا اثنين وسبعين رجلاً تخلف منهم رجلان. ولم تكن الغاية أن يتوب الله على السبعين رجلاً فحسب، بل الغاية أن يتوب على كل بني إسرائيل بعد أن مثلوا عنهم من يدعو بلسانهم، فكان موسى - عليه السلام - قد اختار قومه كلّهم وليس سبعين رجلاً منهم فقط.⁵

وباعتبار آخر يمكن أن ينتصب "قومه" على المفعولية؛ وذلك أن موسى - عليه الصلاة والسلام - ما كان ليختار من قومه إلا أحشاهم لله وأصلحهم وأتقاهم، وهؤلاء هم قومه حقيقة فهم أنصاره وحواريوه،

¹ - "آلَيْتُ": حلفت - أقسمت، ينظر: المتلمس الضبعي، الديوان، رواية الأثرم وأبي عبيدة عن الأصمعي، تح: حسن كامل الصيرفي، دار صادر: بيروت، 1390هـ - 1970م، (د، ط)، ص: 95.

² - جرير، الديوان: 278.

³ - ينظر: زيدان، المنصوب على نزع الخافض: 49.

⁴ - ينظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط: 4 / 504.

⁵ - ينظر: زيدان، المنصوب على نزع الخافض: 49، 50.

أما الآخرون وإن كانوا من قومه باعتبار انتسابهم إليه فليسوا منهم باعتبار أعمالهم وما اقترفوه من ذنوب ومعاصي.

2- قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: 199]، وقوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ﴾ [يوسف: 29]، وقوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [غافر: 55]، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾.

يقول السمين الحلبي (ت 756هـ) في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: 199]: «قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾؛ "استغفر" يتعدى لاثنتين أولهما بنفسه والثاني بـ"من"؛ نحو: "استغفر الله من ذنبي"، وقد يحذف حرف الجر كقوله "من البسيط":

أستغفر الله ذنبا لست محصيه * رب العباد إليه الوجه والعمل¹

هذا مذهب سيويوه وجمهور الناس².

فقد تتابع جمهور النحويين على اعتبار الفعل "استغفر" ينصب مفعولين؛ الأول بنفسه والثاني بنزع الخافض، غير أن المتتبع لحقيقة الشواهد القرآنية يلاحظ أن هذا الفعل يتعدى إلى ثلاثة مفاعيل؛ فيتعدى للثاني أو الثالث تارة بنفسه وتارة باللام أو "من" حسب ما يقتضيه معنى السياق الذي ورد فيه الفعل؛ كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ [يوسف: 97]، فالمفعول الأول محذوف للعلم به وهو لفظ الجلالة، والمفعول الثاني تُعَدِّي إليه بواسطة اللام، والمفعول الثالث هو "ذنوبنا".

وفي قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [غافر: 55] تعدى الفعل إلى مفعولين؛ الأول محذوف والثاني بواسطة اللام، وأما ما قيل من أن اللام هنا هي لام العلة لا لام التعدية فلا دليل عليه³ إذ أن علة الاستغفار هي محو الذنوب لا الذنوب في حد ذاتها، فكم من إنسان تصل ذنوبه إلى عنان السموات كثرة وهو لا يستغفر ربه سبحانه وتعالى.

3- قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ [البقرة: 58]، وقوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: 34].

ذهب كثير من النحويين والمفسرين إلى أن المفعول به بعد الفعل "دخل" منصوب على الظرفية بنزع الخافض وهو "في"، والحقيقة أن الفعل "دخل" يتعدى إلى المفعول تارة بنفسه وتارة بواسطة حرف الجر

¹ - البيت لا يُعرف قائله، ينظر: البغدادى، خزنة الأدب: 3/ 111، سيويوه، كتاب سيويوه: 37/ 1.

² - السمين الحلبي (أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: أحمد محمد خراط، دار القلم: دمشق، 1406هـ- 1986م، (د، ط): 2/ 336.

³ - ينظر: المصدر نفسه: 2/ 336-337.

حسب ما يقتضيه معنى السياق الذي ورد فيه الفعل؛ فلأصل في حرف الجر "في" أنه يفيد معنى الظرفية؛ فقولنا: "دخل زيد في الدار" يفيد أن الدار قد أحاطته واحتضنته فصار جزءاً منها تابعا لها، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الأنبياء: 86]¹، وقولنا: "دخل الرجل في دولتنا": أي أنه صار تابعا لنا خاضعا لنا متحكما فيه لا حاكما.

أما إذا تطلب السياق غير هذا المعنى فإنه لا يجوز تقدير الخافض؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ [البقرة: 58] فنُصبت القرية هنا على المفعولية لإفادة معنيين؛ الأول: اتساع دائرة الدخول لتكون من جميع الجهات والمنافذ يدخلون من أيها شاءوا؛ لأن الخطاب في الآية موجه إلى بني إسرائيل وهم اثني عشر قبيلة.²

الثاني: ورد في كتب التفسير أن القرية هنا هي بيت المقدس، وقيل: الأرض المقدسة، وهم قد أمروا بدخولها عنوة؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ ادْكُرُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (20) يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (21) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنْدْخُلُهَا حَتَّى يُخْرِجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (22) قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (23) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَنْدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَثَتُكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: 21-24].

فالغرض من دخول هذه القرية أن تكون الكلمة لهم وأن تخضع القرية لهم وذلك بأن تُسَيَّر بحكم الله عز وجل لا بحكم الكافرين، ولم يكن الغرض من دخولهم لها أن يكونوا مستضعفين فيها خاضعين لأهلها تابعين لهم في حكمهم. وهذا ما يدل عليه سياق الآية الكريمة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 58] ، فلو كان التعبير: "ادخلوا في هذه القرية" لأفاد خلاف هذا المعنى؛ أي ادخلوها ضمن سيطرة أهلها بأن تكونوا جزءاً منهم تابعين لهم خاضعين لحكمهم.

¹ - ينظر: عبد الجبار زيدان، النصب على نزع الخافض والتضمين: 57، 58.

² - المرجع نفسه: 58.

وهذا ما نلمسه أيضا في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: 34] فغدي الفعل مباشرة بدون حرف الجر للدلالة على أن دخول الملوك دخول عنوة وسيطرة وإخضاع لأهلها؛ فهو دخول من كل الجهات، لا دخول تبعية وخضوع.

4- قال الله تعالى: ﴿وَإِنِّي سَمِّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: 36].

يقول أبو حيان الأندلسي في إعراب هذه الآية: «وَسَمِّيَ» مِنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي تَتَعَدَّى إِلَى وَاحِدٍ بِنَفْسِهَا، وَإِلَى آخَرَ بِحَرْفِ الْجَرِّ، وَيَجُوزُ حَذْفُهُ، وَإِتْبَائُهُ هُوَ الْأَصْلُ؛ يَقُولُ: «سَمِّيْتُ ابْنِي بِرَيْدٍ»، وَ«سَمِّيْتُ زَيْدًا». قَالَ الشَّاعِرُ «مِنَ الْمُتْقَارِبِ»:

وَسَمِّيْتُ كَعْبًا بِشَرِّ الْعِظَامِ ** وَكَانَ أَبُوكَ يُسَمِّي الْجُعْلَ¹

أَيُّ: وَسَمِّيْتُ بِكَعْبٍ، وَيُسَمَّى: بِالْجُعْلِ، وَهُوَ بَابٌ مَقْصُورٌ عَلَى السَّمَاعِ². ولا ندري من أين جاءوا بهذه القاعدة؛ حيث لم يرد الفعل «سَمَّى» في القرآن الكريم إلا متعديا إلى مفعوليه بنفسه؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الحج: 78]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي سَمِّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: 36]، وقوله تعالى: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلاً﴾ [الإنسان: 18].

3- النصب على نزع الخافض السماعي غير المطرد في القرآن الكريم:

1- قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: 233].

ذهب جمهور النحاة والمفسرين إلى أن «أولادكم» منصوبة بإسقاط الخافض والتقدير: «أن تسترضعوا أولادكم»³. وذهب الزمخشري إلى أن «استرضع» يتعدى إلى مفعوليه بنفسه فيكون المفعول الأول محذوفا والثاني هو «أولادكم»؛ والتقدير: «أن تسترضعوا المراضع أولادكم»⁴.

يقول أبو حيان: «وَاسْتَفْعَلَ» هُنَا لِلطَّلَبِ؛ أَيُّ: طَلَبْتُ مِنَ الْمَرْأَةِ إِرضَاعَ الْوَلَدِ، كَمَا تَقُولُ: «اسْتَسْقَيْتُ زَيْدًا الْمَاءَ»، وَ«اسْتَطَعَمْتُ عَمْرًا الْحَبْزَ»، أَيُّ: طَلَبْتُ مِنْهُ أَنْ يَسْقِيَنِي وَأَنْ يُطْعِمَنِي، فَكَمَا أَنَّ الْحَبْزَ وَالْمَاءَ مَنْصُوبَانِ وَلَيْسَا عَلَى إِسْقَاطِ الْخَافِضِ، كَذَلِكَ: أَوْلَادُكُمْ، مَنْصُوبٌ لَا عَلَى إِسْقَاطِ الْخَافِضِ⁵، ويقول ابن منظور: «قَالَ ابْنُ بَرِّي: وَتَقُولُ: اسْتَرْضَعْتُ الْمَرْأَةَ وَلَدِي؛ أَيُّ: طَلَبْتُ مِنْهَا أَنْ تُرْضِعَهُ؛ قَالَ

¹ - يُنسب البيت للأخطل ولعبة بن الوغل التغلبي، ولم أعثر عليه في ديوان الأخطل، ينظر: أبو الحسن البصري علي بن أبي الفرج، الحماسة البصرية، تح: مختار الدين أحمد، عالم الكتب: بيروت، (د، ط - د، ت): 305 / 2.

² - أبو حيان، البحر المحيط: 119 / 3.

³ - ينظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 210 / 1.

⁴ - ينظر: الزمخشري، الكشاف: 278 - 279 / 1.

⁵ - أبو حيان، البحر المحيط: 508 / 2.

اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ﴾، وَالْمَفْعُولُ الثَّانِي مَحذُوفٌ؛ والتقدير: أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ مَرَضِعَ، وَالْمَحذُوفُ عَلَى الْحَقِيقَةِ الْمَفْعُولُ الْأَوَّلُ "...»¹.

ونرى أن قول الزمخشري وأبي حيان هو الأوجه لأنه يتماشى مع الأصول؛ لكون المحذوف على هذا القول هو المفعول الأول فقط؛ فالأصل في الكلام أن يُحمل على ظاهره ولا يُعدل به إلى التقدير دون دليل، أما على قول الجمهور فإننا سنلجأ إلى تقدير محذوفين اثنين هما: المفعول الأول واللام، كما أنه لا دليل على هذه اللام المحذوفة.

2- قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ [الأعراف: 74].

جاء في "الدر المصون": «قوله تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾: يجوز أن تكون «الجبال» على إسقاط الخافض؛ أي: من الجبال، كقوله تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾ [الأعراف: 155]، فيكون «بُيُوتًا» مفعوله. ويجوز أن يُضْمَنَ «تَنْحِتُونَ» معنى ما يتعدى لاثنيين؛ أي: "وتتخذون الجبال بيوتاً بالنحت أو تُصَيِّرُونَهَا بيوتاً بالنحت"، ويجوز أن يكون «الجبال» المفعول به و«بُيُوتًا» حالٌ مقدرة؛ كقولك: "خَطَّ هذا الشوب جُبَّةً"، أي: مقدراً له كذلك»².

ويبدو من خلال السياق الذي وردت فيه الآية أن الفعل "تَنْحِتُونَ" قد تعدى إلى مفعوليه بنفسه؛ إذ أن القول بأن الأصل في الكلام: "تنحتون من الجبال بيوتاً" لا ينسجم وسياق الآية الذي يتحدث عن تمكين الله تعالى لقوم ثمود في الأرض؛ حيث سخر لهم سبحانه الأرض بسهولها وجبالها فصاروا ينحتون من سهولها قصوراً وجبالها بيوتاً، وما أشتهر عنهم هو نحت الجبال بيوتاً حتى صار ذلك سمتهم البارزة، فبالغوا في ذلك مبالغة من يرجوا الخلود في الدنيا، ولما كان هذا هو المعنى المقصود استغني عن "من" لدلالاتها على التبعية وإيجائها بأنهم نحتوا جزءاً فقط مما حولهم من الجبال لا الجبال كلها.

أما تضمين "تنحتون" معنى "تتخذون" أو "تصيرون" فهو أبعد ما يكون عن الصحة؛ إذ لا دليل عليه سوى أن هذين الفعلين يتعديان إلى مفعولين، ولا ندري لماذا هذا التكلف من النحاة مع أن الفعل يتعدى بنفسه إلى مفعولين؟! أو لم تكفهم هذه الآية الكريمة دليلاً على جواز تعدي هذا الفعل إلى مفعولين؟! أما ادعاؤهم بأن "بيوتاً" حال فهذا مما لا نسلم لهم به؛ لأن من شروط الحال أن يكون وصفاً مشتقاً؛ فـ"بيوتاً": مفعول به ثانٍ لـ"تنحتون".

¹ - ابن منظور، لسان العرب: 8/ 126.

² - السمين الحلي، الدر المصون: 5/ 363.

3- قال الله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس: 39].

ذكر النحاة والمفسرون في إعراب "منازل" أربعة أوجه:

الأول: أنها مفعول ثان، و"قَدَّرَ" بمعنى "صَيَّرَ".

الثاني: أنها حال؛ والتقدير: "والقمر قدرناه ذا منازل".

الثالث: أنها ظرف؛ أي: "قدرنا مسيره في منازل".

الرابع: أنها مفعول به، والهاء في "قدرناه" في موضع نصب على نزع الخافض، والتقدير: "والقمر قدرنا له منازل".¹

ويبدو لنا أن جميع هذه الأوجه لا تخلوا من تكلف واضح، والسبب في نظرنا يعود إلى أن النحاة لم يجعلوا القرآن الكريم المصدر الأول والرئيسي للتفعيد النحوي، ولو أنهم فعلوا ذلك لما اضطروا إلى كل هذا التكلف والتمحل، والإعراب الأوجه في نظرنا أن "منازل": مفعول به ثان للفعل "قَدَّرَ"، ولكن دون تضمينه معنى "صَيَّرَ"؛ فالفعل "قَدَّرَ" بنص الآية الكريمة يتعدى بنفسه إلى مفعولين اثنين، وكفى بهذه الآية الكريمة دليلاً على ذلك.

¹ - النحاس (أبو جعفر أحمد بن محمد)، إعراب القرآن، تح: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1421هـ - 2001م: 267 / 3، القيسي، مشكل إعراب القرآن: 603 / 2، زيدان، النصب على نزع الخافض: 105.

ج- صور أخرى لحذف الحرف في القرآن الكريم:

1- حذف "قد" في جملة الحال:

من ذلك - مثلاً - قوله تعالى: ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾ [النساء:

90]؛ حيث ذكر النحاة والمفسرون في إعراب جملة " حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ " أوجها سبعة وهي:

1- جملة دعائية لا محل لها من الإعراب؛ وهو قول المبرد،¹ وهو قول ضعيف لا يرتضيه السياق؛ لأن هذه الجملة معطوفة على جملة "يقاتلوا قومهم" فيكون الدعاء عليهم بأن يحصر الله صدورهم عن قتال المسلمين وعن قتال قومهم وهذا لا يستقيم؛ فمن مصلحة المسلمين أن يقاتل أولئك الكفار قومهم إلقاء للعداوة بينهم حتى يفشلوا وتذهب ريجهم.

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن هذه الجملة معطوفة على الصلة قبلها؛ كأنه قيل: "أو إلا الذين جاءوكم حَصِرَتْ صدورهم"، فيكون التقدير: "إلا الذين يصلون بالمعاهدين أو الذين حَصِرَتْ صدورهم أن يقاتلوكم"، فيكون المستثنى صنفين من الناس؛ أحدهما: واصل إلى قوم معاهدين، والآخر من جاء غير مقاتل للمسلمين ولا لقومه، وعلى هذا فلا يصح أن تكون جملة دعائية.

2- أن "حَصِرَتْ" صفة لحال محذوفة تقديرها: "أو جاءوكم قوما حَصِرَتْ صدورهم أو رجالا حَصِرَتْ صدورهم"؛ فهي صفة موصوف منصوب على أنه حال، فأقيمت الصفة مقام الحال وسماها العكبري حالا موطئة؛ وعُزِّي هذا الوجه للمبرد.² وهذا تكلف ظاهر؛ إذ الأصل في الكلام أن يُحْمَل على ظاهره ولا يُصار إلى الحذف إلا بدليل، كما أنه لا يُعرف في النحو العربي ما يُسمى بالحال الموطئة.

3- أن تكون الجملة في محل جر صفة أخرى لـ "قوم" بعد الصفة الأولى، وتكون جملة "أو جاءوكم" معترضة³ وهذا وجه غريب، فكيف يمكن أن تكون جملة "حَصِرَتْ صدورهم" صفة لـ "قوم" و "أو جاءوكم" اعتراض، مع أن جملة "حَصِرَتْ صدورهم" متعلقة بما قبلها وما بعدها؟!

4- أن تكون بدلا من "جاءوكم" بدل اشتمال لأن المجيء مشتمل على الحصر وغيره،⁴ ولا يحسن هذا الوجه؛ لأن بدل الاشتمال - كما يقول المرادي - يشترط فيه مراعاة أمرين: «أحدهما إمكان فهم معناه عند الحذف، ومن ثم جعل نحو: "أعجبني زيد أخوه" بدل إضراب لا بدل اشتمال، إذ لا يصح الاستغناء عنه بالأول، والآخر: حسن الكلام على تقدير حذفه، ومن ثم امتنع نحو: "أسرحت زيدا فرسه"؛ لأنه وإن فهم

¹ - ينظر: الحلبي، الدر المصون: 4 / 66.

² - ينظر: المصدر نفسه: 4 / 66 - 67.

³ - ينظر: سراج الدين عمر بن علي الدمشقي، الباب في علوم الكتاب، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: 1، 1419هـ - 1999م: 6 / 553.

⁴ - ينظر: المصدر نفسه: 6 / 553.

معناه في الحذف فلا يستعمل مثله ولا يحسن...»¹ فكذاك هنا لا يحسن مثل: "أو جاءوكم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم".

5- أنها خبر بعد خبر؛ وهذا قول الزجاج² فهي جملة مستأنفة، والفرق بينها وبين الحال أن الحال لا بد فيها من تقدير "قد"؛ كقولنا: "جاء زيد ركب الفرس"، ولا ندري لماذا هذا التفريق في الإعراب والمعنى واحد، اللهم إلا إن أرادوا أن الركوب وقع بعد المحيئ حينها لا بد من استعمال ما يفيد التعقيب؛ كالفاء أو ثم وسيتغير الإعراب بالكلية.

6- أنها جواب شرط مقدّر تقديره: "إن جاءوكم حصرت صدورهم"، وهو رأي الجرجاني؛ وهو رأي ضعيف لعدم وجود قرينة لفظية أو معنوية تدل على معنى الشرط.

7- أنها حال من فاعل "جاءوكم"³ وهو - في نظرنا - الإعراب الصحيح الذي يقتضيه السياق؛ حيث استثنى الله عز وجل في القتال صنفين من الناس: الواصل إلى قوم معاهدين، والذين جاءوا في حالة مسالمة للمسلمين ولقومهم؛ ويؤيد النقل كذلك هذا الإعراب حيث قرأ الحسن وقتادة (ت118هـ) ويعقوب: "حصرة"، وكذا قال المهدي والمفضل (ت168هـ) عن عاصم في رواية حفص (ت180هـ)، وقرأ: "حاصرات"⁴.

وفي وقوع الفعل الماضي حالا خلاف بين النحويين؛ هل يلزم اقترانه ب"قد" أو لا؛ فذهب البصريون إلى وجوب ذلك ظاهرة كقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا دُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: 119]، أو مقدرة كقوله تعالى: ﴿قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذُلُونَ﴾ [الشعراء: 111]، وخالفهم الكوفيون وإنما اشترطوا ذلك في الماضي الواقع خبرا لـ "كان"؛ كقوله - عليه الصلاة والسلام - لبعض أصحابه: { أليس قد صليت معنا }⁵، وقول زفر بن الحارث الكلابي "من الطويل":
وكنا حسبنا كلَّ بيضاء شحمة * * عشية لاقينا جُداما وجميرا⁶

¹ - المرادي (أبو محمد بدر الدين)، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، تح: عبد الرحمن سليمان، دار الفكر العربي: بيروت، ط: 1، 1428هـ - 2008م: 1/ 148.

² - ينظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 2/ 89.

³ - ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون: 4/ 67.

⁴ - ينظر: أبو حيان، البحر المحيط: 4/ 14.

⁵ - الحديث صحيح، ينظر: صحيح البخاري: 8/ 166. الطبراني (أبو القاسم سليمان بن أحمد)، المعجم الصغير، تح: محمد شكور أمير، المكتب الإسلامي: بيروت، ط: 1، 1405هـ - 1985م: 2/ 135.

⁶ - ينظر: ابن هشام، تخلص الشواهد: 1/ 435، محمد شراب، شرح الشواهد الشعرية: 1/ 527.

وحجة البصريين في ذلك أنه يقبح في الظاهر الجمع بين الحال والمضي؛ لذلك وجب في الفعل الماضي الواقع حالا أن يقترب ب"قد" ظاهرة أو مضمرة لكونها تقرب الماضي من الحال،¹ أما الكوفيون فاحتجوا لمذهبهم بالسماع. ونرى أنه لا يجب للفعل الماضي الواقع حالا أن يقترب ب"قد"؛ أولاً لمجيء ذلك في القرآن الكريم وكفى به حجة، وثانياً أن "قد" تفيد تقريب الماضي من الحال ولا تجعله حالا، ففي كل الأحوال يبقى الماضي على مضيه سواء اقترن ب"قد" أو لم يقترب بها.

2- حذف حرف العطف:

أ- الواو: حذف حروف العطف ولا سيما الواو قليل في القرآن الكريم، ولذلك يقول ابن هشام: «حذف حرف العطف باباه الشعر»،² وهو يقصد طبعاً الضرورة الشعرية.

ومما ورد فيه حذف "الواو" في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمِي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: 18، 171]، وأثبت الواو في قوله سبحانه وتعالى - مثلاً - : ﴿صُمُّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ [الأنعام: 39].

وحذف الواو في آتي البقرة يشير إلى تلازم هذه الصفات في الذين اتصفوا بها وشدة تمكنها منهم حتى كأنها شيء واحد يحيط بهم من كل الجهات؛ فهم لا يسمعون لا يبصرون لا يتكلمون،³ بخلاف آية الأنعام فلا نجد فيها هذه الدلالة؛ ومرد ذلك إلى السياق الذي وردت فيه كل آية من هذه الآيات؛ فالآية الأولى جاءت في سياق ذم المنافقين الذين هم شر خلق الله عز وجل، فابتداءً من الآية الثامنة إلى الآية العشرين يدور الحديث عن المنافقين وخصالهم القبيحة من خداع ومكر واستهزاء، فافتضى هذا المقام حذف الواو للدلالة على شدة تمكن تلك الصفات منهم وإحاطتها بهم إحاطة الشيء الواحد.

أما الآية 171 فإنها جاءت في سياق الحديث عن الذين أعرضوا عن اتباع ما أنزل الله تعالى واستعاضوا عنه باتباع ما ألفوا عليه آباءهم ولو أن آباءهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون، فهم كالبهائم التي لا تعقل من راعيها إلا الدعاء والنداء، فافتضى هذا المقام كذلك أن تُحذف الواو للدلالة نفسها.

والآية 39 من سورة الأنعام تحدثت عن الذين كذبوا بآيات الله ولم يُذكر من خصالهم السيئة إلا التكذيب، فهم أخف شراً من الصنفين السابقين، ولذلك جيء بالواو لاختلاف دلالة هذه الآية عن دلالة الآيتين السابقتين.

¹ - ينظر: القوجوي (محمد بن مصطفى)، شرح قواعد الإعراب لابن هشام، تح: إسماعيل مروة، دار الفكر المعاصر: بيروت، ط: 1، 1416هـ - 1996م : 1/ 144.

² - ابن هشام، مغني اللبيب: 1/ 831.

³ - ينظر: مصطفى عبد السلام أبو شادي، الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مكتبة القرآن: القاهرة، 1412هـ - 1992م، (د، ط): 105.

ومن حذف "الواو" كذلك قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [الكهف: 22]، والتقدير: "ثلاثة ورابعهم كلبهم وخمسة وسادسهم كلبهم..."، وحذفت "الواو" هنا لإبراز قيمة خلافة هامة وضرورية في هذا السياق وذلك بإثباتها في موضع دون موضع؛ فالمعروف أن هذه الواو - كما يقول الزمخشري - تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الجملة الواقعة حالا للمعرفة؛¹ كما في قولنا - مثلاً -: "جاءني رجل ومعه آخر"، و"مررت بزيد وفي يده سيف"، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْنَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ [الحجر: 4]، وفائدتها تأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر لا مربة فيه.

ولهذا جيء بالواو في قوله تعالى: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ للدلالة على أن هذه العدة هي العدة الصحيحة؛ بدليل أنه سبحانه أردفها بقوله: ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾، بخلاف القولين الأولين حيث أردفهما قوله: ﴿... رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾، وقد روي عن ابن عباس (ت68هـ) - رضي الله عنهما - أنه قال عند قوله تعالى: ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾: «أنا من ذلك القليل؛ كانوا سبعة وثمانهم كلبهم».²

ونلاحظ حذف "الواو" كذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا...﴾ [المائدة: 23]؛ حيث يتبادر إلى الذهن من هذه الآية الكريمة معنيان: الأول أن الرجلان من القوم الذين يخافون العماليق؛ أي أنهم من قوم موسى عليه الصلاة والسلام، والثاني أنهما من الذين يخافون الله تعالى ويقفون عند حدوده، ومعلوم أن العطف يفيد المغايرة، فلو أثبتت "الواو" لتبادر إلى الذهن أن هذين الرجلين يخافون العماليق مع خوفهم من الله عز وجل كبقية القوم؛ والحقيقة أن الله عز وجل قد أنعم على هذين الرجلين من بين القوم بنعمة الخوف منه وحده تعالى دون الخوف من العماليق.

ب- حذف الفاء: إذا كان حذف الواو في القرآن الكريم قليلاً فإن حذف الفاء أقل منه؛ فمن ذلك - مثلاً - قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: 121]؛ للآية إعرابان: فالجمهور يرون أنها على تقدير القسم وحذف "لام التوطئة"؛ أي: "ولئن أطعتموهم والله إنكم لمشركون"، وحذف جواب الشرط لسد جواب القسم مسده.³ وذهب

¹ - ينظر: الزمخشري، الكشاف: 2/ 713، 714.

² - ينظر: القرطبي، تفسير القرطبي: 10/ 384.

³ - ينظر: الألوسي، روح المعاني: 4/ 262.

العكبري و بعض النحويين إلى أن المذكور هو جواب الشرط، وحسن حذف "الفاء" منه إذ كان الشرط بلفظ الماضي،¹ والمعلوم أن "الفاء" لا يجوز حذفها في الجملة الاسمية إلا للضرورة.

والملاحظ أن كلا الإعرابين قد أفاد معنى التوكيد؛ فالأول أفاده ولاشك، والثاني أفاده من خلال حذف الفاء؛ أي: "إنكم إن أطعتم المشريعين من دون الله عز وجل في تشريعهم فإنكم مشركون ولا جدال"، بكل ما تحمله كلمة "مشركون" من معنى، وكأن الله عز وجل قد علم في سابق علمه أنه سيكون في هذه الأمة من العلماء المشركين من يجادل عن المشريعين من دون الله عز وجل ويرون أن شركهم من الشرك الأصغر الذي لا يخرج عن الملة. فأراد عز وجل أن يقطع الطريق عن هؤلاء وأن يفحمهم من خلال هذا الأسلوب البليغ الذي يتضمن أقصى درجات التوكيد.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: 43]؛ حيث ذهب النحاة والمفسرون إلى أن اللام يجوز أن تكون الموطئة للقسم المحذوف، و"مَنْ" شرطية، وجواب القسم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ...﴾ وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه، ويجوز أيضا أن تكون اللام لام الابتداء، و"مَنْ" موصولة مبتدأ، والجملة المؤكدة ب"إِنَّ" في موضع الخبر، وقال بعضهم: "مَنْ" رُفِعَ بالابتداء وأُضْمِرَ الخبر، وجواب الشرط إِنَّ وما تعلقت به على حذف الفاء.

وقد استبعد فريق من النحويين هذا الوجه لأنه مخصوص بالضرورة الشعرية عند سيبويه،² ومن ذلك قول الشاعر "من البسيط":

من يفعل الحسنات الله يشكرها ** والشر بالشر عند الله مثلاًن³

وقول الأسدي "من الطويل":

بني ثعلٍ لا تَنكَعُوا العنزَ شَرِّها ** بني ثعلٍ من يَنكَعِ العنزَ ظالم⁴

وقول الآخر "من الطويل":

ومن لا يزل ينقاد للغى والهوى ** سيُلفى على طول السلامة نادماً⁵

¹ - ينظر: العكبري، التبيان في إعراب القرآن: 1/ 536، الألوسي، روح المعاني: 4/ 262.

² - ينظر: أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 345.

³ - يُنسب البيت لحسان بن ثابت الأنصاري ولابنه عبد الرحمن ولكعب بن مالك الأنصاري ولم أعر عليه في دواوينهم، ينظر: العيني، المقاصد النحوية: 1/ 562.

⁴ - قائله: رجل من بني أسد، ينظر: المصدر نفسه: 4/ 1942.

⁵ - لا يُعرف قائله، ينظر: ابن مالك، شرح الكافية الشافية: 3/ 1598، وينظر: إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في شواهد العربية: 59/ 7.

لكن سيبويه قد علل قبح هذا بكون الكلام في جواب الشرط مبتدأ؛ حيث يقول: « وسألته عن قوله: "إن تأتني أنا كريم"، فقال: لا يكون هذا إلا أن يضطر شاعرٌ، من قبل أن "أنا كريم" يكون كلاماً مبتدأ، و"الفاء" و"إذا" لا يكونان إلا معلقين بما قبلهما، فكهوا أن يكون هذا جواباً حيث لم يشبه الفاء».¹

وبدلالة المخالفة نفهم من كلام سيبويه أن هذا القبح يزول بوجود ما يربط جواب الشرط بما قبله؛ كاسم الإشارة أو الضمير العائد على ما قبله ونحو ذلك، لاسيما إن سبق بالناسخ؛ فقولنا - مثلاً - : "إن تأتني إني كريم" لا يندرج ضمن ما استقبحه سيبويه لزوال علة الاستقباح، ولذلك فالواجب علينا أن لا ننقل كلام العلماء على عواهنه، بل يجب أن نمحّضه ونعرف العلة التي حكموا بها بهذا الحكم أو ذاك. ويزوال هذه العلة فإنه لا وجه لحمل حذف الفاء في الآية الكريمة على ما هو مخصوص بالضرورة الشعرية، بل هو وجه إعرابي سائغ كباقي الأوجه الإعرابية الأخرى.

3- حذف حرف النداء:

كثُر حذف حرف النداء في القرآن الكريم رغم أن حذف الحرف عموماً يأباه القياس كما يقول أئمة اللغة، يقول السيوطي: « إلا أنه ورد حذف حرف النداء كثيراً لقوة الدلالة على المحذوف، فصارت القرينة الدالة على المحذوف كالتلفظ به...»²، وينقل السيوطي عن برهان الدين الكرمانى (ت505هـ) قوله: « وكثر حذف "يا" في القرآن من الرب تنزيها وتعظيماً لأن في النداء طرفاً من الأمر».³

ويلاحظ كخط بياني يكاد يكون عاماً حذف حرف النداء في القرآن الكريم مع الرب عز وجل؛ كقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: 286]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيِّي مَا يُوعَدُونَ (93) رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [المؤمنون: 93، 94]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا ﴾ [البقرة: 126] ونحو ذلك في سبع وستين آية من القرآن الكريم.

والفائدة من ذلك تعظيم المنادى وتنزيهه؛ وذلك أن الياء- كما هو معلوم عند النحاة- تقوم مقام الفعل: "أدعوا" أو "أنادي"، فهي تتضمن معنى الأمر، ولذلك حُذفت في نداء الرب عز وجل ليزول معنى الأمر ويخفى، فهي تؤكد وتظهره فكان في حذفها الإجلال والتعظيم والتنزيه.⁴ وفي حذفها كذلك إشارة إلى

¹ - سيبويه، كتاب سيبويه: 3/ 64.

² - السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر)، الأشباه والنظائر، (د، تج)، دار الكتاب العربي: بيروت، (د، ط- د، ت): 1/ 56-57، وينظر: مرشد محمود، الحذف والتقدير في القرآن الكريم: 72.

³ - لم أعثر على هذا القول في كتاب "البرهان في توجيه متشابه القرآن" للكرمانى، ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: 3/ 212.

⁴ - ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون: 5/ 286.

قربه عز وجل ممن يدعوه من عباده المؤمنين مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: 186].

وكما تُحذف الياء مع الرب عز وجل حُذفت أيضا مع غيره؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ [يوسف: 29]، والسر في حذفها - والله أعلم - يبينه لنا مقام الكلام، فالمقام مقام استعطاف وتودد وتلطف إلى يوسف عليه السلام، فيوسف قد اطلع على فضيحة العزيز وامرأته اللذان يحظيان بالمكانة المرموقة عند أهل مصر جميعا، فخاطبه العزيز متوددا إليه ومستعطفا إياه بأن يُعرض عن هذا الأمر وأن يكتمه وأن لا يشيعه على الملأ.

أما قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ [يوسف: 46] فإن الياء حُذفت هنا لضيق المقام؛ فهو مقام شوق وتلهف لسماع تأويل الرؤيا ونقله إلى الملك، لاسيما بعد عجز حاشية الملك عن تعبير هذه الرؤيا. ومما قدر فيه النحويون حذف حرف النداء قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: 85]؛ ففي الآية عدة أوجه منها: أن معناه النداء؛ والتقدير: "ثم أنتم يا هؤلاء تقتلون أنفسكم"، وجملة النداء جملة معترضة لا محل لها من الإعراب لاعتراضها بين المبتدأ والخبر.

والثاني: أن "هؤلاء" بمعنى "الذين" وصلته "تقتلون"، وموضع "تقتلون" رفع إذا كان خبرا، ولا موضع له إذا كان صلة.¹ ومثله قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ [طه: 17]، وقد أنشد النحويون "من الطويل":

عَدَسٌ مَا لِعِبَادِ عَلَيْكَ إِمَارَةٌ * * * نَجُوتَ وَهَذَا تَحْمِلِينَ طَلِيقٌ²

والثالث: أن "هؤلاء" تنبيه وتوكيد ل"أنتم"، وهذا قول البصريين، وجاز أن يؤكد ضمير المخاطبين ب"هؤلاء"، و"أولاء" لأنها كناية عن المخاطبين وهذا جار في لغة العرب، من ذلك قول خفاف بن ندبة "من الطويل":

أقول له والرمحُ يَأْطُرُ مَتْنَهُ * * * تَأْمَلُ خُفَافَا إِنِّي أَنَا ذَلِكَا³

يريد: أنا هذا، وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَّتْ بِكُمْ بَرْيَحٌ طَبِيعَةٌ...﴾ [يونس: 22]. والذي نميل إلى ترجيحه هو الوجه الثالث؛ لأن الله عز وجل قد أخذ الميثاق على بني إسرائيل ألا يسفكوا دماءهم وألا يخرجوا أنفسهم من ديارهم وأقروا على ذلك وشهدوا عليه، ومع هذا كله هم ينقضون هذا العهد فيقتلون أنفسهم بأنفسهم ويخرجون فريقا منهم من ديارهم من دون أن يُسلَّطَ عليهم عدوٌّ من

¹ - ينظر: الطبري، جامع البيان: 303-304.

² - سبق تخريج البيت ينظر: الصفحة: 94 من هذا البحث.

³ - "يَأْطُرُ": يَنْتَقِي، "مَتْنَهُ": ظهره وصدره، ينظر: خفاف بن ندبة السلمي، الديوان، تح: حمودي نوري القيسي، مطبعة المعارف: بغداد، 1387هـ - 1967م، (د، ط)، ص: 64، وينظر: ابن جني، الخصائص: 2/ 188.

سوى أنفسهم، ثم إن الآية قد جاءت في سياق الحديث عن نقض بني إسرائيل العهود والمواثيق المغلظة بأيديهم مما جر عليهم لعنات الله المتتابعة عليهم، وهذا كله بكسب أيديهم، فافتضى هذا المقام تأكيد الضمير العائد عليهم حتى لا يشك شك أن الله سبحانه وتعالى قد ظلمهم مبالغاً في ذرة.

ونشير في الأخير إلى أن حذف حرف النداء مع الرب عز وجل قد يكون لأغراض أخرى إضافة إلى تعظيم الباري عز وجل وتنزيهه؛ من ذلك - مثلاً - قوله تعالى: ﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون: 10]؛ فالمقام هنا كما هو واضح مقام احتضار، وهول ما يلاقيه المحتضر لا يحتمل أي تضييع للوقت ولو كان يسيراً، فيختصر المحتضر من الكلام ما لا حاجة له به لينفذ إلى مراده في أسرع وقت ممكن حتى لا يقع المكروه، وهذا هو سر حذف حرف النداء هنا، بالإضافة طبعا إلى تعظيم الباري عز وجل.¹

¹ - ينظر: فاضل صالح السامرائي، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، دار عمار: عمان - الأردن، ط: 3، 1423هـ - 2003م، ص:

2- الحذف في التراكيب في القرآن الكريم:

أ- نماذج من حذف الاسم في القرآن الكريم:

من المعلوم أن الأصل في جميع المحذوفات على اختلاف أنواعها أن يكون في الكلام ما يدل على المحذوف، وإلا كان لغوا من الحديث لا يجوز.¹ لذلك فإن الحذف قد يطال الكلمة المفردة في التركيب اللغوي مهما كانت الوظيفة النحوية التي تؤديها، ويُستدل على حذفها إما بأصل التركيب كحذف المبتدأ والخبر، وإما بوجود الحرف دون مدخوله، فيكون الحرف قرينة على حذف المدخول، وإما بقرينة السياق والمعنى العام.²

1- حذف المبتدأ في القرآن الكريم:

الأصل في المبتدأ أن يُذكر في الكلام لكنه قد يُحذف لقرينة تدل عليه، وهذا الحذف قد يكون جائزاً وقد يكون واجباً حسب التركيب الذي يرد فيه؛ فأما الجائز فيكون في الحالات التالية:

1- إذا دل دليل على المحذوف؛ ويكثر في جواب الاستفهام، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذًا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [النحل: 24]؛ ف"أساطير": خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: "المنزل أساطير"؛ وقد حُذف هنا تعظيماً وتنزيهاً ونأياً به عما وصفوه به من السوء،³ وحُذف أيضاً للدلالة على شدة إعراضهم عن القرآن الكريم ورجعهم بالغيب في وصفه؛ حيث إنهم نعتوه بهذه الصفة دون أن يكلفوا أنفسهم عناء تأملها وتدبره بل حتى سماعه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجَّيْنُ (8) كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ [المطففين: 8، 9]، والتقدير: "كتاب الفجار كتاب مرقوم"؛ وقد حُذف اختصاراً لدلالة الخبر عليه.

وفي كلٍّ من قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (12) فَكُّ رَقَبَةٍ (13) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْعَةِ (14) يَتِيمًا ذَا مَقَرَّةٍ (15) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد: 12-16]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطْمَةُ (5) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾؛ حُذف المبتدأ لدلالة السياق واجتناب التكرار من جهة، ومن جهة أخرى لما كان التركيز والاهتمام منصبان على الخبر والمضمون حُذف المبتدأ؛ فالذي يهتم المكلف أن يعرف أن العقبة هي إعتاق الرقاب والإطعام في سبيل الله كي يسارع في ذلك، وأن يعرف أن الحطمة هي النار التي أعدها الله سبحانه وتعالى لأعدائه كي يجتنب سبيلهم.

¹ - ينظر: ابن الأثير (أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية: بيروت، 1420هـ - 2000م، (د، ط): 87/2.

² - ينظر: تمام حسان، البيان في روائع القرآن: 162.

³ - ينظر: أبو شادي، الحذف البلاغي في القرآن الكريم: 46.

بخلاف قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (2) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: 2، 3]؛ حيث أُثبت المبتدأ هنا لأن التركيز والاهتمام منصبان على المبتدأ والخبر كليهما؛ ذلك أن فضل هذه الليلة وما يُحصّله المؤمن فيها مرتبط ارتباطاً وثيقاً بمعرفة هذه الليلة وتحديدتها بدقة من بين سائر ليالي العشر الأواخر من رمضان.

2- بعد فاء الجواب: من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: 280]؛ "نظرة": خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: "فالأمر أو الحكم نظرة"؛¹ حذف المبتدأ هنا للدلالة على سرعة تغير الحال من العسر إلى اليسر، وهذه سنة الله سبحانه في خلقه، وفي هذا بشارة للمؤمنين وتطمين لهم لكي لا يقدموا على محارم الله سبحانه وتعالى من ربا وسرقة ونحو ذلك، لاسيما وأن الآية قد جاءت في سياق التهديد والترهيب من أكل الربا.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ [المائدة: 95]؛ والتقدير: "فهو ينتقم الله منه"، وحذف المبتدأ لتقدم ذكره في الفعل "عاد".

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٍ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: 178] والتقدير: "فالحكم أو فالأمر"، وفي حذف المبتدأ هنا إشارة إلى وجوب الإسراع في الإحسان إلى أهل القتل وأداء الدية لهم لرأب الصدع وإصلاح ذات بين المسلمين وتضميد الجرح في أسرع وقت ممكن. ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت: 46]، والتقدير: "فعمله لنفسه"، وحذف المبتدأ هنا لأن المقام مقام إيجاز واختصار؛ حيث لم يُذكر جزاء الإحسان والإساءة في سياق الآيات المجاورة إلا في هذه الآية.

وغالبا ما يرتبط حذف المبتدأ في هذه الحالة بالسياق الذي ترد فيه الآية؛ ففي قوله تعالى من سورة الجن: ﴿فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ [الجن: 13]؛ حذف المبتدأ هنا لأن الآية جاءت في سياق الإخبار بسرعة استجابة الجن لداعي الهدى، فناسب ذلك الإسراع بالإخبار بحسن مآلهم وجزائهم فحذف المبتدأ لأجل ذلك.

أما قوله تعالى من نفس السورة: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن: 23]، فتقدير الكلام: "فجزاؤه أنه له"،² وإنما حذف المبتدأ هنا لأننا نفهم من السياق أن المراد بالمعصية هنا المعصية الكفرية، بدليل عقوبة الخلود الأبدي في النار، ولما كان ذلك كذلك حذف المبتدأ لكمال العناية بالخبر أولا، وللتسريع بتبشير من ارتكب هذه المعصية الشنيعة بنار جهنم خالدا فيها أبدا.

¹ - ينظر: سهام رمضان محمد الزعبيوط، الحذف والتقدير في صحيح البخاري، مخطوط رسالة ماجستير في النحو والصرف، الجامعة الإسلامية، غزة- فلسطين، 1431هـ- 2010م: 79.

² - ينظر: أبو شادي، الحذف البلاغي: 48.

3- بعد القول عموماً؛ فكل ما جاء مرفوعاً بعد القول ولا رافع معه يُقدر له مبتدأ يرفعه،¹ من ذلك - مثلاً- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: 154]؛ والتقدير: "...هم أموات بل هم أحياء"؛ وحذف المبتدأ هنا- والله أعلم- لأن القول جاء بمعنى الحُسبان والاعتقاد؛ أي: "لا تحسبوا الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء ولكن لا تشعرون"، ولتعجيل المسرة لأهل الشهداء وتطمينهم بحالهم في الآخرة حذف المبتدأ مرة أخرى.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ [النساء: 81]؛ والتقدير: "أمرنا وشأننا طاعة"، حيث حذف المبتدأ هنا للمبالغة في تصوير كذب المنافقين الذين زعموا أن أمرهم وشأنهم كله طاعة لله ولرسوله، والحقيقة بخلاف ذلك.²

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾ [النساء: 171]؛ فالتقدير: "ولا تقولوا آلهة ثلاثة"، وحذف المبتدأ هنا للاهتمام بالخبر وتوجيه النهي إليه؛ لأن المشهور عن النصارى الثلاثية، فمنهم من يؤله المسيح وأمه، ومنهم من يؤله المسيح وروح القدس.

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: 61]؛ التقدير فيه: "هو أذن خير"، وحذف المبتدأ هنا للدلالة على المغايرة بين الوصفين؛ وصف المنافقين ووصف الله عز وجل للنبي - عليه الصلاة والسلام - وهو الحق، حيث وصف المنافقون النبي - عليه الصلاة والسلام - بأنه ليس إلا أذنًا يسمع لكل الناس، فبين عز وجل أنه ليس له من تلك الصفة إلا ما فيه الخير له وللمؤمنين.

4- بعد ما الخبر صفة له في المعنى:

ومن ذلك قوله تعالى في صفة المنافقين: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمًى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: 18]؛ والتقدير: "المنافقون صم بكم عمي"؛ فحذف المبتدأ هنا لمعرفة من خلال السياق أولاً، وتحقيراً لهم وتصغيراً من شأنهم ثانياً، فهم أصغر وأذل وأحق من أن يُذكروا هنا.³

¹ - ينظر: الزعبط، الحذف والتقدير في صحيح البخاري: 79.

² - ينظر: أبو شادي، الحذف البلاغي في القرآن الكريم: 45.

³ - ينظر: المرجع نفسه: 51.

وجعل بعض النحويين والمفسرين من هذا الصنف كذلك قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: 112] وقدروا الكلام: "هم التائبون العابدون".¹

ويبدو لنا من خلال السياق خلاف هذا المعنى الذي ذهبوا إليه؛ حيث ذكر سبحانه وتعالى في الآية الأولى أعلى طبقات المؤمنين وأفضلها عند مليكهم وهي طبقة المجاهدين في سبيله بأنفسهم وأموالهم، ثم أَرَدَها بالطبقة الثانية منهم وهم التائبون العابدون الحامدون السائحون الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بالمعروف والنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ والحافظون لحدود الله، ولا يستوي هؤلاء والمجاهدون في سبيل الله فضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً، ثم أخيراً ذكر الطبقة الثالثة وهي عموم المؤمنين.

وعلى هذا فإن قوله تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ...﴾ مبتدأ خبره محذوف تقديره: "مأجورون كذلك"، ولو كان الإعراب كما ذهب إليه أولئك النحاة والمفسرون لكان المذكورون في الآية الثانية هم أنفسهم المذكورون في الآية الأولى، وهذا خلاف ما يتبادر من السياق.

5- في القطع والاستئناف: من المواضع التي يطرد فيها حذف المبتدأ جوازا القطع والاستئناف؛ حيث يكتفي المتكلم بذكر الخبر لدلالة قرينة السياق، وقد كثر هذا الحذف وشاع في كلام العرب، فمن ذلك قول القاسم بن حنبل "من الوافر":

هم حلوا من الشرف المعلى ** ومن حسب العشيرة حيث شاءوا

بناءً مكارم وأساءة كلم ** دماؤهم من الكلب الشفاء²

وقول أسيد بن عنقاء الفزاري "من الطويل":

رآني على ما بي فاشتكى ** إلى ما له حالي أسركما جهر

غلاماً رماه الله بالخير مقبلاً ** له سيمياء لا تشق على البصر³

أي: "هم بناء مكارم"، "وهو غلام"... فحذف المبتدأ فيهما لتقدم ذكره. ومما يطرد فيه هذا الحذف حديثهم عن صفات الرجل أو المرأة؛ كقول إبراهيم بن العباس الصولي "من الطويل":

¹ - ينظر: الزحشري، الكشف: 2/ 314، الشوكاني (بدر الدين محمد بن علي)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار ابن كثير - دار الكلم الطيب: دمشق - بيروت، ط: 1، 1414هـ - 1994م: 2/ 464، محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، 1984م، (د، ط): 11/ 40.

² - ينظر: العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله)، ديوان المعاني، (د، تح)، دار الجيل: بيروت، (د، ط - د، ت): 1/ 43.

³ - "السيمياء": العلامة، ينظر: المصدر نفسه: 1/ 23.

سأشكر عمرا إن تراخت منيتي ** أيادي لم تمن وإن هي جَلَّتْ
فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ** ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت¹
ومن ذلك أيضا قول جميل بثينة "من البسيط":

وهل بثينة يا للناس قاضيتي ** ديني وفاعلة خيرا فأجزئها
ترنو بعيني مهاة أقصدت بهما ** قلبي عشية ترميني وأرميها
هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة ** رثا العظام بلين العيش غاذيها²
وقول بكر بن النطاح "من السريع":

العين تبدي الحب والبغضا ** وتظهر الإبرام والنقضا
درة ما أنصفتني في الهوى ** ولا رحمت الجسد المضنى
غضبي ولا والله يا أهلها ** لا أطعم البارد أو ترضى³
وقد يكون حذف المبتدأ أيضا في هذه الحالة لأغراض بلاغية؛ كما في قول الشاعر "من البسيط":
اعتاد قلبك من ليلي عوائده ** وهاج أهواءك المكنونة الطلل
رُغَّ قَوَّاءَ أذاعَ المعصرات به ** وكل حَيْرَانٍ سارٍ ماؤه خَضِلُ⁴
أي: "هو رُغَّ" أو "ذاك رُغَّ"؛ فحذف المبتدأ هنا للاهتمام بالخبر.

أو لدلالة القرينة العقلية؛ كما في قول الآخر "من الخفيف":

قال لي كيف أنت قلت عليل ** سهر دائم وحزن طويل⁵

ومن قبيل هذا الحذف في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: 26]؛ والتقدير: "بل هم عباد"، وهو حذف اقتضاه السياق؛ إذ أن الآية جاءت في سياق الرد على الذين أهوا المسيح وعزیز والملائكة وجعلوا لهم نصيبا من الألوهية بأن نسبوهم لله عز وجل،

¹ - "زلت النعل": كناية عن الفقر وسوء الحال، إبراهيم الصولي، الطرائف الأدبية، تح: عبد العزيز الميمني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر: القاهرة، 1927، (د، ط)، ص: 130، وينظر: البغدادي، خزنة الأدب: 2/ 265.

² - "الهيفاء": الضامرة البطن الرقيقة الخصر، "عجزاء": كبيرة العجز، "رثا العظام": غضة ناعمة، لم أعر على هذه الأبيات في ديوانه، ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز: 1/ 156.

³ - بكر بن النطاح الحنفي، الديوان، تح: حاتم صالح الضامن، مطبعة المعارف: بغداد، 1395هـ - 1975م، (د، ط)، ص: 25، وينظر: عبد الرحمن حبنكة الميداني، البلاغة العربية: 1/ 341.

⁴ - لا يُعرف قائله، "القَوَّاء": القُفْر، "الحَيْرَان": سحاب مطر، "خَضِل": غزير، ينظر: ابن منظور، لسان العرب: 15/ 210، 4/ 223، 11/ 208، سيبويه، كتاب سيبويه: 1/ 281، أبو محمد السيرافي، شرح أبيات سيبويه: 1/ 259.

⁵ - ينظر: عباس حسن، النحو الوائى: 3/ 475.

فجاء الرد الفوري المباشر بأنهم ليسوا إلا عبادا مكرمين، فحذف المبتدأ للتركيز والاهتمام بالخبر الذي هو مناط تكذيب هذا الادعاء.

وفي بعض الأحيان قد تتضافر قرائن اللفظ والحال مع المعنى للدلالة على هذا الحذف؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس: 61]، إذ يستحيل حمل التركيب على الاستثناء المتصل لأنه يخل بالمعنى المقصود؛ حيث يكون المعنى أن ذلك يعزب عنه إذا كان في كتاب مبين، لذلك كان لازما علينا أن نقدر "إلا" بمعنى "لكن"، ونقدر مبتدأً محذوفاً للجملة "فِي كِتَابٍ مُبِينٍ"، فيصير التقدير: "لكن هو ثابت في كتاب مبين".¹ وأما حذف المبتدأ وجوبا في خمسة مواضع:

1- إذا كان الخبر مشعرا بالقسم؛ نحو: "في ذمتي لأفعلن كذا"، ف"في ذمتي": خبر مبتدأ محذوف واجب الحذف؛ والتقدير: "في ذمتي يمين"، ومن ذلك قول ليلي الأخيلى "من الطويل":

تَسَاوَرَ سَوَّارٌ إِلَى الْمَجْدِ وَالْعُلَا ** وَفِي ذِمَّتِي لَنْ فَعَلْتُ لِيَفْعَلَا²

2- إذا كان الخبر مخصوصا بالمدح أو الذم؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعِثْنَا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [البقرة: 90]، والتقدير: "هو أن يكفروا"، وقوله تعالى: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: 30]؛ أي: "ولنعنم دار المتقين هي"، في أحد وجهي الإعراب.³

3- إذا كان الخبر مصدرا نائبا عن فعله؛ مثل قولنا: "سمع وطاعة" فالمبتدأ هنا محذوف وجوبا تقديره: "أمري سمع وطاعة"؛ فالخبر هنا مصدر ناب عن فعله: "أسمع وأطيع"، ومن ذلك قول منذر بن درهم الكلبي "من الطويل":

وَقَالَتْ حَنَانٌ، مَا أَتَى بَكَ هَهْنَا ** أَذُو نَسَبٍ أَمْ أَنْتَ بِالْحَيِّ عَارِفُ؟⁴

أي: "أمري حنان".

وقول الملبد بن حرملة "من الرجز":

شَكَا إِلَيَّ جَمَلِي طَوَّلَ السَّرَى ** صَبْرٌ جَمِيلٌ فَكَلَانَا مُبْتَلَى⁵

¹ - ينظر: حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: 204.

² - "تَسَاوَرَ": تفاخر، "سَوَّار": الطالب لمعالي الأمور، ينظر: ليلي بنت عبد الله بن الرحال الأخيلية، الديوان، تح: واضح الصمد، دار صادر: بيروت، ط: 2، 1424هـ - 2004م، ص: 71، حسن شراب، شرح الشواهد الشعرية: 303/2.

³ - ينظر: محي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه، دار اليمامة: دمشق - بيروت، ط: 4، 1415هـ - 1995م: 5/294.

⁴ - ينظر: السرياني، شرح أبيات سيبويه: 1/161.

⁵ - "السرى": السير ليلا، ينظر: المصدر نفسه: 1/317.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: 83]؛ جوز النحاة والمفسرون في قوله تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ حذف أحد طرفي الإسناد المبتدأ أو الخبر، واختلفوا في أولوية أيهما بالحذف، فرجح بعضهم حذف الخبر لكونه يأتي على صور متعددة؛ فقد يكون مفردا جامدا أو مشتقا أو جملة على اختلاف أنواعها، والمبتدأ لا يكون إلا اسما مفردا. وعلى هذا الإعراب يكون أمامنا متسع من التقدير؛ فيصح أن نقدر الكلام: "فصبر جميل لي أو عندي أو أمثل من غيره"، أو "صبر جميل أجمل"، وهكذا. ورجح بعضهم الآخر كون المحذوف مبتدأ؛ لأن الخبر هو عمدة الكلام فهو محط الفائدة والاهتمام، وعلى هذا فالتقدير: "فأمرني صبر جميل"، أو "شأنني صبر جميل".¹

والذي نرجحه استنادا إلى المعنى هو حذف المبتدأ؛ ذلك أن العرب قد اعتادت حذف المسند إليه في كلامها أكثر من حذفها للمسند، ونلاحظ في سياق السورة ككل أن يعقوب - عليه السلام - قد بلغ في تلك المرحلة الغاية في الصبر حتى صار كيانه كله صبورا، فأمره وشأنه كله صبر؛ وهذا المعنى لا يمكن أن يتأتى إلا بتقدير حذف المبتدأ. فاستغني عن المبتدأ لدلالة السياق وزيادة في تأكيد هذا المعنى، وفي هذا الحذف ما يدل على أن يعقوب - عليه السلام - قد عزى نفسه بنفسه ولم يظهر جزعه لبنيه، وهذا هو مقتضى الصبر الجميل، وهذا المعنى يضعف قراءة النصب؛ لأن النصب لا يكون إلا مع الأمر.²

يقول ابن الجوزي (ت 597هـ): « قال الخليل: المعنى: "فشأنني صبر جميل"، و"الذي أعتقده صبر جميل"، وقال الفراء: الصبر مرفوع، لأنه عزى نفسه وقال: "ما هو إلا الصبر"، ولو أمرهم بالصبر، لكان نصبا، وقال قطرب: المعنى: "فصبري صبر جميل". وقرأ ابن مسعود، وأبي، وأبو المتوكل: «فصبرا جميلا» بالنصب، قال الزجاج: "والصبر الجميل لا جزع فيه، ولا شكوى إلى الناس".³

4- إذا أخبر عن المبتدأ بنعت مقطوع للرفع في معرض المدح أو الذم أو الترحم؛ مثل: "رأيت محمدا الكرم"، و"مررت بزيد البخيل"؛ أي: هو البخيل، و"اللهم ارحم عبدك المذنب"؛ أي: "هو المذنب".

5- الاسم المرفوع بعد "لاسيما" سواء كان نكرة كما في قول امرئ القيس "من الطويل":

ألا رب يوم لك منهن صالح ** ولاسيما يوم بدارة جُلجل⁴

والتقدير: "ولاسيما هو يوم"، أم معرفة كما في قولنا: "الزم العلماء لاسيما الصالح منهم".

¹ - ينظر: العلوي (يجي بن حمزة)، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، (د، تح)، المكتبة العصرية: بيروت، ط: 1، 1423هـ - 2003م: 64 / 2.

² - ينظر: سيبويه: كتاب سيبويه: 321 / 1.

³ - ابن الجوزي، زاد المسير: 420 - 421 / 2.

⁴ - امرؤ القيس، الديوان: 26.

2- حذف الخبر:

أ- يحذف الخبر جوازا في المواضع التالية:

1- في الإجابة عن السؤال ب"مَنْ" أو "أَيُّ" أو "مَا"؛ كقولنا: "زيدٌ" في الإجابة عن سؤال السائل: "من عندك؟" أو "أيهم عندك؟"، وقولنا: "كتابٌ" في الإجابة عن سؤاله: "ما عندك؟".

2- في العطف على مبتدأ ذكر خبره: وذلك تفاديا للتكرار؛ كقولنا: "زيد قائم وعمرو"؛ فالتقدير: "وعمره كذلك" أي قائم؛ ومن ذلك قول قيس بن الخطيم "من المنسرح":

نحن بما عندنا وأنت بما ** عندك راضٍ والرأي مختلفٌ¹

فخبر "نحن" محذوف تقديره: "راضون" دل عليه الخبر المذكور في الجملة التالية وهو: "راض". وقول ضابئ بن الحارث البرجمي "من الطويل":

ومن يك أمسى بالمدينة رحله ** فإني وقيارٌ بها لغريب²

ومن قبيل هذا الحذف في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: 5]؛ فيصح هنا تقدير خبر محذوف في موضعين: أحدهما للمحصنات من المؤمنات، والآخر للمحصنات من الذين أوتوا الكتاب؛ لكن الأولى - في نظرنا - تقدير خبر واحد تشترك فيه الجملتان؛ أي: "والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم حل لكم كذلك"، لاسيما وأن الحكم الجديد المستفاد من الآية الكريمة هو إباحة المحصنات من الذين أوتوا الكتاب.

فقد روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: «لما نزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾ قال: فحجز الناس عنهن حتى نزلت التي بعدها: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾، فنكح الناس من نساء أهل الكتاب»³، فهذه الآية لم تقرر حكما ابتدائيا جديدا كان الناس على خلافه سوى هذا؛ لأن الطيبات كانت حلالا أصلا، وكذا طعام الذين أوتوا الكتاب؛ فقد أكل النبي - عليه الصلاة والسلام - في خيبر من شاة أهدتها له يهودية قبل نزول هذه الآية في الراجح⁴.

¹ - قيس بن الخطيم، الديوان: 239.

² - "قيار": اسم جمل الشاعر، ينظر: ابن هشام، تخلص الشواهد وتلخيص الفوائد: 1/ 377.

³ - ينظر: ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي)، تفسير القرآن العظيم، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: 1، 1419هـ - 1999م: 38/3.

⁴ - ينظر: أبو عبد الله أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد: 5/ 6 - 479، أبو داود (سليمان بن الأشعث السجستاني)، سنن أبي داود، تح: شعيب الأرنؤوط، محمد كامل قره بللي، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط: 1، 1430هـ - 2009م: 6/ 562، البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين)، السنن الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 3، 1424هـ - 2003م: 8/ 82.

كما كان طعام المسلمين حلالا لأهل الكتاب قبل نزولها، وإنما جاءت الآية لتأكيد حكم ثابت وأمر معلوم مسبقا كان هو الأصل، أو جاءت في سياق الامتنان بإباحة الله عز وجل الطيبات للمؤمنين. ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ [التوبة: 62] حيث ذكر المفسرون في الآية أربعة أوجه:

أ- إنما أفرد الضمير في "يرضوه" لأن رضا الله ورسوله شيء واحد؛ فمن أطاع الرسول فقد أطاع الله سبحانه، قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: 80]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ [الفتح: 10].

ب- أن الضمير عائد على المثنى بلفظ الواحد بتأويل المذكور؛ كقول رؤية بن العجاج: فيها خطوط من سواد وبلق¹ ** كأنه في الجلد تَوَلَّيْعُ الْبَهَقِ¹ أي: "كأن ذاك المذكور".

ج- نقل السمين الحلبي عن المبرد قوله: « في الكلام تقديم وتأخير تقديره: "والله أحق أن يرضوه ورسوله"». ²

د- مذهب سيويه أنهما جملتان حذفت الأولى لدلالة الثانية عليها؛ والتقدير عنده: "والله أحق أن يرضوه ورسوله أحق أن يرضوه". ³

وقد رجح بعض النحاة والمفسرين أن يكون المحذوف هو خبر الأول لا الثاني تمشيا مع مقتضيات المبني على حساب المعنى؛ لأن في ذلك عدم الفصل بين المبتدأ وخبره، ولأن فيه أيضا الإخبار بالشيء عن الأقرب إليه؛ ⁴ وهذا منهم اهتمام بالبنية السطحية للكلام على حساب البنية العميقة، والذي يبدو لنا أن المحذوف هو خبر المبتدأ الثاني، وتقدير الكلام: "والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك".

هذا ما يقتضيه سياق هذه الآيات الكريمة؛ ذلك أن سياق الكلام هو عن المنافقين الذين كانت غايتهم إرضاء النبي - عليه الصلاة والسلام - وأصحابه بظواهرهم حتى تُعصم دماؤهم وأموالهم، ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى بعد هذه الآيات: ﴿يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: 96]؛ فأكد سبحانه وتعالى أن الواجب على هؤلاء المنافقين أن يرضوا الله عز وجل أولا ببواطنهم قبل أن يرضوا غيره بظواهرهم المخادعة، ولأجل هذا المعنى - والله أعلم - أفرد الضمير

¹ - "البلق": سواد وبياض، "التَوَلَّيْعُ": استطالة البلق، "الْبَهَقُ": بياض يعتري الجسد بخلاف لونه ليس من البرص، ينظر: ابن منظور، لسان العرب: 10/25، 8/411، 10/29. رؤية بن العجاج، الديوان: 104.

² - لم أعثر على هذا القول في "المقتضب" للمبرد، ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون: 6/75.

³ - ينظر: سيويه، كتاب سيويه: 1/75-76.

⁴ - ينظر: الحلبي، الدر المصون: 6/75.

في الفعل وحذف خبر المبتدأ الثاني، وما كان لهذا المعنى أن يؤدي بهذه الدقة لو أُنحِر المبتدأ الثاني في قولنا - مثلاً- : "والله أحق أن يرضوه ورسوله".

ومن ذلك قوله تعالى في سورة الرعد في صفة الجنة: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظُلُّهَا﴾ [الرعد: 35]؛ والتقدير: "وظلها كذلك"، وقد حُذف الخبر من الجملة الثانية استغناء عنه بذكره في الجملة الأولى، وقد اقتضى المقام هذا الحذف لأن الجنة ذُكرت في مقام الإجمال والاختصار لا مقام التفصيل والتطويل.

3- إذا كان المبتدأ اسماً موصولاً واقعا بعد همزة استفهام إنكاري، وكان الخبر عكس المبتدأ في الصفة؛ من ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الرعد: 33]؛ تقدير الخبر: "كمن ليس كذلك"،¹ ويجوز عطف الخبر المقدر على "وجعلوا" أي: "أفمن هو بهذه الصفة لم يوحده وجعلوا له شركاء".²

ووجه ثالث وهو أن تكون الواو في "وجعلوا" واو الحال ويُضمَر للمبتدأ خبر يكون معه جملة مقررّة لإمكان ما يقارنها من الحال؛ والتقدير: "أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت موجود والحال أنهم جعلوا له شركاء"، ثم أظهر لفظ الجلالة تقريراً للإلهية وتصريحاً بها؛³ وهذا كقول القائل: "إله يرزق الناس ويعافيهم موجود ويعبدون غيره". وهذا الحذف يجعل الآية تحتل كل هذه المعاني لهذه الأوجه الإعرابية المختلفة، طالما أن المعنى العام للآية معلوم بحذف الخبر لدلالة السياق عليه.

4- بعد "إذا" الفجائية: اختلف النحويون في "إذا" الفجائية على ثلاثة أقوال: الأول أنها ظرف زمان؛ وهو مذهب الزجاج والرياشي (257هـ) وابن طاهر (519هـ) وابن خروف (ت609هـ) والشلوبين (ت645هـ) واختاره الزمخشري، وقيل: هو ظاهر كلام سيويه، والثاني: أنها ظرف مكان وهو مذهب المبرد والفارسي وابن جني وأبي بكر بن الحياط (ت320هـ) واختاره ابن عصفور ونُسب هذا القول أيضاً لسيويه، واستدلوا لذلك بوقوعها خبراً عن الجنة؛ في نحو: "خرجت فإذا زيد"، وأجاب الأولون بأنه على حذف مضاف؛ أي: "خرجت فإذا حضور زيد"؛ فالخبر عندهم محذوف.

¹ - ينظر: حمودة، ظاهرة الحذف: 214.

² - ينظر: الزمخشري، الكشاف: 532 / 2.

³ - ينظر: الرازي (أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر)، تفسير الرازي، (د، تح)، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ط: 3، 1420هـ - 2000م: 44 / 19.

والثالث: أنها حرف وهو مذهب الكوفيين، وحكي عن الأخفش واختاره الشلوبين في أحد قوليهِ، ورجحه ابن مالك.¹ والذي نرجحه هو كونها ظرف زمان لدالتها على الزمن؛ وهو المفاجأة نحو قوله تعالى: ﴿فَالْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ [طه: 20]، وحذف الخبر بعدها قليل؛ نحو: "خرجت فإذا زيد" أي: "موجود" أو "حاضر"، ومن يجعلها ظرف مكان يعدها خبرا في نحو: "خرجت فإذا زيد"؛ أي: فبالحضرّة زيد؛² لأنه يخبر بالمكان عن الجئة دون الزمان حسب رأيهم.

5- في الإخبار بشبه الجملة: إذا وقع الخبر شبه جملة نحو: "زيد في الدار" أو "زيد عندنا"، يقدر النحاة الظرف أو الجار والمجرور متعلقا بكون أو استقرار محذوف؛ وهو تقدير تقتضيه الصناعة النحوية.

¹ - ينظر: المرادي، الجنى الداني: 1/ 374-375.

² - ينظر: السيوطي، همع الهوامع: 2/ 182-183، حمودة، ظاهرة الحذف: 214.

ب- حذف الخبر وجوبا: يُحذف الخبر وجوبا في المواضع التالية:

1- بعد "لولا" الامتناعية: ذهب جمهور النحاة إلى أن الخبر يحذف وجوبا بعد "لولا" الامتناعية مطلقا على اعتبار أن الخبر بعدها لا يكون إلا كونا مطلقا، وإذا أُريد الكون المقيد جعل مبتدأ؛¹ ولأجل هذا قالوا أن حديث النبي عليه الصلاة والسلام: { يَا عَائِشَةُ لَوْلَا قَوْمُكَ حَدِيثُ عَهْدُهُمْ - قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ - يَكْفُرُ، لَنَقَضْتُ الْكُعْبَةَ فَجَعَلْتُهَا بَابَيْنِ: بَابٌ يَدْخُلُ النَّاسُ وَبَابٌ يَخْرُجُونَ }² مروي بالمعنى، ورجحوا الرواية الأخرى للحديث وهي: { لولا حدثك قومك... }³ ولحنوا المعري في قوله "من الوافر":

يذيب الرعب منه كل غضب ** فلولاً الغمد يمسكه لسالا⁴

ولو أحتج عليهم بقول الشاعر "من البسيط":

لولا زهير جفاني كنت منتصرا ** ولم أكن جانحا للسلّم إذ جنحوا⁵

وقول الآخر "من البسيط":

لولا ابن أوس نأى ما ضيم صاحبه ** يوما ولا نابه وهن ولا حذر⁶

لقالوا إن هذين البيتين لا يُعرف قائلهما، ولا يجوز لكم أن تردوا القواعد المستقرّة من كلام العرب بالشاذ والنادر الذي لا يقاس عليه، فما بالك إن كان قائله مجهولا! وحُق لهم هذا، ولكن ماذا عساهم يقولون في قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: 31]، فمعلوم أن الخبر هنا ليس كونا عاما بل هو شيء خاص؛ فإعراض المستضعفين عن اتباع الهدى لم يكن بسبب وجود المستكبرين بل كان بسبب صدهم إياهم عن اتباع الحق، بدليل قوله تعالى بعد هذه الآية مباشرة: ﴿أَنْتُمْ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ﴾؛ وعلى هذا فتقدير الكلام في الآية: "لولا أنتم صددتمونا"، وإذا بطل أن يكون الخبر كونا عاما بطل لأجل ذلك القول بوجوب حذفه مطلقا.

وماذا سيقولون في قوله تعالى: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: 68]؟!، سيقولون حسب منهجهم أن الجملة الفعلية "سبق" صفة، والخبر محذوف تقديره: "موجود" أو

¹ - ينظر: الأشموني (أبو الحسن علي بن محمد)، شرح الأشموني على الألفية، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: 1، 1419هـ - 1999م: 205 / 206.

² - صحيح البخاري: 37 / 1.

³ - المصدر نفسه: 2 / 146، صحيح مسلم: 2 / 968.

⁴ - سبق تحرير البيت، ينظر: الصفحة: 98 من هذا البحث.

⁵ - البيت قائله مجهول، ينظر: ابن مالك، شواهد التوضيح والتصحيح: 121.

⁶ - البيت قائله مجهول، المصدر نفسه: 121.

"كائن"، وهذا من التعسف بمكان. لماذا نلجأ إلى تقدير عمدة الكلام وهو الخبر لأجل الفضلة، بل الأوجه تبعا للمعنى ولقواعد الصناعة النحوية أن تكون الجملة الفعلية في محل رفع الخبر.

ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس: 19]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: 14]، وعلى هذا فإننا نذهب إلى ترجيح رأي الرماني وابن الشجري (ت 542هـ) وابن مالك والشلوبين من أن المبتدأ المذكور بعد "لولا" على ثلاثة أضرب:

أ- مخبر عنه بكون مطلق؛ فهذا يجب حذف خبره نحو قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة: 251]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: 83]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ﴾ [النساء: 113]، وقول عمر - رضي الله عنه - : «لولا علي لهلك عمر»¹.

ب- مخبر عنه بكون مقيد لا يُدرك معناه عند حذفه؛ فهذا يجب ذكر خبره، نحو قوله تعالى: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: 68]، وقول النبي - عليه الصلاة والسلام - في إحدى روايتي الحديث: { لولا قومك حديثٌ عهدهم بـكفر }، وقول عبد الرحمن بن الحارث لأبي هريرة رضي الله عنه: «إني ذاكر لك أمراً، ولولا مروان أقسم علي فيه لم أذكره لك»²، وقول الشاعر:

لولا زهير جفاني كنت منتصرا ** ولم أكن جانحا للسلم إذ جنحوا

وقول الآخر:

لولا ابن أوس نأى ما ضيم صاحبه ** يوما ولا نابه وهنٌ ولا حذرٌ

ج- مخبر عنه بكون مقيد يدرك معناه عند حذفه، فهذا يجوز حذف خبره ويجوز ذكره، ومن ذلك - مثلا - قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: 31]، وقول أبي العلاء المعري:

يذيب الرعب منه كل غضب ** فلولا الغمد يمسكه لسالا

2- إذا كان المبتدأ نصا صريحا في القسم: وذلك نحو: "لعمرك الله"، و"أيمُن الله" أي: "لعمرك الله قسمي"، و"أيمُن الله قسمي أو يميني"، ومما جاء من ذلك في كلام العرب قول طرفة بن العبد "من الطويل":

لعمرك ما الأيام إلا معارة ** فما استعطت من معروفها فتزود³

وقول ليلى الأخيلية "من الطويل":

¹ - ينظر: الكشميري (محمد أنور شاه بن معظم شاه)، فيض الباري على صحيح البخاري، تح: محمد بدر عالم الميرهي، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: 1، 1426هـ - 2005م: 5/ 586.

² - صحيح البخاري: 29/ 3.

³ - طرفة بن العبد، الديوان: 32.

لعمرك ما بالموت عار على الفتى ** إذا لم تصبه في الحياة المعايير¹

وقول معن بن أوس "من الطويل":

لعمرك ما أهويتُ كفي لريبة ** ولا حملتني نحو فاحشة رجلي²

وقول أبي شهاب الهذلي "من الطويل":

فإنك عمر الله إن تسألهم ** بأحسابنا إذا تجل الكبائر

ينبؤك أنا نفرج الهم كله ** بحق وأنا في الحروب مساعر³

ومما ورد من ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: 72]

فارتفع "لعمرك" بالابتداء وحذف الخبر؛ والتقدير: "لعمرك قسمي أو يميني"، وحذف الخبر لأن الحلف كثير الدور على الألسنة، كما أن في الكلام دليلاً عليه؛ فلفظ الحلف يُفهم منه إرادة معنى القسم.⁴

3- إذا كان بعد المبتدأ "واو" تدل على معنى المصاحبة:

وذلك كقولنا: "أنت ورأيك"، "كلُّ صانع وصنعتة"، "كل ثوب وقيمتة"، ونحو ذلك. وإنما وجب الحذف هنا لأن "الواو" وما بعدها قاما مقام "مع" ومجرورها، فقولنا مثلاً: "كل صانع مع صنعتة" تام لا يحتاج لمزيد بيان؛ لأجل ذلك استُغني عن الخبر فحذف وجوبا. ويشترط في وجوب الحذف أن تكون "الواو" نصا في قصد معنى المصاحبة، أما إن لم تكن كذلك لم يجب الحذف نحو قول الشاعر "من الطويل":

تمنوا الموت الذي يشعبُ الفتى ** وكلُّ امرئٍ والموت يلتقيان⁵

وزعم الأخفش وابن خروف والكوفيون أنه لا يُحتاج إلى تقدير الخبر لتمام الكلام وصحة معناه؛⁶ وهذا

القول مقبول معنى مرفوض صناعة إذ لا بد من تقدير المسند في الجملة وإلا لما كانت جملة.

4- أن يكون المبتدأ مصدرا وبعده حال سدت مسد الخبر؛ ويكون ذلك على ثلاثة أوجه:

أ- أن يكون المبتدأ مصدرا عاملا في اسم مفسّر لضمير ذي حال؛ نحو قولنا: "ضربي زيدا قائما" وأصله عند البصريين: "ضربي زيدا إذا كان قائما"، و"كان" هنا تامة. وأستدل على كونه حالا بوقوع الجملة الاسمية

¹ - ليلي الأخيلية، الديوان: 40.

² - معن بن أوس المزني، الديوان، تح: فون بول شوارتز، مطبعة أوتو هاروسويتز: لايبزيغ- ألمانيا، 1903م، (د، ط)، ص: 25، وينظر: القالي (أبو علي اسماعيل بن القاسم)، الأمالي، تح: محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية: القاهرة، ط: 2، 1344هـ: 2/234.

³ - ينظر: ابن جني (أبو الفتح عثمان)، التمام في تفسير أشعار هذيل، تح: أحمد ناجي القيسي، خديجة الحديشي، مطبعة العاني: بغداد، ط: 1، 1381هـ- 1971م: 71.

⁴ - ينظر: الزمخشري، الكشاف: 2/586، الرازي، تفسير الرازي: 19/156.

⁵ - يُنسب البيت للفرزدق ولم أعثر عليه في ديوانه، ينظر: إميل يعقوب، المعجم المفصل في شواهد العربية: 8/208.

⁶ - ينظر: ابن مالك، شرح التسهيل: 1/277.

المقرونة بواو الحال موقعه؛ كقول النبي عليه الصلاة والسلام: {أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد}،¹
وقول الشاعر "من البسيط":

خيرُ اقترابي من المولى حليف رضىً ** وشر بعدي منه وهو غضبان²

وينبغي أن نلفت الانتباه هنا إلى نقطة هامة؛ وهي أن الإعراب فرع المعنى فهو يرتبط به ارتباطاً أساسياً، ولأجل ذلك فإن الذي يسد مسد الخبر في هذه الحالة قد يكون الحال، وقد يكون المفعول لأجله كذلك حسب المعنى الذي يُفهم من السياق؛ ففي قولنا - مثلاً -: "ضربي العبد مسيئاً"، وقولنا: "مساعدتي الرجل محتاجاً"؛ المعنى هو الذي يحدد الوظيفة النحوية لكل من "مسيئاً" و"محتاجاً"؛ فإذا كان الضرب للعبد أثناء تلبسه بالإساءة، ومساعدة الرجل أثناء تلبسه بالحاجة وإظهار الفاقة فإن الوظيفة النحوية لكل منهما هي: "الحال".

وإذا كان "الضرب" و"المساعدة" لأجل إساءة العبد واحتياج الرجل - ولا يعني ذلك بالضرورة أن يكون كل منهما متلبساً بالإساءة أو بالحاجة أثناء وقوع الفعل عليهما، بل قد تكون الإساءة أو الحاجة متقدمة على وقوع الفعل؛ فالعبد يُضرب لأجل إساءته المتكررة المعروفة عنه، والرجل يُساعد لأجل حاجته وفاقته المعروفة عنه - فالوظيفة النحوية لكل منهما في هذه الحالة هي: "المفعول لأجله".

ب- أن يكون المبتدأ مضافاً للمصدر المذكور؛ نحو: "أكثر شربي السويق ملتوتا".

ج- أن يكون المبتدأ مؤوّلاً بالمصدر المذكور؛ نحو: "أخطب ما يكون الأمير قائماً"؛³ وهذه الجمل تبعا للمسند لا تعد اسمية ولا فعلية بل هي جمل وصفية؛ لأن المسند فيها يقيد المسند إليه بوصف معين.

¹ - صحيح مسلم: 1/ 350، مسند أحمد: 15/ 274، ابن حبان (أبو حاتم البستي)، صحيح ابن حبان، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط: 1، 1408هـ- 1988م: 2/ 330.

² - البيت بلا نسبة، ينظر: العيني، المقاصد النحوية: 1/ 565، حسن شُراب، شرح الشواهد الشعرية: 3/ 263.

³ - ينظر: سهام الزعبوط، الحذف والتقدير في صحيح البخاري: 84.

3- حذف المفعول به:

يعد المفعول به أحد مخصصات النواة الإسنادية ولأجل ذلك عدوه فضلة لكونه زائدا على المنظومة الإسنادية لا أنه فضلة في المعنى، بل إن صحة المعنى كثيرا ما تتوقف عليه فهو يلعب دورا أساسيا في تخصيص المعنى وتوضيحه وتعيينه. يقول ابن يعيش شارحا كلام الزمخشري: «المفعول به فضلة يجوز الاستغناء عنها»؛ اعلم أنه قدم الكلام في الإعراب على المرفوعات لأنها اللوازم للجملة والعمدة فيها والتي لا تخلو منها، وما عداها فضلة يستقل الكلام دونها».¹

وعليه فإن المفعول به قد يكون حذفه جائزا حيناً، وواجبا أحيانا، وممتنعا أحيانا أخرى كما في الحالات التالية:

- 1- إذا ناب عن الفاعل لأنه يصير عمدة في الكلام.
 - 2- إذا وقع متعجبا منه؛ نحو: "ما أحسن النجوم"!
 - 3- إذا كان محصورا كما في قولنا: "ما حفظتُ إلا القرآن".
 - 4- إذا حُذف عامله؛ نحو: "خيرا لنا شرا لهم".
 - 5- إذا كان ضميرا عائدا على المبتدأ؛ نحو: "زيد ضربته"؛ إذ لو حُذف المفعول به لوجب نصب "زيد".
 - 6- إذا وقع جوابا في سؤال سائل؛ نحو: "الإحسان" في إجابة سؤال: "ماذا قصدت؟".²
- وحذف المفعول به ليس على إطلاقه بل لابد للحذف من دليل، ويُستثنى من ذلك ما سماه البلاغيون بالاعتصار، فليس فيه اشتراط للدليل على المحذوف؛ لأن المحذوف غير منوي أصلا في ذهن المتكلم، وفي هذه الحالة يكون الفعل المتعدي كاللازم، فلا ينبغي أن يُقدر له مفعول لا لفظا ولا تقديرا.³
- ويكون الغرض من هذا الحذف الإطلاق وبيان اتصاف الفاعل بالفعل؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [البقرة: 77]؛ أي: "يعلم ما يسرونه وما يعلنونه"، فحذف المفعول هنا لبيان أن الله عز وجل يعلم كل ما يسرونه وكل ما يعلنونه؛ أي يعلم إسرارهم وإعلانهم بغض النظر عما يسرونه وما يعلنونه.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: 9]؛ المراد بالعلم هنا: "الفقه" و"الفهم" بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾؛ ولأجل

¹ - ابن يعيش، شرح المفصل: 200 / 1.

² - ينظر: العرود، الحذف في شعر المتنبي: 46، 47.

³ - ينظر: حمودة، ظاهرة الحذف: 225.

ذلك حذف المفعول به لأن المراد الفعل ذاته وهو الفقه والفهم بغض النظر عما يُفقه ويفهم، ولهذا فإن هذا الفعل المتعدي صناعةً يُعد في هذا السياق لازماً مستغنياً عن المفعول به.

ويرى عبد القاهر الجرجاني أن من هذا القبيل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ (23) فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: 23-24]؛ حيث يقول معلقاً على الحذف في الآية الكريمة: « فيها حذف مفعول في أربعة مواضع؛ إذ المعنى: "وجد عليه أمة من الناس يسقون أغنامهم أو مواشيهم" و "امرأتين تذودان غنمهما" و "قالتا لا نسقي غنمنا" و "فسقى لهما غنمهما".

ثم إنه لا يخفى على ذي بصيرة أنه ليس في ذلك كله إلا أن يُترك ذكره ويُؤتى بالفعل مطلقاً، وما ذاك إلا أن الغرض في أن يُعلم أنه كان من الناس في تلك الحال سقي، ومن المرأتين ذود، وأنهما قالتا: "لا يكون منا سقي حتى يُصدر الرعاء"، وأنه كان من موسى - عليه السلام - من بعد ذلك سقي، فأما ما كان المستقي؟ أغنماً أم إبلاً أم غير ذلك؟، فخارج عن الغرض، وموهم خلافه.

وذاك أنه لو قيل: "وجد من دونهن امرأتين تذودان غنمهما"، جاز أن يكون لم يُنكر الذود من حيث هو ذود، بل من حيث هو ذود غنم، حتى لو كان مكان الغنم إبل لم يُنكر الذود كما أنك إذا قلت: "ما لك تمنع أحاك؟"، كُنت مُنكراً المنع، لا من حيث هو منع، بل من حيث هو منع أخ، فاعرفه تعلم أنك لم تجد لحذف المفعول في هذا النحو من الروعة والحسن ما وجدت، إلا لأن في حذفه وترك ذكره فائدة جلية، وأن الغرض لا يصح إلا على تركه».¹

ونحن نخالف الجرجاني فيما ذهب إليه؛ إذ ليس الحذف هنا من قبيل الاختصار، بل هو فيما يبدو - والله أعلم - من قبيل الاختصار؛ إذ ليس الغرض من الحذف أن يُعلم أنه كان من الناس في تلك الحال سقي ومن المرأتين ذود، فهذا معلوم من السياق ضرورة، فالقصة جاءت في أوجز تعبير معجز فحذفت المفاعيل لبداهة علمها من السياق ولعدم الفائدة من ذكرها أصلاً.

ومن قبيل الحذف اقتصاراً قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ (43) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (44) وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (45) مِنْ نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى (46) وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى (47) وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾ [النجم: 43-48]؛ فالمقصود من ذكر هذه الأفعال هنا هو بيان اتصاف الله عز وجل بهذه الصفات الفعلية، ولذلك صارت هذه الأفعال في هذا السياق أفعالاً لازمة من الناحية المعنوية فلا تحتاج

¹ - الجرجاني، دلائل الإعجاز: 161.

أصلاً إلى تقدير مفعول، فهو سبحانه وحده الذي منه الإضحاك والإبكاء والإماتة والإحياء والإغناء والإقناء.¹

كذلك يُفهم من هذا الحذف بيان إطلاق وشمول أفعال الله عز وجل فلا يخرج عنها مخلوق كائناً من كان هذا المخلوق، فهو سبحانه يحيي ويميت جميع المخلوقات عظيمها وحقيقها جمادها وحيها رطبها ويابسها سواء كانت من عالم الغيب أو من عالم الشهادة، كذلك الإضحاك والإبكاء والإغناء والإقناء، فحتى الجمادات التي لا يتصور العقل البشري منها ضحكا وبكاء يخبرنا عز وجل بهذا التعبير أنه على ذلكقدير.

وهذا ما نفهمه أيضاً من قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (6) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (7) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴾ [الضحى: 6-8]؛ فهو وحده سبحانه المتصف بهذه الصفات الفعلية على وجه الكمال، فهو وحده الذي يكون منه الإيواء للأيتام ولغيرهم، وهو وحده الذي تكون منه الهداية، ووحده الذي يكون منه الإغناء؛ فليست هذه الصفات مقصورة على النبي - عليه الصلاة والسلام - وحده، إضافة إلى معنى الشمول والإطلاق نفهم كذلك أن الله سبحانه وتعالى قد آوى محمداً - عليه الصلاة والسلام - وآوى به؛ فكل يتيم مثله له فيه أسوة حسنة في سيرته، وهداية وهدى به؛ فكل ضال سيهتدي بسيرته، وأغناه وأغنى به فكل فقير سيغنى بسيرته فقد كان عليه الصلاة والسلام فقيراً في المأكل والملبس ومتاع الدنيا لكنه كان غنياً بإيمانه وتوحيده وزهده في الدنيا.

هذا عن حذف المفعول اقتصاراً، أما حذفه اختصاراً فيرد بكثرة في المواضع التالية:

1- مفعول المشيئة والإرادة في سياق الشرط: غالباً ما يُحذف المفعول في هذه الحالة لغرض البيان بعد الإبهام؛ ومن ذلك قول البحري "من الكامل":

لو شئت لم تفسد سماحة حاتم ** كرم ولم تخدم مآثر خالد²

أي: "لو شئت أن لا تفسد سماحة حاتم لم تفسدها".

وقول المتنبي "من الطويل":

وإن الذي حابى جديلة طيء ** به الرب يعطي من يشاء ويمنع³

وقوله "من الطويل":

¹ - ينظر: حمودة، ظاهرة الحذف: 163.

² - ينظر: البحري، الديوان، ص: 508، الجرجاني، دلائل الإعجاز: 163.

³ - ينظر: المتنبي (أبو الطيب أحمد بن الحسين)، الديوان، (د، تح)، دار بيروت: بيروت - لبنان، 1403هـ - 1983م، (د، ط)، ص: 31، وينظر: العرود، الحذف في شعر المتنبي: 48.

كذا أنا يا دنيا إذا شئت فاذهي ** ويا نفس زيدي في كرائيها فُدما¹

وقد كثر هذا الحذف في القرآن الكريم فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: 137]، وقوله تعالى: ﴿إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [الشعراء: 4]، وقوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا﴾ [النساء: 133]، والتقدير: "لو شاء الله هدايتكم لهداكم"، وإنما اطرده حذف المفعول به في هذه الحالة استغناء عنه بجواب الشرط؛ لأجل ذلك نستطيع أن نقول أن الفعل المتعدي في هذه الحالة الإعرابية بالذات يصير لازما إذ لا حاجة إلى المفعول به طالما أن الوظيفة التي يؤديها في الكلام قد أداها عنه جواب الشرط، وهنا تتضافر الصناعة النحوية مع المعنى في تحويل الفعل المتعدي إلى فعل لازم.

2- عائد جملة الصلة: يكثر حذف الضمير العائد على الاسم الموصول الواقع مفعولا به في جملة الصلة كقول المتنبي "من الكامل":

جريت من نار الهوى ما تنطفي ** نار العصى وتكل عما تحرق²

وقوله "من الطويل":

دعيت بتقريظك في كل مجلس ** وظن الذي يدعو ثنائي عليك أسمى³

وقوله "من الكامل":

في كل معترك كلِّي مفرية ** يذمن منه ما الأسنة تحمد⁴

وقد كثر هذا الحذف في القرآن الكريم فمن ذلك قوله تعالى: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: 41]، وقوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: 22]، وقوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر: 11]، وإنما حسن الحذف في هذا التركيب لما يمكن أن نسفيه بالاكْتِفَاء الدلالي إن صح

¹ - "كرائيها": جمع "كريبة" وهي المصيبة وأصبحت من أسماء الحرب، ينظر: المتنبي، الديوان، ص: 176، العرود، الحذف في شعر المتنبي: 48.

² - "العصى": مفرداها "العَصَا" وهي نوع من الشجر، ينظر: أبو الطيب المتنبي، الديوان، ص: 28، الفيروزآبادي، القاموس المحيط: 1318.

³ - لم أعثر عليه في ديوانه.

⁴ - "كلِّي": الرقعة التي تحت عروة المزادة، "مَفْرِيَّة": مشقوقة - مقطوعة، ينظر: المتنبي، الديوان: 48، ابن منظور، لسان العرب: 15/153، 230، ابن وكيع التنيسي (أبو محمد الحسن بن علي)، المنصف للسارق والمسروق منه، تح: عمر خليفة بن إدريس، منشورات جامعة قات يونس: بنغازي، ط: 1، 1414هـ - 1994م، ص: 349.

التعبير؛ وذلك أن الدور المعنوي الذي يؤديه المفعول به هنا قد أداه عنه الاسم الموصول فاستغني به عنه، فلم يكن لذكره - والحالة هذه - فائدة تذكر.

ويجوز الحذف كذلك من اسم الفاعل على قلة بخلاف الفعل؛ كقول الشاعر "من البسيط":

ما الله موليك فضل فاحمده به ** فما لدي غيره نفع ولا ضرر¹

التقدير: "موليكه فضل"، فحذف العائد.

3- عائد جملة الصفة:

إذا كان العائد الذي يربط جملة الصفة بالموصوف مفعولاً به جاز حذفه، وهو في الواقع قليل الورد في اللغة عموماً وفي القرآن الكريم خصوصاً؛ فمن ذلك مثلاً قول الحارث بن كلدة "من الوافر":

فما أدري أغيرهم تناءً ** وطول العهد أم مأل أصابوا²

وقول جرير "من الوافر":

أبحث جمي تهامة بعد نجد ** وما شيء حميت بمستباح³

ومن القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ [البقرة: 48]؛ حيث اختلف النحاة والمفسرون في تقدير المحذوف؛ فقال بعضهم: التقدير: "لا تجزي فيه" ثم حذف الجار والمجرور لأن الظروف يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها، وهذا مذهب سيويه. وقيل: حذف حرف الجر أولاً فانتقل الضمير إلى الفعل فصار: "لا تجزيه"؛ كما في قول الشاعر "من الطويل":

ويوم شهدناه سليماً وعامراً ** قليل سوى الطعن النّھال نوافله⁴

ويُعزى هذا القول للأخفش والزجاج،⁵ وأجاز الكوفيون أن يكون التقدير: "يوماً لا تجزي نفس"، فيصير من قبيل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الانفطار: 19]، ويكون "يوماً" بدلاً من "يوماً"، ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه كقوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقُرْآنَ﴾ [يوسف: 82]، وعلى هذا لا يحتاج إلى تقدير عائد؛ لأن الظرف متى أُضيف إلى جملة بعده لم يؤت له فيها بضمير إلا في ضرورة؛ كقول النابغة الجعدي "من الوافر":

مضت مئة لعام ولدت فيه ** وعشر بعد ذاك وحجّتان⁶

¹ - قائله مجهول، ينظر: ابن مالك، شرح الكافية الشافية: 290 / 1.

² - ينظر: سيويه، كتاب سيويه: 88 / 1.

³ - جرير، الديوان: 89.

⁴ - البيت لرجل من بني عامر، "النّھال": المرتوية بالدم، "النّوافل": الغنائم، ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل: 432 / 1.

⁵ - ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون: 335 - 336.

⁶ - النابغة الجعدي، الديوان، ص: 178، وينظر: ابن هشام، مغني اللبيب: 772 / 1.

والذي يبدو لنا- والله أعلم- أنه لا حاجة أصلاً إلى التقدير في هذا السياق بالذات؛ لأننا نجد في التعبير القرآني أنه حيث قال: "لا تجزي" لم يقل "فيه"؛ لأن الحذف يفيد الإطلاق، والإجزاء لا يقتصر أثره على ذلك اليوم بل سيمتد إلى الأبد؛ فإذا جرى أحد عن أحد فإنه سيكون نتيجة ذلك في الجنة، أو يُخَفَّف عنه العذاب الأبدي في النار، ولو قال "فيه" لربما توهم السامع أن أثر الجزاء مقتصر على ذلك اليوم.

ومثل هذا قوله تعالى: ﴿وَإِخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ [لقمان: 33]، بخلاف قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: 281]، وقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: 37]؛ فإن الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى وتقلب القلوب والأبصار مختص بيوم القيامة.¹

4- العائد على المبتدأ من جملة الخبر:

إذا وقع الضمير الذي يربط جملة الخبر بالمبتدأ منصوباً جاز حذفه على الوجه الأضعف والأقل شيوعاً عند العرب إذ المشهور عنهم النصب؛ فمن ذلك قول امرئ القيس "من المتقارب":
فأقبلت زحفا على الركبتين ** فتوبت لبست وثوب أجراً²
وقول الآخر "من الوافر":

ثلاث كلهن قتلن عمدا ** فأخزى الله رابعة تعود³

وقول أبي النجم العجلي "من الرجز":

قد أصبحت أم الحيار تدعي ** علي ذنبا كله لم أصنع⁴

ولم يرد هذا الحذف في القرآن الكريم - فيما نعلم - إلا في قراءة ابن عامر: ﴿وَكُلُّ وَعْدَ اللَّهِ الْحَسَنَى﴾ [النساء: 95].⁵

5- بعد نفي العلم وما في معناه: يكثر حذف المفعول به إذا وقع بعد فعل يفيد العلم أو ما في معناه مسبوقاً بنفي⁶؛ فمن ذلك - مثلاً - قوله تعالى: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: 9] حيث حُذِف المفعول به هنا للإطلاق والتوسع في المعنى؛ فهؤلاء المنافقون لا يشعرون أنهم يخدعون أنفسهم

¹ - ينظر: فاضل صالح السامرائي، على طريق التفسير البياني، مطبوعات جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، 1425هـ - 2005م، (د، ط): 380 / 2.

² - لم أعثر عليه في ديوانه، ينظر: سيبويه، كتاب سيبويه: 86 / 1.

³ - لا يُعرف قائله، المصدر نفسه: 281 / 1.

⁴ - سبق تخريج البيت، ينظر: الصفحة: 147 من هذا البحث.

⁵ - ينظر: الواسطي (أبو محمد نجم الدين عبد الله بن عبد المؤمن)، الكنز في القراءات العشر، تح: خالد المشهدي، مكتبة الثقافة الدينية: القاهرة، ط: 1، 1425هـ - 2005م: 675 / 2.

⁶ - ينظر: حمودة، ظاهرة الحذف: 230.

ولا يشعرون بعاقبة أعمالهم الوخيمة، ولا يشعرون أنهم مُستدرجون بما يلي الله لهم من النعم، ولا يشعرون بسخط الله عليهم ونحو ذلك، وكل هذه المعاني وغيرها مرادة.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 13]؛ فهم لا يعلمون أنهم هم السفهاء حقا، ويحتمل أن يكون العلم هنا بمعنى الفقه والفهم، فهم لا يفقهون ولا يفهمون ولو جيء لهم بكل آية لعماء بصيرتهم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: 154]؛ أي لا تشعرون بحياة هؤلاء الشهداء، ولا تشعرون بأحوال أهل القبور، ولا تشعرون بكل ما يخص عالم الغيب، ونحو ذلك. وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَأَتَتْهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 38] بهذا الإطلاق يحتمل أن يكون نفي العلم عنهم في الآخرة أثناء العذاب، ويحتمل أن يكون ذلك في الدنيا؛ فقد كانوا فيها لا يعلمون؛ أي لا يفقهون ولا يبصرون ببصيرة الحق ولأجل ذلك كان مآلهم إلى ما آلوا إليه من العذاب والنكال في الجحيم.

أما قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْخُلُوفَ (83) وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ (84) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة: 83-85]؛ فالظاهر من السياق أن الخطاب موجه إلى الكفار، ويجذف المفعول يحتمل أن يكون المراد بالإبصار هنا الإبصار المعنوي؛ فهم لا يبصرون الحق ببصائرهم ولا يرتدعون عما هم فيه من الكفر والتكذيب رغم ما يشاهدونه من آية الموت أمامهم، وقد يكون المراد بالإبصار هنا الإبصار الحسي وحينئذ يشمل الخطاب جميع البشر؛ فهم لا يبصرون ملك الموت وأعوانه حين الاحتضار، كما لا يبصرون كذلك أي شيء آخر من عالم الغيب، وكل هذه المعاني مرادة والله أعلم، وما كان ذلك أن يتأتى دون حذف المفعول.

4- حذف المضاف:

حذف المضاف في اللغة على نوعين:

1- أن يحذف المضاف ويُقام المضاف إليه مقامه مع وجود قرينة تدل على المضاف المحذوف؛ كقولنا: "أكلت الشاة" أي: أكلت لحم الشاة.

2- أن يحذف المضاف مع بقاء عمله في المضاف إليه؛ نحو قول أبي داود جارية بن الحجاج الإيادي "من المتقارب":

أَكَلَّ امرئ تحسبين امرأ ** ونازٍ توقد بالليل نارا¹

أي: "وكل نارٍ"؛ فحذف المضاف وأبقى عمله.

وقد توسع بعض النحاة والمفسرين في النوع الأول من هذا الباب توسعا ملفتا للنظر، لاسيما ابن جني الذي يذكر أن منه في القرآن الكريم نحو ثلاثمائة موضع؛² ونحن إذا تتبعنا تلك المواضع نجد أن أكثرها من باب التكلف الذي لا دليل عليه، بل إنه في كثير من الأحيان يفسد المعنى ويفرضه السياق وتمحجه سليقة العربي؛ فمثال ذلك ما قيل في قول المتنبي "من البسيط":

إني نزلت بكذابين ضيفهم ** عن القرى وعن الترحال محدود³

وقوله أيضا "من البسيط":

أكلما اغتال عبدُ السوء سيده ** أو خانه فله في مصر تمهيد⁴

حيث يقدر النحاة مضافا محذوفا: "إني نزلت بدار كذابين"، و"فله في أهل مصر تمهيد"، ولسنا نرى دليلا على توضيق المعنى بهذا التقدير؛ لأن الشاعر يريد أن يخبر بأنه نزل بكذابين سواء كان ذلك في دارهم أو في غير دارهم، كما أن عبد السوء يجد له في مصر تمهيد وليس بالضرورة في أهل مصر، وكذلك ما قيل في قول حسان بن ثابت رضي الله عنه "من الكامل":

يَسْتَقُونَ مَنْ وَرَدَ الْبَرِيصَ عَلَيْهِمْ ** بَرَدَى يُصَفَّقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ⁵

¹ - سبق تخريج البيت، ينظر: الصفحة: 124 من هذا البحث.

² - ينظر: حمودة، ظاهرة الحذف: 232.

³ - ينظر: المتنبي، الديوان، ص: 507.

⁴ - ينظر: المصدر نفسه، ص: 507.

⁵ - "البريص": اسم موضع، وقيل: اسم نهر، "برَدَى": اسم نهر، "يُصَفَّقُ": يخلط الرحيق وهي الخمر البيضاء، وقيل أجود أنواع الخمر، "السَّلْسَل": السائغ الشرب، ينظر: حسان بن ثابت الأنصاري، الديوان، تح: عبد الله مهنا، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: 2، 1414هـ - 1994م، ص: 184، الأشموني، شرح الأشموني على الألفية: 2/ 173.

فالتقدير عند النحاة: "ماء بردى"؛ وذلك لأنه لا يستقيم الإخبار بالفعل "يصفق" وهو للمذكر عن "بردى" وهو مؤنث؛ ولا داعي - في نظرنا - لتكلف هذا التقدير لأن الشاعر أراد بـ"البردى" النهر؛ وهو مذكر فوصفه بالتذكير فقال: يصفق، فهو من باب الحمل على المعنى. وهذا بخلاف قول المتنبي - مثلاً - "من الوافر":

فلو طُرحت قلوبُ العشيِّ فيها ** لما خافت من الحَدَقِ الحِسانِ¹

وقوله "من الطويل":

أيا أسدا في جسمه روح ضَيِّعٌ ** وكم أُسِدُّ أرواحهن كلابُ²

فهنا لا يستقيم المعنى دون تقدير مضاف؛ فأصل التركيب في البيت الأول: "قلوبُ أهلِ العشق"، وفي البيت الثاني: "أرواحهن أرواح كلاب".

يقول ابن القيم (ت751هـ) معلقاً على هذا الباب: «وهذا المسلك ضعيف جداً؛ لأن حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه لا يسوغ ادعاؤه مطلقاً وإلا لالتبس الخطاب وفسد التفاهم وتعطلت الأدلة؛ إذ ما من لفظ أمر أو نهي أو خبر متضمن مأموراً به ومنهياً عنه ومخبراً إلا ويمكن على هذا أن يقدر له لفظ مضاف يخرج عن تعلق الأمر والنهي والخبرية، فيقول الملحد في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ أي معرفة حج البيت، و قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ أي معرفة الصيام، وإذا فُتِحَ هذا الباب فسد التخاطب وتعطلت الأدلة.

وإنما يُضمَر المضاف حيث يتعين ولا يصح الكلام إلا بتقديره للضرورة؛ كما إذا قيل: "أكلت الشاة"، فإن المفهوم من ذلك أكلت لحمها، فحذف المضاف لا يلبس، وكذلك إذا قلت: "أكل فلان كبدة فلان" إذا أكل ماله؛ فإن المفهوم أكل ثمرة كبده فحذف المضاف هنا لا يلبس، ونظائره كثيرة³.

ومما جعله بعض النحاة والمفسرين من هذا الباب من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الفاحة: 4]؛ حيث قدروا الكلام: "مالك أحكام يوم الدين" أو "مالك الأمر كله يوم الدين"⁴، فجعلوه من قبيل قول الشماخ "من الرجز":

رُبَّ ابنِ عَمٍّ لَسُلَيْمَى مُشْمَعَلٍ ** طَبَّاحِ سَاعَاتِ الْكَرَى زَادَ الْكَسَلَ⁵

¹ - ينظر: المتنبي، الديوان، ص: 544.

² - المصدر نفسه: 480.

³ - ابن القيم، بدائع الفوائد: 3/ 25.

⁴ - ينظر: أبو شادي، الحذف البلاغي: 69.

⁵ - "مُشْمَعَلٌ": الجاد في الأمر السريع، "الكَرَى": النوم، ينظر: الشماخ بن ضرار الغطفاني، الديوان: 109، القيسي، إيضاح شواهد الإيضاح: 1/ 229.

ويُستدل على أن هذه الآية من باب التوسع أن الاستيلاء على الظرف استيلاء على المظروف، وليس الأمر كذلك بل الاستيلاء على الظرف استيلاء على المظروف وزيادة؛ فالله عز وجل يملك الأمر كله يوم الدين ويملك أيضا مجيء هذا اليوم ووقوعه، ففي هذا التقدير تضيق للمعنى بلا دليل. ولا يجوز لقائل أن يقول: إن نسبة الملك إلى الزمان من باب التوسع؛ لأن هذا يقال في حق المخلوق، أما الله عز وجل فليس كمثله شيء وهو خالق كل شيء ومليكه، خالق الزمان والمكان ومالكهما.

هذا، والتقدير هنا يخالف أصول الصناعة النحوية؛ فالتمسك بالظاهر واجب مهما أمكن، والألفاظ إذا أمكن حملها على ظاهرها فلا يجوز العدول بها عنه، فكيف إذا كان العدول يؤدي إلى تغيير المعنى بلا دليل. ويرى بعض الأصوليين تقدير المضاف المحذوف سائغا مطردا في كل ما نُسب فيه حكم شرعي إلى ذات؛ لأن الطلب لا يتعلق إلا بالأفعال،¹ وفي هذه القاعدة نظر لأنه قد ينجر عنها تحريف ضمني لآيات كثيرة؛ فمن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَالْخَنِزِيرَ وَمَا أَهْلَ بِهِ لَعَنَ اللَّهُ﴾ [البقرة: 173]؛ فالتقدير عندهم: "حرم عليكم أكل الميتة"، وهذا تضيق للمعنى المراد من الآية الكريمة بلا دليل؛ فإن الشارع الحكيم لم يحرم أكل الميتة فحسب، بل حرم كل وجوه الانتفاع بها؛ كالانتفاع بشحومها في دهن السفن والاستصباح والانتفاع بثمرتها ومجلودها.

وما أجمله الكتاب العزيز فصلته السنة المطهرة؛ حيث قال عليه الصلاة والسلام عام الفتح وهو بمكة: { إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْخَنِزِيرِ وَالْأَصْنَامِ، فَقِيلَ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ شُحُومَ الْمَيْتَةِ، فَإِنَّهُ يُذْهِنُ بِهَا السُّفُنُ، وَيُذْهِنُ بِهَا الْجُلُودُ، وَيَسْتَصْبَحُ بِهَا النَّاسُ؟"، قَالَ: لَا، هُنَّ حَرَامٌ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ، إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْهِمُ الشُّحُومَ، فَأَجْمَلُوهُ، ثُمَّ بَاعُوهُ فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ }².

وعن عبد الله بن عكيم الجهني قال: قُرئ علينا كتاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونحن بأرض جهينة: { لَا تَتَنَفَّعُوا مِنَ الْمَيْتَةِ بِإِهَابٍ وَلَا عَصَبٍ }³.

فالسنة قد أثبتت معنى ما جاء في الكتاب الحكيم من أنه يحرم الانتفاع بالميتة من كل وجه وليس الأكل فحسب، ولم تُستثن إلا ميتة السمك والجراد وما طُهر من جلد الميتة بالدباغ⁴؛ ويؤكد هذا ما رواه عبد الله

¹ - ينظر: حمودة، ظاهرة الحذف: 233.

² - ابن ماجه (أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني)، سنن ابن ماجه، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط: 1، 1430هـ - 2010م: 3/ 295.

³ - ابن حبان، صحيح ابن حبان: 4/ 95.

⁴ - ينظر: الدارقطني أبو الحسن علي بن عمر، سنن الدارقطني، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط: 1، 1424هـ - 2004م: 1/ 59، صحيح ابن حبان: 4/ 372.

بن عكيم حيث قال: «حَدَّثَنَا مَشِيخَةُ لَنَا مِنْ جُهَيْنَةَ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَتَبَ إِلَيْهِمْ: {أَنْ لَا تَسْتَمْتِعُوا مِنَ الْمَيْتَةِ بِشَيْءٍ}»¹.

ومما لا يُستساغ من هذا التقدير تقديرهم مضافا محذوفا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: 56]؛ حيث قالوا إن التقدير: "إن مكان رحمة الله قريب من المحسنين"؛ وهذا تكلف بعيد إذ ليس في اللفظ ولا في سياق المعنى ما يدل على إرادة المكان أصلا، ولا بد للحذف من دليل صريح أو ضمني، وهذا ما لا نجده هنا.

ويرى بعضهم أن من هذا القبيل أيضا تقديرهم مضافا محذوفا في قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: 82]؛ فالمستقري لكلام العرب يلاحظ أنهم يطلقون لفظ القرية على السكان المجتمعين في موضع واحد، لذلك فإن هذه الكلمة تُطلق باعتبار الأمرين: السكان والموضع، ولكنرة استعمالهم لهذه اللفظة ودورانها في كلامهم أطلقوها على أحد المعنيين وتركوا تحديده وتعيينه للسياق الذي ترد فيه،² كما جاء في الآية الكريمة فإن السياق يدل على أن المراد بالقرية هو أهلها دون حاجة إلى تكلف تقدير. وهذا صحيح، إلا أنه لا مانع - في نظرنا - من تقدير مضاف محذوف في هذا الموضع في مجال النحو التعليمي لشرح وتبسيط قواعد الحذف في العربية - كما ذكرنا سابقا - طالما أن المعنى في الحالتين واحد.³

ومن التكلف البعيد من ذهب إلى أن المراد من قوله تعالى: ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: 107]: "كانت لهم دخول جنات..."⁴؛ فأبي داع إلى هذا التقدير والمعنى مفهوم وسائغ بدونه؟! بل إنه تحريف لمعنى الآية كما هو ظاهر.

ولعل أكبر عيب لهذا التقدير المزعوم أنه ينقض قاعدة أصولية أجمعت عليها عقول البشر؛ وهي أن الأصل في الكلام أن يحمل على عمومته حتى يرد الدليل على تخصيصه؛ فمن ذلك قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: 167]، حيث قدر بعضهم: "جزاء أعمالهم"، وهذا تخصيص بلا دليل؛ إذ المفهوم من الآية أن الله سبحانه يريهم جزاء ما قدمته أيديهم كما أنه يريهم أيضا أعمالهم التي عملوها في الدنيا كما هي ليزدادوا غما إلى غمهم؛ لو أنهم أخلصوها لله ولم يعدلوا به سواه.

¹ - المصدر السابق: 4 / 95.

² - ينظر: ابن القيم، بدائع الفوائد: 3 / 24، 25.

³ - ينظر: الصفحة: 123، والصفحة: 193 من هذا البحث.

⁴ - ينظر: الباقرلي (أبو الحسن علي بن الحسين)، إعراب القرآن، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتب اللبنانية: القاهرة - بيروت، ط: 1، 1420هـ - 2000م، ص: 92.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ [البقرة: 179]؛ حيث زعم بعضهم أن التقدير: "ولكم في استيفاء القصاص أو في شرع القصاص حياة"¹، وليس هذا هو المتبادر من الآية؛ فليس المطلوب استيفاء القصاص إذ أن ولي القتل قد يغفو عن القاتل، كما أن الحياة التي يستفيد منها الناس من القصاص ليست متوقفة على تشريع القصاص؛ فإن القصاص مشروع على كل حال لكن الكفار يحولون دون تطبيقه فلا تتحقق الحياة المنشودة. وقد يقول قائل: "لم لا نقدر "تطبيق" أو "إقامة"، فنقول: لا دليل على هذا التقدير، فالسياق لا يقتضيه والأصل في الكلام أن يحمل على ظاهره حتى يدل دليل على خلاف ذلك.

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: 22]؛ حيث قالوا إن التقدير: "من ترك ذكر الله"²، وفي هذا إقصاء لمعنى آخر متبادر من الآية الكريمة وصنف آخر من القاسية قلوبهم؛ إذ أن القاسية قلوبهم صنفان من الناس: صنف قست قلوبهم بسبب ترك ذكر الله عز وجل فنسوه فطُبع على قلوبهم؛ كما قال تعالى: ﴿كَأَلَّا بِلَ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: 14]، وصنف آخر من الناس - وهم الذين أقصاهم هذا التقدير - تقسوا قلوبهم بمجرد سماع ذكر الله ودعائه وحده دون الأنداد؛ ومصدق ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: 45].

وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: 1]؛ قيل إن التقدير: "أضل جزاء أعمالهم"³، وهو معنى الإحباط وهو جزء من معنى الإضلال؛ إذ أن الإضلال يكون في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (8) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَخْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: 8، 9]؛ فالله عز وجل يضل أعمال الكافرين في الدنيا والآخرة بأن لا يهديهم إلى إصابة الحق فيها؛ فما كان خالصا منها لله عز وجل لا يكون صوابا، وما كان منها صوابا لا يكون خالصا، وما كان خالصا وصوابا يكون حابطا في الآخرة غير مقبول عند الله عز وجل؛ ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والكافر لا يُرفع له عمل.

وبالغ قوم في تقدير حذف المضاف حتى قالوا أن قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدِّلَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنْزَلُ الْقُرْآنُ تُبَدِّلَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (101) قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾ [المائدة: 101، 102] فيه مضاف محذوف تقديره: "ثم

¹ - ينظر: أبو شادي، الحذف البلاغي: 71.

² - المرجع نفسه: 72.

³ - المرجع نفسه: 73.

أصبحوا بردها كافرين"،¹ وهذا تضيق لمعنى الكفر بلا دليل إذ الكفر بها لا ينحصر في ردها؛ بل قد يكون بالشك فيها أو الاستهزاء بها ونحو ذلك.

وهذا الكلام لا يعني أننا ننفي حذف المضاف مطلقا في القرآن الكريم بل إن حذفه ثابت في مواضع كثيرة منه؛ من ذلك - مثلا - قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: 31]؛ والتقدير: "على رجل من إحدى القريتين عظيم"،² والقريتان هما: مكة والطائف، وقيل إنهما أبو مسعود الثقفي من الطائف، والوليد بن المغيرة من مكة، وذكر غيرهما. وحذف المضاف هنا لوضوحه وللدلالة على أن هؤلاء الكفار لا يهتمهم من أي القريتين يكون الرجل، المهم أن يكون عظيما مطاعا عند قومه، وقد كان مستقرا في أذهان العرب حينذاك أن مكة والطائف هما أعظم مدن العرب. ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: 82] فالتقدير: "وتجعلون شكر رزقكم"؛ وحذف المضاف هنا لأن الآية جاءت في سياق بيان تكذيب الكفار والرد عليهم، وليست في سياق الامتنان وبيان الأرزاق والنعم.

ومن حذف المضاف كذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا﴾ [الإسراء: 110] والتقدير: "ولا تجهر بقراءة صلاتك..."; وسبب هذا الحذف - والله أعلم - أن الآية مكية جاءت لبيان حكم في الصلاة في سياق الإيجاز والاختصار، وفي هذا إشارة إلى أن أحكام الصلاة ستكون لاحقا في المدينة المنورة.

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿عَمَلٌ غَيْرٌ صَالِحٍ﴾ [هود: 46] والتقدير: "إنه ذو عمل غير صالح"، وحذف المضاف هنا للتنبيه على أن أساس الموالاة والمعاداة هو العمل بغض النظر عن النسب؛ فالمؤمنون بعضهم أولياء بعض والكافرون بعضهم أولياء بعض، وإن تباعدت بينهم أواصر النسب أو الوطن أو القوم أو العرق؛ فلا التفات إلى النسب ولا إلى غيره في دين الله عز وجل إلا ما كان من المحبة الطبيعية الجبلية بين الولد ووالده أو الأخ وأخيه ونحو ذلك.

يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: 73]، وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: 71]، وقال أيضا: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [

¹ - المرجع السابق: 76.

² - المرجع نفسه: 72.

المجادلة: 22]. ويحتمل أن يكون الضمير في الآية عائدا على ابن نوح - عليه السلام - فيكون من باب الإخبار عن الذات بالمصدر لغرض المبالغة في تصوير تلبس العمل بصاحبه، كما جاء في قول الخنساء "من البسيط":

تَرْتَعُ ما رتعتُ حتى إذا إدكرتُ ** فإنما هي إقبالٌ وإدبارٌ¹

أما النوع الثاني من حذف المضاف فهو قليل الوجود في اللغة عموماً؛ فمن ذلك قول بشر القشيري "من الطويل":

ولم أر مثل الخير يتركه الفتى ** ولا مثل الشر يأتيه امرؤ وهو طائع²

أما في القرآن الكريم فلا نحسبه ورد إلا في قراءة شاذة لابن الجُمَاز: {والله يريد الآخرة}،³ والتقدير في هذه القراءة: "والله يريد باقي الآخرة"؛ ووجه هذه القراءة أنه لما ذُكر ما يناسب الدنيا وهو العرض الزائل قوبل ذلك بأن أُضمر ما يضاده وهو الباقي بالنسبة للآخرة.

5- حذف المضاف إليه: يُحذف المضاف إليه في عدة مواضع؛ منها:

أ- إذا أضيف المنادى إلى ياء المتكلم؛⁴ وقد كثر هذا الحذف في القرآن الكريم خاصة مع كلمة "رب"، نحو قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ [آل عمران: 35]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: 126]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أُنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [آل عمران: 40]، ومثلها كثير.

ومن قبيل هذا الحذف أيضاً قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: 10]؛ وللحذف هنا قيمة دلالية يمكن أن نفهمها من خلال السياق الذي وردت فيه الآية؛ حيث يبدو أن الكلام هنا هو عن المحسنين، يقول تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (9) قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: 9]،

¹ - الخنساء (تماضر بنت عمرو السلمي)، الديوان، تح: إبراهيم عوضين، مطبعة السعادة: القاهرة، ط: 1، 1405هـ - 1985م، ص: 303.

² - ينظر: إميل بدیع يعقوب، المعجم المفصل في شواهد العربية: 4/ 253.

³ - ينظر: ابن جني (أبو الفتح عثمان)، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تح: علي النجدي ناصف، عبد الحليم النجار، عبد الفتاح شلي، مطبوعات وزارة الأوقاف المصرية: القاهرة، 1415هـ - 1994م، (د، ط): 1/ 281.

⁴ - ينظر: حمودة، ظاهرة الحذف: 239.

[10]، والمحسنون هم عصابة قليلة جدا بالنسبة لعموم البشر، وهم أيضا عصابة قليلة بالنسبة لسائر المسلمين، ولأجل ذلك حُذف المضاف إليه للدلالة على هذا المعنى.

وهذا بخلاف قوله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةً فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: 56]؛ فالكلام هنا عن عموم المسلمين بدلالة السياق؛ لأن الكلام قبل هذه الآية هو عن الكفار. وكذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: 53]؛ فمن المعلوم أن المسرفين على أنفسهم بالذنوب هم أكثر المسلمين، ولأجل ذلك أثبت المضاف إليه للدلالة على هذا المعنى.

أما قوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الزخرف: 68]؛ فالخطاب هنا موجه لأهل الجنة وهم قلة بالنسبة لأهل النار، ولأجل ذلك حُذف المضاف إليه لإفادة هذا المعنى؛ يقول تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرَ النَّاسَ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: 103]، ويقول أيضا: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ خَلَوْا بِهِمْ وَلَا يَجْعَلُ اللَّهُ سَبِيلَ اللَّهِ﴾ [الأنعام: 116].

ب- يحذف المضاف إليه بعد ألفاظ الغايات مثل: "قبل"، و"بعد"، و"أول"، وأسماء الجهات، ويبنى المضاف على الضم وذلك عندما ينوي المتكلم معناه دون لفظه؛ وذلك كقوله تعالى: ﴿الْم (1) غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الروم: 1-4]؛ والتقدير: "لله الأمر من قبل غلبهم ومن بعده"، فحُذف المضاف إليه لدلالة السياق عليه.¹ أما ما يُروى من قول الشاعر "من الطويل":

ومن قبل نادى كلُّ مولًى قرابةً ** فما عطفَتْ مولًى عليه العواطفُ²

فهو على نية لفظ المحذوف؛ وهو من النادر الذي لا يقاس عليه.

ج- ويحذف المضاف إليه أيضا إذا نوى المتكلم لفظه دون معناه مع بقاء التنوين؛ ومن ذلك القراءة الشاذة لابن محيصن: {فلا خوفٌ عليهم} [البقرة: 38]؛³ والتقدير: "فلا خوفٌ شيءٍ عليهم"، وقول الراعي النميري "من البسيط":

وما صرمتكِ حتى قلتِ معلنةً ** لا ناقةً لي في هذا ولا جمل⁴

وقول يزيد بن الصعق "من الوافر":

¹ - ينظر: المرجع السابق: 239.

² - لا يعرف قائله، ينظر: ابن مالك، شرح الكافية الشافية: 963 / 2.

³ - ينظر: الواسطي، الكنز في القراءات العشر: 407 / 2.

⁴ - الراعي النميري، الديوان، ص: 198.

فساغ لي الشراب وكنث قنبلاً ** أكاد أعصُ بالماء الزلال¹

وأكثر ما يقع هذا الحذف إذا وُجد في الكلام إضافتان متعاطفتان كقول الفرزدق "من المنسرح":

يا مَنْ رأى عارضاً أُسْرُ به ** بين ذراعي وجبهة الأسد²

د- يجوز حذف المضاف إليه بعد ألفاظ "كل" و"بعض" و"أي" وبعد "غير" الواقع بعده "ليس"؛ فمن ذلك قوله تعالى: ﴿بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ [البقرة: 116] أي كل ما فيهما، وقوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيَهَا﴾ [البقرة: 148]، وقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ أُنثَىٰ ذَاخِرِينَ﴾ [النمل: 87]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: 33]، وقوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: 7]؛ أي كل ما أنزل، وغير هذا كثير في القرآن الكريم، والغاية منه الإيجاز، والعناية والاهتمام بالخبر.

ومن هذا الحذف قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [النساء: 34]، وقوله تعالى: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ [الأنعام: 112]، وقوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: 110]، وقولهم: "ليس غير".

وكما يُحذف المضاف إليه المفرد يحذف كذلك جملة؛ وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة: 16] فالتنوين عوض عن جملة المضاف إليه المحذوفة وحُذفت للعلم بها.

وقد يُحذف اسمان مضافان؛ كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: 32] أي: "إن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب"، وقوله تعالى: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ [طه: 96]؛ أي: "من أثر حافر فرس الرسول".³ أما ما قيل عن حذف ثلاثة مضافات في قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم: 9]؛ والتقدير: "فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين"؛ فهذا مما لا نسلم به لأن هذه العبارة قد جرت مجرى المثل والعبارات المسكوكة، ولأجل ذلك فلا معنى للتقدير فيها؛ لأن معناها أصبح يُفهم تلقائياً دون حاجة إلى تقدير.

¹ - ينظر: الزمخشري، المفصل في علم العربية: 111.

² - لم أعر عليه في ديوانه، "العارض": السحاب، "ذراعا الأسد": كوكبان، "جبهة الأسد": كواكب سُميت كذلك لموقعها من برج الأسد، ينظر: الأشموني، شرح الألفية: 177/2.

³ - ينظر: سهام الزعوط، الحذف والتقدير في صحيح البخاري: 94.

6- حذف الموصوف:

يكثر حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه في اللغة وخصوصاً في الشعر، وقد استقبحه بعض النحويين كسيبويه والمبرد وابن جني، وذكر بعضهم شروطاً لحذفه تمثلت في أمرين: أحدهما: كون الصفة خاصة بالموصوف حتى يحصل العلم بالموصوف، فإذا كانت الصفة عامة امتنع حذف الموصوف.

الثاني: أن يعتمد على مجرد الصفة من حيث هي لتعلق غرض السياق؛ كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 115]، فإنّ الاعتماد في السياق على مجرد الصفة لتعلق غرض القول من المدح أو الذم بها، وكقوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عَيْنٌ﴾ [الصفات: 48] أي: "حور قاصرات".¹

وهو كما قلنا كثير في الشعر؛ فمن ذلك - مثلاً - قول كعب بن زهير "من البسيط":
وما سعادُ غداةَ البينِ إذ رحلوا ** إلا أَعْنُ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ²
ف"أغن" صفة لموصوف محذوف تقديره: "ظي".

وقول النابغة الذبياني "من الوافر":

كَأَنَّكَ مِنْ جِمالِ بَنِي أَقْيَشٍ ** يُقَعِّعُ خَلْفَ رِجْلَيْهِ بِشْنٌ³
والتقدير: "كأنك جمل"، وقول أبي ذؤيب الهذلي "من الكامل":

وعليهما مَسْرُودَتَانِ قِضَاهُمَا ** داودُ أَوْ صَنَعُ السَّوَابِغِ تُبَعُّ⁴
والمراد: "درعان مسرودتان"، و"الدروع السوابغ". وقول المنتخل الهذلي "من البسيط":

رَبَّاءُ شَمَاءٍ لَا يَأْوِي لِقُلَّتِهَا ** إِلَّا السَّحَابُ وَإِلَّا الْأَوْبُ وَالسَّبَلُ⁵
أي: "هو رجل رَبَّاءُ هَضْبَةٌ شَمَاءٌ"، ومثل هذا كثير في كلام العرب.

¹ - ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن: 3/ 154-155.

² - "أَعْنُ": من وصف الظبي، و"الغنة": صوت جميل يخرج من الأنف، "غَضِيضُ الطَّرْفِ": فاطر الطرف، ينظر: كعب بن زهير (أبو المضرب المزني)، الديوان، تح: علي فاعور، دار الكتب العلمية: بيروت، 1417هـ-1997م، (د، ط)، ص: 60، حسن شُرَاب، شرح الشواهد الشعرية: 2/ 281.

³ - "أَقْيَش": بطن من عُكَل تُعرف إبلهم بنفورها، "الشَّنْ": القرية البالية، ينظر: النابغة الذبياني (أبو أمامة زياد بن معاوية)، الديوان، تح: محمد عبد الرحيم، دار الرتب الجامعية: بيروت، ط: 1، 1428هـ-2007م: 154، أبو محمد السيراني، شرح أبيات سيبويه: 2/ 70.

⁴ - "مَسْرُودَتَانِ": درعان منسوجتان، "السَّوَابِغُ": جمع "سابعة" وهي الدرع الواسعة الواقية، "تُبَعُّ": لقب ملوك اليمن، ينظر: أبو ذؤيب الهذلي، الديوان: 57، الشعراء الهذليون، ديوان الهذليين: 1/ 19، حسن شُرَاب، شرح الشواهد الشعرية: 2/ 97.

⁵ - "رَبَّاءُ شَمَاءٍ": هضبة عالية، "القَلَّةُ": رأس الجبل، "الأَوْبُ": المطر، "السَّبَلُ": المطر النازل، ينظر: الشعراء الهذليون، ديوان الهذليين: 2/ 37، حسن شُرَاب، شرح الشواهد الشعرية: 2/ 340.

وهذا الحذف كثير أيضا في القرآن الكريم فمن ذلك - مثلا - قوله تعالى: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: 4]، وقوله تعالى: ﴿هُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: 114]؛ والتقدير: "الحياة أو الدار الآخرة"، و"الحياة أو الدار الدنيا"؛ وهذا الحذف مطرد في القرآن الكريم، وفائدته الإيجاز للعلم بالمحذوف، كما أن الصفة هي غرض الكلام ومقصوده.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ خُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: 5]؛ والتقدير: "وذلك دين الملة القيمة"، وحذف الموصوف هنا للعلم به اختصارا، وللعناية والاهتمام بالصفة فهي المقصودة بالكلام؛ وذلك لأن الله سبحانه وتعالى ذكر قبل هذه الآية ملل الكفر من اليهودية والنصرانية وملة الشرك وتفرق أهلها، ثم ذكر ما ينبغي أن تكون عليه الملة الحنيفية من صفات قيمة؛ كإخلاص العبادة لله وحده وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

ومنه كذلك قوله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: 46]؛ والتقدير: "من الذين هادوا فريق"؛ وفي هذا الحذف إشارة إلى أن عامة اليهود هذه صفتهم، الذين يحرفون فعلا الكلم عن مواضعه والمشاركون لهم بالرضى عنهم أو السكوت عليهم.

ومن حذف الموصوف كذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾ [التوبة: 101]؛ والتقدير: "ومن أهل المدينة فريق مردوا على النفاق"، وقد حذف الموصوف هنا مراعاة للسياق الذي وردت فيه الآية؛ فهؤلاء المنافقون هم ممن تخفى أعيانهم على النبي - عليه الصلاة والسلام - وأصحابه لقلبتهم وتشتتهم وسط الجماعة المسلمة، كما أنهم مردوا على النفاق؛ أي مهروه وأتقنوه حتى لا يكاد يعرفهم أحد، لأجل ذلك لم يصلح التعبير عنهم بكونهم فريق أو طائفة أو جماعة، ويؤيد ذلك قوله تعالى في نفس الآية: ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا﴾ [البقرة: 126] أي: "أمتعه متاعا قليلا"؛ فحذف الموصوف وهو المصدر المؤكد للدلالة على أن متاع الدنيا ليس بالمتاع أصلا بل هو أحقر من ذلك، وفي هذا من التحقير بشأن هذا المتاع ما فيه.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [النمل: 22]؛ والتقدير: "فمكث زمانا غير بعيد"، وقيل: "فمكث مكانا غير بعيد"، والاحتمالان مرادان، ولأجل ذلك حذف الموصوف.¹

ومن الحذف الذي تكرر كثيرا في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ [الرعد: 29]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأعراف: 153]، والتقدير: "الأعمال" أو "الخصال الصالحات أو السيئات"؛ ويبدو

¹ - ينظر: أبو شادي، الحذف البلاغي: 85-87.

لنا أن الحذف هنا لإفادة معنى العموم والشمول، وذلك حتى لا يتوهم متوهم أو يظن ظان أن المراد بالصالحات أو السيئات هي مجرد الأعمال وحدها دون الأقوال أو النيات والمقاصد، أو ما يسميه العلماء بـ "عمل القلب"؛ كالخشية والمحبة والإنابة ونحوها.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿ أَنْ اَعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [سبأ: 11]؛ والتقدير: "دروعا سابغات"؛ وحذف الموصوف لشيوع وصف الدروع بالسابغات والسواغ حتى أستغني عن الموصوف عند ذكر هذا الوصف، وكذلك لدلالة السياق؛ حيث إن "السرد" هو تركيب حلق الدرع ومساميرها التي تشد شقق الدرع بعضها ببعض فهي للحديد كالخياطة للثوب.¹

وهناك مواضع من القرآن الكريم أدعي فيها حذف الموصوف ولا نرى وجهة ذلك؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا ﴾ [الأنبياء: 30]؛ حيث قال بعضهم: إن التقدير: "كانتا شيئا رتقا" فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه،² وفي هذا ادعاء حذف الخبر وهو العمدة مع إبقاء الصفة وهي من التوابع، وهذا لا يستقيم وأصول الصناعة النحوية كما هو ظاهر.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿ وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾ [الإسراء: 11]؛ حيث قال بعضهم: إن التقدير: "ويدع الإنسان بالشر دعاء مثل دعائه بالخير"؛ ولا دليل على هذا التقدير خاصة وأنه يحصر المراد من الآية في معنى واحد وهو المذكور؛ فالإنسان يدعو في حال الضجر والغضب على نفسه وأهله بما لا يحب أن يستجاب له كما يدعو لنفسه بالخير.³ لكن هناك معنى آخر يتبادر من الآية الكريمة وهو أن الإنسان قد يدعو لنفسه بالشر فيما يبدو له خيرا في عاجل أمره ويستعجل بالإجابة، ولو علم المسكين ما سينجر عن مسألته من الشر لأمسك عن الدعاء، وهذا المعنى لا يتحقق بالتقدير الأول.

وقد يُستغنى عن الموصوف في بعض السياقات الكلامية استغناء مطلقا، فإذا أستخدمت الصفة منفردة في تلك المواضع لا تثير غرابة عند مستعملي اللغة ولا تستدعي تقدير محذوف في الكلام؛ لأنها واضحة الدلالة على المراد، يقول سيبويه: « ولكن الصفة ربما كثرت في كلامهم واستعملت وأوقعت مواقع الأسماء حتى يستغنوا بها عن الأسماء، كما يقولون: "الأبغث" فهو صفة جعل اسماً، وإنما هو لون»،⁴ ويقول ابن

¹ - ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير: 22 / 156 - 157.

² - ينظر: الزحشري، الكشف: 3 / 113.

³ - ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير: 3 / 12.

⁴ - سيبويه، كتاب سيبويه: 3 / 201 - 202.

يعيش: «وربما ظهر أمر الموصوف وعُرف موضعه فيُستغنى عن ذكره البتة، وتقع المعاملة مع الصفة وتصير الصفة كاسم الجنس الدال على معنى الموصوف».¹

ومن ذلك في كتاب الله عز وجل قوله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: 31]؛ حيث قدر بعضهم: "أيه القوم المؤمنون"، ولا حاجة أصلاً إلى التقدير هنا؛ لأن هذه الصفة قد شاع في عرف المتكلمين أن لا يتصف بها إلا القوم أو الفريق من الجن أو الإنس، حتى صار هذا الموصوف لا يخطر ببال السليقي البتة.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ﴾ [القمر: 13] قدر بعضهم: "سفينة ذات ألواح ودسر"؛² ومعلوم في عرف المتكلمين أن هذه الصفة في هذا السياق الذي وردت فيه لا تطلق إلا على السفينة، فأبي حاجة بعد هذا إلى التقدير؟!

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ [ق: 9]؛ قالوا: إن التقدير: "... جناتٍ وحبّ الزرع الحصيد"،³ ولا داعي إليه فهذه الصفة قد أغنت عن هذا الموصوف وحلت محله.

بعد ما سبق بيانه نستطيع أن نقول أن الموصوف لا يُحذف من الكلام إلا بالشروط التالية:

أ- أن تكون الصفة مفردة متمكنة في بابها غير ملبسة؛ نحو قولنا: "مررتُ بحكيم" أي: "مررت برجل حكيم".

ب- لا يجوز حذف الموصوف إذا كانت الصفة جملة؛ نحو: "مررت برجل مات أبوه"، ولقيت رجلاً خلقه جميل؛ لأنه لا يحسن إقامة الصفة مقام الموصوف؛ فلا يجوز: "مررت بمات أبوه"، و"لقيت خلقه جميل".

ج- كذلك لا يجوز حذف الموصوف إذا كانت الصفة شبه جملة ظرفاً؛ نحو: "مررت براهب في صومعته".

د- أن تكون الصفة خاصة بموصوف بعينه لا لغيره؛ نحو: "حائض"، و"طالق"، و"طامث"، و"مرضع" للمرأة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿اَشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم: 18]؛ أي: "في يوم ريح عاصف"؛ لأن العصف خاص بالريح.

ر- أن تجري الصفة مجرى الأسماء؛ وذلك بأن يغلب استعمالها مفردة للموصوف؛ كالبر والفاجر والعالم والجاهل والفقيه والقاضي ونحو ذلك مما تستعمل الصفة فيه مجردة عن الموصوف فلا يكاد يذكر معها الموصوف؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الحجر: 45]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ [القمر: 47].

¹ - ابن يعيش، شرح المفصل: 2/ 256.

² - ينظر: أبو شادي، الحذف البلاغي: 90.

³ - المرجع نفسه: 86.

س- أن يتقدم ذكر المنعوت في السياق؛ نحو قولنا: "اثني بماء ولو بارد"، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل: 25]؛ أي: "وأوزاراً من أوزار الذين يضلونهم"، وحذف الموصوف لتقدم ذكره في السياق.

ص- أن يصاحب المنعوت قرينة سياقية تعينه سابقة كانت أو لاحقة؛ كقوله تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾ [الإنسان: 14]؛ أي: "وجنة دانية"، نستفيد ذلك من القرينة السياقية السابقة وهي قوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُهم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةٌ وَحَرِيرٌ﴾ [الإنسان: 12]، وأخرى لاحقة وهي قوله تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ [الإنسان: 17].

ك- يحذف الموصوف إذا قصد به العموم؛ نحو قوله تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [النمل: 22]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾ [الأنعام: 59].

ن- يحذف الموصوف إذا كان في سياق التعليل؛ نحو قولنا: "صاحب الكريم وباعد اللئيم"؛ أي: "صاحب الرجل الكريم لكرمه، وباعد الرجل اللئيم للؤمه".

هـ- يحذف الموصوف إذا أُريد به الزمان أو المكان؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيْبًا مِنْ دَارِهِمْ﴾ [الرعد: 31]؛ أي: مكاناً قريباً، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴾ (6) وَنَرَاهُ قَرِيْبًا﴾ [المعارج: 6، 7]؛ أي: "يرونه يوماً بعيداً ونراه يوماً قريباً"، وقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيْبًا دَافُّوا وَبَالَ أَمْرِهمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الحشر: 15]؛ أي: "زماناً قريباً"، ويحتمل أيضاً: "مكاناً قريباً".

و- ويحذف أيضاً إذا كانت الصفة بعض اسم متقدم مجرور بـ "من" التبعيضية؛ نحو قوله تعالى: ﴿مِنْهُمْ الصَّاحِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ﴾ [الأعراف: 168]؛ أي: "منهم فريق دون ذلك"، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَا مِنْ الصَّاحِحُونَ وَمِنْ دُونَ ذَلِكَ﴾ [الجن: 11]؛ أي: "من فريق دون ذلك"، وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْهُ إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ [الصافات: 164]؛ أي: "ما من أحد إلا له مقام معلوم".¹ أو تكون الصفة بعض اسم متقدم مجرور بـ "في"؛ نحو قول حكيم بن معية الربيعي "من الرجز":

لو قلت ما في قومها لم تَيْتَمْ * يَفْضُلُهَا فِي حَسَبٍ وَمَيْسَمٍ²

أي: "لو قلت ما في قومها أحد يفضلها"؛ فحذف الموصوف وهو "أحد" وكُسر حرف المضارعة من "تأتم" وأبدلت الهزمة ياء لتناسب الكسرة.

¹ - المرجع السابق: 87.

² - "الميسم": الوسامة والجمال، ينظر: سيبويه، كتاب سيبويه: 2/ 345، البغدادي، خزائن الأدب: 5/ 62.

ي- أن تكون الصفة مشتقة من الفعل، فأما إذا كانت غير ذلك نحو: "مررت برجل"؛ أي: "رجل وأي رجل"، فإنه لا يجوز حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه؛ لأن معناه كامل وليس لفظه من الفعل.¹

7- حذف الصفة:

تحذف الصفة في اللغة مع إرادة معناها في المواضع التي تدل عليها قرينة لفظية أو حالية، بحيث لو لم تقدر الصفة في ذلك الموضع لاختل المعنى. وحذف الصفة مع إبقاء الموصوف أقل شهرة في اللغة العربية من حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه. وعلل ابن هشام هذه القلة بكون الصفة تأتي في الكلام لإزالة عموم الموصوف وتخصيصه، ففي ذكرها توضيح وفي حذفها لبس، والصفة تذكر في مقام الإطناب والإسهاب، وفي حذفها إيجاز واختصار وهما لا يجتمعان،² يقول ابن يعيش: «وأما الصفة، فلا يحسن حذفها أيضاً لما ذكرناه، ولأن الغرض من الصفة؛ إما التخصيص، وإما الثناء والمدح، وكلاهما من مقامات الإطناب والإسهاب، والحذف من باب الإيجاز والاختصار، فلا يجتمعان لتدافعهما».³

لكن إذا توافرت القرينة اللفظية أو الحالية جاز حذف الصفة، يقول سيبويه: «وإن لم تذكر الصفة رفعت؛ أي لك أن تقول: "سير عليه ليل" برفع "ليل" على إرادة حذف الصفة؛ أي "ليل طويل"، وكان هذا إنما جاز حذف الصفة في مثل هذا الموضع لما دل من الحال على موضعها»⁴، ويقول ابن جني: «وكذلك إن ذمته ووصفته بالضيق قلت: سأله وكان إنساناً! وتزوي وجهك وتقطبه؛ فيغني ذلك عن قولك: "إنساناً لئيماً" أو "لحزاً" أو "مبخلًا" أو نحو ذلك»⁵، ويقول أيضاً: «وأنت تحسّ هذا من نفسك إذا تأملت؛ وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه، فتقول: "كان والله رجلاً"، فنزيد في قوة اللفظ ب"الله" هذه الكلمة، وتتمكّن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليها، أي: "رجلاً فاضلاً" أو "شجاعاً" أو "كريمًا" أو نحو ذلك.

وكذلك تقول: "سألناه فوجدناه إنساناً"، وتمكّن الصوت بإنسان وتفخّمه، فتستغني بذلك عن وصفه بقولك: "إنساناً سمحاً" أو "جواداً" أو نحو ذلك»⁶، ويقول ابن يعيش: «فإن عريت الحال من الدلالة لم يجز الحذف فاعرفه».⁷

¹ - ينظر: صكر خلف عواد، الحذف في الصفة والموصوف بين الصناعة النحوية والقرائن السياقية، مقال منشور بمجلة تكريت للعلوم الإنسانية: جامعة تكريت- العراق، العدد: 7، المجلد: 17، تموز 1430هـ - 2010م، ص: 270-272.

² - ينظر: السيوطي، همع الهوامع: 3/ 158.

³ - ابن يعيش، شرح المفصل: 2/ 257.

⁴ - سيبويه، كتاب سيبويه: 1/ 220.

⁵ - ابن جني، الخصائص: 2/ 373.

⁶ - المصدر نفسه: 2/ 373.

⁷ - ابن يعيش، شرح المفصل: 2/ 257.

وحذف الصفة قليل في القرآن الكريم؛ فمما ورد من هذا الحذف ما يلي:

1- قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ [النساء: 12]؛ والتقدير: "وله أخ أو أخت من الأم" يدل على ذلك ما ورد في الآية الأخيرة من سورة النساء والخاصة بالأخ والأخت الأشقاء أو لأب؛ حيث إن الأختين فيها فرضهما الثلثان والنصف عند الانفراد، أما هنا فالفرض لكل واحد منهما السدس، فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث؛ ويدل على ذلك أيضا قراءة سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - : {وله أخ أو أخت من أمه}.¹

وحُذفت الصفة هنا- فيما يبدو لنا - للدلالة على أن الإخوة لأم أو لأب وإن اختلفوا مع الإخوة الأشقاء في بعض الأحكام، فإنهم متساوون في الحقوق والواجبات المترتبة على هذه القرابة.

2- قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا﴾ [طه: 74]؛ والتقدير: "لا يموت فيها موتا مريحا ولا يحيا حياة طيبة"،² وفي هذا الحذف تصوير رائع لتلك الحالة التي لا يتصورها العقل البشري؛ إذ أن أهل النار المخلدين فيها هم في حالة من العذاب والبؤس والضنك لا يمكن أن تنطبق عليها أية صفة من صفات الشقاء في الحياة الدنيا يمكن أن يمر بها الإنسان أو يستطيع أن يتصورها بعقله المحدود، والمعهود في الحياة الدنيا أن حالات العذاب والشقاء فيها تنتهي غالبا بالموت الذي يبدو لأكثر الناس مريحا، وقد يكون في الحقيقة كذلك أو بخلاف ذلك، لكن هذا المتنفس الأخير الموجود في الحياة الدنيا لن يكون موجودا في الآخرة بالنسبة للكفار.

3- قوله تعالى: ﴿فَتَحْنًا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 44]، وقوله تعالى: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: 23]، والتقدير: "أبواب كل شيء أحبوه"، و"من كل شيء أحبته"،³ ويبدو لنا أن الحذف هنا لسببان: الأول؛ دلالة الحال لأن المقام في الآيتين هو مقام إنعام، فحُذفت الصفة لتذهب النفس في تصور تلك النعم كل مذهب؛ فقد أوتوا من كل شيء أحبوه، ومن كل شيء طلبوه ومن كل شيء تمنوه، ونحو ذلك.

والثاني: أن الإنعام في الآيتين هو إنعام على الكفار؛ فهو استدراج ولأجل ذلك لم تُقيد هذه النعم بأي وصف من الأوصاف الحسنة؛ لأن هذه النعم وإن كان ظاهرها الحُسن والخير فإن وراءها من الشر وسخط الله تعالى ما وراءها. وقد يعترض معترض فيقول: "نحن نعلم جميعا أن ملكة سبأ قد آل أمرها إلى الهداية"، فنقول: إن الهدهد قد قال مقالته تلك في حالة كفرها، وما هي عليه في تلك الحال من النعم، وهي حالة

¹ - ينظر: محمد مفلح القضاة، أحمد خالد شكري، محمد خالد منصور، مقدمات في علم القراءات، دار عمار: عمان - الأردن، ط: 1، 1422هـ - 2002م، ص: 76.

² - ينظر: أبو شادي، الحذف البلاغي: 91.

³ - ينظر: المرجع نفسه: 91 - 92.

تنطبق على أكثر ملوك الأرض من الكفار، فالعبرة - كما يقول الأصوليون - بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

4- قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: 79]؛ والتقدير: "يأخذ كل سفينة صالحة أو صحيحة"، وقد حُذفت الصفة هنا لتوفر عدة قرائن لفظية وحالية؛ منها:
- أن الرجل الصالح - وهو الخضر في بعض الروايات - كان يريد اجتنب أخذ الملك للسفينة، لأجل ذلك حرقها؛ فالملك كان لا يأخذ السفينة المعيبة.

- حرق السفينة لا يخرجها عن كونها سفينة، فلو لم نقدر صفة "صالحة" لكانت مأخوذة في كل أحوالها.
- إذا لم نقدر "صالحة" أو "سليمة" صفة للسفينة فسيكون عمل الرجل الصالح عبثا لا فائدة منه؛ لأن الملك لو كان يأخذ كل سفينة على كل صفة فليس هناك فائدة من حرقها.¹

ويدل على هذا الحذف أيضا ما رواه سعيد بن جبير (ت95هـ) عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه كان يقرأ: {وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا}،² وناسب هذا الحذف المقام الذي وردت فيه الآية؛ وهو مقام العجلة والإسراع للفرار من قبضة الملك.³

هذا بالإضافة إلى القرينة اللفظية السابقة؛ وهي قوله تعالى: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: 79] فإن عيبها لا يخرجها عن كونها سفينة، لكن المأخوذ هو الصحيح دون المعيب، فلم تُذكر الصفة هنا لتقدم ما يدل عليها.

5- قوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: 105]؛ حيث رأت طائفة من النحاة والمفسرين أن التقدير هنا: "وزنا نافعا"؛⁴ لأن الوزن قائم لا محالة، يقول تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ (8) فَأُتِيَ هَاوِيَةً [القارعة: 8، 9]، ويبدو أن الحذف هنا للاتساع لأن للآية كما يبدو عدة معان؛ "فلا نقيم لهم وزنا"؛ أي: "لا نقيم لهم ميزانا يزن أعمالهم"، وعلى هذا فإن الميزان لا يُنصب لجميع الخلق، كما ذكر أولئك النحاة والمفسرون، فهذه الطائفة - حسب ظاهر هذه الآية - مستثناة ممن تُوزن أعمالهم، وأيضا: "لا نقيم لهم اعتبارا ولا نلقي لهم بالا وإن كانوا في الدنيا يُحسب لهم كل حساب".

ولا نقيم لهم وزنا؛ أي: "لا يزنون عند الله جناح بعوضة وإن كانوا في الدنيا ضخام الأجسام"، ويدل على هذا المعنى قول النبي - عليه الصلاة والسلام - في الصحيح: {إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِيعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَرُنُّ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَقَالَ: اقْرَأُوا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف:

¹ - ينظر: خلف عواد، الحذف في الصفة والموصوف: 267.

² - صحيح البخاري: 6/ 88، صحيح مسلم: 4/ 1847. مسند أحمد: 35/ 56.

³ - ينظر: أبو شادي، الحذف البلاغي: 92.

⁴ - ينظر: خلف عواد، الحذف في الصفة والموصوف: 264، أبو شادي، الحذف البلاغي: 92.

[105]،¹ ولو قُيد الوزن في الآية بالصفة لما صح من هذه المعاني إلا المعنى الأول، وهذا ما يناقض بلاغة القرآن الكريم وإعجازه.

6- قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [هود: 46]؛ أي: "أهلك المؤمنين"، فهو من أهله قرابة ولكنه ليس من أهله إيماناً ونجاة.

7- قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ [الإسراء: 58]؛ أي: "وإن من قرية ظالمة"؛ وقد حُذف النعت هنا لدلالة قرائن سياقية مقالية خارجة عن هذا النص؛ منها:

أ- قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [القصص: 59].

ب- وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ [الأنعام: 131].

ج- وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: 117].

د- وقوله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكَرًا (8) فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ [الطلاق: 8-9]،² إلى غير ذلك من القرائن المقالية، إضافة إلى القرينة العقلية وهي استحالة إهلاك القرى وتعذيبها بدون سبب.

8- قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: 65] أي: "عبادي الصالحين"، ويدل على هذه الصفة المحذوفة قرائن سياقية خارجة عن هذا النص؛ منها:

أ- قوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (82) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: 82، 83].

ب- قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (99) إِنَّمَا سُلْطَانُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: 99-100].³

وقد بينت الآية التي قبل هذه الآية من هم الذين يكون عليهم سلطان الشيطان؛ يقول جل وعلا: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمُ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء: 64].

9- قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُتِمُّوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: 68]؛ أي: "لستم على شيء من الحق حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم"؛ وذلك لأن أهل الكتاب يدعون أنهم على الحق، وشبهتهم الكتاب الذي أنزل إليهم.

¹ - صحيح البخاري: 6/ 93، صحيح مسلم: 4/ 2147.

² - ينظر: خلف عواد، الحذف في الصفة والموصوف: 266.

³ - ينظر: المرجع نفسه: 267-268.

10- قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: 173]؛ أي: "إن الناس المعادين قد جمعوا لكم".¹

والغاية من هذا الحذف المبالغة في تصوير جمع المشركين الذين سيقاتلهم المسلمون؛ حتى إنه ليتصور السامع لهذه الآية أن الناس كلهم بقضهم وقضيضهم قد أعدوا العدة لقتال المسلمين، وهذا ما يث الرعب في قلوب المسلمين إلا من عصم الله، وهو ما أراده نعيم بن مسعود الشجعي حين أرسله أبو سفيان إلى النبي - عليه الصلاة والسلام - كي يثبطهم، مقابل عشرة من الإبل يضمنها له سهيل بن عمرو؛ حيث أتى نعيم المدينة فوجد المسلمين يتجهزون لميعاد أبي سفيان؛ « فقال: أين تريدون؟ فقالوا: وإعدنا أبو سفيان لموسم بدر الصغرى أن نقتل بها، فقال: بئس الذي رأيتم، أتوكم في دياركم وقراركم، فلم يفلت منكم إلا الشريد، أفتريدون أن تخرجوا إليهم؟ فإن ذهبتم إليهم لم يرجع منكم أحد، وقد جمعوا لكم عند الموسم».

فوقع هذا الكلام في قلوب بعضهم، فلما عرفوا رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ذلك قال: « والذي نفس محمد بيده لأخرجن إليهم ولو وحدي، فأما الجبان فإنه رجع، وأما الشجاع فإنه تأهب للقتال، وقالوا: "حسبنا الله ونعم الوكيل"، ثم خرج رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ومعه نحو سبعين رجلاً - فيهم ابن مسعود - حتى وافوا بدر الصغرى وهي ماء لبني كنانة، وكانت موضع سوق لهم، يجتمعون فيه كل عام ثمانية أيام - ولم يلق رسول الله - وأصحابه أحداً من المشركين ووافقوا السوق، وكانت معهم نفقات وتجارات، فباعوا واشتروا أدماً وزيباً، وأصابوا بالدرهم درهمين، وانصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين. ورجع أبو سفيان إلى مكة، وسمى أهل مكة جيشه جيش السوق، وقالوا: إنما خرجتم لتشربوا السوق».²

11- قوله تعالى: ﴿مُتَكَبِّرِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ [ص: 51]؛ أي: "شراب كثير" بدليل ما قبله.

أما ما قيل عن الحذف في نحو قوله تعالى - مثلاً - : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: 54]، وأن التقدير: "بقوم غيركم"،³ فهذا لا نسلم به؛ لأن الصفة المذكورة في الآية لهؤلاء القوم قد أغنت عن الصفة المقدرة، فما دام أن الله عز وجل يحب هؤلاء ويحبونه فهم حتماً غير أولئك الذين ارتدوا عن دينه.

¹ - ينظر: أبو شادي، الحذف البلاغي: 93.

² - ينظر: الجوزجاني (سعيد بن منصور الخراساني)، التفسير من سنن سعيد بن منصور، تح: سعد بن حميد آل حميد، دار الصميعي: الرياض - السعودية، ط: 1، 1417هـ - 1997م: 3/ 1116، سراج الدين الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب: 58/ 6.

³ - ينظر: أبو شادي، الحذف البلاغي: 92.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ﴾ [آل عمران: 13]؛ حيث قدر بعضهم: "فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله"،¹ ولا حاجة إلى هذا التقدير لأن الصفة المذكورة قد أغنت عن المحذوفة؛ فالفئة التي تقاتل في سبيل الله هي بالضرورة فئة مؤمنة.

وأغرب من هذا من ذهب إلى التقدير في مثل قوله تعالى: ﴿الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبِّحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: 71]؛ حيث قدروا: "الحق الواضح" أو "الحق المبين"، ومعلوم بداهة أن الحق أبلغ والباطل لجلج، فلا حاجة إذن إلى التقدير.

ومثله في الغرابة ما قدره في قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: 4]؛ بقولهم: "أطعمهم من جوع شديد وآمنهم من خوف عظيم"،² وفي هذا تخصيص للعام وتقييد للمطلق بلا دليل؛ فالله عز وجل قد أطعم قريشا وغيرهم من كل جوع خفيف أو شديد أو ما بين ذلك، كما أنه آمنهم من كل خوف يسير أو عظيم أو ما بين ذلك، فسبحان من لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه أمر يسيرا كان أو عظيما أو ما بين ذلك.

¹ - ينظر: المرجع السابق: 92.

² - المرجع نفسه: 92 - 93.

8- حذف الحال:

الحال في اصطلاح علماء النحو هو "وصف فضلة منصوب يبين هيئة صاحبه من فاعل أو مفعول به أو هما معا أو غير ذلك"؛¹ نحو: "جئت راكبا"، و"ضربت اللص مكتوفا"؛ ومرادهم بالوصف الاسم المشتق الذي يدل على معنى وذات؛ كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وأفعال التفضيل وصيغة المبالغة وغيرها؛ والمراد بالفضلة ما ليس ركنا أساسيا في الإسناد، وإن كان لازما لصحة المعنى؛ كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ [النساء: 43]، فلو حُذفت الحال وهي: "وأنتم سكارى" لما اكتمل المعنى.

والأصل في الحال أن تكون مذكورة؛ لأنها إما مؤسّسة أو مؤكّدة، وما طريقه التأسيس أو التوكيد غير لائق به الحذف لأنه ضد الغرض ونقيضه. يقول ابن جني: « وحذف الحال لا يحسن؛ وذلك أن الغرض فيها إنما هو توكيد الخبر بها، وما طريقه طريق التوكيد غير لائق به الحذف؛ لأنه ضد الغرض ونقيضه».²

ويُستثنى من هذا العموم ما كان قولاً أغنى عنه المقول فإنه يكثر حذف الحال في هذه الحالة؛ فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: 191]؛ أي: "ويتفكرون قائلين ربنا"....³ وقد حُذفت الحال هنا لكي لا يُتوهم أن قولهم هذا بلسان المقال فقط دون لسان الحال، بل إن قولهم هذا هو ما يعبر عنه لسانهم وحالهم، وكما قيل: "لسان الحال أنطق من لسان المقال"، فحالهم تشهد كذلك أن الله عز وجل ما خلق هذا الكون باطلاً؛ وهذا ما يعبر عنه قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: 191]، فحالهم تلهج بذكر الله عز وجل والتفكير في آلاءه ونعمائه ولو بدون أن تتحرك شفاههم وألسنتهم بذلك.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (23) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: 23، 24] أي: "قائلين لهم: سلام عليكم...."⁴ والغاية من الحذف هنا الإطلاق؛ وذلك حتى لا يتوهم متوهم أن الملائكة فقط هم من يسلمون على المؤمنين دون من سواهم، بل إن أفضل من يسلم عليهم في الجنة هو الله سبحانه وتعالى، ثم الملائكة ثم الحور العين ثم غلمانهم؛ فالسلام ليس مختصا بالملائكة، بل إنه يسلم عليهم حتى أهل الدنيا كما رُوي ذلك عن النبي - عليه الصلاة والسلام -

¹ - عبد العاطي مصطفى وآخرون، الهادي إلى النحو، المطبعة العربية الحديثة: العباسية- مصر، ط: 1، 1391هـ- 1971م، ص: 133.

² - ابن جني، الخصائص: 2/ 380.

³ - ينظر: أبو شادي، الحذف البلاغي: 93.

⁴ - ينظر: حمودة، ظاهرة الحذف: 251.

وأبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهم - أنهم كانوا يأتون قبور شهداء أحد فيقولون: «سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ».¹

وإنما تختص الملائكة - والله أعلم - بالسلام عليهم لحظة دخول الجنة؛ كما روى ذلك الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: { هَلْ تَذَرُونَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ؟ } قَالُوا: "اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ"، قَالَ: أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ الْفُقَرَاءُ الْمُهَاجِرُونَ، الَّذِينَ تُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ، وَيَتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارِهُ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ، لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً؛ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ: "اَتُّوهُمْ فَحَيُّوهُمْ"، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: "نَحْنُ سُكَّانُ سَمَائِكَ، وَخَيْرُتُكَ مِنْ خَلْقِكَ، أَفَتَأْمُرُنَا أَنْ نَأْتِيَ هَؤُلَاءِ فَنُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ؟!".

قَالَ: "إِنَّهُمْ كَانُوا عِبَادًا يَعْبُدُونِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا، وَتُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ، وَيَتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارِهُ، يَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ، لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً"، قَالَ: فَتَأْتِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَيَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: 24].²

ومنه كذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ أي: "قائلين" أو "داعين"،³ ويبدو أن علة الحذف هنا هي نفسها التي ذكرناها في آية آل عمران؛ وذلك حتى لا يتوهم متوهم أن هذا الدعاء كان منهما بلسان المقال فقط دون لسان الحال، بل إن مجرد إخلاصهما في هذا العمل - وهو رفع قواعد البيت - لله عز وجل هو دعاء لربهما بالقبول، ومجرد دعوتهما ونشرهما لملة التوحيد في الأرض هو دعاء بلسان الحال لربهما بأن يجعلهما وذريتهما أمة مسلمة له. وما عدا هذه الحالة فإن حذف الحال يكاد يكون نادرا في القرآن الكريم خاصة وفي كلام العرب عامة؛ فمن ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: 185]؛ أي: "من شهد منكم صحيحا بالغا عاقلا مقيما مطيقا فليصمه"،⁴ وقد دل على هذا المحذوف عدة قرائن؛ منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (183) أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 183، 184]، وقد انعقد الإجماع أنه لا تكليف إلا بالعقل والبلوغ.

¹ - أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري، تاريخ المدينة، تح: فهمي محمود شلتوت، طبع على نفقة حبيب محمود أحمد: جدة، 1399هـ - 1979م، (د، ط)، ص: 132.

² - أحمد بن حنبل، مسند أحمد: 11/ 132، 133.

³ - ينظر: حمودة، ظاهرة الحذف: 251.

⁴ - ينظر: ابن جني، الخصائص: 2/ 380، 381.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 52]؛ والتقدير: "من أنصاري ذاهبا إلى الله ملتجئا إليه"، أو: "من أنصاري مخلصا إلى الله منييا إليه"، يقول الزمخشري متحدثا عن هذه الآية: «... أو يتعلق بمحذوف حالا من الياء؛ أي: "من أنصاري ذاهبا إلى الله ملتجئا إليه».¹

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعراف: 58]؛ والتقدير: "والبلد الطيب يخرج نباته طيبا بإذن ربه"، وقد حُذف لدلالة مقابله عليه.²

¹ - الزمخشري، الكشاف: 1/ 366.

² - ينظر: أبو شادي، الحذف البلاغي: 94.

ب- نماذج من حذف الفعل والجملة في القرآن الكريم:

1- حذف الفعل في القرآن الكريم:

حذف الفعل في اللغة العربية يكون على ضربين باعتبارين؛ باعتبار الوجوب والجواز، وباعتبار الأفراد أو التضام مع أحد معموليه.

* **حذف الفعل منفردا جوازا:** يكون هذا الحذف في الحالات التالية:

- 1- إذا دل على الفعل قرينة؛ نحو: "زيد" في جواب من قال: "من قام؟"، والتقدير: "قام زيد".
- 2- في حالة التكرير في العطف؛ نحو: "قام زيد وعمرو وخالد"؛ أي: "قام زيد وقام عمرو وقام خالد".
- 3- تحذف "كان" قبل لام الجحود؛ كقول الشاعر "من الوافر":

فما جمع ليغلب جمع قومي * مقاومة ولا فرد¹ لفرد

أي: "ما كان جمع"، وقدره الفراء: "فما قوم يجتمعون ليغلب جمع قومي"؛ وهو تقدير بعيد، ومثل هذا قول أبي الدرداء - رضي الله عنه - في الركعتين بعد العصر: {ما أنا لأدعهما}؛ أي: "ما كنت لأدعهما".²

* **حذف الفعل منفردا وجوبا:**

1- يرى جمهور النحاة أن أدوات الشرط لا تتضمن إلا مع الفعل، ولأجل ذلك فإنه متى ولي هذه الأدوات اسم أو حرف لجؤوا إلى تقدير فعل محذوف يفسره الفعل الظاهر. ونحن نخافهم في هذا الذي ذهبوا إليه، والأولى أن يقال أن هذه الأدوات لا تليها إلا الجمل الفعلية؛ وهي الجمل التي يكون فيها المسند فعلا. وهذا يكفيننا مؤونة تكلف التقدير ويتوافق وأصول الصناعة النحوية؛ فالتمسك بالظاهر واجب مهما أمكن، والألفاظ إذا أمكن حملها على ظاهرها فلا يجوز العدول بها عنه.³ وعلى هذا فلا حذف للفعل وجوبا طالما أن هذه الأدوات قد تضامت مع جمل فعلية، والشواهد على هذا كثيرة من القرآن الكريم ومن منظوم كلام العرب ومنثوره.

فمن ذلك - مثلا - قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: 1]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: 5]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاَهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [المائدة: 65]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يُجَاهِلُونَ﴾ [الأنعام: 111]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمُ

¹ - البيت بلا نسبة، ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب: 1/ 279، إميل يعقوب، المعجم المفصل في شواهد العربية: 2/ 391.

² - ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب: 1/ 280.

³ - ينظر: تمام حسان، الأصول: 197.

بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴿[الأعراف: 96]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ [التوبة: 59]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [المائدة: 66]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ [الرعد: 31] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾ [النساء: 66]، وقوله تعالى: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ [النساء: 77]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 103]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجَزَ إِلَى أَحَلِّ هُمْ بِالْعُودِ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ﴾ [الأعراف: 135]، وقوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: 1]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ فَتُورًا﴾ [الإسراء: 100]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: 6]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: 128]، وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَمُرُّ هَٰلِكَ﴾ [النساء: 176]، وغير هذا كثير.

فلا يُعقل أن تكون هذه الكثرة الكثيرة من آيات القرآن الكريم - الذي هو مصدر تقعيد وضبط لسان العرب - على خلاف الأصل، ومما يُلجأ فيها إلى التقدير تمشياً مع القواعد، بل إن القاعدة التي تُستنبط من هذا الكم الكبير من الآيات مفادها: أن أدوات الشرط لا تتضام إلا مع الجمل الفعلية، لا مع الأفعال في حد ذاتها كما يقول كثير من النحويين.

والشواهد من الشعر العربي كثيرة كذلك؛ منها قول المتلمس الضبعي "من الطويل":

لو غيرُ أحوالي أَرَادَ نَقِصْتِي ** جعلْتُ لهم فوق العَرَانِينَ مِيسَمًا¹

وقول جرير "من الكامل":

لو غيرَكم علق الزبير بجبله ** أَدَى الجَوَارِ إِلَى بني العَوَامِ²

وقول ذي الرمة "من الطويل":

إِذَا ابْنُ أَبِي مُوسَى بَلَالًا بَلَغَتْهُ ** فقام بفأس بين وصليكَ جازر³

وقول طرفة بن العبد البكري "من الطويل":

¹ - "العرانين": الأنوف، الميسم: أثر الوسم، ينظر: المتلمس الضبعي، الديوان: 29، ابن منظور، لسان العرب: 2/ 52، 12/ 636.

² - جرير، الديوان: 992.

³ - ذو الرمة، الديوان: 121.

إذا القومُ قالوا من فتى خلتُ أني ** عُتيت فلم أكسل ولم أتلبَّد¹

وقول لبيد بن ربيعة "من الكامل":

وإذا الأمانةُ قُسمت في معشر ** أوفى بأوفر حظنا قسامُها²

وقول عبد الواسع بن أسامة "من الطويل":

ومن فعلاقي أني حسنُ القرى ** إذا الليلةُ الشهباءُ أضحي جليدُها³

ومن منشور كلام العرب قولهم في المثل المشهور: "لو ذاتُ سوار لطمتني".⁴

فهذه الكثرة الكثيرة من الشواهد القرآنية والشعرية والنثرية تدل دلالة قاطعة على أن أدوات الشرط لا يطرد دخولها على الأفعال، وإنما يطرد دخولها على الجمل الفعلية. ويذهب الأخفش وابن جني وابن مالك والكوفيون إلى جواز الابتداء بعد "إذا"؛ أي أنها لا تختص بالدخول على الجمل الفعلية، ومن أقوى أدلتهم على ذلك قول أوس بن حجر "من الطويل":

فأمهلَه حتى إذا أنْ كأنه ** معاطي يدٍ في جُتة الماء غامرُ⁵

فأولى "إذا" "أنْ" الزائدة وبعدها جملة اسمية، ولا يُفعل ذلك بما هو مختص بالفعل. وقول الفرزدق "من الطويل":

إذا باهلي تحته حنظلية ** له ولد فذاك المذرَّعُ⁶

وقول ضيغم الأسدي "من الوافر":

إذا هو لم يخفني في ابن عمي ** وإن لم ألقه الرجل الظلومُ⁷

فضمير الشأن لا يرتفع بفعل يفسره ما بعده؛ لأن الجملة التي تليه إنما تفسره هو، وإذا كان كذلك بقي الفعل المضمر بلا تفسير، وإذا لم يكن له تفسير فلا دليل عليه، وما كان هذا حاله فلا يجوز إضمماره لما فيه من تكلف علم الغيب بلا داعي يستوجب ذلك.⁸

¹ - طرفه بن العبد، الديوان: 24.

² - لبيد بن ربيعة العامري، الديوان، تح: حمدو طماس، دار المعرفة: بيروت، ط: 1، 1425هـ-2005م: 116.

³ - ينظر: الشنقيطي (أحمد بن الأمين)، الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع، المكتبة التوفيقية: القاهرة، (د، ط- د، ت) : 61 / 2.

⁴ - مثل عربي يضرب للكريم يظلمه دينه فلا يقدر على احتمال ظلمه، ينظر: الميداني (أحمد بن محمد النيسابوري)، مجمع الأمثال، تح: محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة: بيروت، (د، ط- د، ت): 174 / 2.

⁵ - لم أعر عليه في ديوانه، ينظر: الشنقيطي، الدرر اللوامع: 1 / 174.

⁶ - "المذرَّع": الذي أمه عربية وأبوه غير عربي، ينظر: الفرزدق، الديوان: 255، ابن منظور، لسان العرب: 8 / 93.

⁷ - ينظر: ابن جني، الخصائص: 1 / 104، إميل يعقوب، المعجم المفصل في شواهد العربية: 7 / 222.

⁸ - ينظر: ابن جني، الخصائص: 1 / 104.

إلا أن هذه الشواهد لا ترقى إلى الكثرة المطلوبة التي تُبنى عليها القاعدة، وبالتالي تُعد من النادر الذي لا يقاس عليه، وتُحمل على الضرورة الشعرية. فالأصل في "إذا" وغيرها من أدوات الشرط أن تتضمن مع الجملة الفعلية عموماً، ومع الفعل خصوصاً لما فيها من معنى المجازاة، لكن ذلك لا يمنع تضامها مع الاسم أحياناً إذا اقتضى المقام ذلك لغرض من الأغراض البلاغية المعروفة للتقديم؛ فالغرض الرئيسي لتقديم الاسم على فعل الشرط هو العناية والاهتمام، وتختلف أوجه هذه العناية؛ فقد يكون التقديم للتخصيص وقد يكون للتهويل وقد يكون للتعظيم وقد يكون للتحقير وقد يكون لتعجيل المسرة أو المساءة، إلى غير ذلك من أغراض التقديم الأخرى المبسوبة في كتب البلاغة.¹

* حذف الفعل مع مضمرة المرفوع جوازا:

يكون لقريظة تدل عليه؛ كقولنا: "زيداً" في جواب من قال: "من قابلت؟"، فيقول: زيدا، والتقدير: "قابلت زيدا"، وما ورد من هذا الحذف في القرآن الكريم ما يلي:

1- قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 63].
قدر النحاة والمفسرون: "وقلنا خذوا..."، وهذا ما يقتضيه سياق الكلام؛ إذ أن الحديث يدور حول قصة وقعت في الماضي، لكن حُذفت الجملة الفعلية هنا لغرض بلاغي هو الالتفات من صيغة الماضي إلى صيغة الأمر، أو بالأحرى الالتفات من زمن الماضي إلى زمن المستقبل، وفي هذا الالتفات قيمة بلاغية جمالية كبرى تتمثل في استحضار ماضي القصة حتى كأن السامع لها يعيشها، وهذا هو الغرض من سرد القصص في القرآن الكريم؛ أن تستفيد هذه الأمة من أخطاء من سبقها من الأمم، وأن تستعد لحمل مشعل التوحيد لتسير به في طريق مليء بالعقبات والعوائق فتكون هذه القصص معالماً في هذا الطريق الوعر تقيها منزالقه، فليست هذه الأمة معصومة من الضلال إلا طائفة منها.

يقول سيد قطب (ت 1966م - 1386هـ) في تفسيره: «وقصص بني إسرائيل هو أكثر القصص وروداً في القرآن الكريم، لأسباب عدة، ذكرنا بعضها في الجزء الأول من الضلال عند استقبال أحداث بني إسرائيل وذكرنا بعضها في هذا الجزء في مناسبات شتى - وبخاصة في أوله - ونضيف إليها هنا ما نرجحه... وهو أن الله - سبحانه - علم أن أجيالاً من هذه الأمة المسلمة ستمر بأدوار كالتى مر فيها بنو إسرائيل، وتقف من دينها وعقيدتها مواقف شبيهة بمواقف بني إسرائيل فعرض عليها منزالق الطريق، مصورة في تاريخ بني إسرائيل، لتكون لها عظة وعبرة، ولترى صورتها في هذه المرأة المرفوعة لها بيد الله - سبحانه - قبل الوقوع في تلك المنزالق أو اللجاج فيها على مدار الطريق!»².

¹ - فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، دار الفكر: عمان - الأردن، ط: 1، 1420هـ - 2000م: 4/ 102، 104.

² - سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق: بيروت - القاهرة، ط: 17، 1412هـ - 1992م: 1/ 261.

2- قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾ [البقرة: 196]؛ أي: "فاهدوا" أو "فأدوا" ما استيسر من الهدى، وقد حذفت الجملة الفعلية لوضوحها من السياق.

3- قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (183) أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ؛ والتقدير: "صوموا أياما معدودات"، فحذفت الجملة الفعلية لدلالة قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾ عليه. وقد ناسب هذا الحذف الجوّ البياني الذي وردت فيه آيات الصيام، وهو جو التيسير والتخفيف على المسلمين خاصة وأن الصيام مما تستثقله النفس البشرية، ففي هذا الحذف إشعار بخفة هذه الأيام المعدودات وسرعة انقضائها.

4- قوله تعالى: ﴿ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [البقرة: 83]؛ تقديره: "وأحسنوا بالوالدين إحسانا"، وحذفت الجملة الفعلية لدلالة المصدر عليها.

5- قوله تعالى: ﴿ بَلْ مَلَّةٌ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [البقرة: 135]؛ وتقديره: "بل نتبع" أو "اتبعوا"،¹ وحذفت الجملة الفعلية اختصاراً؛ لأن المقام مقام تعجيل في الرد على هؤلاء الذين يدعون الهداية في غير الملة الحنيفية.

6- قوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴾ (13) اقرأ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا [الإسراء: 13، 14]، والتقدير: "يقال اقرأ كتابك"؛ والغاية من هذا الحذف استحضار مشهد الحساب حتى كأن الإنسان يراه رأي العين.

7- قوله تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحُ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾ [سبأ: 12]؛ والتقدير: "وسخرنا لسليمان الريح"، ويلاحظ أن تسخير الريح لسليمان - عليه السلام - ذكر في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم؛ في سورة "الأنبياء" وسورة "ص" وسورة "سبأ"، غير أن فعل التسخير لم يصرح بذكره إلا في سورة "ص"، وسنحاول استعراض الفوارق السياقية بين المواضع الثلاثة لنكتشف سر حذف الجملة الفعلية في الموضعين.

يقول سبحانه وتعالى في سورة الأنبياء: ﴿ وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾ (78) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (79) وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُخْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ (80) وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحُ عَاصِفَةٌ تَجْرِي بِأَمْرِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ (81) وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ [الأنبياء: 78-82].

وقال تعالى في سورة سبأ: ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحُ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَرِغِ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ (12) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا

¹ - ينظر: مرشد محمود، الحذف والتقدير في القرآن الكريم: 333.

يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَائِيلَ وَجَفَانَ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (13) فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجُنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿[سبأ: 12-14].

وقال تعالى في سورة "ص": ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (30) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (31) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (32) رُدُّوهَا عَلَيَّ فَبَطَلَتْ مَكِئَتُهُمْ أَلْمُسَىٰ وَالْأَعْنَاقِ (33) وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (34) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (35) فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (36) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (37) وَأَخْرَيْنَا مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (38) هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (39) وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿[ص: 30-40].

نلاحظ أن السياق في سورة "ص" يختلف عن نظيره في سورتي "الأنبياء" و"سبأ"؛ ففي سورة "ص" تفصيل للمنة التي امتنها الله عز وجل على عبده ونبيه سليمان - عليه السلام - بدليل قوله تعالى في هذا السياق: ﴿... قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾، وهو ما لم يذكر في السياقين الآخرين، وقوله تعالى: ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ في مقابل قوله تعالى في السياقين الآخرين: ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينَ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ [الأنبياء: 82]، و: ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيِّنًا يَدِيهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَرِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (12) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَائِيلَ وَجَفَانَ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾ [سبأ: 12-13].

حيث نلاحظ استخدام "من" التبعية في هذين السياقين خلافاً للسياق الآخر، كما أنه اقتصر على ذكر صنف واحد من الجن في كل من السياقين بخلاف السياق الآخر الذي ذكر فيه الصنفان؛ فناسب هذا التفصيل في المنة الإلهية في سياق سورة "ص" أن تذكر معه الجملة الفعلية بخلاف السياقين الآخرين.

8- قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ كَفَّارَةٌ لِمَنَ كَفَرَ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة: 89]؛ في الآية حذف جملة فعلية تقديرها: "إذا حلفتكم وحنثتم"؛ لأن الكفارة تجب بالحنث في اليمين لا في اليمين في ذاته.

9- قوله تعالى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج: 78]؛ قدر بعضهم جملة فعلية محذوفة وهي: "اتبعوا"،¹ ونراه قولاً بعيداً لا يتلاءم مع سياق الآية: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج: 78]، ورأى الفراء أن "مِلَّةَ أَبِيكُمْ" نُصبت على تقدير: "وسَّع

¹ - ينظر: المرجع السابق: 338.

عليكم كلمة أبيكم إبراهيم؛ دليله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾، قال: «فإذا أُلقيت الكاف نصبت»،¹ وهو قول بعيد وفيه من التكلف ما فيه.

ونرى أن هذا من حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، والتقدير: "سمت ملة أبيكم"، أو "نَحَج ملة أبيكم"، فحذف المضاف وأُقيم المضاف إليه مقامه.

10- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَذُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُبْنِيكُمْ إِذَا مُرِّقْتُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [سبأ: 7]؛ قدر بعضهم جملة فعلية محذوفة: "ينبئكم فيقول لكم..."²، ونرى أنه لا حاجة لهذا التقدير طالما أن الإنشاء يتضمن معنى القول.

11- قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الرَّاْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 162]، "المقيمين": منصوب على المدح بتقدير جملة فعلية "أعني" أو "أمدح"؛ وإنما خص المقيمين الصلاة بالمدح في هذا السياق - والله أعلم - لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر المذكور في الآية التي قبلها من أكل الربا وأكل أموال الناس بالباطل، ويجوز أن يكون "والمقيمين" معطوفا على "ما"؛ أي: "يؤمنون بما أنزل إليك وبالمقيمين الصلاة" وهم الملائكة، ويبدو أن الوجهين مرادان وهو من باب التوسع في المعنى.

12- قوله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ يُنشِئُ فِي الْحَلِيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: 18]؛ في الآية جملة فعلية محذوفة تقديرها: "أوجعلوا للرحمن من يُنشِئُ في الحلية وهو في الخصام غير مبين"، وهذا التقدير استدعاه سياق الكلام.

13- قوله تعالى: ﴿بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ [القيامة: 4]؛ "قادرين" نُصب على الحال من فاعل في فعل مضمر تقديره: بلى "نجمعها" قادرين على أن نسوي بنانه،³ والنصب على الحال من فاعل في فعل مضمر أسلوب لغوي بديع؛ فقد جُمع بهذا الأسلوب بين الرد على من زعم بعدم جمع العظام بعد الممات، وبين إثبات القدرة على تسوية البنان بأوجز عبارة ممكنة.

14- قوله تعالى: ﴿أَلَا أَنْ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: 91]؛ فالتقدير: "أَلَا أَنْ تَؤْمَن..."؛ وقد حُذف للعلم به من السياق.

15- قوله تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾ [القمر: 10]؛ قدر بعضهم: "قال أني مغلوب"، ويبدو لنا أنه لا داعي لهذا التقدير طالما أن الدعاء يتضمن معنى القول، ومثله قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ [النساء: 11]؛ فالتوصية تتضمن معنى القول.

¹ - الفراء، معاني القرآن: 2/ 231.

² - ينظر: مرشد محمود، الحذف والتقدير: 339.

³ - ينظر: المرجع نفسه: 342.

16- قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: 77]؛ "سنة": منصوب على المصدر وتقديره: "سننا بك سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا"، ويجوز أن يكون منصوبا على الإغراء بتقدير: "الزم سنة من قد أرسلنا قبلك..."، أو: "الزموا سنة الله في الذين خلوا من قبل"، ويجوز أيضا أن يكون منصوبا بنزع الخافض بتقدير: "كسنة الله..."¹.

17- قوله تعالى: ﴿وَالِىَ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [الأعراف: 65]؛ أي: "وأرسلنا إلى عاد أخاهم هودا".

18- قوله تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة: 8]، المستفهم عنه محذوف تقديره: "كيف لا تقتلونهم؟"، وقيل التقدير: "كيف يكون لهم عهد؟"، وقد حُذف لدلالة السياق عليه.²

19- قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران: 106]، والتقدير: "فيقال لهم..."، فحُذف الفعل للتعجيل لهم بالتوبيخ والتفريع، وفيه دلالة على أن الكفار لا تُعطى لهم مهلة للدفاع عن أنفسهم وتبرير أعمالهم، بل يباشرون بالعذاب لأن الحجة مقامة عليهم في الدنيا.

20- قوله تعالى: ﴿وَكَفَّ أَيْدِي النَّاسِ عَنْكُمْ﴾ [الفتح: 20]؛ قدر بعضهم: "وكف أيدي الناس عنكم لتسلموا من أذاهم وشرهم"، ونرى أنه لا حاجة لهذا التقدير؛ لأن الآية التي امتن الله عز وجل بها على المؤمنين تتمثل في مجرد كف أيدي الناس عنهم.

21- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: 3] والتقدير: "يقولون ما نعبدهم..."، وحُذف الفعل لأن المراد حكاية مقالهم وحالهم لا المقال وحده.

22- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 64]؛ في "من" عدة أوجه إعرابية منها:

أ- في موضع جر عطفًا على الكاف في "حسبك"؛ وهذا منعه البصريون وأجازه الكوفيون، ولا حجة في هذا المنع لدلالة السماع وهو أقوى الأدلة³ وكفى بهذه الآية دليلا على جواز ذلك.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَأَمَّى النِّسَاءِ﴾ [النساء: 127]، ف"ما" في موضع جر عطفًا على الضمير المحرور في "فيهن"، وقوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الرَّاْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ

¹ - ينظر: البغوي (أبو محمد الحسين بن مسعود)، تفسير البغوي "معالم التنزيل في تفسير القرآن"، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ط: 1، 1420هـ - 2000م: 6 / 357 - 358، تفسير ابن عطية: 4 / 387 - 388.

² - ينظر: مرشد محمود، الحذف والتقدير في القرآن الكريم: 349.

³ - ينظر: ابن الأنباري، الإنصاف: 2 / 379.

الصَّلَاةُ ﴿النساء: 162﴾؛ ف"المقيمين" في أحد الإعرابين في موضع جر عطفاً على "الكاف" في "إليك"، وتقديره: "يؤمنون بما أنزل إليك وإلى المقيمين الصلاة" أي الملائكة أو الأنبياء عليهم السلام، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ [الحجر: 20]؛ ف"مَنْ" في موضع جر عطفاً على الضمير المحرور في "لكم".

والشواهد من الشعر كثيرة منها: قول العباس بن مرداس السلمي - رضي الله عنه - من الوافر:

أكر على الكتبية لا أبالي ** أحتفي كان فيها أم سواها¹

فعطف "سواها" على الضمير في "فيها"، والتقدير: "أم في سواها". وقول مسكين الدارمي "من الطويل":

تُعلّق في مثل السواري سيوفنا ** وما بينها والكعب غوطٌ نَقَانِفُ²

"الكعب" محرور بالعطف على الضمير المحرور في "بينها"، والتقدير: "وما بينها وبين الكعب غوط نغانف". وقول الآخر "من البسيط":

فاليوم قريت تمحونا وتشتمنا ** فاذهب فما بك والأيام من عَجَبٍ³

ف"الأيام": محرور عطفاً على الكاف في "بك"، والتقدير: "بك وبالأيام".

ب- والثاني: أن تكون الواو واو "مع" وتكون "مَنْ" في محل نصب على تقدير فعل محذوف؛ فإن "حسبك" في معنى "كافيك"؛ أي: "الله يكفيك ويكفي من اتبعك" كما تقول العرب: "حسبك وزيدا درهم"، قال الشاعر "من الطويل":

إذا كانت الهيجاء وانشقت العصا ** فحسبك والضحاك سيفٌ مُهَنَّدُ⁴

ج- والثالث: أن تكون "مَنْ" في محل رفع بالابتداء؛ أي: "ومن اتبعك من المؤمنين فحسبهم الله".⁵

د- والرابع: قدّر بعض النحويين أن تكون "مَنْ" في موضع رفع عطفاً على لفظ الجلالة، ويكون المعنى: "حسبك الله وأتباعك"، وهذا خطأ كبير لا يجوز المصير إليه؛ لأن "الحسب" يعني الكفاية، و"الحسب" من أسماء الله تعالى وهو الكافي، وهذا مما يختص به الله وحده؛ كالتوكل والتقوى والعبادة فهو من خصائص الألوهية؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ

¹ - العباس بن مرداس السلمي، الديوان، ص: 162.

² - "غوط": جمع "غائط" وهو المطنن من الأرض، "نقائف": جمع "نقائف" وهو الهواء بين الشيتين، وكل شيء بينه وبين الأرض مهوى فهو نقائف، ينظر: مسكين الدارمي ربعة بن عامر، الديوان، ص: 53، ابن منظور، لسان العرب: 7/ 365.

³ - غير معروف قائله، ينظر: سيبويه، كتاب سيبويه: 2/ 380، البغدادي، خزنة الأدب: 5/ 123.

⁴ - ينسب البيت تارة لجرير وتارة للبيد ولم أعثر عليه في ديوانيهما، ينظر: العيني، المقاصد النحوية: 3/ 1067.

⁵ - ينظر: ابن قيم الجوزية (أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر)، زاد المعاد في هدي خير العباد، (د، تح)، مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية: بيروت، ط: 27، 1415هـ - 1995م: 1/ 37.

وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿[الأنفال: 62]﴾، وقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: 36]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: 173].

فالرسول - عليه الصلاة والسلام - والمؤمنون معه قد أفردوا الله سبحانه وتعالى بالحسب ولم يشركوا به في هذه الصفة أحدا من خلقه.

ويبدو أن الوجه الأمثل من بين هذه الأوجه صناعة ومعنى هو الوجه الثاني؛ فهو لا يتنافى مع المعنى المراد من الآية وهو وجوب إفراد الله سبحانه وتعالى بالحسب، كما أنه يتوافق وصناعة النحو.

22- قوله تعالى: ﴿فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ [يونس: 71] تقديره: "وادعوا شركاءكم"، وقد حُذف للعلم به من السياق.

23- قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (43) بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 43، 44]؛ والتقدير: "بُعثوا بالبينات والزبر"، وقد حُذف لدلالة ما سبق عليه.

24- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: 32]؛ أي: "كذلك أنزلناه لنثبت به فؤادك"؛ وقد حُذف لدلالة السياق عليه.

25- قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: 74]؛ والتقدير: "أقبل يجادلنا"، والغاية من هذا الحذف استحضر مشهد هذه القصة حتى كأن السامع يرى أمامه مجريات الحوار والحدث.

26- قوله تعالى: ﴿تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ [القمر: 20]؛ في الآية حذف تقديره: "فتتركهم كأنهم أعجاز نخل منقعر"؛ حيث كانت الريح تقطع رؤوسهم فتبقى أجسادهم بلا رؤوس، فأشبهت أعجاز النخل التي انقلعت من مغرسها.¹

27- قوله تعالى: ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾ [المؤمنون: 40]؛ قدر بعضهم: "عما قليل لتنصر" لأن قبله: "قال ربي انصربي"، ونحن لا نوافقهم على هذا التقدير لأنهم ما أصبحوا نادمين إلا بسبب نصرته عليهم.

28- قوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمان: 5]؛ التقدير: "يجريان بحسبان" وحُذف الفعل مع فاعله هنا للتوسع والإطلاق؛ فهما يجريان بحساب، وبهما حساب الأشهر والسنين، وبهما تُعرف مواقيت العبادات، وغير ذلك من الحسابات المستفادة منهما.

¹ - ينظر: أبو حيان، البحر المحيط: 30 / 10.

29- قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ [الشمس: 13]، "ناقة": منصوب على التحذير؛ أي: "احذروا ناقة الله" أو "ذروا ناقة الله وسقياها"، كما قال سبحانه: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف: 73]، وقد ناسب هذا الحذف الجوّ البياني للسورة؛ إذ هي من السور المكية القصار، فأختصرت هذه القصة الطويلة في ما لا يتجاوز بعضة أسطر.

30- قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ [القصص: 64] قدر بعضهم: "لو أنهم كانوا يهتدون ما رأوا العذاب"،¹ وقد حذفت الجملة الفعلية هنا للتوسع والإطلاق؛ فقد أفاد الحذف إضافة إلى المعنى المذكور معنى آخر؛ وهو: حكاية التمني عنهم بالهداية لما رأوا العذاب بحالهم ومقالمهم.

ويذكر النحاة كذلك حذف الفعل مع مضمرة المرفوع بعد أحرف التحضيض والاستفهام؛ لأن هذه الأحرف حسبهم لا يليها إلا الفعل لذلك يلزم تقدير فعل محذوف بعدها، والأولى أن يقال كما قلنا سابقا أنه لا يليها إلا الجمل الفعلية، لذلك لا نرى داعيا إلى تقدير فعل محذوف في هذه الحالة؛ من ذلك - مثلا - قول جرير "من الطويل":

تَعْدُونَ عَقْرَ النَّيْبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ ** بني ضَوْطَرَى لَوْلَا الْكَمِيِّ الْمُقَنَّعَا²

أي: "لولا تعدون"، وقول عمرو بن قنعا "من الوافر":

أَلَا رَجُلًا جَزَاهُ اللَّهُ حَيْرًا ** يدل على مُحْصَلَةٍ تَبَيَّتْ³

أما قول الشاعر "من الطويل":

وَبُئِثَ لَيْلَى أَرْسَلْتُ بِشَفَاعَةٍ ** إِلَيَّ فَهَلَّا نَفْسٌ لَيْلَى شَفِيعُهَا⁴

فهو من النادر الذي لا يقاس عليه، ويمكن أن يُتَأَوَّلَ بإضمار "كان" الشأنية أو بإضمار فعل من جنس ما هو مذكور، وذلك لأن حروف العرض والتحضيض لا تدخل إلا على الجمل الفعلية كما ثبت ذلك بالاستقراء وبإجماع النحاة.⁵

¹ - ينظر: مرشد محمود، الحذف والتقدير في القرآن الكريم: 358-361.

² - "النَّيْبُ" جمع "ناب" وهي المسنة من النوق، "ضَوْطَرَى": حي معروف، وقيل: "الضوطرى": الحمقى، "الْكَمِيِّ": الشجاع المتكلمي في سلاحه؛ أي المستتر بالدرع والبيضة، ينظر: جرير، الديوان: 907.

³ - "المُحْصَلَةُ": المرأة التي تُحْصَلُ تراب المعدن؛ أي تميز المعدن من التراب، ينظر: سيبويه، كتاب سيبويه: 2/222.

⁴ - ينسب هذا البيت لقيس بن الملوح وإبراهيم الصولي وابن الدمينية، ينظر: قيس بن الملوح، الديوان: 154، ابن الدمينية (أبو السري عبد الله بن عبيد الله)، ملحق ديوانه، تح: أحمد راتب النفاخ، دار العروبة، القاهرة: 1379هـ - 1959م، (د، ط)، ص: 206. إبراهيم الصولي، الطرائف الأدبية، تح: عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية: بيروت، (د، ط - د، ت): 185.

⁵ - ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب: 1/103.

* حذف الفعل مع مضمرة المنصوب:

ما قلناه عن حذف الفعل مع مضمرة المرفوع ينطبق على هذه الحالة، لذلك سنكتفي بإيراد نموذج واحد من القرآن الكريم وهو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: 18]؛ أي: "وكثير أبي السجود فحق عليه العذاب ومن يهين الله فما له من مكرم".

وهذا ما يقتضيه السياق الذي وردت فيه الآية الكريمة، وأذل وأحقر وأصغر ما يكون عليه مكلف حين يأبى السجود لله عز وجل؛ فهذا الصنف من الثقلين لا يستحق فعله الشنيع هذا أن يُذكر في هذا المقام الذي لا ينبغي أن يتخلف عنه مخلوق من المخلوقات، سواء كان من المكلفين أو من غيرهم؛ وذلك حتى لا يتوهم متوهم إمكانية أن يتساوى هذا الصنف مع المخلوقات المذكورة في الدنيا ولا في الآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ [النبأ: 40]، وفي هذا الحذف أيضا إشعار بتعجيل العذاب والإهانة للممتنعين عن السجود لله عز وجل، وهذا فيه من الترهيب والوعيد ما فيه.

2- حذف جملة الشرط: يطرد حذف جملة الشرط في ثلاثة مواضع:

أ- تحذف جملة الشرط بأسرها مع أداة الشرط وذلك بعد الطلب أو النهي؛ فمن ذلك - مثلا - قول المتنبي "من الطويل":

سَلِّ البَيْدَ: "أين الجُنُّ منا بِجَوْرِها؟" * وعن ذي المَهَارِي: "أين منها النَّقَانِقُ؟"¹

أي: "إن تسأل البيد تخبرك"، وقوله أيضا "من البسيط":

بما بجفنيك من سحرٍ صلي دَنَفًا * يهوى الحياة، وأما إن صددت فلا²

والتقدير: "صلي فإن تصل دَنَفًا يهوى الحياة ويريدها"، ومن القرآن الكريم:

1- قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل

عمران: 31] أي: "إن تتبعوني يحببكم الله..."، فحذفت جملة الشرط لدلالة "اتبعوني" عليها.

2- قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ أَوَّلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ

مِنْ زَوَالٍ﴾ [إبراهيم: 44] أي: "إن تؤخرنا نجب دعوتك..."، وقد حذفت جملة الشرط لدلالة السياق.

3- قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ [الأنفال: 17]؛ قدر بعضهم جملة شرطية محذوفة: "إن

افتخرتم بقتلهم"، وهذا تكلف لا يرتضيه السياق؛ لأن السياق يحتمل أن يكون ردا على ما يزينه الشيطان

لبعض ضعاف الأنفس من المؤمنين الذين يظنون أن قتل المشركين كان بتقدير الله عز وجل وبقوتهم

وشجاعتهم، ويحتمل أيضا أن يكون ردا على القدرة الذين ينفون خلق الله سبحانه وتعالى لأفعال العباد

ويزعمون أنهم يخلقون أفعالهم بأنفسهم، وهذان الاحتمالان مرادان ولا دليل على التخصيص، والأصل في

الكلام أن يُحمل على العموم إلا أن يرد الدليل على التخصيص.

4- قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ (1) فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ [الماعون: 1، 2]؛ في الآية

جملة شرط محذوفة تقديرها: "إن تأملتَه فلذلك الذي يدع اليتيم"، وقد حذفت لدلالة السياق عليها.³

5- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ

وَلَكِنَّا كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الروم: 56]، والتقدير: "لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فإن كنتم تنكرونه

فهذا يوم البعث..."، وقد حذفت الجملة الشرطية لأن هؤلاء الكفار يعلمون أنه يوم البعث، ولكن هذا

الكلام سيق للتقريع والتوبيخ على إنكارهم البعث في الحياة الدنيا.

¹ - "جَوْرُها": وسطها، "المَهَارِي": إبل منسوبة إلى قبيلة من اليمن وهي بنو مهرة بن حيدان، "النَّقَانِقُ": جمع "نَقْنَق" وهو ذكر النعام.

ينظر: المتنبي، الديوان: 76، وينظر: العكبري (أبو البقاء عبد الله بن الحسين)، شرح ديوان المتنبي، تح: مصطفى السقا - إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلي، دار المعرفة: بيروت، (د، ط - د، ت): 2 / 343.

² - "دَنَفًا": الدَّنَف: المريض، المتنبي، الديوان: 17، وينظر: العكبري، شرح الديوان: 3 / 164.

³ - ينظر: مرشد محمود، الحذف والتقدير في القرآن الكريم: 412.

ب- تحذف جملة الشرط مع بقاء أداة الشرط بعد "إلا"؛ أي بعد "إن" الشرطية التي تتبعها "لا" النافية المسبوقه بما يدل على الشرط المحذوف؛ ومن ذلك قول الأحوص الأنصاري "من الوافر":
فطلقها فلست لها بكفء ** وإلا يعل مفرقك الحسام¹

التقدير: "وإن لا تطلقها يعل..."، فحذفت جملة الشرط مع بقاء الأداة.

ج- حذف جملة الشرط بعد حرف الجواب "إذن" وقد تقدم ما يدل عليها؛ من ذلك قول قريط بن أنيف "البسيط":

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي ** بنو القبيطة من ذهل بن شيبانا
إذن لقام بنصري معشر خشن ** عند الحفيظة إن ذو لوثة لانا²

والتقدير: "إذن لو كنت منهم وأستبحت إبلي لقام بنصري..."، ومن ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ [المؤمنون]، والتقدير: "إذن لو كان معه آلهة لذهب....".³

د- حذف جملة جواب الشرط: يكون حذف جملة جواب الشرط واجبا إذا تقدمه أو اكتنفه ما يدل على الجواب؛ من ذلك قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأنعام: 35]؛ أي: "إن استطعت ذلك فافعل"، وقد تقدم ما يدل على هذا الجواب وهو قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ ﴾.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾ [الرعد: 31]؛ أي: "لو كان ذلك لما آمنوا به إلا أن يشاء الله"، والدليل على هذا التقدير قوله تعالى بعدها: ﴿ بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَنْبَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ... ﴾ [الرعد: 31]⁴، وقدر بعضهم: "لكان هذا القرآن"⁵، وهذا التقدير وارد لأن هذا القرآن من صفاته أنه تستجيب له الجمادات؛ قال تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مَتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر: 21].

¹ - الأحوص بن محمد الأنصاري، الديوان، ص: 184، وينظر: العيني، المقاصد النحوية: 1/ 173.

² - "الحفيظة": هي الغضب في الشيء الذي يجب الحفاظ عليه، "اللوثة": الضعف، ينظر: التبريزي (أبو زكريا يحيى بن علي)، شرح ديوان الحماسة، (د، تح)، دار القلم: بيروت، (د، ط - د، ت)، ص: 4.

³ - ينظر: حمودة، ظاهرة الحذف: 286.

⁴ - ينظر: سهام الزعبوط، الحذف والتقدير في صحيح البخاري: 104.

⁵ - ينظر: أبو شادي، الحذف البلاغي: 115.

3- قوله تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 170]، جملة الجواب محذوفة تقديرها: "أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ يَتَّبِعُونَهُمْ؟"، وقد حذفت لدلالة ما قبلها عليها، وهو قوله تعالى: ﴿بَلْ نَتَّبِعْ مَا آَلَفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾.

4- قوله تعالى: ﴿سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [البقرة: 211].

جواب: "مَنْ" محذوف تقديره: "يعاقبه"، وقد حُذف من أجل المجيء بالجملة الاسمية الدالة على الثبوت والاستمرار في العذاب؛ ذلك أن المراد بـ "نعمة الله" في هذا السياق نعمة الإسلام، بدليل أن أكثر بني إسرائيل كفروا بعد إسلامهم، وبدليل قوله تعالى بعد هذه الآية: ﴿زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (212) كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: 212-213].

وتبديل نعمة الإسلام هو الكفر بالله عز وجل الذي جزأه الخلود الأبدي في نار جهنم، والعياذ بالله.

5- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [آل عمران: 32]، فجواب "لو" محذوف لدلالة ما قبله والتقدير: "ولو افتدى به لم يقبل منه".

6- قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّفْصِيلِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال: 41]، فحذف الجواب لتقدم ما يدل عليه وهو قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ...﴾.

7- قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ [الزمر: 19] فجواب الشرط محذوف وتقديره: "أفمن حق عليه العذاب فأنت تهديه؟"، وإنما حُذف لدلالة قوله تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ عليه؛ لأن من لا يهتدي في الدنيا فإن مصيره إلى النار لا محالة إلا المعذور بعذر شرعي معتبر فإنه يمتحن في عرصات القيامة، وقليل ما هم؛ كالمعتوه والأصم والصبي والشيخ الهرم كما روي ذلك في الأثر.¹

¹ - ينظر: الهيثمي (أبو الحسن علي بن أبي بكر)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تح: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي: القاهرة، 1414هـ - 1994م، (د، ط): 216 / 7، ابن الجعد (علي الجوهري البغدادي)، مسند ابن الجعد، (د، تح)، مؤسسة نادر: بيروت، ط: 1، 1410هـ - 1990م: 300 / 1.

8- قوله تعالى: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [الزمر: 43]، فجواب "لو" محذوف تقديره: "أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون يشفعون؟!"، وقد حُذف لدلالة ما قبله عليه، وقد أفاد هذا الحذف الإطلاق والشمول، فهؤلاء الشفعاء لا يملكون شيئا مما يرجوه المشركون منهم لا الشفاعة ولا غيرها، ولا يعقلون منهم شيئا لا دعاء ولا نداء ولا استغاثة ولا غير ذلك إلا كباسط كفيه إلى الماء ليلبغ فاه وما هو ببالغه، وما دعاء الكافرين إلا في ضلال.

9- قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: 41]، فجواب "لو" محذوف تقديره: "لو كانوا يعلمون ذلك ما عبدوهم من دون الله"، أو: "ما أبطؤوا في الاستجابة لدعوة التوحيد"، أو: "ما صدوا عن دين الله"، وغير ذلك، وقد أفاد الحذف جميع هذه المعاني ونحوها.¹

10- قوله تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 70]، جواب الشرط محذوف يدل عليه قوله تعالى: "إنا لمهتدون"، والتقدير: "إن شاء الله أن نهتدي"، وقد توسط الشرط هنا بين جزئي الجملة، وفي هذا لفت لانتباه السامعين بأن الهداية متعلقة بمشيئة الله تعالى وحده.²

11- قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: 10]؛ أي: "لولا أن ربطنا على قلبها لأبدت به"، وقد حُذف لدلالة ما قبله عليه. ويكون الحذف جائزا إذا كان الجواب معلوما بالقرينة العقلية أو قرينة الفهم العام لسياق الكلام؛³ ومن ذلك في القرآن الكريم:

1- قوله تعالى: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ أَوْيَ إِلَى زُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: 80]، قدر بعض النحويين والمفسرين جواب "لو" على اعتبار أنها شرطية فقالوا: «والتقدير: لالتجأت إليه»،⁴ ويبدو لنا أن "لو" هنا ليست شرطية، بل قد أفادت معنى الترجي فقد قال لوط - عليه السلام - بهذا الكلام في مقام الدعاء والاستغاثة بالله عز وجل على مكر قومه، ويعضد هذا قول النبي - عليه الصلاة والسلام - : {رحم الله أخي لوطا فقد وجد ركننا شديدا}؛⁵ أي أنه قد أُستجيب دعاؤه.

¹ - ينظر: أبو شادي، الحذف البلاغي: 122.

² - المرجع نفسه: 124.

³ - ينظر: حمودة، ظاهرة الحذف: 286.

⁴ - ينظر: أبو شادي، الحذف البلاغي: 113.

⁵ - صحيح البخاري: 4/ 147، صحيح مسلم: 1/ 133، مسند أحمد: 14/ 259. ابن ماجه (أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني)، سنن ابن ماجه، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية: القاهرة، (د، ط - د، ت): 2/ 1335.

2- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: 165]؛ فحذفت جملة جواب الشرط والتقدير: "ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب لكان منهم ما لا يوصف من الندم والحسرة والذل والصغار"، فحذف الجواب ليذهب ذهن السامع كل مذهب في تصور ما يقع بهم من مكروه، ثم إنه أُتي بالجملة الاسمية الدالة على الثبوت والاستمرار مكان الجواب للدلالة على أبدية هاتان الصفتان لله عز وجل؛ وهما صفتا القوة وشدة العذاب، وللدلالة أيضا على أبدية العذاب لهؤلاء الظلمة المتخذين من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله.

3- قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: 152]، والتقدير: "حتى إذا فشلتُم وتنازعتم في الأمر وعصيتُم منكم نصره"، وقد دل عليه قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ﴾، ولكنهم لما عصوا وتنازعوا أراهم ما يكرهون؛ وفي هذا الحذف تأكيد على أن ما أصابهم يوم التقى الجمعان بما كسبت أيديهم وما كان الله ليمنعهم نصره لولا ذلك، وفيه تنزيه لله عز وجل من نسبة الشر إليه وإن كان هو سبحانه وتعالى خالق الشر وخالق كل شيء، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: 79]، وقال عليه الصلاة والسلام منزلها ربه عز وجل: {...والشر ليس إليك}.¹

4- قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [المائدة: 70]، والتقدير: "فإن كذبوك فاصبر وتأس فقد كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ"؛ وقد حُذف الجواب لأن الآية جاءت في سياق الرد على المكذبين للرسول الذين زعموا أن الله عهد إليهم ألا يؤمنوا لرسول حتى يأتيهم بقرآن تأكله النار، فناسب هذا المقام أن يُحذف الجواب ويعوض عنه بما يذكر النبي - عليه الصلاة والسلام - بما لاقاه إخوانه من المرسلين قبله من أذى وعنت في سبيل الدعوة إلى الله عز وجل.

5- قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: 70]، والتقدير: "كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُهُمْ استكبروا فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ"، وقد حُذف الجواب وهو الاستكبار وردُّ الحق وأقيم مقامه ما يفسره وهو تكذيب الرسل وقتلهم؛ لأن هذه الآية قد جاءت بمثابة التفسير والتوضيح لما سبقها من قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُتِمُّوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: 68]؛ فهؤلاء الكفار من

¹ - ينظر: صحيح مسلم: 1/ 534، النسائي (أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب)، السنن الصغرى للنسائي، تح: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية: حلب - سوريا، ط: 2، 1406هـ - 1986م: 2/ 129.

بني إسرائيل صفتهم وميزتهم الاستكبار والطغيان وإباء الحق، وهي صفة ورثوها من أسلافهم تمثلت قديما في تكذيب الرسل وقتلهم.

6- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: 27]؛ والتقدير: "وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ لَرَأَيْتَ أَمْرًا شَنِيعًا"، وقد حُذف الجواب ليذهب ذهن السامع كل مذهب في تصور هول هذا الموقف.

7- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ [التوبة: 59]؛ تقدير الجواب: "لكان خيرا لهم"، وقد حُذف ليذهب ذهن السامع كل مذهب في تصور ما كان سينالهم من الخير والفضل لو فعلوا ذلك.

8- قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا نُرْيِكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّعُكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: 46]؛ حُذف جواب "نُرْيِكَ" وتقديره: "وإما نرينك بعض الذي نعدهم فتراه في حياتك الدنيا أو نتوفينك...".¹

وقد حُذف ملائمة للسياق والجو البياني للآيات؛ فالآية جاءت في سياق الحديث عن الساعة والآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (44) وَيَوْمَ يُخْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَسُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (45) وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّعُكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ (46) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (47) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ (48) قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: 44-49]؛ فهذا المقام لا يناسبه أن تُذكر فيه الحياة الدنيا.

9- قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: 15]، جواب "لما" محذوف تقديره: "فعلوا به ما فعلوا من الأذى"، وقد حُذف تهويلا من شأن هذا الأمر الذي لا تطيق سماعه القلوب الرحيمة؛ من إخوة يكيدون بأخيهم ليفعلوا به ما فعلوا من الأذى دون ذنب ارتكبه.

10- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لَنَصْرَفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: 24]، فجواب "لولا" محذوف اختلف في تقديره حسب المراد من "الهم"؛ هل هم بما ليدفعها أو هم بما ليخالطها؟ والراجح - والله أعلم - أنه هم بما ليخالطها؛ إذ لولا هذا الهم لما

¹ - ينظر: أبو شادي، الحذف البلاغي: 116-117.

كان لامتناعه فضل، فيوسف - عليه السلام - كان مكتمل الرجولة، ولكن حال بينه وبينها خشية الله عز وجل وتقواه؛ فالتقدير: "لولا أن رأى برهان ربه لخالطها".¹

11- قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (103) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (104) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات: 103-105]؛ جواب "لما" محذوف تقديره: "لما أسلما لله وفعلا ما أمرا به كان ما لا يعبر عنه مقال ولا يحيط به وصف ولا تنطق به إلا تلك الحال"،² فليس شيء أبلغ من السكوت في هذا المقام ولتصور السامع ما يستطيع أن يتصوره من الفرح والغبطة التي غمرتهما لما أنعم الله عليهما بدفع هذا البلاء العظيم عنهما، وما نالاه من رضا الله سبحانه وثوابه بهذا الاستسلام له والاستجابة لأمره.

12- قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: 92]، قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ تعليل لجواب الشرط المحذوف، والتقدير: "وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فمجازيكم به فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ"،³ ولما كانت النفقة نكرة في سياق الشرط أفادت العموم، فأى نفقة ينفقها المؤمن صغيرة كانت أو كبيرة فإنها لا تخفى على الله عز وجل فهو مجازا بها، وهذا حتى لا يتوهم متوهم أن الله سبحانه وتعالى لا يجازي إلا على ما كان غاليا محبوبا لدى منفقه.

13- قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٍ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فِتْصِيكُم مِّنْهُمْ مَّعْرَةٌ بَعِيرٍ عَلِيمٍ﴾ [الفتح: 25]، جواب "لولا" محذوف تقديره: "لسلطانكم عليهم"، وقد حُذف لدلالة ما بعده عليه وهو قوله تعالى: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: 25].

14- قوله تعالى: ﴿أَنذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ [ق: 3]؛ حُذف جواب "إذا" وتقديره: "أنذامتنا وكنا ترابا نرجع؟"، وقد حُذف الجواب وجيء بالجملة الاسمية بدلا عنه للدلالة على الشك المريب والكبير لهؤلاء الكفار في البعث وأنهم يستبعدون وقوعه لاستحالة ذلك في عقولهم القاصرة، ويدل على هذا قوله تعالى بعد هذه الآية: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: 15]، ولا أدل على هذا المعنى من مبنى الجملة الاسمية المعبر عن الثبوت والاستمرار؛ فشكهم في البعث ثابت مستمر لا ترحزحه الآيات الكونية ولا الشرعية.

15- قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: 20]؛ فجواب "لولا" محذوف تقديره: "لعذبكم"، وقد حُذف ملائمة للسياق والجو البياني للآيات؛ إذ أن الحديث يدور في هذه الآيات عن الجماعة المؤمنة الأولى وما جرى لها أثناء حادثة الإفك، ورغم أن بعضهم قد انساق وراء تلك

¹ - المرجع السابق: 118.

² - ينظر: الزمخشري، الكشاف: 4 / 55.

³ - ينظر: الرازي، تفسير الرازي: 8 / 290.

الشائعات التي أطلقها المنافقون إلا أنهم قد خرجوا من هذه المحنة بسلام، وأثبتوا ولاءهم لله ورسوله وبراءتهم من المنافقين وأشياعهم، لذلك كانوا أجدر بأن يخاطبوا بخطاب الرأفة والرحمة من خطاب التهديد والوعيد، وهذا من لطائف التعبير القرآني المعجز.

16- قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ﴾ [هود: 57]، جواب "إن" محذوف والتقدير: "فإن تَوَلَّوْا فلا لوم علي أو فلا عذر لكم لأني قد أبلغتكم ما أُرسلت به إليكم"،¹ وقد حُذف الجواب لإفادة المعنيين معا.

17- قوله تعالى: ﴿فَإِنْ حِفْظُكُمْ فَرَجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ [البقرة: 239]؛ والتقدير: "فصلوا رجالا أو ركباناً..."، وقد حُذف لدلالة ما قبله عليه وهو قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾²؛ وفي هذا الحذف أيضا دلالة على أنه لا نقاش ولا جدال في أداء الصلاة في أية حالة يكون فيها المؤمن، وإنما النقاش والجدال في الكيفية التي تؤدي بها الصلاة؛ فقد تؤدي في هيأتها العادية المعروفة، وقد تؤدي في حالة الركوب إذا تعذر أداؤها في الحالة العادية، وقد تؤدي في حالة الجلوس، وقد تؤدي في حالة الاتكاء إذا اقتضى لذلك مقتضى.

¹ - ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون: 6 / 344.

² - ينظر: أبو شادي، الحذف البلاغي: 123.

4- حذف جملة القسم:

يتوجب حذف جملة القسم مع غير الباء من أحرف القسم؛ نحو: "والله أو تا الله لأفعلن"، كقول المتنبي "من الوافر":

تا الله ما عِلِمَ امرؤ لولاكم ** كيف السخاء وكيف ضربُ الهام¹

ويجوز الحذف مع الباء فيقال: "بالله لأفعلن"، أو "أقسم بالله لأفعلن"، ومن ذلك قول قيس بن الملوح "من الوافر":

بريك هل ضمنت إليك ليلي ** قبيل الصبح أم قبّلت فاها؟²

ويجوز حذف جملة القسم استغناءً عنها باللام؛ ومما ورد من ذلك في القرآن الكريم:

1- قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لِيُطِئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: 72]؛ فقوله تعالى: ﴿لِيُطِئَنَّ﴾ جواب لقسم محذوف تقديره: "وإن منكم لمن أقسم ليبطئن"، وقد حُذف لدلالة الجواب عليه.

2- قوله تعالى: ﴿قَالَ فِيمَا أُغْوِيْتَنِي لَأَفْعِدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: 16]؛ فالباء متعلقة بفعل قسم محذوف تقديره: "فِيمَا أُغْوِيْتَنِي أقسم لأفعدن..."³، والدليل على هذا القسم قوله تعالى في سورة "ص": ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: 82].

3- قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [التوبة: 75] أي: "نقسم لنصدقن ولنكونن من الصالحين".

وقد تُحذف جملة القسم دون ذكر اللام، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [الأنبياء: 71]؛ حيث يُقدَّر في الآية قسم محذوف لما ثبت عن النبي - عليه الصلاة والسلام - أنه قال: {لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم}، قال أبو عبد الله البخاري: «هو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾»⁴، وفي رواية الإمام مالك - رحمه الله - ذكرت هذه الزيادة مرفوعة للنبي عليه الصلاة والسلام.

¹ - ينظر: المتنبي، الديوان: 428، وينظر: الواحدي، شرح ديوان المتنبي: 1/ 296.

² - قيس بن الملوح، الديوان: 222.

³ - ينظر: أبو شادي، الحذف البلاغي: 126.

⁴ - صحيح البخاري: 2/ 73، صحيح مسلم: 4/ 2028، مسند أحمد: 12/ 206.

5- حذف جملة جواب القسم: يُحذف جواب القسم وجوبا إذا تقدم عليه أو اكتنفه ما يدل على الجواب ويغني عنه؛ نحو قولنا: "زيد شجاع والله"، "أنت أكرمتني والله"، ونحو ذلك.

وما عدا هذه الحالة يجوز حذف جواب القسم إذا دلت عليه قرينة لفظية أو معنوية؛ ومما ورد من هذا الحذف في القرآن الكريم ما يلي:

أ- قوله تعالى: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنَّ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: 62]؛ أي: "يخلفون لكم أنهم مسلمون أو أنهم صادقون"، وقد حُذف الجواب لوضوحه من السياق؛ فإن المؤمنين لن يرضوا عن هؤلاء المنافقين حتى يتيقنوا من إيمانهم وصدقهم، ومثل هذا قوله تعالى: ﴿سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتُعَرِّضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآوَاهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: 59].¹

ب- قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا﴾ [الأنعام: 30]؛ أي: "بلى وربنا هذا حق".
ج- قوله تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (1) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (2) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (3) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (4) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (5) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ [النازعات: 1- 5]، والتقدير: "لتبعثن يوم ترجف الراجفة...؛" وقد حُذف لدلالة متعلقه عليه.

د- قوله تعالى: ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ [ص: 1]؛ جواب القسم محذوف تقديره: "إنه لكلام معجز" أو نحو ذلك، وقد حُذف الجواب للاستغناء عنه بدلالة الحال؛ فإن الخلق عاجزون لا محالة عن الإتيان بآية من مثله.

هـ- قوله تعالى: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ [ق: 1]؛ فجواب القسم محذوف تقديره: "لتبعثن" بدليل قوله تعالى بعدها: ﴿أَنذَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ [ق: 3].

و- قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ (1) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (2) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (3) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (4) هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ﴾ [الفجر: 1- 5]، والتقدير: "لنقدرن على إهلاككم كما أهلكنا من سبقكم" بدليل قوله تعالى بعد القسم: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (7) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (8) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (9) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (10) الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ (11) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (12) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (13) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: 6- 14]؛ وقد حُذف جواب القسم للتهويل حتى يذهب ذهن السامع كل مذهب في تصور ما سيحل بهم من العذاب إن هم لم يستجيبوا لدعوة الرسول عليه الصلاة والسلام.

¹ - ينظر: عبد الكريم خالد التميمي، الحذف والتقدير رؤية لأسلوب قرآني، مقال منشور بمجلة آداب البصرة: عمادة كلية الآداب بجامعة البصرة: العراق، العدد: 51، 1430هـ - 2010م، ص: 101، وينظر: حمودة، ظاهرة الحذف: 288.

ويجوز حذف جواب القسم كذلك بعد أحرف الجواب؛ كقولنا في الإجابة على سؤال: "هل فعلت؟"، "أجل والله"، "نعم والله"، أو "لا والله"، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبَّنَا﴾ [الأنعام: 30]؛ أي: "بلى وربنا هذا حق"، فحذفت جملة الجواب بعد "بلى".¹

6- حذف جملة القول:

يكثر حذف جملة القول في كلام العرب استغناء عنها؛ فمن ذلك قول الشنفرى "من الطويل":
لا تقبروني إن قبري مُحَرَّم * * عليكم ولكن أبشري أم عامر²
أي: "دعوني للتي يقال لها": "أبشري أم عامر" إذا صيدت وهي الضبع. وقول الربيع الأسدي "من الطويل":

على حين كانت عُقِيلَ وَشَائِظًا * * وكانت كلابُ خَامِرِي أم عامر³

أي: "كانت كلاب التي يقال لها": "خامري أم عامر"، ومن القرآن الكريم:

أ- قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة: 63]؛ ففي الآية حذف جملة القول والتقدير: "وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ وَقَلْنَا لَكُمْ: خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ"، والسر في هذا الحذف استحضر الماضي وإخراج الخطاب من السياق السردى القصصى إلى الواقع الحى المعاش لتكون هذه الأمة هي الأخرى مخاطبة بهذا الأمر، وهذا هو الغرض من القصص القرآني؛ تحذير هذه الأمة مزلق الطريق التي عثرت فيها أقدام الأمم المستخلفة قبلها.⁴

ب- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: 3]؛ يقدر النحاة جملة قول محذوفة؛ أي: "يقولون مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى"، والغاية من هذا الحذف حكاية حالهم ومقالمهم، فحتى لو أن بعضهم لا يصرحون بهذا القول فإن حالهم من عبادة غير الله تنطق به.
ج- قوله تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، قدر النحاة جملة قول محذوفة؛ أي قال: "يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ"⁵، ونرى أنه لا داعي لهذا التقدير طالما أن الفعل "وصَّى" يتضمن معنى القول.

¹ - ينظر: حمودة، ظاهرة الحذف: 289.

² - الشنفرى، الديوان: 48.

³ - "الْوَشَائِظُ": واحده "وَشَظٌ"؛ وهو الخسيس، و"الْوَشِيطُ": الزائد في القوم الملقق بهم، "خَامِرِي": أي ادخلي الحُمُر وهو الجحر، وهي الضبع التي تستحمقها العرب وتذكر من حماقاتها أنها يقال لها: "خامري أم عامر" فتدخل الجحر فيصطادونها. ينظر: السيراني (أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان)، شرح كتاب سيبويه، تح: أحمد حسن مهدي - علي سيد علي، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: 1، 1428هـ - 2008م: 411/2 - 412.

⁴ - ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن: 1/ 65.

⁵ - ينظر: أبو شادي، الحذف البلاغي: 127.

د- قوله تعالى: ﴿أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَِّّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ (2) وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُغْفِرْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿3﴾ هود: 2، 3، والتقدير: "وَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ لَهُمْ: فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ"، وقد حُذفت جملة القول للمبالغة في الإنذار تبعاً للسياق.

هـ- قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُخْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ [الأنعام: 128]، وقوله تعالى: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: 97]، وقوله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ (10) يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الدخان: 10-11]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: 12]؛ والتقدير في هذه الآيات: "قلنا: يا معشر الجن"، "يقولون: يا ويلنا"، "يقولون: هذا عذاب أليم"، "يقولون: ربنا أبصرنا وسمعنا".¹

والغاية من حذف جملة القول في كل هذه الآيات استحضار مشهد يوم القيامة حتى كأن السامع يراه رأي العين مبالغة في الإنذار والترهيب من مشهد يوم عظيم.

و- قوله تعالى: ﴿قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: 23]، والتقدير: "قالوا: قال الحق"، وحُذفت جملة القول هنا لإفادة العموم والشمول؛ فإنه سبحانه وتعالى هو الحق وقوله الحق.

¹ - ينظر: المرجع السابق: 128.

7- حذف جملة الحال:

ورد حذف جملة الحال قليلا في القرآن الكريم؛ من ذلك:

أ- قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (24) فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْنَا لَهُمْ لَيُّومٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران:

24، 25]، والتقدير: "فكيف تكون حالهم"، وقد حُذفت جملة الحال ليشمل هذا التهديد جميع من يستحقه ولا يُتهم أنه مخاطب به ذلك الفريق من الذين أوتوا الكتاب دون غيرهم.

ب- قوله تعالى: ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: 44]، ف "أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ" متعلقة بحال محذوف دل عليه قوله تعالى: ﴿يُلْقُونَ﴾؛ والتقدير: "يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ ينظرون أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ".¹

ج- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: 6]، والتقدير: "إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ وأنتم محدثون فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ..."، وقد دلت القرائن الشرعية على ضرورة تقدير جملة الحال في هذه الآية؛² لأنه من المعلوم من الدين بالضرورة أن الوضوء لا يجب على المكلف إلا في حالة الحدث الأصغر.

د- قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّ أَرْدَنًا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء: 62]؛ والتقدير: "فكيف يكون حالهم إذا أصابتهم مصيبة"، وقد حُذفت جملة الحال هنا لكي يذهب ذهن السامع كل مذهب في تصور حالهم السيئة تلك.³

هـ- قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (7) كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة: 7، 8]، والتقدير: "كيف يكون حالهم إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ وهم لا عهد لهم"، وقد حُذفت جملة الحال هنا للمبالغة في تصوير مساوئ أخلاق المشركين حتى لا يركن لهم المؤمنون.

و- قوله تعالى: ﴿لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ جَمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف: 60]؛ والتقدير: "لا أبرح أسير".

¹ - ينظر: الزمخشري، الكشاف: 362 / 1.

² - ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز: 160 - 161 / 2.

³ - ينظر: القرطبي، تفسير القرطبي: 264 / 5.

8- حذف الجملة بعد "إذ":

يجوز حذف الجملة بعد "إذ" إذا علّمت من السياق وتعوّض بالتنوين وكسر الذال؛ ومما ورد من هذا الحذف في القرآن الكريم ما يلي:

أ- قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا (41) يَوْمَئِذٍ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: 41 - 42]؛ أي: يوم إذ "جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا" يود الذين كفروا وعصوا الرسول...¹

ب- قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (15) مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْقُورُ الْمُبِينُ﴾ [الأنعام: 15، 16]؛ أي: "يوم إذ "يكون الجزاء"؛ حيث لم تتقدم جملة مصرّح بها يكون التنوين عوضا عنها.²

فالتنوين يكون عوضا عن جملة قبل "إذ" سواء كانت هذه الجملة مصرّحا بها أو مفهومة من السياق.

9- حذف جملة الخبر:

وهذا الحذف قليل جدا في لغة العرب عموما وفي القرآن الكريم خصوصا؛ فمما ورد من ذلك في القرآن الكريم:

أ- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُدَقُهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: 25]؛ فخير "إن" جملة محذوفة تُفهم من جواب الشرط "نُدَقُهُ"؛ والمعنى: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ سَنُذِقُهُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ".³

ب- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (40) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ [فصلت: 40، 41]، فخير "إن" في الآية الثانية جملة محذوفة؛ وقد حُذفت لأنه لا داعي لذكر جزاء من كفر بهذا القرآن العظيم في هذا المقام الذي فُصلت فيه صفات هذا الكتاب العزيز تفصيلا لا يبقى معه لكل ذي لب أدنى شك في عظم وفداحة خسران من كفر بهذا الذكر.

ج- قوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: 5]؛ أي: "الشمس والقمر يجريان بحسبان"؛ أي بحساب منظم دقيق، وقد أفاد هذا الحذف الإطلاق والشمول؛ فالشمس والقمر يجريان بحساب عجيب

¹ - ينظر: أحمد عبيد الدعاس - أحمد محمد حميدان - إسماعيل محمود القاسم، إعراب القرآن الكريم، دار المنير ودار الفارابي: دمشق، ط: 1425هـ - 2005م: 198 / 1.

² - ينظر: مرشد محمود، الحذف والتقدير في القرآن: 426 - 427.

³ - ينظر: أبو شادي، الحذف البلاغي: 143.

الإتقان، والإنسان يتخذ من جريانهما حساباً دقيقاً تنتظم به شؤون حياته الدنيوية والأخروية، من ذلك التقويمين الهجري والميلادي ومعرفة فصول السنة ومواسم جني الثمار وحساب المد والجزر ومعرفة مواقيت الصلاة ووقت الإفطار والإمساك وموسم الحج وما إلى ذلك.

فالشمس والقمر ترتبط بهما حسابات شتى، ولو ذكرت الجملة الخبرية لتبادر لذهن السامع المعنى الأول وغابت عن ذهنه المعاني الأخرى المرتبطة بالإنسان، لاسيما وأن الآية قد جاءت في سياق الامتنان على هذا الكائن بنعمة القرآن والخلق والبيان وغير ذلك من النعم.

10- حذف جملة الصفة:

وهذا الحذف أيضاً مما يعز وجوده في اللغة؛ فمما ورد من ذلك في القرآن الكريم:

أ- قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: 16]؛ أي: "فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ لَمْ أَتَلْ عَلَيْكُمْ فِيهِ شَيْئًا"، أو: "فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ كُنْتُمْ تَدْعُونِي بِالصَّادِقِ الْأَمِينِ"، وقد حُذفت جملة الصفة هنا لوضوح المراد من السياق العام لسيرة النبي عليه الصلاة والسلام.

ب- قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ (109) حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: 109-110]؛ يرى بعض النحاة أن "حتى" متعلق بمحذوف دل عليه الكلام، فكأنه قيل: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا تَرَخَى نَصْرُهُمْ حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسُوا"¹ ولا نرى داعياً لهذا التقدير لأنه يخل بالنظم والترتيب الذي جاءت به الآيات.

¹ - ينظر: الزمخشري، الكشاف: 2/ 510، الحلي، الدر المصون: 6/ 562.

11- حذف أكثر من جملة أو حذف التركيب:

يمكن أن يكون المحذوف أكثر من جملة؛ كما في قول عبيد بن الأبرص "من الخفيف":

إن يكن طِبُّكَ الدَّلَالُ فلو في ** سالف الدهر والسنين الخوالي¹

أي: "إن كانت عادتكَ الدلال فلو كان هذا فيما مضى لاحتملناه منك".² وهذا الحذف يكون على وجهين:

1- ألا يُقام مقام المحذوف شيء؛³ من ذلك في القرآن الكريم:

أ- قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّبُ اللَّهُ الْمُوتَى وَيُزَيِّقُكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 73] ؛ أي: "ففعّلوا فحبي فقلنا كَذَلِكَ يُخَيِّبُ اللَّهُ الْمُوتَى..."، والغاية من هذا الحذف الإيجاز والاختصار، والخروج من النمط القصصي السردى قصد الالتفات إلى واقع المخاطبين ليدرك السامع أنه هو الآخر مخاطب بما خوطب به من قبله، وأن أفعال الله سبحانه وتعالى متعلقة بكل زمان ومكان؛ فإحياء الموتى ليس في هذه القصة فحسب فهو يحيى ويميت متى شاء ومن شاء وفي أي مكان شاء.

ب- قوله تعالى: ﴿أَنَا أَنْبَأُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ (45) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 45، 46]، أي: "فأرسلون إلى يوسف لأستعبر الرؤيا، فأرسلوه إليه وقال له: «يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا...»"⁴ وقد حذفت هذه الجمل الطويلة لأن السياق القصصي السردى في مقام الوعظ يستدعي دائما حذف ما لا طائل تحته وما لا فائدة من ذكره للسامع حتى لا يمل من القصة، وهذا من الإعجاز البياني للقرآن الكريم.

كما أن المقام مقام خفة واستعجال؛ فالقوم من الملك وحاشيته وساقيه في لهف وشوق لمعرفة تعبير هذه الرؤيا العجيبة التي عجز الكل عن تعبيرها، فاستدعى هذا المقام حذف التفاصيل التي لا داعي لها.

ج- قوله تعالى: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (16) أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (17) قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [الشعراء: 16، 17، 18]؛ أي: "فلما سمع فرعون ذلك منهما قال: «أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا...»"، وقد حذفت هذه الجمل أيضا للإيجاز والاختصار.

¹ - عبيد بن الأبرص الأسدي، الديوان، تح: حسين نصار، ط: 1، 1957م-1377هـ، (د، ط)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي: القاهرة، ص: 107.

² - ينظر: ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب: 852.

³ - ينظر: أبو شادي، الحذف البلاغي: 27.

⁴ - ينظر: أبو السعود العمادي، إرشاد العقل السليم: 4/ 282.

د- قوله تعالى: ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (27) اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (28) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكِ كِتَابٌ كَرِيمٌ (29) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (30) أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَاتُّونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: 27، 31]؛ والتقدير: "فذهب به فألقاه إليهم، فأخذت الكتاب فقرأته فقالت: «يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكِ كِتَابٌ كَرِيمٌ...»" ¹ وقد سبق أن بينا السر في هذا الحذف عند حديثنا عن آيات سورة يوسف.

ك- قوله تعالى: ﴿ارْجِعُوا إِلَى أَيْكُمُ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ (81) وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (82) قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: 81-83]؛ والتقدير: "فرجعوا فقالوا له ما قال أخوهم فلما سمعه قال: «بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ»...".

ل- قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ [الأحزاب: 37] والتقدير: "فَلَمَّا فَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا طلقها ولما انقضت عدتها زوجناكها"، وقد حُذفت هذه الجملة لوضوحها في ذهن السامع.

م- قوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ﴾ [المائدة: 31]؛ والتقدير: "يبحث في التراب على غراب ميت ليواريه لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ" ² وقد أغنت دلالة الحال في هذا المقام عن دلالة المقال.

ن- قوله تعالى: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا (7) قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (8) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئْ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكْ شَيْئًا (9) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (10) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (11) يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مریم: 12]؛ والتقدير: "فلما ولد يحيى وشب وترعرع قلنا: «يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ»".

هـ- قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى (91) قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (92) أَلَا تَتَّبِعُنِ أَفْعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ [طه: 91-93]؛ والتقدير: "فلما رجع إليهم موسى وراهم قد ضلوا قَالَ: «يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ...»" ³.

¹ - ينظر: أبو شادي، الحذف البلاغي: 147.

² - ينظر: القاسمي (جمال الدين بن محمد)، محاسن التأويل، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: 1، 1418هـ-1998م: 4/ 111.

³ - ينظر: القيسي (مكي بن أبي طالب)، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، تح: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، مطبعة جامعة الشارقة، ط: 1، 1429هـ-2009م: 7/ 4687.

و- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: 15]، والعطف هنا يقتضي محذوفاً تقديره: "فعملاً به وعلماً وعرفاً حق النعمة فيه والفضيلة، وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا..."¹؛ وذلك لأن العلم وحده لا يتفاضل به المؤمنون، بل قد يكون وبالاً على صاحبه كما كان في حق كثير من علماء بني إسرائيل، وإنما يتفاضل المؤمنون بالعمل بذلك العلم والشكر عليه.

ي- قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الزمر: 22]؛ والتقدير: "أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ قَسَا قَلْبَهُ فَتَرَكَ عَلَى ظَلَمِهِ وَكَفَرَهُ"²، وقد أغنى عن ذكر الجمل المحذوفة قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾.

2- أن يقوم مقام المحذوف ما يدل عليه؛ ومن ذلك:

أ- قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾ [هود: 57]؛ فليس الإبلاغ هو الجواب لتقدمه على التولي، والتقدير: "فإن تولوا فلا لوم علي أو فلا عذر لكم عند الله سبحانه وتعالى لأني قد أبلغتكم"، فحذفت الجمل المذكورة آنفاً لأنه قام مقامها ما يدل عليها وهو الإبلاغ.

ب- قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [فاطر: 4]؛ أي: "وإن يكذبوك فلا تحزن واصبر فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ"، وقد حذفت هاتان الجملتان لما قام مقامهما قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾، وهذا من بلاغة القرآن المعجز؛ فإنه لا حاجة لأمر خير البشر بالصبر والتأسي، فمجرد تذكيره بمن سلف من إخوانه من الأنبياء والمرسلين يكفيه في ذلك، واللبيب بالإشارة يفهم.

والقرآن يريد - تلميحاً كما في هذا المقام وتصريحاً كما في مقامات أخر - أن يصنع هذه النماذج البشرية وفي هذا ذكرى لأولي الألباب، فمن أُوذِيَ في سبيل الدعوة إلى توحيد الله عز وجل وعُودِي ولاقى من الإعراض والصد والحن ما لاقى فحسبه أن يتذكر سيد ولد آدم - عليه الصلاة والسلام - ومن قبله من الأنبياء والمرسلين، وكفى بذلك واعظاً.

هذا بالإضافة إلى أن المقام الذي وردت فيه الآية ليس مقام تفصيل للمواجهة بين الرسول وقومه؛ فقد جاءت هذه الآية في سياق الثناء على الله عز وجل وبيان نعمه ومننه المتعددة على الناس، والتحذير العام

¹ - ينظر: الزمخشري، الكشاف: 3/ 352.

² - ينظر: البغوي، معالم التنزيل: 4/ 84، أبو شادي، الحذف البلاغي: 27.

لهم من مغبة اتباع الشيطان والكفر بآياته عز وجل واتخاذ الأنداد معه أو من دونه، وبالمقابل تبشير المؤمنين بما أُعد لهم من نعيم مقيم، وهذا هو السمت البياني العام للسورة بأكملها.

الفصل الثاني: ظاهرة الزيادة في المبنى لتأكيد المعنى

* مفهوم ظاهرة الزيادة النحوية:

تعد الزيادة إحدى ظواهر التضام النحوي؛ والمقصود بها أن يكون دخول الوحدة اللغوية في التركيب من جهة الصناعة كخروجها منه، فهي زائدة بالنظر إلى مقتضيات الجملة العربية من حيث الصحة والإفادة.¹ والمتفق عليه بين العلماء أن هذه الزيادة ليست لغوا لا طائل تحته من القول، بل أكثرهم يرى أنها زائدة من حيث الإعراب أما من حيث المعنى فهي للتأكيد، وبعضهم يرى أنها جاءت لغرض لفظي يتعلق بجرس الكلام والأثر الصوتي للحرف.²

ومن هنا انقسم العلماء فريقين تجاه هذه الزيادة في القرآن الكريم؛ فريق يرى جوازها وفريق يمنعها. وسنحاول عرض حجج ودوافع الفريقين لنخرج من ذلك برأي علمي موضوعي نستند عليه في بحثنا هذا.

* حجج ودوافع المجيزين للزيادة في القرآن الكريم:

قد تبنى هذا الرأي جمهرة من أئمة اللغة والتفسير والبيان؛ من أبرزهم: سيويوه والفراء والأخفش الأوسط وابن جني وعبد القاهر الجرجاني والزحشري وأبو حيان الأندلسي وابن هشام الأنصاري، وغيرهم. ولعل أبرز ما يلفت نظر الباحث تجاه هذا الفريق أن منهم من لم يلتزم القول بالزيادة، بل يقول به في موضع وينفيه في موضع آخر. وسبب هذا أن هؤلاء قبلوا بالزيادة مبدئياً عندما لم يجدوا للأحرف الزائدة معان تأسيسية، فإذا وجدوا لها معان تأسيسية نفوا القول بالزيادة.³ وبعد الدراسة والاستقراء لأقوال هؤلاء العلماء نستطيع أن نخرج بجملة من الحجج والدوافع التي كانت وراء تبنى هذا الرأي، نوجزها في النقاط التالية:

1- السعي وراء اطراد القواعد النحوية ولو على حساب المعنى؛ وكثيراً ما يقف هذا السبب خلف تعسفات النحويين ولاسيما في القرآن الكريم؛ فالقرآن الكريم هو مصدر قواعد العربية ولذلك فلا يجوز محاكمته بها؛ ومن النماذج التي تثبت وقوع هذا التحكم في معاني بعض الحروف في القرآن الكريم ما ذكره كل من الفراء وابن قتيبة (ت276هـ) والزجاج وابن الأنباري عن الباء في قوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا

¹ - ينظر: النوري (علي محمد)، زيادة "عن" في التركيب، مقال منشور بمجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية: جامعة دبي - الإمارات العربية المتحدة، العدد: 24، شوال 1423هـ - 2003م، ص: 355.

² - ينظر: الراعوش (عماد طه أحمد)، زيادة حروف المعاني في القرآن الكريم بين دوافع المجيزين ومحظورات المانعين، مقال منشور بمجلة الدراسات القرآنية للجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه "تبيان": الرياض - السعودية، العدد: 7، 1431هـ - 2011م: 365-366.

³ - ينظر: المرجع نفسه: 367.

المُقَرَّبُونَ» [المطففين: 28]، وقوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [الإنسان: 6]؛ حيث قالوا إنها زائدة لأن "يشرب بها" و"يشربها" سواء في المعنى.¹

فلما لم يدركوا الثراء الدلالي لهذا الحرف في هذا السياق حكموا بزيادته بناء على ما اطرده عندهم من قواعد النحو من أن الباء تجيء زائدة، وهذا تحكم في النص لا مسوغ له، ولو أنهم أمعنوا النظر في معنى الباء وتحرروا من سلطة قواعد النحو لوجدوا أنها يمكن أن تكون للإصاق؛ أي أن عباد الله يمزجون بها شراهم؛ كما يقال: "شربت الماء بالعسل". وهذا ما يدل على أنهم نازلون بالعين مجاورون لها يشربون منها؛ فهو يدل على القرب والشرب، فالتمتع حاصل بلذتي النظر والشرب.²

ومن المعاني الممكنة للباء في هذا السياق معنى التعدية؛ وذلك بتضمين "يشرب" معنى "يُروى بها ويُنتفع" أو بتضمين "يشرب" معنى "يلتذ".³

وقدر بعضهم تعلقها ومجورها بحال محذوفة؛ أي: "يشرب ممزوجا بها" أو "يشرب ملتذا بها".⁴ وفوق كل هذه المعاني تفيد أيضا ما تفيد "من" من معنى الابتداء؛ لأن الشرب مبتدأ من العين، يقول شهاب الدين الخفاجي (ت 1069هـ) في حاشيته على تفسير البيضاوي: «لأن العين منبع كما هو مبتدأ من الكأس في قوله: "شربت من كأس"»،⁵ وما كان لنا أن نستفيد فهم هذه المعاني جميعها لو جعلناها زائدة؛ لأن الحرف الزائد ليس له إلا أن يفيد معنى التوكيد أو أن يؤثر حسنا في مبنى الكلام.

2- التشابه بين بعض آيات الذكر الحكيم:

قد تأتي آيتان أو أكثر ظاهرهما التشابه فيجعل في إحداها حرف دون الأخرى فيُظن أن هذا الحرف زائد؛ من ذلك - مثلا - الآيات التالية:

1- قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهِيَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: 271].

2- قوله تعالى: ﴿إِنْ تَحْتَسِبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: 31].

¹ - ينظر: الفراء، معاني القرآن: 3/ 215، الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 5/ 258، ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري)، تأويل مشكل القرآن، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية: بيروت، (د، ط- د، ت): 1/ 156.

² - ينظر: الزمخشري، الكشاف: 4/ 668، فاضل السامرائي، على طريق التفسير البياني: 1/ 165.

³ - ينظر: الطبري، جامع البيان: 24/ 94.

⁴ - ينظر: العكبري، التبيان: 2/ 1258.

⁵ - الخفاجي (شهاب الدين أحمد بن محمد)، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، (د، تح)، دار صادر، بيروت، (د، ط- د، ت): 8/ 257.

3- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: 12].

4- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنفال: 29].

5- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحریم: 8].

لما لاحظ بعض النحاة والمفسرين هذا التشابه بين آيات الذكر الحكيم ظنوا أن "من" في آية البقرة زائدة للتوكيد،¹ لكن المتأمل المتجرد من تلك النظرة التحليلية التفكيكية التي سيطرت على أذهان بعض النحاة والمفسرين، والذي لا يغيب عن ذهنه سياق الكلام ومناسبة القول سيتفطن إلى أن هذا الحرف ليس زائدا بل له معنى تأسيسي يستدعيه السياق الذي ورد فيه، وهذا المعنى هو التبعية.

والسر في ذلك أن آية البقرة قد جاءت في سياق عبادة مخصوصة ألا وهي عبادة الإنفاق في سبيل الله، بخلاف الآيات الأخرى التي جاءت في سياق الحديث عن عبادات متنوعة وعديدة؛ فأية النساء جاءت في سياق الحث على اجتناب الكبائر؛ ومعلوم أن الكبائر عديدة قد أوصلها بعضهم إلى السبعين،² وآية المائدة جاءت في سياق أخذ الميثاق على بني إسرائيل الذي تضمن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والإيمان بالرسول وتعزيزهم وإقراض الله عز وجل قرضا حسنا، وآية الأنفال جاءت في سياق الأمر بتقوى الله عموما، وآية التحريم جاءت في سياق الأمر بالتوبة النصوح من جميع الذنوب.

فسياق التحضيض على عبادة مخصوصة ومحددة ناسبه أن يؤتى فيه بـ "من" الدالة على معنى التبعية؛ وكأن هذه العبادة المخصوصة تكفر قدرا محدودا من الذنوب، بخلاف السياقات الأخرى الحاضرة على عبادات كثيرة ومتنوعة؛ فكثرة العبادات والقربات هي مظنة غفران جميع الذنوب والخطايا إن أجتنبت الكبائر.

¹ - الكرمانلي (أبو القاسم برهان الدين محمود بن حمزة)، البرهان في توجيه متشابه القرآن، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة: مصر، (د، ط - د، ت): 87.

² - ينظر: الذهبي (أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد)، الكبائر، (د، تح)، دار الندوة الجديدة: بيروت، (د، ط - د، ت): 236.

3- المعاني المعجمية للمفردات:

كثيرا ما تضطر المعاني المعجمية للمفردات النحاة والمفسرين إلى القول بزيادة بعض الحروف؛ من ذلك - مثلا - قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: 25]؛ حيث رأى بعض النحاة والمفسرين أن الباء هنا زائدة؛¹ لأن فعل الإرادة لا يتعدى بالباء وعليه فهي زائدة للتوكيد، والحقيقة أن فعل الإرادة في هذا السياق قد جاء بمعنى "الهم"؛ أي: "ومن يهم فيه بِالْحَادِ بِظُلْمٍ..."، ومعلوم أن "الهم" أبلغ من الإرادة؛ يقول أبو هلال العسكري: « "الهم": آخر العزيمة عند واقعة الفعل؛ قَالَ الشَّاعِر "من الطَّوِيل" »:

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكَدْتُ وَلَيْتَنِي ** تَرَكْتُ عَلَى عُثْمَانَ تَبْكِي حَالَهُ²

وَيُقَال: "هَمَّ الشَّخْمُ" إِذَا أَذَابَهُ؛ وَذَلِكَ أَنَّ ذُوبَانَ الشَّخْمِ آخِرُ أَحْوَالِهِ، وَقِيلَ: "الهم" تعلق الخاطر بِشَيْءٍ لَهُ قُدْرَةٌ فِي الشَّدَّةِ، و"المهمات": الشدائد».³

ومعلوم كذلك من الشريعة الإسلامية أن الله سبحانه وتعالى من فضله ومنه أنه لا يحاسب هذه الأمة إلا بما تكلمت به أو عملت به دون ما أَرَادَتْهُ أو هَمَّتْ به؛ يقول عليه الصلاة والسلام: {إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم}⁴، ولأجل ذلك يبدو أن الآية الكريمة قد خصصت عموم هذا الحديث؛ فإن الله عز وجل لا يحاسب هذه الأمة إلا بما تكلمت به أو عملت به إلا في المسجد الحرام فإنها مؤاخذه فيه بمجرد الهم دون القول والفعل.

ولكن إذا كانت هذه الأمة مؤاخذه بمجرد الهم فيه فلماذا عُبر عنه بالإرادة مع أن الإرادة دون الهم؟ جاء التعبير بـ"الإرادة" عن "الهم" في هذا السياق إشارة إلى عظيم حرمة هذا البيت، ولكي يقطع السبيل أمام كل من تسول له نفسه الإلحاد في الحرم ولو بمجرد الإرادة، فما بالك بالهم؟! فإنه لو هم فيه إنسان بالإلحاد بظلم فإنه حتما سيذيقه الله عز وجل من عذاب أليم.

¹ - ينظر: أبو عبيدة (معمر بن المثنى)، مجاز القرآن، تح: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1381هـ - 1961م، (د، ط): 2/ 48.

² - قائله ضائب بن الحارث البرجمي، ينظر: المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد)، الكامل في اللغة والأدب، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي: القاهرة، ط: 3، 1417هـ - 1997م: 1/ 299.

³ - أبو هلال العسكري (الحسن بن عبد الله)، الفروق اللغوية، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة: القاهرة، (د، ط - د، ت): 127.

⁴ - صحيح البخاري: 7/ 46، صحيح ابن حبان: 16/ 202، البيهقي، السنن الكبرى: 10/ 104.

4- تغليب متطلبات النظام اللغوي على حساب متطلبات السياق، أو بعبارة أخرى تغليب جانب التحليل على حساب جانب التركيب:

إن النظرة التحليلية التفكيكية التي سيطرت على أذهان جل النحاة والمفسرين جعلتهم لا يُلقون بالا في كثير من الأحيان للسياق وأسباب النزول، مما أدى بهم إلى إهمال المعاني التأسيسية لكثير من الحروف، فلا مناص أن عدوها حروفا زائدة للتوكيد.

وليس لهم بد من ذلك فلن يستطيعوا بطبيعة الحال أن يعدوها زائدة في الجانبين البنيوي والمعنوي؛ فمما يؤكد ذلك - مثلاً - ما جاء عن بعض النحويين والمفسرين عن زيادة "الباء" في قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: 1]؛ حيث قالوا إنها زائدة للتوكيد؛ والمعنى: "اقرأ اسم ربك" أي اذكره؛¹ وهذا ما لا يتلاءم مع السياق ولا الحال التي كان عليها النبي عليه الصلاة والسلام؛ فلو كان المعنى كذلك ما حُسِّن منه - عليه الصلاة والسلام - أن يرد بقوله: {ما أنا بقارئ}؛ أي: "لستُ بذاكر لاسم ربي" - حسب قولهم - ، كما أن هذا الأمر لا يليق به عليه الصلاة والسلام إذ لم يكن له شغل في غار حراء سوى ذكر الله عز وجل.²

ويبدو من خلال السياق وقرائن الحال المحيطة بالآية الكريمة أن للباء هنا معان متعددة؛ منها:

1- أنها للملابسة أو المصاحبة متعلقة بحال محذوفة؛ أي: "اقرأ مفتتحاً أو مبتدأ باسم ربك"؛³ وفي هذا إشارة إلى وجوب البداءة باسمه سبحانه وتعالى في كل شيء في القرآن وغيره، ويعضد هذا المعنى ما رُوي عن النبي عليه الصلاة والسلام - وإن كان في إسناد الحديث مقال - من قوله: {كل حديث ذي بال لا يُبدأ فيه بذكر الله فهو أبتى}.⁴

ويجوز أن يكون التقدير: "اقرأ مصاحباً قراءتك اسم ربك"، أو: "اقرأ متبركاً بذكر اسم ربك"، وعلى هذا يتعين ذكر اسم الله عز وجل في كل موضع؛ إن لم يكن في البداية ففي أثناء القراءة أو الحديث أو في الختام، وإلى هذا المعنى يشير قوله عليه الصلاة والسلام: {ما اجتمع قوم ثم تفرقوا لم يذكروا الله إلا كأنما تفرقوا عن جيفة حمار}.⁵

¹ - ينظر: أبو عبيدة، مجاز القرآن: 2/ 304، الباقولي، إعراب القرآن: 2/ 672.

² - ينظر: الرازي، تفسير الرازي: 32/ 215.

³ - ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 177.

⁴ - الحديث ضعفه العلماء، ينظر: مسند أحمد: 14/ 329. الألباني (محمد ناصر الدين)، ضعيف موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان، دار الصميعي: الرياض - السعودية، ط: 1، 1422هـ - 2002م: 1/ 35.

⁵ - الحديث صححه العلماء، ينظر: مسند أحمد: 16/ 260، صحيح ابن حبان: 10/ 247، البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل)، الأدب المفرد، تح: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق: بيروت، ط: 4، 1418هـ - 1997م: 1/ 387، سنن أبي داود: 7/ 221.

2- الاستعانة؛ أي اقرأ مستعينا باسم ربك، فلما قال النبي عليه الصلاة والسلام: {لست بقارئ} رد عليه جبريل - عليه السلام - من قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾؛ أي استعن به عز وجل واجعل هذا ديدنك في كل ما عسر عليك.

3- أن تكون الباء بمعنى اللام؛ أي: "اجعل هذا الفعل لله وافعله لأجله" كما يقال: "ألفت هذا الكتاب باسم الأمير أي لأجله"؛¹ فإن ذكر اسم الله عز وجل عند البداءة في كل عبادة فيه الإعلان منذ البداية عن التوجه بها لله وحده لا شريك له فلا يكون لغيره فيها نصيب.

ويبدو أن جميع هذه المعاني مرادة إذ لا دليل على التخصيص، وهذا من الشراء الدلالي للنص القرآني فبأوجز عبارة يؤدي من المعاني ما يؤديه غيره في صحف كثيرة.

ومثل تلك النظرة الجزئية ينظر الزمخشري إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 195]؛ حيث يقول إن الباء هنا زائدة والمعنى: "لا تلقوا أيديكم إلى التهلكة"؛² أي: "لا تهلكوا أنفسكم"، وهذا المعنى الذي ذكره صحيح لكنه لا معنى للقول بزيادة الباء هنا بل هي للسببية؛ فكثيرا ما يكون الإنسان سببا في إهلاك نفسه ماديا أو معنويا، يقول تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: 30]، ويقول تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (50) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [الأنفال: 51]؛ فالمعنى إذن: "لا تهلكوا أنفسكم بأيديكم" أو: "لا تجعلوا أنفسكم سببا في هلكتكم".

ويؤيد هذا المعنى ما رواه أبو داود السجستاني (ت 275هـ) صاحب السنن في سبب نزول هذه الآية عن أسلم أبي عمران قال: {غزونا من المدينة نريد القسطنطينية، وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، والروم ملصقو ظهورهم بحائط المدينة، فحمل رجل على العدو، فقال الناس: "مّة، مّة، لا إله إلا الله، يلقى بيديه إلى التهلكة"، فقال أبو أيوب: "إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما نصر الله نبيه صلى الله عليه وسلم، وأظهر الإسلام، قلنا: هلّم نقيم في أموالنا ونصلحها، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: 195]؛ فالإلقاء بالأيدي إلى التهلكة: أن نقيم في أموالنا ونصلحها وندع الجهاد"، قال أبو عمران: فلم يزل أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى دُفن بالقسطنطينية³.

¹ - ينظر: الرازي، تفسير الرازي: 32/ 215. هيفاء عثمان فدا، زيادة الحروف بين التأيد والمنع وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، مخطوط رسالة دكتوراه في النحو العربي، جامعة أم القرى: مكة المكرمة، 1416هـ - 1996م، ص: 377-378.

² - ينظر: الزمخشري، الكشاف: 1/ 237.

³ - أبو داود السجستاني، سنن أبي داود، 4/ 166.

وهكذا يكون البخل والتواني عن الجهاد في سبيل الله سببا في إهلاك المؤمن نفسه، وإن كانت العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فلا يجوز على كل حال أن يكون المسلم سببا في إهلاك نفسه، وهذا ما يُفهم من الآية الكريمة.

5- التمسك بالمعاني الوضعية للأفعال: نلاحظ أن كثيرا من النحاة والمفسرين يتمسكون بالمعاني الوضعية للأفعال دون مراعاة للمعاني الجديدة التي تكتسبها هذه الأفعال عند ورودها في سياقات معينة أو عند تضامها مع بعض الحروف؛ فمن ذلك - مثلا - قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِعًا إِنَّ كَادَتْ لِتَبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنَّ رَبَّنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: 10]، فلما كان الفعل "تبدي" لا يتعدى بالباء اضطر بعض النحاة والمفسرين كأبي حيان وابن عاشور (ت 1393هـ) إلى القول بزيادتها للتأكيد،¹ والحقيقة أن هذا الفعل في هذا السياق قد جاء بمعنى "تصرح" أو "تبوح".

ولسائل أن يسأل عن سبب المحييء بهذا الفعل بالذات في هذا السياق؛ فالذي يبدو لنا أنه عُبر عن "التصریح" أو "البوح" في هذا السياق بهذا الفعل لبيان شدة كتمان أم موسى - عليهما السلام - لأمر هذا الصبي، وشدة تحفظها في ذلك فلم يظهر منها ما يدل على أنه ولدها، حتى في أفعالها وسلوكها وملاحظتها؛ فقد روي أن فرعون قال لها لما رأى حال الولد تجاهها: "ومن أنت فقد أبى كل ثدي إلا ثديك؟" قالت: "إني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أُوتى بصبي إلا قبلني".²

وأما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ﴾ [النساء: 83]؛ فقد ذكر العكبري وابن عاشور أنها زائدة للتأكيد،³ والذي يبدو لنا أن هذه الباء للتعدية؛ لأن هذا الفعل يتعدى بنفسه ويتعدى بالباء، وبتعديته بالباء يكتسب معنى جديدا إضافة إلى معناه الأصلي وهو الإذهاب والإزالة؛ يقول الشاعر "من البسيط":

رَبْعٌ قَوَّاءٌ أَدَّاعَ الْمَعْصِرَاتِ بِهِ ** وَكُلَّ حَيْرَانٍ سَارٍ مَأْوُهُ خَضِيلٌ⁴

أي: "أذهبته وطمست معالمه"، ويقول الآخر "من الطويل":

نَوَازِلُ أَعْوَامٍ أَدَّاعَتْ بِخَمْسَةٍ ** وَتَجْعَلُنِي إِنْ لَمْ يَقِ اللَّهُ سَادِيًّا⁵

ويقول ساعدة بن جؤية الهذلي "من الطويل":

¹ - ينظر: أبو حيان، البحر المحیط: 289 / 8، الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير: 80 / 20.

² - ينظر: الزمخشري، الكشاف: 396 / 3.

³ - ينظر: العكبري، التبيان: 376 / 1، ابن عاشور، التحرير والتنوير: 139 / 5.

⁴ - سبق تخريج البيت، ينظر: الصفحة: 178.

⁵ - لا يُعرف قائله، "سَادِيًّا": سادسا، ينظر: لسان العرب: 99 / 8.

فإن ابن عباس قد علمتم مكانه ** أذاع به ضرباً وطعنٌ جَوَانِفٌ¹

أي: "طَيَّرَه وطَوَّحَ به وفرقه". ويأتي هذا الفعل بهذه الصيغة بمعنى الإفشاء والإشاعة؛ كما في قول أبي الأسود الدؤلي "من الطويل":

أذاعَ به في الناس حتى كأنما ** بعلياء نازَّ أوقَدَت بثُّقوبٍ²

والآية كما هو معلوم قد نزلت في صنفين من الناس؛ المنافقون الذين كانت غايتهم إيذاء النبي - عليه الصلاة والسلام - والمؤمنين بأي وسيلة كانت سواء بإشاعة أسرارهم بين الناس، أو بالذهاب بها ونقلها إلى أعدائهم ولو بدون إشاعتها بين العامة، فغايتهم الوحيدة كانت التطويح بكل أمر يعزم عليه النبي - عليه الصلاة والسلام - والمؤمنون وإفساده عليهم. فهم بفعلهم هذا يُذهبون ويزيلون كل ما يعزم عليه النبي - عليه الصلاة والسلام - والمؤمنون من الأمور التي تنفعهم، وقد اكتسب الفعل "أذاع" هذا المعنى بإضافة "الباء" إليه.

والصنف الثاني هم ضعفة الإيمان من المسلمين الذين كان ذنبهم الوحيد أنهم كانوا أحياناً ينشرون أسرار النبي - عليه الصلاة والسلام - والمؤمنين بحسن نية منهم، ودون أن يدركوا العواقب الوخيمة لفعلهم هذا.³

فهذه المعاني جميعاً ما كان ليؤديها هذا الفعل لو عُدي بنفسه؛ حيث كان سيقتصر على معنى الإفشاء فحسب، فكيف يقال بعد هذا كله أن الباء هنا زائدة ليس لها معنى سوى التوكيد؟!

¹ - "جَوَانِفٌ": مفردُها "جَانِفَةٌ" وهي التي تصيب الجوف، ينظر: ساعدة بن جؤية الهذلي، الديوان: 202، الشعراء الهذليون، ديوان الهذليين: 226/1.

² - الدؤلي (أبو الأسود ظالم بن عمرو)، الديوان، تح: محمد حسن آل ياسين، دار ومكتبة الهلال: بيروت، ط: 2، 1418هـ - 1997م، ص: 45، وينظر: المصدر السابق: 226/1.

³ - ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير: 5/ 139 - 140، ابن منظور، لسان العرب: 8/ 99.

* حجج ودوافع المانعين للزيادة في القرآن الكريم:

قد رفضت طائفة من علماء اللغة والبلاغة والمفسرين فكرة الزيادة في القرآن الكريم، ومن أبرز هؤلاء: الطبري وفخر الدين الرازي (ت606هـ) وابن الأثير (ت637هـ) وصلاح الدين العلائي (ت761هـ)، ومن المعاصرين: مصطفى صادق الرافعي (ت1356هـ) ومحمد عبد الله دراز (ت1378هـ)، ويستند رأيهم على الحجج التالية:

1- ليس في القرآن الكريم حرف ولا حركة إلا وفيه فائدة يقتضيها المقام الذي ورد فيه أدرك ذلك من أدركه وعجز عنه من عجز، فالفائدة موجودة حتما لكن العلة في عجز العقول البشرية عن إدراكها، يقول فخر الدين الرازي: « مَا مِنْ حَرْفٍ وَلَا حَرَكَةٍ فِي الْقُرْآنِ إِلَّا وَفِيهِ فَائِدَةٌ، ثُمَّ إِنَّ الْعُقُولَ الْبَشَرِيَّةَ تُدْرِكُ بَعْضَهَا وَلَا تَصِلُ إِلَى أَكْثَرِهَا، وَمَا أُوتِيَ الْبَشَرُ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ».¹

2- إذا كان الأصل في الكلام عموماً ألا يكون زائداً ولا يُصار إلى القول بالاستثناء إلا إذا تعذر الأصل، فما بالناس بكلام الله عز وجل فإنه من المؤكد أنه لا مجال لهذا الاستثناء فيه، وقد وجد هؤلاء العلماء لكثير من الحروف التي ادعى الآخرون زيادتها معان تأسيسية يقتضيها السياق الذي وردت فيه، ويؤكد هذا أن بعض القائلين بالزيادة في مواضع يتراجعون في مواضع أخرى ويردون القول بزيادة الحروف مستبطين لها معان دقيقة مفيدة؛² إذن فالقائلون بالزيادة ما دعاهم لهذا القول سوى العجز عن إدراك تلك المعاني الدقيقة لهذه الحروف في سياقاتها المختلفة.

3- القول بزيادة شيء في القرآن يعني أنه يسوغ طرحه والتخلي عنه، وهذا طعن في بلاغة القرآن وإعجازه، يقول الرازي: « إن الله تعالى وصف القرآن بكونه هدى وبيانا وكونه لغوا ينافي ذلك »؛³ وفي السياق ذاته يردُّ الطبري على القائلين بزيادة "إذ" في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30]؛ فيقول في تفسيره: « زعم بعض المنسوبين إلى العلم بلغات العرب من أهل البصرة أن تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾؛ "وقال ربك"؛ وأن "إذ" من الحروف الزوائد، وأن معناها الحذف.

واعتلّ لقوله الذي وصفنا عنه في ذلك بيت الأسود بن يعْفَر "من الكامل":

فَإِذَا وَذَلِكَ لَامَهَاءَ لِدِكْرِهِ ** وَالْدَّهْرُ يُعَقِّبُ صَاحِحًا بِفَسَادٍ⁴

¹ - الرازي، تفسير الرازي: 53/25، وينظر: الراعوش، زيادة حروف المعاني في القرآن الكريم بين دوافع المحيزين ومحظورات المانعين: 376.

² - ينظر: المرجع نفسه: 377.

³ - الرازي، تفسير الرازي: 363/2.

⁴ - يقال: "ما في ذلك الأمر مهة": أي لا رجاء فيه، ينظر: الأسود بن يعفر: الديوان، ص: 31، وينظر: ابن منظور، لسان العرب: 13/

ثم قال: "ومعناها: وذلك لامهاه لذكره"، وبيت ابن رُبَع الهُدْلِيَّ "من الكامل":
 حَتَّى إِذَا أَسْلَكُوهُمْ فِي فُتَايِدَةٍ * شَلَا كَمَا تَطْرُدُ الْجَمَالَ الشُّرْدَا¹
 وقال: "معناه: حتى أسلكوهم".

والأمر في ذلك بخلاف ما قال؛ وذلك أن "إذ" حرف يأتي بمعنى الجزاء، ويدل على مجهول من الوقت، وغير جائر إبطال حرف كان دليلاً على معنى في الكلام؛ إذ سواء قيل قائل: هو بمعنى التطوُّل، وهو في الكلام دليل على معنى مفهوم، وقيل آخر في جميع الكلام الذي نطق به دليلاً على ما أريد به: وهو بمعنى التطوُّل².

فالطبري بهذا القول يسد ذريعة من الذرائع التي يتذرع بها القائلون بالزيادة؛ ذلك أن القول بزيادة الحرف يجر إلى القول بزيادة الجملة فالجملتين، فكما يقال: "حرف زائد" يقال: "كلام زائد" توسيعاً لدائرة التطول فيبطل الكلام، وهذا دليل قوي على بطلان فكرة الزيادة عنده.

4- ضرورة فقه معاني الحروف؛ وهو أمر يعرض عنه كثير من الباحثين لوعورته ودقة مسلكه، وتتمثل هذه الصعوبة في تباين هذه المعاني باختلاف مواقع الكلام، وبالتالي فأى حرف في أي سياق قرآني له معنى لا محالة، فلا مجال للقول بزيادته.

5- قصور النظر عند بعض النحاة جراء عدم فقه الفروق الدقيقة في المعاني بين وجود الحرف وإسقاطه.³
 6- الأثر الصوتي للحروف في تصوير المعاني، وهذا ما ينفي القول بزيادتها في النظم القرآني، يقول الرافعي متحدثاً عن قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: 159]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾ [يوسف: 96]: «فإن النحاة يقولون إن "ما" في الآية الأولى و "أن" في الثانية زائدتان؛ أي في الإعراب فيظن من لا بصر له أنهما كذلك في النظم ويقيس عليه، مع أن في هذه الزيادة لوناً من التصوير لو هو حذف من الكلام لذهب بكثير من حسنه وروعته.

فإن المراد بالآية الأولى تصوير لين النبي - صلى الله عليه وسلم - لقومه، وإن ذلك رحمة من الله، فجاء هذا المد في "ما" وصفاً لفظياً يؤكد معنى اللين ويفخمه، وفوق ذلك فإن لهجة النطق به تُشعر بانعطاف وعناية لا يُبتدأ هذا المعنى بأحسن منهما في بلاغة السياق، ثم كان الفصل بين الباء الجارة ومجروها (وهو لفظ رحمة) مما يلفت النفس إلى تدبر المعنى وينبه الفكر على قيمة الرحمة فيه، وذلك كله طبعي في بلاغة الآية كما ترى.

¹ - "فُتَايِدَةٍ": ثنية معروفة، وقيل: اسم عقبة، وقيل: اسم موضع بعينه، "الشَّلَلُ": الطَّرْدُ، "الْجَمَالَةُ": أصحاب الجمال، "الشُّرْدَا": النَّافِرَةُ. ينظر: الشعراء الهذليون، ديوان الهذليين: 2/ 42، وينظر: ابن منظور، لسان العرب: 3/ 342.

² - الطبري، جامع البيان: 1/ 440.

³ - ينظر: هيفاء عثمان فدا، زيادة الحروف بين التأيد والمنع: 270.

والمراد بالثانية تصويرُ الفصل الذي كان بين قيام البشير بقميص يوسف وبين مجيئه لبعده ما كان بين يوسف وأبيه عليهما السلام، وأن ذلك كأنه كان منتظراً بقلق واضطراب تؤكدهما وتصف الطرب لمقدمه واستقراره غنة هذه النون في الكلمة الفاصلة؛ وهي "أن" في قوله: "أن جاء".

وعلى هذا يجري كل ما ظُن أنه في القرآن مزيد؛ فإن اعتبار الزيادة فيه وإقرارها بمعناها إنما هو نقص يجل القرآن عنه، وليس يقول بذلك إلا رجل يعتسف الكلام ويقتضي فيه بغير علمه أو بعلم غيره. . . فما في القرآن حرف واحد إلا ومعه معنى يسنح في البلاغة من جهة نظمه، أو دلالة، أو وجه اختياره؛ بحيث يستحيل ألبة أن يكون فيه موضع قلق أو حرف نافر أو جهة غير مُحكمة أو شيء مما تنفذ في نقده الصنعة الإنسانية من أي أبواب الكلام إن وسعها منه باب»¹.

¹ - الرافي (مصطفى صادق)، إعجاز البلاغة والسنة النبوية، دار الكتاب العربي: بيروت، ط: 8، 1425هـ - 2005م: 159.

* مناقشة قضية الزيادة في القرآن الكريم:

من خلال ما سبق نلاحظ أن علماء العربية والمفسرين انقسموا فريقين:

- الفريق الأول: يقول بوجود الزيادة في القرآن الكريم؛ والزيادة عندهم تعني أن الحرف أو نحوه زائد من ناحية الإعراب فهو لا يضيف معنى زائداً على المعنى الأصلي، وإنما جيء به لتأكيد المعنى الأساسي.
- الفريق الثاني: ينفي وقوع الزيادة في القرآن الكريم لا من حيث الإعراب ولا من حيث المعنى؛ فما من لفظ يأتي في القرآن الكريم لمجرد التأكيد بل لا بد لكل لفظ من معنى تأسيسي يفيد، ولا مانع بعد ذلك من أن يفيد التأكيد.

ولا يُعقل أن يتصور باحث أن المراد بالزائد في القرآن الكريم ما لا يضيف أي معنى ولا حتى التأكيد؛ لأن هذا القول طعن مباشر في بلاغة القرآن الكريم وإعجازه.

ولمناقشة هذه القضية مناقشة موضوعية ينبغي لنا أن نحتكم أولاً وأخيراً إلى لغة القرآن الكريم، فهل يتناسب القول بالزيادة مع طبيعة هذه اللغة الفريدة من نوعها؟ للإجابة عن هذا السؤال ينبغي لنا أن نعلم وفقاً لأصول اللغة العربية أن الأولى في حروف المعاني أن تدل على معان تأسيسية؛ فأني حرف في أي نص ينبغي حمله على معناه الموضوع له في الأصل، يقول ابن الأثير: «فائدة وضع الألفاظ أن تكون أدلة على المعاني، فإذا أُوردت لفظة من الألفاظ في كلام مشهود له بالفصاحة والبلاغة فالأولى أن تُحمل تلك اللفظة على معنى».¹

وهذا يعني أن القول بالزيادة في نص من النصوص يتضمن كون صاحبه قد سلك مسلكاً هو خلاف الأولى في اللغة، وهذا ما يُنزه عنه القرآن الكريم؛ يقول الحافظ العلائي: «إن الحروف وُضعت للمعاني؛ فذكرها بدون معناها يقتضي مخالفة الوضع ويورث اللبس».²

وعليه فإن الإعجاز البياني للقرآن الكريم يأبى القول بالزيادة؛ لأن كل كلمة من كلماته وكل حرف من حروفه قد وُضع في مكانه المناسب بحيث لا يمكن حذفه أو استبداله مع بقاء المعنى العام على حاله،³ فلو قلنا إن كلمة ما في سياق قرآني ما لا تفيد إلا التوكيد لصح الاستغناء عنها، إضافة إلى ما في هذه الدعوة من تجريد للكلمة من فائدتها الأصلية وهذا قصور يُنزه عنه القرآن العظيم، فلو صحت الزيادة في كلام أي مخلوق كائن من كان فإنها حتماً لا تصح في كلام رب العالمين.

¹ - ابن الأثير، المثل السائر: 2/ 152. وينظر: الراعوش، زيادة حروف المعاني في القرآن الكريم بين دوافع المجيزين ومحظورات المانعين: 382.

² - العلائي (أبو سعيد صلاح الدين خليل بن كيكلدي)، الفصول المفيدة في الواو المزيدة، تح: حسن موسى الشاعر، دار البشير: عمّان - الأردن، ط: 1، 1410هـ - 1990م: 147.

³ - ينظر: الراعوش، زيادة حروف المعاني: 383.

فعلى القائلين بالزيادة في القرآن الكريم أن ينسبوا العجز والقصور لأفهامهم التي لم تستطع إدراك المعاني الحقيقية لتلك الحروف في سياقاتها المختلفة بدلا من أن يتبنوا هذا القول، خصوصا وأنه قد استطاع فريق من العلماء أن يستنبطوا تلك المعاني التي خفيت عليهم، وفوق كل ذي علم عليم.

دراسة تحليلية لمواضع من القرآن الكريم قيل فيها بالزيادة:

1- قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 259].

نقل العكبري وأبو حيان وغيرهما عن بعض النحاة القول بزيادة "الواو" في قوله تعالى: ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾¹؛ وهو قول ضعيف لا يلتفت إليه.

إن الناظر لهذه الآية لأول وهلة سيتبادر إلى ذهنه أن الترتيب الطبيعي للكلام يقتضي أن يكون قوله تعالى: ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ هو آخر ما تُختم به القصة، ولكن النظم القرآني المعجز يأبى ذلك لأن الغاية من قص هذه القصة إثبات قدرة الله عز وجل على إماتة المخلوقات لأي أمد شاء ثم إحيائها متى شاء، وهذا الرجل لم يستيقن أنه لبث في موته مائة عام حتى نظر إلى الحمار الذي صار عظاما بالية، فطعامه وشرابه لم يتسنه، وعلى هذا فإن تقدير الكلام: "وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ لتستيقن وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ"، وهنا ينتهي سرد هذا المقطع الهام من القصة باستيقان الرجل بقدرة الله عز وجل على إحيائه بعد إماتته لمدة مائة عام، ثم يريه بعد ذلك كيفية هذا الإحياء بإنشاز العظام وكسوها لحما.

فالواو هنا استئنافية عطفت مضمون كلام على كلام آخر،² وفي استعمال هذه الواو إشارة إلى أن الرجل قد انتقل من مرحلة العلم وهو: "اعتقاد الشيء على ما هو به على سبيل الثقة" إلى مرحلة اليقين: "وهو سكون النفس وثلوج الصدر بما عُلم"؛ فالرجل لم يكن شاكا في قدرة الله عز وجل على إحياء الموتى بدليل قوله في آخر الآية: ﴿أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وإنما استأنف مرحلة جديدة في حياته هي مرحلة اليقين بعد ما كان في مرحلة العلم.

كذلك كل من قرأ هذه الآية وجب عليه أن يستأنف هذه المرحلة؛ لأن الله عز وجل قد جعل قصة هذا الرجل آية للناس جميعا، ولأجل هذا تلت هذه الآية قصة إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - الذي سأل ربه عز وجل أن يريه كيف يحيي الموتى كي ينتقل من مرحلة العلم إلى مرحلة اليقين، ويؤكد هذا قوله تعالى في سورة الأنعام عن خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: 75]؛ أي: "ليؤمن وليكون من الموقنين" فبعد الإيمان يستأنف مرحلة اليقين.

¹ - ينظر: العكبري، التبيان: 1/ 210، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط: 2/ 636.

² - ينظر: هيفاء فدا، زيادة الحروف بين التأييد والمنع: 2/ 471.

2- قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: 55]؛ فاللام متعلقة بفعل محذوف تقديره: "وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ" أو: "لنبيين لكم ولتستبين"، أو: "ليظهر الحق ولتستبين"... ونحو ذلك،¹ فالواو هنا استئنافية وقد جيء بها للدلالة على قضية خطيرة يتعلق بها مصير الأمة؛ فقد فصل سبحانه وتعالى في هذه السورة صور ومظاهر الشرك والكفر بكل أنواعها تفصيلا تاما لكي تستبين سبيل المجرمين، تلك السبيل التي كانت سائدة آنذاك في جاهلية العرب الأولى. وفي استعمال "واو" الاستئناف هنا لفئة لطيفة إلى أن مظاهر الشرك والكفر التي كانت سائدة في الجاهلية الأولى لن تبقى على حالها، بل ستستأنف مرحلة جديدة تواكب فيها تطور الحياة المادي وتنعقد. فقد أصبح الكفر في العصر الحديث يتزي بأزياء تغر المغفلين وينخدع بها علماء الأمة فضلا عن دهمائها؛ إنه يتبدى لهم في نظريات وفلسفات ونظم للحياة تنشد به هذه الأمة سعادتها معرضة عن دين ربها تستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، أمة ورثت الكتاب تأخذ عرض هذا الأدنى ولسان حالها يقول: "سيغفر لنا" وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون.

فالواجب على هذه الأمة أن تعي جيدا صور ومظاهر الشرك والكفر التي كانت سائدة في الجاهلية الأولى - والتي فصلها الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم عموما وفي سورة الأنعام خصوصا - لتتخذ منها معيارا ومقياسا ترجع إليه في استبانة سبيل المجرمين في عصرها، ولولا هذه الواو لتهوم السامع أن سبيل المجرمين قد استبانته بمجرد تفصيل صور ومظاهر الشرك والكفر السائدة في الجاهلية الأولى، فسبيل المجرمين على هذا الوهم لا تتغير صورها ومظاهرها بمرور الزمن، والإنسان يكون مسلما بتجنب هذه الصور والمظاهر بالذات والإيمان بالله وحده لتحقيق التوحيد، وهذا خطأ فاحش يُنزه عنه القرآن الكريم، فكيف يقال بعد هذا كله أن الواو هنا زائدة لا تؤدي معنى سوى التوكيد، سبحانه هذا بهتان عظيم!

3- قوله تعالى: ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]، اضطر بعض العلماء إلى القول بزيادة "الكاف" أو "مثل" في الآية الكريمة لما رأوا أن اجتماعهما في موضع واحد يفضي إلى المحال عقلا وشرعا؛² فظاهر الآية عندهم يقتضي نفي الشبيه عن مثل الله تعالى أي ليس يشبهه مثل الله شيء وهذا محال؛ لأنه يتضمن التسليم بوجود مثل له سبحانه وتعالى وهذا كفر بلا خلاف.

والحقيقة أن هذه الآية العظيمة تحتمل عدة معانٍ بدیعة تقطع باليقين الجازم أن لا شبيه لله عز وجل فضلا عن أن توهم ذلك المعنى الباطل، فمن ذلك أن المراد بـ "المثل" هنا "الصفة"؛ كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ

¹ - ينظر: القرطبي، تفسير القرطبي: 6 / 437.

² - ينظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن: 157، الطبري، جامع البيان: 21 / 509.

الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا...» [الرعد: 35]؛ فيكون معنى الآية: "ليس مثل صفته تعالى شيء من الصفات التي لغيره"، فتفيد الآية بهذا التأويل معينين:

الأول: أنه ليس لله عز وجل من يشبهه في صفة واحدة من صفاته التي يتصف بها، فكيف يكون له سبحانه من يشبهه في ذاته العلية؟!

الثاني: أن البشر الذين يتصفون ببعض صفاته ليس لهم منها إلا ما يناسب ذواتهم المخلوقة، أما هو سبحانه وتعالى فإنه يتصف بها على وجه الكمال.

ومن هذه المعاني التي تحملها الآية كذلك أن المقصود: "ليس في الوجود شيء يكاد يشبه أن يكون مثلاً لله تعالى فضلاً عن أن يكون له على الحقيقة"، وهذا من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ [الإسراء: 23]، فنهى عن العقوق اليسير صراحة وعماً فوقه من باب أولى. ولو كانت الآية: "ليس مثله شيء" لتوهم متوهم أنه ليس لله عز وجل مثيل ولكن يمكن أن يكون هناك من يكاد أن يشبه الله عز وجل ولو في بعض الجوانب اليسيرة، فأراد عز وجل بهذا النظم أن ينفي المثل التام والمقارب.¹

ومن هذه المعاني أيضاً أن يكون المقصود نفي الشبيه مع تقلص الحجة والبرهان على ذلك، وهذا أسلوب عربي أصيل يجري كثيراً على الألسنة؛ كقولهم: "مثلك لا يكذب"، فليس المقصود نفي الكذب عن مثل المخاطب بل المقصود نفيه عن المخاطب نفسه لما عُهد في ذهن السامع أن هذا الشخص المتصف بهذه الصفة لا يمكن أن يكذب، وعليه يكون معنى الآية: "مثل الله تعالى لا يمكن أن يكون له مثيل لما يتصف به من صفات الكمال".

وقريب من هذا المعنى ما ذهب إليه الزمخشري وغيره من أن المراد من "مثله" ذاته؛ كما في قولهم: "مثلك لا يفعل كذا" مبالغة في نفيه عنه بنفيه عمن يماثله سالكين بذلك طريقة الكناية، يقول الزمخشري: « قالوا: "مثلك لا ييخل"، فنفوا البخل عن مثله، وهم يريدون نفيه عن ذاته، قصدوا المبالغة في ذلك فسلخوا به طريق الكناية، لأنهم إذا نفوه عمن يسد مسدّه وعمن هو على أخص أوصافه، فقد نفوه عنه»،² ومراد الزمخشري أن من يتصف بصفات الألوهية والربوبية الحق يستحيل أن يكون له مثيل أو شبيه؛ فالإله لا ينبغي أن يكون إلا واحداً مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: 22].

¹ - ينظر: الراعوش، زيادة حروف المعاني في القرآن الكريم بين دوافع المحيزين ومحظورات المانعين: 392-393.

² - الزمخشري، الكشف: 4/ 212، 213.

وهناك قول آخر ينقله محمد عبد الله دراز مضعفاً له هو في الحقيقة يفضي إلى القول بالزيادة وإن كان لا يصرح بذلك مع ما فيه من الفلسفة والتمحل التي يأبأها المنهج القرآني؛ يقول محمد عبد الله دراز: «وَقَلِيلٌ مِنْهُمْ مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُ لَا بَأْسَ بِقَائِهَا عَلَى أَصْلِهَا؛ إِذْ رَأَى أَنَّهُ لَا تَوْدِي إِلَى ذَلِكَ الْحَالِ لَا نَصًّا وَلَا احْتِمَالًا؛ لِأَنَّهُ نَفِيٌ مِثْلُ الْمَثَلِ يَتَّبِعُهُ فِي الْعَقْلِ نَفِيُ الْمَثَلِ أَيْضًا.

وذلك أنه لو كان هناك مثل الله لكان لهذا المثل مثل قطعاً وهو الإله الحق نفسه، فإن كل متماثلين يعد كلاهما مثلاً لصاحبه، وإذا لا يتم انتفاء مثل المثل إلا بانتفاء المثل وهو المطلوب».¹

ومؤدّي هذا الكلام أن وجود هذا الحرف وانتفائه سواء بل لم يزدد الكلام به إلا تعمية وتعقيداً، وهذا ما يُنزّه عنه القرآن الكريم، وحكاية هذا القول تغني عن رده.

والمعاني المذكورة آنفاً كلها مرادة إذ لا دليل على تخصيص أحدها طالما أنها جميعاً تقطع باليقين الجازم أن لا شبيه لله سبحانه وتعالى ولو في صفة واحدة من صفاته، وهذا من البلاغة المعجزة التي عهدناها في القرآن الكريم بأن يؤدي عدة معان بأوجز عبارة.

4- قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِقُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: 118]، نقل ابن يعيش عن الكوفيين والرضي الاستربادي عن الأخفش القول بزيادة "ثم" في الآية على اعتبار أن "تاب" جواب "إذا"،² وقد وصموا هذا القول بالضعف والدعوى التي لا دليل عليها وهو كذلك؛ لأن جواب "إذا" محذوف دل عليه ما بعد "ثم" لأنه بمعناه.

وفي حذف الجواب واستعمال "ثم" التي تفيد التراخي الزمني والرتبي قمة وروعة التصوير الفني للحالة النفسية التي مر بها هؤلاء النفر الثلاثة تعجز عن وصفه الألسنة ولا يتذوقه إلا من فقه لسان العرب وعرف أسرارهِ وخباياه، ولعله يحسن بنا في هذا المقام نقل قصة النفر - رضي الله عنهم - بطولها حتى يتبين لنا السر في حذف جواب "إذا" واستعمال "ثم" في هذا السياق.

روى الإمام البخاري - رحمه الله - في صحيحه عن كعب بن مالك - رضي الله عنه - قال: {لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةٍ بَدْرٍ، وَلَمْ يُعَاتِبْ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهَا، إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ، حَتَّى جَمَعَ اللَّهُ

¹ - دراز (محمد عبد الله)، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، تح: أحمد مصطفى فضلية، دار القلم: دمشق، 1426هـ - 2006م، (د، ط) : 166.

² - لم أعثر على قول الأخفش بزيادة "ثم" في هذه الآية في كتابه "معاني القرآن"؛ ينظر: الأخفش (أبو الحسن سعيد بن مسعدة) معاني القرآن، تح: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي: القاهرة، ط: 1، 1411هـ - 1990م: 1/ 368، ابن يعيش، شرح المفصل: 5/ 14، ابن هشام، مغني اللبيب: 158، أبو حيان، البحر المحيط: 5/ 520.

بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ، وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ، حِينَ تَوَاقَفْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ، وَمَا أَحْبَبُّ أَنْ لِي بِهَا مَشْهَدٌ بَدْرٍ، وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ أَذْكَرُ فِي النَّاسِ مِنْهَا، كَانَ مِنْ خَبَرِي: أَلَيْ لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ فِي تِلْكَ الْغَزَاةِ، وَاللَّهِ مَا اجْتَمَعَتْ عِنْدِي قَبْلَهُ رَاحِلَتَانِ قَطُّ، حَتَّى جَمَعْتُهُمَا فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ.

وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُ غَزْوَةً إِلَّا وَرَى بِغَيْرِهَا، حَتَّى كَانَتْ تِلْكَ الْغَزْوَةُ، غَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا، وَمَقَارًا وَعُدُوًا كَثِيرًا، فَجَلَّى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أَهْبَةً غَزْوِهِمْ، فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ، وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرٌ، وَلَا يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ؛ - "يُرِيدُ الدِّيَّانَ" - ، قَالَ كَعْبٌ: فَمَا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَعَيَّبَ إِلَّا ظَنَّ أَنْ سَيُخْفَى لَهُ، مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيُ اللَّهِ.

وَعَزَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ الْغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الشَّمَارُ وَالظَّلَالُ، وَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، فَطَفِئَتْ أَعْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ، فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: "أَنَا قَادِرٌ عَلَيْهِ"، فَلَمْ يَزَلْ يَتِمَادَى بِي حَتَّى اشْتَدَّ بِالنَّاسِ الْجِدُّ، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جَهَازِي شَيْئًا، ثُمَّ عَدَوْتُ، ثُمَّ رَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَلَمْ يَزَلْ بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الْغَزْوُ، وَهَمَمْتُ أَنْ أَزْجَلَ فَأَذْرِكُهُمْ، وَلَيْتَنِي فَعَلْتُ، فَلَمْ يُقَدَّرْ لِي ذَلِكَ، فَكُنْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَطُفْتُ فِيهِمْ، أَحْزَنِي أَلَيْ لَا أَرَى إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ النَّفَاقُ، أَوْ رَجُلًا مَمَّنَّ عَذَرَ اللَّهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ.

وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ، فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ: «مَا فَعَلَ كَعْبٌ؟»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ، وَنَظَرُهُ فِي عِطْفِهِ، فَقَالَ مُعَاذُ بَنِي جَبَلٍ: "بِئْسَ مَا قُلْتَ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا"، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ: فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّهُ تَوَجَّهَ قَافِلًا حَضَرَنِي هَمِّي، وَطَفِئْتُ أَتَذَكَّرُ الْكَذِبَ، وَأَقُولُ: "بِمَاذَا أَخْرَجَ مِنْ سَخَطِهِ عَدًّا"، وَاسْتَعَنْتُ عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي، فَلَمَّا قِيلَ: "إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَظَلَّ قَادِمًا"، زَاخَ عَنِّي الْبَاطِلُ، وَعَرَفْتُ أَلَيْ لَنْ أَخْرَجَ مِنْهُ أَبَدًا بِشَيْءٍ فِيهِ كَذِبٌ، فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ.

وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَادِمًا، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ، فَيَرْكُضُ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ، فَطَفِقُوا يَحْتَضِرُونَ إِلَيْهِ وَيُحْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بِضَعَةِ وَثَمَانِينَ رَجُلًا، فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَانِيَتَهُمْ، وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَعْفَرَ لَهُمْ، وَوَكَّلَ سَرَاتِرَهُمْ

إِلَى اللَّهِ، فَجِئْتُهُ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ: «تَعَالَ»، فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي: «مَا خَلَّفَكَ، أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتِغَتْ ظَهْرَكَ؟».

فَقُلْتُ: بَلَى، إِيَّيْ وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، لَرَأَيْتُ أَنْ سَأْخِرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ، لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي، لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسَخِّطَكَ عَلَيَّ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ، بَجَدُّ عَلَيَّ فِيهِ، إِيَّيْ لَأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللَّهِ، لَا وَاللَّهِ، مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى، وَلَا أَيْسَرُ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ».

فَقُمْتُ، وَنَارَ رِجَالٍ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ فَاتَّبَعُونِي، فَقَالُوا لِي: "وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَاكَ كُنْتَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا، وَلَقَدْ عَجَزْتَ أَنْ لَا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا اعْتَذَرَ إِلَيْهِ الْمُتَخَلِّفُونَ، قَدْ كَانَ كَافِيكَ ذَنْبَكَ اسْتِغْفَارُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَكَ"، فَوَاللَّهِ مَا زَالُوا يُؤْتِبُونِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي، ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: "هَلْ لَقِي هَذَا مَعِيَ أَحَدٌ؟"، قَالُوا: "نَعَمْ، رَجُلَانِ قَالَا مِثْلَ مَا قُلْتَ، فَقِيلَ لَهُمَا مِثْلُ مَا قِيلَ لَكَ"، فَقُلْتُ: "مَنْ هُمَا؟"، قَالُوا: "مُرَّارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْعَمْرِيُّ، وَهَلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ"، فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ، قَدْ شَهِدَا بَدْرًا، فِيهِمَا أُسُودَةٌ، فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي.

وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامِنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، فَاجْتَنَبْنَا النَّاسَ، وَتَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنَكَّرْتُ فِي نَفْسِي الْأَرْضُ فَمَا هِيَ الَّتِي أَعْرِفُ، فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَنْكِيَانِ، وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأُشْهِدُ الصَّلَاةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأُسَلِّمَ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: "هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بَرْدَ السَّلَامِ عَلَيَّ أَمْ لَا؟"، ثُمَّ أَصْلِي قَرِيبًا مِنْهُ، فَأَسَارِفُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي أَقْبَلَ إِلَيَّ، وَإِذَا التَفْتُ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي.

حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْ جَفْوَةِ النَّاسِ، مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ، فَقُلْتُ: "يَا أَبَا قَتَادَةَ، أَنْشُدْكَ بِاللَّهِ هَلْ تَعَلَّمَنِي أَحَبُّ اللَّهِ وَرَسُولُهُ؟"، فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ، فَقَالَ: "اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ"، فَفَاضَتْ عَيْنَايَ، وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ، قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِسُوقِ الْمَدِينَةِ، إِذَا نَبْطِيٌّ مِنْ أَنْبَاطِ أَهْلِ الشَّامِ، مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ، يَقُولُ: "مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ؟"، فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ حَتَّى إِذَا جَاءَنِي دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مِلِكِ غَسَّانَ، فَإِذَا فِيهِ: "أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللَّهُ بِدَارِ هَوَانٍ، وَلَا مَضِيعَةٍ، فَالْحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ"، فَقُلْتُ لَمَّا قَرَأْتُهَا: "وَهَذَا أَيْضًا مِنَ الْبَلَاءِ، فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّوَرَّ فَسَجَرْتُهُ بِهَا".

حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً مِنَ الْخَمْسِينَ، إِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِينِي، فَقَالَ: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزَلَ امْرَأَتَكَ»، فَقُلْتُ: «أُطَلِّفُهَا؟ أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ؟»، قَالَ: «لَا، بَلِ اعْتَزِلْهَا وَلَا تَقْرُبْهَا»، وَأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبِي مِثْلَ ذَلِكَ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: «الْحَقِّي بِأَهْلِكَ، فَتَكُونِي عِنْدَهُمْ، حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ»، قَالَ كَعْبٌ: فَجَاءَتِ امْرَأَةُ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّ هِلَالَ بْنِ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ، لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ، فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ؟»، قَالَ: «لَا، وَلَكِنْ لَا يَقْرُبُكَ». قَالَتْ: «إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَى شَيْءٍ، وَاللَّهِ مَا زَالَ يَنْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا».

فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي: «لَوْ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي امْرَأَتِكَ كَمَا أَذِنَ لِامْرَأَةِ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ؟»، فَقُلْتُ: «وَاللَّهِ لَا أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا يُدْرِينِي مَا يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا، وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ؟»، فَلَبِثْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ، حَتَّى كَمَلْتُ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ كَلَامِنَا، فَلَمَّا صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي، وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَى جَبَلٍ سَلَعَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: «يَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ أَبْشِرْ»، قَالَ: فَحَزَرْتُ سَاجِدًا، وَعَرَفْتُ أَنَّ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ، وَأَذَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ.

فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، وَذَهَبَ قَبْلَ صَاحِبِي مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ إِلَيَّ رَجُلٌ فَرَسًا، وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ، فَأَوْفَى عَلَى الْجَبَلِ، وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبِي، فَكَسَوْتُهُ إِثَابَهُمَا بِبُشْرَاهُ، وَاللَّهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا، وَانْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا، يُهَنُّونِي بِالتَّوْبَةِ، يَقُولُونَ: «لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ»، قَالَ كَعْبٌ: حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ إِلَيَّ طَلَحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ يُهْرُولُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَانِي، وَاللَّهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ، وَلَا أَنْسَاهَا لِطَلَحَةَ.

قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَبْرِقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ: «أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدْتِكَ أُمُّكَ»، قَالَ: قُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟، قَالَ: «لَا، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ». وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ، فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَخْلَعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِ اللَّهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ».

قُلْتُ: فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْرٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا جَنَانِي بِالصَّدَقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيَْتُ. فَوَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَبْلَاهُ اللَّهُ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلَانِي، مَا تَعَمَّدْتُ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى يَوْمِي هَذَا كَذِبًا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ فِيمَا بَقَيْْتُ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ [التوبة: 117] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: 119]، فَوَاللَّهِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ أَنْ هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ أَنْ لَا أَكُونَ كَذِبْتُهُ، فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا.

فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا - حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ - شَرًّا مَا قَالَ لِأَحَدٍ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ [التوبة: 95] إِلَى قَوْلِهِ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: 96]، قَالَ كَعْبٌ: وَكُنَّا تَخْلُفْنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ عَنْ أَمْرِ أَوْلِيكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ حَلَفُوا لَهُ، فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَعْفَرَ لَهُمْ، وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْرَنَا حَتَّى قَضَى اللَّهُ فِيهِ، فَبِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا﴾ [التوبة: 118]؛ وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ مِمَّا خُلِفْنَا عَنْ الْعَزْوِ، إِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا، وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا، عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ وَاعْتَدَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ¹.

لقد عانى هؤلاء الثلاثة خلال فترة المقاطعة التي دامت خمسين ليلة من الضنك والضييق ما لا يستطيع أن يعبر عنه إلا النظم القرآني المعجز، فالقصة التي استغرقت منا ما يقارب ثلاث صفحات قد صورها القرآن الكريم أروع تصوير في آية واحدة لا تتجاوز ثلاثة أسطر، فلا شك أن هؤلاء الثلاثة - نتيجة لصدقهم - قد ذاقوا من العذاب النفسي ما ذاقوا جراء شعورهم بالذنب والتقصير تجاه معبودهم سبحانه، وجراء المقاطعة من قبل أحبابهم فيه، فكانت تلك الخمسين ليلة بالنسبة إليهم بمثابة خمسين سنة.

فطولُ الجملة المشروطة واستعمال "ثم" قد صور بصدق التراخي الشديد لزمن الكرب وطول المحنة والترقب الشديد ومواجهة الأعباء الثقيلة حتى جاءت لحظة الفرج، فلما تراخ لفظ الجملة بكثرة حروفها تراخى معناها لأن قوة اللفظ مؤذنة بقوة المعنى.² وفي استعمال "ثم" مكان جواب الشرط ما يوحي للسامع أن ثمة كلاما طويلا قد حُذف لا حاجة لذكره لأن اللبيب بالإشارة يفهم، فهذه التوبة ما كانت لتناهم إلا بعد طول معاناة، ففي هذه الفترة الطويلة قد هُذبوا أحسن تهذيب ورُبوا أحسن تربية من لدن اللطيف الخبير سبحانه وتعالى.

¹ - صحيح البخاري: 3/ 6، صحيح مسلم: 4/ 2120، مسند أحمد: 25/ 75.

² - ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل: 5/ 14، هيفاء فدا، زيادة حروف المعاني بين التأييد والمنع: 2/ 728.

هذا من جهة التراخي الزمني، أما من جهة التراخي الرتي فلا شك أن هؤلاء الثلاثة قد ارتقوا من مرتبة الصادقين إلى مرتبة الصديقين بعد هذه المحنة، فقد طهرهم الله عز وجل بما كان يحول دون بلوغهم هذه المرتبة؛ يدل على ذلك قوله تعالى بعد هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: 119] - وهذا حضٌّ على الاقتداء بهؤلاء الذين نجاهم صدقهم - وقول النبي صلى الله عليه وسلم لكعب بن مالك - رضي الله عنه - بعد نزول توبته: {أُبَشِّرُ بِخَيْرٍ يَوْمَ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ}، وقول كعب بن مالك: «فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا بَخَّانِي بِالصَّدَقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أُحْدِثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيَتْ».

فَوَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَبْلَاهُ اللَّهُ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلَانِي؛ مَا تَعَمَّدْتُ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى يَوْمِي هَذَا كَذِبًا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ فِيمَا بَقِيَتْ».

وما كانت هذه المعاني لتستفاد لولا استعمال "ثم" بهذا المعنى؛ فالقول بزيادتها يهدر جميع هذه المعاني العظيمة والفوائد الجليلة.

4- قوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبْغٍ لِلْأَكْلِيلِ﴾ [المؤمنون: 20]؛ قرأ عاصم، ونافع (ت169هـ)، وابن عامر وحمزة بن حبيب والكسائي بفتح التاء وضم الباء "تَنْبُت"، وقرأ ابن كثير (ت120هـ) وأبو عمرو بن العلاء (ت154هـ) بضم التاء وكسر الباء،¹ وفي كلا القراءتين ادعى بعض العلماء زيادة الباء في الآية،² والحقيقة على العكس من ذلك؛ فإن هذه الباء قد أفادت عدة معان هي: الملازمة والمصاحبة والمعية.

فالمعروف أن هذه الشجرة كباقي الأشجار المثمرة تنتج ثمارا هي الزيتون، لكن أهم غلة تُنتظر من هذه الشجرة هي الزيت نظرا لما فيه من فوائد جمة كما ثبت عن النبي - عليه الصلاة والسلام - أنه قال: {كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة}،³ وفي رواية: "اتئدماوا"،⁴ ولذلك فإن الفعل في هذه الآية قد جاء بمعنى "تثمر" وجيء بالباء للدلالة على أن هذا الزيت يكون مصاحبا للثمار فهو يُستخرج ويُستخلص منها،

¹ - ينظر: ابن مجاهد، السبعة في القراءات: 445.

² - ينظر: أبو عبيدة، مجاز القرآن: 2/ 48، مكي القيسي، مشكل إعراب القرآن: 2/ 499، ابن جني، سر صناعة الإعراب: 1/ 144.

³ - ينظر: مسند أحمد: 25/ 449، الترمذي (أبو عيسى محمد بن عيسى)، سنن الترمذي، تح: أحمد شاكر - محمد فؤاد عبد الباقي - إبراهيم عطوة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي: القاهرة، ط: 2، 1395هـ - 1975م: 4/ 285.

⁴ - ينظر: سنن ابن ماجه: 2/ 1103، الدارمي (أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن)، سنن الدارمي، تح: حسين سليم الداراني، دار المغني: الرياض - السعودية، ط: 1، 1412هـ - 1992م: 2/ 1303.

وإنما عُبر عنه بالإنبات - والله أعلم - لأن هذه الشجرة تؤتي أكلها في مراحل متعددة من حياتها وهي لا تزال في مرحلة النمو والإنبات.

ويجدر أن يكون الفعل بمعناه الأصلي ويكون الجار والمجرور في موضع الحال؛ فيكون المعنى: "تنبت الدهن" وكأن هذه الشجرة لا تنبت إلا وقد استصحبت معها الدهن؛ لأنها تركبه في نسيجها الخلوي منذ مرحلة الإنبات، فالدهن موجود فيها بالقوة. فدلّت هذه الباء على شدة ملابسة واشتغال الشجرة على الزيت واستصحابها له منذ بداية مرحلة الإنبات¹.

وهناك معنى آخر يمكن أن يستفاد من هذه الباء وهو معنى المداومة والاستمرار² فلما كانت هذه الشجرة لا تُنبِت إلا وقد استصحبت معها الدهن فإن ذلك يعني أنه لا يمر بها لحظة من لحظات الإنبات إلا وقد جادت بالدهن، وهذا يدل على غزارة إنتاجها للزيت، وهذا من بركاتها التي أشار إليها القرآن وسنة النبي عليه الصلاة والسلام؛ فالمعروف أن زيت الزيتون يُصنّف إلى صنفين أساسيين هما:

أ- زيت الزيتون: وهو الزيت المستخلص مباشرة وبشكل كامل من ثمار شجرة الزيتون، وينقسم قسمين:

- 1- زيت الزيتون البكر.

- 2- زيت الزيتون المكرر.

ب- زيت تفل الزيتون أو زيت عرجون الزيتون؛ وهو الزيت المستخلص من بقايا معاصر ثمار الزيتون، ويصنّف إلى ثلاثة أنواع:

- 1- زيت العرجون النيء

- 2- زيت العرجون المكرر

- 3- زيت عرجون الزيتون

وعلى القراءة الثانية تكون الباء قد دخلت على مفعول ثان هو في موضع الحال، والأول محذوف تقديره: "تُنبِت ثمارها بالدهن"؛ أي: "وفيه دهن" كما يقال: "خرج بشيابه" و"كب بسلاحه"؛ أي: "خرج لابسا ومتسلحا"³ وهذه المعاني كلها مرادة إذ لا دليل على التخصيص.

5- قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: 12]؛ ذهب بعض العلماء إلى القول بزيادة "لا" في الآية الكريمة لأن ظاهر الآية: "ما منعك أن لا تسجد" أي: "ما منعك من عدم السجود"؛ وعلى هذا يكون إبليس قد سجد لآدم والله عز وجل

¹ - ينظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 4/ 10، الزمخشري، الكشاف: 3/ 180-181، هيفاء فدا، زيادة حروف المعاني بين التأييد والمنع: 438.

² - ينظر: القيسي، مشكل إعراب القرآن: 2/ 499.

³ - ينظر: المصدر نفسه: 2/ 499.

أنكر عليه ذلك وسأله عن المانع الذي منعه من ترك السجود، وهذا محال. يقول أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت209هـ): « مجازة: "ما منعك أن تسجد" والعرب تضع "لا" في موضع الإيجاب؛ وهي من الحروف الزوائد»¹ وإلى ما ذهب إليه أبو عبيدة يذهب كل من ابن قتيبة والزجاج والزمخشري والبيضاوي (ت685هـ)؛ حيث قالوا إن الغرض من الزيادة التأكيد؛ وكأنه قيل: "ما منعك أن تحقق السجود وتلزمه نفسك".²

والظاهر أن القول بالزيادة ليس وجيها طالما أن الآية تحتل تأويلان بارزان؛ أحدهما: أن في الآية كلاما محذوفا أغنى عن ذكره سياق الكلام تقديره: "ما منعك من السجود فأحوجك ألا تسجد"، يقول الطبري في تفسيره: « إن في الكلام محذوفاً قد كفى دليل الظاهر منه؛ وهو أن معناه: "ما منعك من السجود فأحوجك أن لا تسجد"، فترك ذكر "أحوجك" استغناء بمعرفة السامعين».³

والثاني: أن معنى "ما منعك": ما حماك وجعلك في منعة مني في ترك السجود. ولا شك أن هذين المعنيين اللذين أفادتهما اللام أشد في الدلالة على الامتناع والإباء والاستكبار عن السجود لآدم عليه السلام؛ فعلى المعنى الأول: "كأن شيئا ما قد اضطر إبليس اضطرابا وأحوجه احتياجا ماسا إلى أن لا يسجد لآدم فكان مفتقرا إلى عدم السجود له افتقارا ضروريا"، وعلى المعنى الثاني: "كأن إبليس قد بلغ الغرور به إلى درجة أنه قد ظن أنه في منعة وحماية من عذاب الله عز وجل إن هو ترك السجود لآدم عليه السلام".

لكن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام هو: "لماذا جيء بهذه اللام في هذا السياق بالذات، مع أن هذا السؤال الإنكاري قد تكرر في آيات أخرى دون ذكر اللام؟؛ كقوله تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ إِلَّا تَكُونُ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: 32]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِيٍّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص: 75].

إن السياق هو الكفيل بالإجابة عن هذا السؤال؛ فبعد الدراسة والاستقصاء للآيات التي ورد فيها التحذير من فتنة إبليس خصوصا ومن فتنة الشياطين عموما نجد أن سورة الأعراف هي أكثر سورة في القرآن ورد فيها لفظ "الشيطان" و"الشياطين"؛ حيث ذكر "الشيطان" فيها ست مرات و"الشياطين" مرتان. وامتنازت هذه السورة عموما - ولا سيما في بداياتها - عن غيرها من السور بشدة المبالغة في تحذير

¹ - أبو عبيدة، مجاز القرآن: 1 / 211.

² - ينظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن: 154، الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 2 / 322، الزمخشري، الكشاف: 2 / 89.

³ - الطبري، جامع البيان: 12 / 325، 326. وينظر: الراعوش، زيادة حروف المعاني في القرآن الكريم بين دوافع المجيزين ومخطورات المانعين: 401.

بني آدم من فتنة الشياطين، وشدة المبالغة في تصوير كيدهم ومكرهم وإضلالهم وإغوائهم وعداوتهم لبني آدم وصدهم إياهم عن سبيل الله عز جل.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإننا نجد أن سورة الأعراف هي أكثر سورة في القرآن ورد فيها ذكر لفظ "بني آدم" حيث ورد هذا اللفظ سبع مرات في القرآن الكريم؛ خمسة منها في سورة "الأعراف"، وآخر في سورة "الإسراء" وآخر في سورة "يس"؛ فلما كانت العناية موجهة أساساً في هذه السورة لبني آدم كان طبيعياً أن تُعنى بالتحذير من عدوه الأول وهو الشيطان.

فالجو البياني العام الذي طبع هذه السورة هو تحذير بني آدم من فتنة الشيطان وإغوائه، ولأجل هذا كله جيء بهذه اللام التي بالغت في الدلالة على امتناع وإباء واستكبار إبليس عن السجود لآدم عليه السلام، وهذا التناسق العجيب لا يمكن أن نجده في غير القرآن الكريم.

6- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [آل عمران: 91].

ذكر بعض العلماء زيادة "الواو" في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ افْتَدَى بِهِ﴾ مؤيدين رأيهم بقراءة ابن أبي عبله للآية بدون "ولو"؛ وهي قراءة حكم العلماء بشذوذها،¹ ولو كانت هذه الواو زائدة لكان هذا التهديد والوعيد منصبا أساساً على الفدية من عذاب يوم القيامة دون سائر أنواع النفقات التي ينفقها الإنسان في حياته، وهذا ما لا يتلاءم مع السياق الذي وردت فيه الآية، فلا يمكن معرفة المعنى الذي تؤديه هذه الواو دون الرجوع إلى السياق.

فقد جاءت هذه الآية في سياق بيان خسران من ابتغى غير الإسلام ديناً ومات على الكفر ولو عمل من الصالحات لله ما عمل؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (85) كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (86) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (87) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (88) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (89) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ (90) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [آل عمران: 85-91].

وبعد هذه الآية علّق سبحانه وتعالى نيل درجة البر والرضوان عنده بالإنفاق مما تحبه النفس وتشتهيهِ فقال جل وعلا: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: 92].

¹ - ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون: 3/ 307.

[92]، وبطبيعة الحال لن ينال هذه الدرجة إلا المسلم الموحد، أما الكافر فلو أنفق ملء الأرض ذهباً - وليس ما يحبه ويشتهي فقط - ما تُقبل منه، سواء أنفق ذلك في حياته الدنيا يبتغي به وجه الله أو فداء من عذاب يوم القيامة.

وهذا هو السر في استعمال الواو هنا، فلولاها لتوهم السامع أن عدم القبول مخصوص بالفداء وأن الكافر يمكنه أن ينجو من الخلود في النار بالإِنفاق مما يجب في سبيل الله في حياته الدنيا، فجاءت الآية لتبين أنه لا ينفع مع الكفر عمل صالح مهما عظم ولا تُقبل فدية من الكافر مهما غلت؛ فصار معنى الآية بهذه الواو: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا أَنْفَقَهُ فِي حَيَاتِهِ الدُّنْيَا يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ وَحَتَّىٰ إِنْ افْتَدَىٰ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"، وما كان لنا أن نستفيد هذين المعنيين معا دون هذه الواو.

ويجوز أن يكون هذا من باب عطف الخاص على العام تنبيها بالمنطوق به على المسكوت عنه بطريق الأولى؛ فالله عز وجل قد حكم بأنه لا يقبل من كافر ملء الأرض ذهباً ولو كان حاصله على سبيل الفداء تنبيها على أنه لما لم يكن مقبولا بهذه الطريق فبأن لا يكون مقبولا منه بسائر الطرق أولى؛ يقول أبو حيان: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ أَخْبَرَ أَنَّ مَنْ مَاتَ كَافِرًا لَا يُقْبَلُ مِنْهُ مَا يَمَلَأُ الْأَرْضَ مِنْ ذَهَبٍ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ يَقْصِدُهَا، وَلَوْ فِي حَالَةِ الْإِفْتِدَاءِ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ؛ لِأَنَّ حَالَةَ الْإِفْتِدَاءِ هِيَ حَالٌ لَا يَمْتَنُّ فِيهَا الْمُفْتَدِي عَلَى الْمُفْتَدَى مِنْهُ»¹. ويجوز أن تكون الواو للاستئناف؛ فقوله تعالى: ﴿وَلَوْ افْتَدَىٰ بِهِ﴾ جواب سؤال متعجب من الحكم؛ وهو قوله تعالى: ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا﴾؛ فكأن قائلًا قال: "ولو افتدى به؟!" فأجيب بتقرير ذلك، وبجاء الواو في الجواب جاء تبعا لمجيئها في السؤال.²

أما اعتبار الواو الحالية كما فعل الزمخشري، فيكون المعنى: "فلن تُقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الأرض ذهباً"؛³ فهذا مما لا يستسيغه السياق لأنه يخص الوعيد بالفدية دون سائر أنواع النفقات الأخرى، والأصل في الكلام أن يُحمل على العموم إلا أن يدل دليل على التخصيص ولا دليل، بل قرينة السياق تدل على أن المراد جميع أنواع النفقات.

فلما يلاحظ الباحث المتدبر للقرآن الكريم كيف أفادت الواو وحدها هذه المعاني مجتمعة لا يسعه إلا أن يزداد يقينا بقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82]، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: 24].

¹ - أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط: 3/ 256.

² - ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير: 3/ 306، 307.

³ - ينظر: الزمخشري، الكشاف: 1/ 383، 384، هيفاء فدا، زيادة حروف المعاني بين التأيد والمنع: 542، 543.

7- قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: 159].

ذهب كثير من العلماء قديما وحديثا إلى القول بزيادة "ما" في هذه الآية، وزعم بعضهم الإجماع على ذلك، يقول الزجاج: «"ما" بإجماع النحويين ههنا صلة لا تمنع الباء من عملها فيما عملت، المعنى: "فبرحمة من الله لنت لهم"، إلا أن "ما" قد أحدثت بدخولها تأكيد المعنى»¹ ويقول ابن عطية: «معناه: "فبرحمة من الله"، «وما» قد جرد عنها معنى النفي ودخلت للتأكيد، وليست بزائدة على الإطلاق لا معنى لها، وأطلق عليها سيبويه اسم الزيادة من حيث زال عملها»².

وفي الحقيقة إنه لا يمكننا معرفة المعنى الذي يؤديه هذا الحرف دون افتراض حذفه في خضم هذا السياق؛ إن قولنا - على سبيل الافتراض - وسط هذا السياق: "فبرحمة رحمة من الله لنت لهم" يوحي أنها رحمة عادية كسائر الرحمات التي تنزل على البشر.

وبالعودة إلى السياق الذي وردت فيه الآية نجد هذا النبي الكريم - عليه الصلاة والسلام - يخرج من أصعب مرحلة يمر بها مع الجماعة المسلمة؛ ألا وهي معركة أحد التي تنزلت فيها المصائب ترى كقطع الليل المظلم على النبي - عليه الصلاة والسلام - بدءا بالخديعة التي دبرها رأس النفاق عبد الله بن أبي بن سلول الذي ذهب بنحو ثلث الجيش الذين قيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا، قالوا: "لو نعلم قتالا لاتبعناكم"، مروراً بمعضية الرماة ومخالفتهم لأمر رسول الله - عليه الصلاة والسلام - التي حولت النصر إلى هزيمة وجعلت الدائرة تدور على المسلمين؛ فوقع الهرج والمرج في الصف واستولى الاضطراب والذعر على نفوس المسلمين لهول المفاجأة التي لم يتوقعها أحد.

فاستشهد جراء ذلك كثير من أصحاب النبي - عليه الصلاة والسلام - وعلى رأسهم عمه وأخوه من الرضاعة حمزة بن عبد المطلب الذي كانت له مكانة مميزة في قلب النبي الكريم، وكاد عليه الصلاة والسلام أن يُقتل في هذه المعركة؛ حيث جرح وجهه وكسرت سنه الرابعة في الفك الأسفل وهشمت البيضة على رأسه وغاصت حلقتان من حلق المغفر في وجنته، ورماه المشركون بالحجارة حتى وقع. وفي وسط هذا الهول يصيح صائح: "إن محمدا قد قُتل..."، فكاد كثير من المسلمين أن يرتدوا على أعقابهم بعد إذ هداهم الله، واستسلم كثير منهم لليأس والكلال إلا من رحم الله.³

¹ - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 482 / 1.

² - ابن عطية، المحرر الوجيز: 533 / 1.

³ - ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن: 461، 462.

إن رجلا من البشر في وسط هذه الأحداث لن يلين جانبه مع أصحابه خاصة ومع الناس عامة إلا أن تناله رحمة من الله لا تنال إلا أصفياه من الأنبياء والرسل، رحمة لا يعرف عظمها وقدرها إلا الله عز وجل، رحمة لو وُزعت على أهل الأرض لكفتهم، إنها رحمة محمد - صلى الله عليه وسلم - خير البشر التي لا تماثلها رحمة مخلوق على وجه الأرض.

وعلى هذا تكون "ما" هنا استفهاما للتعجب، ويكون تقدير الكلام: "فبأي رحمة من الله لنت لهم؟"، ومما يزيد في تعظيم قدر هذه الرحمة تنكيرها كما هو واضح من السياق؛ يقول فخر الدين الرازي: «وَهَا هُنَا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ (مَا) اسْتِفْهَامًا لِلتَّعَجُّبِ تَقْدِيرُهُ: "فَبِأَيِّ رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ؟"؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ جِنَايَتَهُمْ لَمَّا كَانَتْ عَظِيمَةً ثُمَّ إِنَّهُ مَا أَظْهَرَ الْبَتَّةَ تَغْلِيظًا فِي الْقَوْلِ، وَلَا خُشُونَةً فِي الْكَلَامِ، عَلِمُوا أَنَّ هَذَا لَا يَتَأْتَى إِلَّا بِتَأْيِيدِ رَبِّي وَتَسْدِيدِ إِلَهِي، فَكَانَ ذَلِكَ مَوْضِعَ التَّعَجُّبِ مِنْ كَمَالِ ذَلِكَ التَّأْيِيدِ وَالتَّسْدِيدِ، فَقِيلَ: "فَبِأَيِّ رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ؟"، وَهَذَا هُوَ الْأَصَوْبُ عِنْدِي».¹

أما رد أبي حيان لهذا القول على اعتبار أن أسماء الاستفهام لا تُضاف باستثناء "أي" فلا نسلم له ذلك؛² وذلك لأن "ما" لما كانت بمعنى "أي" أخذت حكمها النحوي، ثم إنه لا يجوز لنا التضحية بالمعنى في سبيل اطراد قواعد الصناعة النحوية، فإن هذه القواعد لم توضع في الأصل إلا خدمة للمعنى. والمعنى الذي نقصده هنا هو المعنى المقامي "Contextual meaning"؛ وهو المعنى الذي لا يكتفي بتحليل تركيب المقال ولا بمعنى كلماته المفردة، وإنما يراه فوق ذلك في ضوء المقام: "Context of situation".³

وإضافة إلى هذا المعنى الجليل الذي أفادته "ما" في هذا السياق فإن لها فائدة صوتية أشار إليها الراجعي في كتابه "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية"؛ حيث يقول: «فإن النحاة يقولون إن "ما" في الآية الأولى و "أَنْ" في الثانية زائدتان؛ أي في الإعراب، فيظن من لا بصر له أنهما كذلك في النظم وقيس عليه، مع أن في هذه الزيادة لونا من التصوير لو هو حذف من الكلام لذهب بكثير من حسنه وروعته، فإن المراد بالآية الأولى تصوير لـين النبي - صلى الله عليه وسلم - لقومه، وإن ذلك رحمة من الله، فجاء هذا المد في "ما" وصفاً لفظياً يؤكد معنى اللين ويفخمه.

¹ - الرازي، تفسير الرازي: 9 / 406 - 407.

² - ينظر: أبو حيان، البحر المحيط: 3 / 408.

³ - ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها: 39.

وفوق ذلك فإن لهجة النطق به تُشعر بانعطاف وعناية لا يُبتدأ هذا المعنى بأحسن منهما في بلاغة السياق، ثم كان الفصل بين الباء الجارّة ومجرورها؛ (وهو لفظ رحمة) مما يلفت النفس إلى تدبر المعنى وبينه الفكر على قيمة الرحمة فيه، وذلك كله طبعي في بلاغة الآية كما ترى¹.

8- قوله تعالى: ﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [القيامة: 1]

اختلف العلماء في اللام الواردة قبل القسم على أربعة أقوال:
الأول: أنها زائدة للتوكيد؛ والمعنى: "أقسم"، واستشهدوا على ذلك بما ورد من كلام العرب كقول امرئ القيس "من المتقارب":

فلا وربك ابنه العامري ** لا يدع القوم أني أفر²

يعني- كما قالوا-: "وربك"، وقول الشاعر "من البسيط":

ما كان يرضى رسول الله دينهم ** والأطيان أبوكر ولا عمر³

أي: "والأطيان أبوكر وعمر".

وقول العجاج "من الرجز":

في بئر لا حورٍ سرى وما شعر ** بإفكه حتى رأى الصبح شجر⁴

أي: "في بئر حور...".

وقول قيس بن الملوح "من الطويل":

تذكرت ليلى فاعترتني صباة ** وكاد صميم القلب لا يتقطع⁵

أي: "وكاد صميم القلب يتقطع".

والقول بالزيادة يأباه الكلام العربي الفصيح فضلا عن القرآن الكريم، بل حتى من قال بالزيادة كالزحشري رفضها هنا؛ لأنها لا تكون حسبه إلا في وسط الكلام وهي هنا في أوله.⁶

الثاني: أن "لا" نافية لكلام محذوف، و"أقسم": إثبات مستأنف؛ وكأنه قيل: "لا، ليس الأمر كما زعمتم بأننا لن نجمع عظام الإنسان، بل أقسم بيوم القيامة على أننا قادرين على أن نسوي بنانه"، يقول الطبري:

¹ - الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: 159.

² - امرؤ القيس، الديوان: 105.

³ - لا يعرف قائله، ينظر: إميل يعقوب، المعجم المفصل في شواهد العربية: 3/ 306، وينظر: ابن منظور، لسان العرب: 15/ 465.

⁴ - "الحور": المهلكة التي يهلك فيها المسافر، وقيل: بئر هلاك، "شجر": بزغ، ينظر: العجاج، الديوان: 1/ 20-22، وينظر: ابن منظور، لسان العرب: 4/ 217.

⁵ - ينسب لقيس بن الملوح ولم أعثر عليه في ديوانه.

⁶ - ينظر: الزحشري، الكشف: 4/ 658.

« وأولى الأقوال عندي بالصواب قول من قال: "إن الله أقسم بيوم القيامة وبالنفس اللوامة، وجعل "لا" نفيا لكلام قد كان تقدمه من قوم وجوابا لهم»¹ وهو قول بعيد؛ لأن تقدير المحذوف يحتاج إلى دليل ولا دليل، ومن جهة أخرى فإن قوله تعالى - مثلاً -: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ لا يدل على أنه يريد الإثبات المستأنف بعد النفي بقوله: "أقسم".

الثالث: أن اللام للابتداء أشبعت فتحته؛ يدل على ذلك قراءة ابن كثير: ﴿لأقسم بيوم القيامة﴾²، والعرب كثيراً ما تُشبع الفتحة بألف، ومثال ذلك قول ابن الحارث اليماني "من الطويل":

وتضحك مني شيخخة عبشمية ** كأن لم ترى قبلي أسيراً يمانياً³

فالأصل: "كأن لم تر"، ولكن أشبعت الفتحة بالألف. وقول رؤبة بن العجاج "من الرجز":

إذا العجوز غضبت فطلق ** ولا ترضاها ولا تملق⁴

أي: "ولا ترضاها".

وقول عنتر بن شداد "من الكامل":

ينباع من ذفرى غَضُوب جَسْرَةٍ ** زَيَّافَةٍ مثل الفَنَيْقِ المَكْدَمِ⁵

أي: "ينبع".

وهذا قول وجيه لا ينبغي رده لأنه قد ثبت بقراءة سبعية.

الرابع: أن اللام نافية للقسم نفسه؛ وتقدير الكلام: "لا أقسم بهذه الأشياء على إثبات هذا الأمر؛ لأن هذا الأمر أعظم وأجل من أن يقسم عليه بهذه الأشياء"، فيكون الغرض من هذه اللام تعظيم قدر المقسم عليه، أو إن هذا الأمر أوضح وأجلى وأظهر من أن يحتاج إلى قسم.⁶

وهذا القول أيضاً قوي جداً لأنه يشيع كثيراً في لسان العرب وعليه تحمل الشواهد الشعرية الآتية الذكر، أما خارج القرآن الكريم فلا يكون الغرض من هذه اللام سوى أن المقسم عليه أظهر وأوضح من أن يحتاج إلى قسم إلا إذا كان المقسم به هو الله عز وجل أو صفة من صفاته؛ لأن المخلوق لا ينبغي له أن يقسم إلا بالعظيم سبحانه وتعالى الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

¹ - الطبري، جامع البيان: 49 / 24.

² - ينظر: القرطبي، تفسير القرطبي: 92 / 19.

³ - ينظر: العيني، المقاصد النحوية: 1689 / 4.

⁴ - رؤبة بن العجاج، الديوان: 179.

⁵ - "ذَفْرَى": ناقة الشاعر، "جَسْرَةٍ": طويلة، "زَيَّافَةٌ": سريعة، "الفَنَيْقِ": الفحل من الإبل، و"المَكْدَمِ": من الكَدَم وهو العض بأذن الفم، وقيل: "المَكْدَم": الفحل القوي، ينظر: عنتر بن شداد، الديوان: 82، ابن منظور، لسان العرب: 136 / 4، 123 / 8، البغدادي، خزنة الأدب: 122 / 1، ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف: 24 / 1.

⁶ - ينظر: الراعوش، زيادة حروف المعاني في القرآن الكريم بين دوافع المجيزين ومحظورات المانعين: 410.

9- قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الأنعام: 151]، قال بعض العلماء بزيادة اللام في قوله تعالى: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا﴾ ولم ينتبهوا للمعاني التي تفيدها مع "أن"،¹ وإن أول ما يلفت الانتباه في هذه الآيات هو التعبير عن المنهيات بصيغة الفعل المضارع دون المصدر، وكما هو معلوم فإن الاسم يفيد الثبوت والفعل يفيد التجدد والحدوث، يقول عبد القاهر الجرجاني: «إنَّ موضوعَ الاسم على أن يُثَبَّتَ به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجددَ شيئاً بعدَ شيء. وأما الفعلُ فموضوعه على أنه يقتضي تجددَ المعنى المُثَبَّتَ به شيئاً بعدَ شيء».²

ولا شك أن هذه المنهيات وعلى رأسها الشرك بالله سبحانه وتعالى ليست باقية على صورة واحدة، بل هي تتجدد وتتغير باستمرار وبمرور الزمن، ولو جاء النهي بصيغة المصدر لتوهم السامع أن المقصود منها ذلك الشرك المعهود في الذهنية العربية المتمثل في عبادة الأصنام دون سائر مظاهر وصور الشرك العديدة المتعددة التي تزداد تنوعاً كلما بعد العهد عن زمن النبوة، وكذلك باقي المعاصي. فخطاب الله عز وجل للإنسان بمبادئه الثابتة وقيمه الراسخة خطاب متجدد يعالج كل عصر ومعطياته، فحرّم الله عز وجل جميع المعاصي وعلى رأسها الشرك بجميع صورها الظاهرة والخفية السائدة في ذلك العصر وغيرها مما كانت وستكون سائدة في عصر آخر.

ويحتمل أن تكون اللام في الآية الكريمة للنهي و"أن" تفسيرية، ولا إشكال في عطف الأوامر على النواهي في سياق "أن" التفسيرية؛ لأن هذه الأوامر مدلول عليها بدلالة المخالفة؛ فالنهي عن مقارفة المعاصي هو بالضرورة أمر بالتزام الأوامر.

ويحتمل كذلك أن تكون "لا" نافية و"أن" مصدرية ويُحمل النصب على وجوه؛ أحدها: أن تكون الجملة المصدرية في موضع نصب ب"عليكم" فيكون من باب الإغراء، ويوقف عند قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾؛ أي: "عليكم أن تلتزموا اجتناب الشرك"،³ وهذا الوجه سائغ طالما أن الوقف عند "عليكم" ليس باللازم بل الوصل أولى.

والثاني: أن تكون مفعولاً لأجله؛ أي: "تعالوا أتْل ما حرم ربكم عليكم لئلا تشركوا به شيئاً"، وفي هذا المعنى دلالتان؛ الدلالة الأولى: أن الغاية الكبرى من اجتناب جميع المعاصي هي اجتناب الشرك بالله تعالى، فلا معنى لاجتنابها جميعاً دون اجتناب الشرك؛ فإن الله عز وجل قد يغفر جميع الذنوب ولا يغفر أن يشرك

¹ - ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب: 1/ 329، 330.

² - الجرجاني، دلائل الإعجاز: 1/ 174، وينظر: فاضل صالح السامرائي، معاني الأنبياء في العربية، دار عمار: عمان - الأردن، ط: 2، 1428هـ - 2007م، ص: 10.

³ - ينظر: أبو حيان، البحر المحيط: 4/ 686.

به، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 48].

الدلالة الثانية: أن المعاصي بجميع أنواعها تفضي إلى الشرك سواء كان شركا أكبر أو أصغر؛ فالمعاصي كما يقال بريد الكفر، فأمرنا الله عز وجل باجتناب هذه المحرمات كي لا توصلنا إلى ما لا يحمد عقباه من الشرك به والكفر به، فالمسلم الذي يسرف على نفسه بارتكاب المحرمات لا يأمن على نفسه أن يُختتم له بخاتمة الشرك والكفر عيادا بالله، كما حدث ذلك مرارا لبني إسرائيل، يقول تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الدِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: 61]، ويقول أيضا: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (78) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: 78، 79].

الثالث: أن تكون في موضع نصب مفعول بفعل محذوف تقديره: "أوصيكم"؛ فيكون التقدير: "أوصيكم أن لا تشركوا"؛ لأن قوله تعالى بعد ذلك: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ محمول على: "أوصيكم بالوالدين إحسانا"،¹ ورفض أحد هذه المعاني التي يحتملها هذا السياق دون دليل هو تحكم في النص القرآني، فالواجب قبولها حتى يأتي الدليل بخلاف ذلك.

10- قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْعَابِرِينَ﴾ [العنكبوت: 33].

ذهب أكثر العلماء من النحاة والمفسرين إلى القول بزيادة "أن" في الآية الكريمة،² ولم يتفطن إلى أصالتها في الغالب إلا العلماء الذين اهتموا بالمتشابه القرآني لنزوعهم إلى السياق، وتخلصهم من النظرة الجزئية التحليلية التي سيطرت على أذهان النحاة والمفسرين.³

ونود في البداية أن نشير إلى أن "لما" قد تكون ظرفا بمعنى "حين"، وقد تكون حرفا يربط الفعل الثاني بالأول على جهة التسبب أو التعقيب؛ فيكون أحدهما كالعلة للآخر. ومعلوم من الأصول النحوية أن الحرف لا يتضام مع الحرف، ولأجل ذلك فهي هنا بمعنى الظرف بخلاف ما جاء في سورة هود من قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ [هود: 77]، فما

¹ - ينظر: المصدر السابق: 4/ 686، وينظر: هيفاء فدا، زيادة حروف المعاني بين التأييد والمنع: 640.

² - ينظر: الزمخشري، الكشاف: 3/ 453، النسفي (أبو البركات عبد الله بن أحمد)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تح: يوسف علي بدوي، دار الكلم الطيب: بيروت، ط: 1، 1419هـ - 1998م: 2/ 675.

³ - ينظر: الخطيب الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل: 1/ 1029، 1030. برهان الدين الكرمانى، البرهان في توجيه متشابه القرآن: 199.

السر إذن في مجيء "لما" في سورة العنكبوت بمعنى الظرف بتضامها مع "أن"، ومجيئها في سورة هود حرفاً يفيد التعقيب والتسبيب؟

للإجابة على هذا السؤال لا بد من استعراض سياق الآيتين؛ يقول تعالى في سورة هود: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَيِّئًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (77) وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (78) قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكِ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (79) قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ (80) قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود: 77-81].

ويقول سبحانه وتعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَيِّئًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرَاتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (33) إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [العنكبوت: 33-34].

ففي آية هود ربط تضايق لوط - عليه السلام - واستيائه بمجرد مجيء الرسل؛ لأن المقام مقام تفصيل؛ حيث ذكر بعد ذلك السبب الحقيقي لتضايقه وهو خوفه على ضيفه من شر قومه، ثم بينوا له بعد ذلك أنهم رسل ربه وأن القوم لن يصلوا إليه. أما في آية العنكبوت فإن المقام مقام إجمال؛ ولأجل ذلك لم يُربط تضايقه واستيائه عليه السلام بمجرد مجيء الرسل، بل لجعل ذلك نتيجة للظرف العصيب الذي جاؤوه فيه، فهو مع ابنتيه فقط في مواجهة شر أهل القرية جميعاً، لاسيما وقد تقدم هذه الآية ذكر خصالهم القبيحة في قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأْتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (28) أَتَنْتَكُمُ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [العنكبوت: 28-29].

ونعود إلى علماء المتشابه القرآني الذين ربطوا الفائدة التي أفادتها "أن" بالسياق الذي وردت فيه حين عقدوا موازنة بين ذكرها في آية العنكبوت وعدمه في آية هود، فتوصلوا إلى أن "لما" تقتضي جواباً على كل حال، وإذا اتصلت بـ "أن" دلت على أن الجواب وقع في الحال من غير تراخ كما هو في سورة العنكبوت، أما في سورة "هود" فقد اتصل به كلام بعد كلام وطالت المحاورة بين الرسل ولوط عليهم السلام إلى قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ﴾ [هود: 81]، فلما طال الكلام لم يحسن دخول "أن".

وكان "أن" في سورة العنكبوت أشارت إلى الأحداث التي فصلتها سورة "هود" من المحادثات بين لوط - عليه السلام - وقومه، وبينه وبين الرسل واختصرتها اختصاراً شديداً رغبة في الوصول إلى النهاية المحتومة بسرعة لا تراخي فيها ولا بطء. وهذا الإيجاز للأحداث في قصة لوط في سورة العنكبوت يتناسب مع الإيجاز الحاصل في سائر القصص الأخرى في السورة نفسها، كما أن التفصيل في أحداث القصة في سورة هود يتناسب مع التفصيل الحاصل في سائر القصص في ذات السورة.

يقول الكرمانى في كتابه "البرهان في توجيه متشابه القرآن": « قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾، وفي هود: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ﴾ بغير "أن"؛ لأن "لما" يقتضي جواباً وإذا اتصل به "أن" دلّ على أن الجواب وقع في الحال من غير تراخ كما في هذه السورة وهو قوله تعالى: ﴿سَيِّءٌ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾، ومثله في يوسف: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾، وفي هود اتصل به كلام بعد كلام إلى قوله: ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ﴾، فلما طال لم يحسن دخول "أن"». ¹

ويقول فخر الدين الرازي: « وقال ههنا: ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا﴾، فَمَا الْحِكْمَةُ فِيهِ؟ فنقول حِكْمَةُ بَالِغَةٍ؛ وَهِيَ أَنَّ الْوَاقِعَ فِي وَقْتِ الْمَجِيءِ هُنَاكَ قَوْلُ الْمَلَائِكَةِ: ﴿إِنَّا مُهْلِكُونَ﴾، وَهُوَ لَمْ يَكُنْ مُتَّصِلًا بِمَجِيئِهِمْ لِأَنَّهُمْ بَشَرُوا أَوَّلًا وَلَبَّثُوا، ثُمَّ قَالُوا: ﴿إِنَّا مُهْلِكُونَ﴾، وَأَيْضًا فَالْتَأَنِّي وَاللُّبْثُ بَعْدَ الْمَجِيءِ ثُمَّ الْإِخْبَارُ بِالْإِهْلَاكِ حَسَنٌ؛ فَإِنَّ مَنْ جَاءَ وَمَعَهُ خَبَرٌ هَائِلٌ يَحْسُنُ مِنْهُ أَنْ لَا يَفَاجِئَ بِهِ، وَالْوَاقِعُ هَهُنَا هُوَ خَوْفُ لُوطٍ عَلَيْهِمْ وَالْمُؤْمِنُ حِينَ مَا يَشْعُرُ بِمَضَرَّةٍ تَصِلُ بَرِيئًا مِنَ الْجَنَائَةِ يَنْبَغِي أَنْ يَحْزَنَ وَيَخَافَ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ تَأْخِيرٍ.

إذا عُلِمَ هذا فقوله هاهنا: ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا﴾ يُفِيدُ الْإِتِّصَالَ؛ يَغْنِي خَافَ حِينَ الْمَجِيءِ، فَإِنْ قُلْتُ: "هَذَا بَاطِلٌ بِمَا أَنَّ هَذِهِ الْحِكَايَةَ جَاءَتْ فِي سُورَةِ هُودٍ"، وَقَالَ: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾ مِنْ غَيْرِ "أَنْ"، فَتَقُولُ هُنَاكَ جَاءَتْ حِكَايَةُ إِبْرَاهِيمَ بِصِغَةٍ أُخْرَى حَيْثُ قَالَ هُنَاكَ: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾ [هود: 69] فَقَوْلُهُ هُنَاكَ: "وَلَقَدْ جَاءَتْ" لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ قَوْلَهُمْ: "إِنَّا أَرْسَلْنَا" كَانَ فِي وَقْتِ الْمَجِيءِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَيِّءٌ بِهِمْ﴾ دَلٌّ عَلَى أَنَّ حُزْنَ كَانَ وَقْتُ الْمَجِيءِ.

إِذَا عُلِمَ هَذَا فَتَقُولُ: هُنَاكَ قَدْ حَصَلَ مَا ذَكَرْنَا مِنَ الْمَقْصُودِ بِقَوْلِهِ فِي حِكَايَةِ إِبْرَاهِيمَ: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾ ثُمَّ جَرَى أُمُورٌ مِنَ الْكَلَامِ وَتَقْدِيمِ الطَّعَامِ، ثُمَّ قَالُوا: ﴿لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: 70] فَحَصَلَ تَأْخِيرُ الْإِنْدَارِ، وَبِقَوْلِهِ فِي حِكَايَةِ لُوطٍ: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا﴾ حَصَلَ بَيَانُ تَعْجِيلِ الْحُزْنِ، وَأَمَّا هُنَا لَمَّا قَالَ فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ﴾ قَالَ فِي حِكَايَةِ لُوطٍ: ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ﴾ لِمَا ذَكَرْنَا مِنَ الْفَائِدَةِ. ²

¹ - الكرمانى، البرهان: 199، 200. وينظر: هيفاء فدا، زيادة الحروف بين التأييد والمنع: 619.

² - الرازى، تفسير الرازى: 52/25.

ونحن نخالفهم في هذا الذي ذهبوا إليه؛ فالمتتبع للسياقين يلاحظ أن سرعة الأحداث كانت في سورة هود والإبطاء كان في العنكبوت ولأجل ذلك جيء فيها ب"أَنْ" للدلالة على هذا المعنى؛ ففي سورة "هود" بدأ الحديث بالكلام عن الحوار الذي جرى بين إبراهيم والمرسلين - عليهم السلام - دون التفات إلى ما جرى بين لوط - عليه السلام - وقومه، ثم بعد ذلك شُرع في الحديث عن قصة لوط عليه السلام.

أما في العنكبوت فقد بدأ أولاً بذكر الصراع بين لوط وقومه ودعائه عليهم، ثم عُلقَت دعوته إلى حين الانتهاء من ذكر الحوار الذي جرى بين إبراهيم والمرسلين عليهم السلام. وفي هذا ما يشعر بتباطؤ الأحداث ومعاناة لوط - عليه السلام - مع قومه وتأخر ساعة النصر بتأخر إجابة الدعاء، ولأجل الدلالة على هذا المعنى جيء ب"أَنْ" قبل مجيء الفعل. وهذا بخلاف السياق في سورة هود الذي يشعر بتسارع الأحداث ولا نجد فيه تلك المعاناة التي وجدناها في العنكبوت؛ حيث إن هؤلاء الرسل قد بشروا فيها بقرب موعد النصر حين قالوا له: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود: 81].

وهذه الدلالة التي ذكرناها قد ناسبت الجوَّ البياني لكل من السورتين؛ فسورة العنكبوت قد طبعها الحديث عن البلاء والحن والفتن والجهاد الذي يمحّص الله به الناس فيعرف مؤمنهم من كافرهم، وهذا الملمح نلمسه من بداية السورة؛ حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿الم (1) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (3) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (4) مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (5) وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: 1-6].

وغير هذا كثير في السورة، ولأجل هذا شعرنا في هذه السورة بمعاناة لوط - عليه السلام - وجهاده لقومه، وأسهمت "أَنْ" بحظ وافر من هذا الشعور.

أما الجو البياني لسورة هود فبخلاف ذلك؛ فقد طُبعت السورة بتصوير مجادلات الأقوام لأنبيائهم بالباطل واستكبارهم عن إجابة دعوة الحق وإهلاكهم وتعذيبهم نتيجة ذلك، ولأجل ذلك اتسمت قصص الأنبياء في هذه السورة بسمة التفصيل وتسارع وتيرة الأحداث للوصول للنهاية المحتومة لهؤلاء الأقوام المعاندين.

ومما يؤكد هذا التوجيه الذي قلنا به قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 96]، فقد أفادت "أَنْ" هنا معنى التراخي والإبطاء؛ فإن يعقوب - عليه السلام - لم يزل ينتظر عودة يوسف - عليه السلام - بفارغ الصبر منذ أن ألقاه إخوته في الحب وهو صبي صغير حتى صار عزيز مصر، حتى إنه فقد بصره لطول الحزن وتباعد

المدة؛ يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَخُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (86) يَا بَنِيَّ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: 86-87]، وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَصَلَ الْعَيْزُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ (94) قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ [يوسف: 94-95].

يقول ابن الأثير: « فإنه إذا نُظِرَ في قصة يوسف - عليه السلام - مع إخوته منذ ألقوه في الحب إلى أن جاء البشير إلى أبيه - عليه السلام - وُجِدَ أنه كان ثمَّ إبطاء بعيد، وقد اختلف المفسرون في طول تلك المدة، ولو لم يكن ثمَّ مدة بعيدة وأمد متطاوّل لما جيء بأنَّ بعد لما وقبل الفعل، بل كانت تكون الآية فلما جاء البشير ألقاه على وجهه».¹

ويقول صَبَّاح عبید دراز: « إن لـ "أَنْ" دوراً خطيراً في الأحداث وتحكما في زمنه، فـ "لما" تفيد توقع الحدث وترقبه والشوق إليه، وهذا داع لسرعة حدوثه برغبة نفسية ظاهرة، فتأتي "أَنْ" مفيدة للبطء والتراخي والمهل، فنحس بالمجازبة بين دلالة الأداتين إثارة للنفس والوجدان، وتوهجا في الأسلوب وأن هذا التأخير قد أشعل الشوق إلى تحقيق الحدث واستنفد طاقة النفس، فإذا ما وقع بعد بطء كان تخففاً من عبء نفسي كبير، إن "أَنْ" هنا بما أفادته من تمهل وتراخ اقتضته رحلة البشير زادت عاطفة الحب أواراً وأثارت كوامن يعقوب وأشجانه، وجعلت انتظاره ناراً».²

11- قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 274].

ذكر بعض العلماء زيادة الفاء في هذه الآية كالمهروي (ت 415هـ) وأبي عمرو الجرمي (ت 225هـ)،³ والحقيقة أن الفاء هنا سببية نظراً لمشاهدة الموصول للشرط من حيث الإيهام، لكن السؤال الذي يدور في الأذهان: "لماذا جيء بها هنا، ولم تأت في قوله تعالى قبل هذه للآية: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 262]؟.

إن من عجائب القرآن التدرج في معالجة النفس البشرية لاسيما في الأمور التي تعز عليها؛ كبذل المال المحبوب لها في سبيل الله عز وجل، ونحن نلاحظ الحديث عن الإنفاق في سبيل الله عز وجل في سورة البقرة

¹ - ابن الأثير، المثل السائر: 2/ 153.

² - دراز (صباح عبید)، البلاغة القرآنية عند الإمام الخطابي، مطبعة الأمانة: القاهرة - مصر، 1406هـ - 1986م، (د، ط): 63، 64. وينظر: هيفاء فدا، زيادة حروف المعاني بين التأييد والمنع: 620، 621.

³ - ينظر: المهروي (أبو إسماعيل علي بن محمد)، الأزهية في علم الحروف، تح: عبد المعين الملوحي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط: 2، 1413هـ - 1993م، ص: 246، 247. هيفاء فدا، زيادة حروف المعاني بين التأييد والمنع: 567.

بشكل مركّز بدءاً من الآية 261 حتى الآية 281، يبدأ هذا الحديث بمعالجة أصعب ما يواجه المنفق في سبيل الله عز وجل وهو المن والأذى؛ هذا الداء الخبيث الذي يصعب على المؤمن التخلص منه فضلاً عن المسلم، وقد يستغرق منه وقتاً مديداً، ولأجل هذا حض الله عز وجل المؤمنين على التخلص منه في خمس آيات متتابعات، وضرب الأمثلة لأجل ذلك، وأعطى البديل عن صدقة يتبعها أذى وهو المغفرة والقول المعروف.

ولأجل ذلك أيضاً جيء بـ"ثم" التي تفيد التراخي في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 262]؛ فصوّرت هذه الأداة الصعوبة التي يواجهها المؤمنون حديثو العهد بالإنفاق في التخلص من هاتين الخصلتين وطول المدة اللازمة لهم لذلك أدق تصوير، وهذا حال الأغلب العام من المؤمنين، أما من اصطفاه الله عز وجل من أصفياه فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

وعلى هذا فإن هذه الآية تخاطب حديثي العهد بالإنفاق في سبيل الله الذين قد ينفق الواحد منهم ما أنفق ولا تزال شوائب المن والأذى تُداخل نفسه فتبقى صدقته معلقة حتى يتوب من ذلك كله، فإذا تاب أُوتي أجره من لدن المنان الكريم سبحانه وتعالى.

فهذا الفريق من المؤمنين لا يُؤتى أجره مباشرة بعد إنفاقه على كل حال، بل إن طائفة منهم قد يتأخر جزاؤهم حتى يتخلصوا نهائياً من شوائب المن والأذى. أما المخاطبون بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 274]، فهذا الفريق قد تجاوز تلك المرحلة الابتدائية التي لا يزال الفريق الأول يراوح فيها بعد أن استخلص العبر واستفاد من الأمثال المضروبة في الآيات المذكورة بين الآيتين وتدبر تلك الآيات حق التدبر وامتلها عملاً، فأصبح ينفق في كل وقت وحين وفي كل مكان وفي كل حالة سرا وعلانية في السراء والضراء لا يبتغي بذلك إلا وجه الله تعالى، ولا يلتفت لهمزة من همزات شياطين الإنس والجن.

هذا الفريق حال جزائه بالنسبة لعمله كحال المسبّب بالنسبة لسببه وكحال الجزاء بالنسبة لشرطه، فالكريم المنان سبحانه وتعالى يؤتيهم أجورهم على أعمالهم فوراً كما ينتج المسبّب عن سببه وكما ينتج الجزاء عن شرطه، فبمجرد وقوع السبب يقع المسبب وبمجرد تحقق الشرط يتحقق الجزاء؛ كما علمتنا سنة الله تعالى في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً، وهذا هو السر في الإتيان بالفاء في هذا السياق.

ولابن قيم الجوزية (ت751هـ) توجيه آخر لطيف للإتيان بالفاء في هذه الآية؛ حيث يقول: «فإن الفاء الداخلة على خبر المبتدأ الموصول أو الموصوف تُفهم معنى الشرط والجزاء وأن الخبر مستحق بما تضمنه المبتدأ من الصلة أو الصفة، فلما كان هنا يقتضي بيان حصر المستحق للجزاء دون غيره جُرد الخبر عن

الفاء؛ فإن المعنى أن الذي ينفق ماله لله ولا يمن ولا يؤذي هو الذي يستحق الأجر المذكور، لا الذي ينفق لغير الله ولا من يمن ويؤذي بنفقته، فليس المقام مقام شرط وجزاء بل مقام بيان للمستحق من غيره، وفي الآية الأخرى للمستحق دون غيره.

وفي الآية الأخرى ذكر الإنفاق بالليل والنهار سرّاً وعلانية، فذكر عموم الأوقات وعموم الأحوال، فأتى بالفاء في الخبر ليدل على أن الإنفاق في أي وقت وُجد من ليل أو نهار، وعلى أية حالة وجد من سر وعلانية فإنه سبب للجزاء على كل حال، فليبادر إليه العبد ولا ينتظر به غير وقته وحاله، ولا يؤخر نفقة الليل إذا حضر إلى النهار ولا نفقة النهار إلى الليل، ولا ينتظر بنفقة العلانية وقت السر ولا بنفقة السر وقت العلانية، فإن نفقته في أي وقت وعلى أي حال وُجدت سبب لأجره وثوابه، فتدبر هذه الأسرار في القرآن فلعلك لا تتظفر بها تمر بك في التفاسير، والمنة والفضل لله وحده لا شريك له¹.

وقبل أن نختم الكلام عن الزيادة النحوية نود أن نفند دعوى بعض النحويين بأن ضمير الشأن في القرآن الكريم زائد عن مطلب صحة الكلام لإفادته التوكيد؛ لأن المضمون الذي يُراد التعبير عنه إنما تعبر عنه الجملة التي بعد ضمير الشأن وبخاصة إذا كان هذا الضمير مبتدأ².

ولرد نستعرض بعض الآيات التي ورد فيها هذا الضمير؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: 21]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: 46]، وقال تعالى: ﴿فَلَنَذِقَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (27) ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ هُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت: 27، 28]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1، 4].

لو افترضنا حذف هذا الضمير في هذه السياقات فنقول: "إن الظالمين لا يفلحون"، "إن الأبصار لا تعمي ولكن تعمي القلوب..."، "جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ"، "قُلْ اللَّهُ أَحَدٌ"، فلا شك أن من له أدنى علم بالعربية سيحكم بعدم صحة هذه الجمل بالنظر إلى السياقات التي وردت فيها، فالسياق هو الذي استدعى ذلك الضمير لتأدية معنى التوكيد فلا يصح الاستغناء عنه البتة.

¹ - ابن قيم الجوزية (أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر)، طريق المهجرتين وباب السعادتين، (د، تح)، الدار السلفية: القاهرة، ط: 2، 1394هـ - 1974م، ص: 366.

² - ينظر: تمام حسان، البيان في روائع القرآن: 175.

وكذلك باقي الضمائر التي ادعى بعض النحويين زيادتها في القرآن الكريم؛ كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [النمل: 3]، وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ﴾ [النمل: 5]؛ والسبب في هذا الخلط كله هو النظرة الجزئية التحليلية التفكيكية التي طبعت أذهان النحاة فجعلتهم يقصون السياق من حساباتهم، ولذلك لا نجد مثل هذه الأقوال عند علماء المعاني والبلاغيين ومن هنا نخوهم من أصحاب النظرة الشمولية والوجهة التركيبية الذين يجمعون حق الجمع بين قطبي الظاهرة اللغوية: المبنى والمعنى، فلا يميلون كل الميل فيذروا إحداها كالمعلقة.

الفصل الثالث: ظاهرة الفصل النحوي في التركيب القرآني وتمظهراتها البلاغية والدلالية

سبق لنا أن عرفنا هذه الظاهرة وبيننا أقسامها فلا داعي لإعادة الحديث عنها،¹ لذلك سنشرح مباشرة في الدراسة التطبيقية لنماذج منها في القرآن الكريم.

أ- الفصل المطرد:

• الفصل بين الفعل والفاعل:

1- الفصل بين الفعل والفاعل بالمفعول به:

قد يكون هذا الفصل واجبا وقد يكون جائزا، فالفصل الواجب يكون في مواضع هي:

أ- أن يشتمل الفاعل على ضمير يعود على المفعول به: يرى جمهور النحويين أن الفاعل إذا اتصل بضمير يعود على المفعول به وجب تأخيره؛ لأنه لو قُدم الفاعل لعاد الضمير على متأخر لفظا ورتبة وحملوا ما جاء خلاف ذلك على الضرورة الشعرية كقول أبي الأسود الدؤلي "من الطويل":

جزى رثه عني عدي بن حاتم ** جزاء الكلاب العاويات وقد فعل²

وقول سليط بن سعيد "من البسيط":

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر ** وحسن فعل كما يُجزى سنمار³

وقول الآخر "من الطويل":

كسا حلمه ذا الحلم أثواب سُودِدِ ** ورقي نداه ذا الندى في ذرا المجد⁴

وقول أحد أصحاب مصعب بن عمير - رضي الله عنه - يرثيه "من البسيط":

لما رأى طالبوه مصعبا دُعِروا ** وكاد لو ساعد المقدور ينتصر⁵

ومما ورد من هذا الفصل في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ﴾ [البقرة: 124]؛ فقد تضافر للفصل بين الفعل وفاعله سببان: سبب صناعي وهو اتصال الفاعل بضمير يعود على المفعول به، وسبب معنوي وهو الاهتمام والتنويه بالخليل عليه الصلاة والسلام؛ إذ أن هذا الموضع هو أول موضع يُذكر فيه سيد الخفاء صلى الله عليه وسلم، كما أنه هو محور الكلام بدءا من هذه الآية إلى الآية (141)، ومعلوم أن المبتلي هو الله عز وجل.⁶

¹ - ينظر: من الصفحة 53 إلى الصفحة 66 من هذا البحث.

² - يُنسب هذا البيت للنابغة الذبياني، والذي عليه الرواة أنه لأبي الأسود الدؤلي؛ ينظر: أبو الأسود الدؤلي، الديوان، ص: 401.

³ - ينظر: البغدادي، خزنة الأدب: 280/1، وينظر: ابن مالك، شرح الكافية الشافية: 587/2.

⁴ - لا يعرف قائله، "ذرا": جمع "الذرة" وهي أعلى الشيء، ينظر: المصدر نفسه: 587/2، إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في شواهد العربية: 367/2.

⁵ - ينظر: المرجع نفسه: 262/3، وينظر: ابن عقيل، شرح الألفية: 106/2.

⁶ - ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز: 205/1.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ أَمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلْ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴾ [الأنعام: 158]، فمحور الكلام في الآية الكريمة هم الكفار المعرضون عن الاستجابة لدعوة الحق، فقدم المفعول وهو النفس تنبيها لهم على وجوب إنقاذ أنفسهم من العذاب قبل فوات الأوان.

ب- أن يكون الفاعل قد وقع عليه الحصر بـ "إنما": ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر: 28]، ولقد أفاد هذا الفصل مع الحصر معنيين؛ الأول: أنه لا أحد من الخلق يخشى الله سبحانه وتعالى حق الخشية سوى العلماء، والثاني: أن العلماء لا يخشون أحدا إلا الله سبحانه، ولو كان التعبير: "إنما يخشى العلماء من الله" لأفاد أحد المعنيين دون الآخر، وكذلك لو كان التعبير: "يخشى الله عباده العلماء" لما أفاد المعنيين المطلوبين، فجيء بأحسن تعبير لأداء المعنيين المطلوبين أحسن أداء، وهذا من إعجاز البلاغة القرآنية.¹

أما الفصل الجائز فلم يضع النحاة له شروطا سوى الخلو من موجب التقديم؛ فالمرجع في ذلك للسياق، وهذا الفصل كثير جدا في القرآن الكريم؛ من ذلك - مثلا - قوله تعالى في سورة هود: ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ [هود: 67]؛ فمحور الكلام في هذا السياق هم المعدَّبون المجادلون لنبيهم بالباطل وليس العذاب في حد ذاته، ولأجل هذا قُدموا في التعبير، وهذا من دقة التعبير القرآني المعجز.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿ سَرَّابِلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ وَغَشَى وَجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾ [إبراهيم: 50]؛ وفي هذا الفصل مضاعفة الترهيب؛ وكأن النار لا تغشى شيئا سوى وجوههم، ولو كان التعبير: "تغشى النار وجوههم" لاحتل أنها تغشى الوجوه وتغشى أشياء أخرى تخفف من غشيانها للوجوه، ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (17) وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء: 17-18]، محور الكلام في هذا السياق هم العباد الذين تقبل توبتهم والذين لا تقبل توبتهم وليس الموت، ولأجل هذا قُدم ذكرهم على الموت.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ (41) كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ (42) أَكْفَرْتُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (43) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ (44) سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ [القمر: 41-45]؛ فالغاية من سياق هذه الآيات تذكير كفار قريش

¹ - ينظر: الزخشي، الكشف: 3 / 611.

ومن يأتي بعدهم بما أصاب من هو أشد منهم بطشا وأعتى نكالا، ومع ذلك فقد أخذه الله عز وجل ذكر عزيز مقتدر، فمن باب أولى أن لا يأمن هؤلاء على أنفسهم من مكر الله عز وجل، ولأجل هذا قدم ذكر آل فرعون في الآية السابقة.

2- الفصل بين الفعل والفاعل بالتمييز:

ورد هذا الفصل في موضعين من القرآن الكريم؛ أولهما قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَإِنَّا عَلَيْهِمْ نَبَأٌ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ (175) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (176) سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: 175-177].

وقد فصل بين الفعل والفاعل بالتمييز هنا لسببين: أحدهما صناعي والآخر معنوي؛ أما الصناعي فهو طول الفاعل، وأما المعنوي فلا شك أن هذا المثل هو أسوء مثل يضرب لقوم في القرآن الكريم، بدليل قوله تعالى بعد هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَاوِلُونَ﴾ [الأعراف: 179]؛ ولأجل هذا أسندت الإساءة مباشرة للمثل دون فاصل.

والموضع الثاني قوله تعالى في سورة الصف: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (2) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: 2، 3]، فالفصل هنا أيضا له سببان: صناعي ومعنوي؛ أما الصناعي فهو طول الفاعل، وأما المعنوي فهو تصوير شناعة وفضاعة هذا الذنب العظيم المفضي للنفاق وهو أن يقول المؤمن ثم لا يلتزم بما قال فعلا، فيعقبه الله عز وجل - إن لم يتب - نفاقا في قلبه إلى يوم يلقاه بما أخلف الله ما وعده وبما كان يكذب.

3- الفصل بين الفعل والفاعل بالحال:

مما ورد من ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ [طه: 67]، "إيجاس الخوف": إضمام شيء يسير منه، ومنه التوجس وهو التسمع إلى الصوت الخفي وأوجست الأذن وتوجست: سمعت حسا، والتوجس: الصوت الخفي،¹ يقول ذو الرمة يصف صائدا "من البسيط":
إِذَا تَوَجَّسَ رَكْزًا مِنْ سَنَابِكِهَا *
أَوْ كَانَ صَاحِبَ أَرْضٍ أَوْ بِهِ الْمَوْمُ²

¹ - ابن منظور، لسان العرب: 6/ 253.

² - "الرَّكْزُ": الحس، "السَّنَابِكُ": الخوافر، "الموم": الحمى مع البرسام، وقيل: هو الجدري، ينظر: المصدر نفسه: 12/ 566، ذو الرمة، الديوان: 253.

ويقول أبو ذؤيب الهذلي "من البسيط":

حتى أُتِيحَ له يوماً بِمُحْدَلَةٍ * ذو مِرَّةٍ بِدِوَارِ الصَّيْدِ وَجَاسٍ¹

ومن هذا نفهم أن موسى - عليه السلام - قد مسه طائف من خوف مما لا تكاد تنجو منه نفس بشرية في مواجهة السحرة المدعومين من قبل فرعون ومن قبل الملأ من قومهم، ولهذا فُصل بين الفعل والفاعل بالمجرور والحال حتى يكون موسى - عليه السلام - أبعد ما يكون عن التسبب في هذا الخوف، فصورت الآية أروع تصوير رباطة جأش موسى - عليه السلام - في مواجهة هذا المشهد المهيّب.

4- الفصل بين الفعل والفاعل بالمجرور:

مما ورد من هذا الفصل في القرآن الكريم ما يلي:

1- قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحديد: 1]، وقوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: 1]، [الصف: 1]، وقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجمعة: 1]، وقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن: 1]؛ وقد أفاد هذا الفصل معنى الحصر؛ أي أن ما في السماوات وما في الأرض يسبح لله سبحانه وتعالى وحده دون سواه.

2- قوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: 6]، وقوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: 28]، وقد فُصل هنا بين الفعل والفاعل بالجار والمجرور تنويها بشأن هذه العين وتعظيما لأمرها.

3- قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: 14]؛ معلوم أن الفاء هنا للسببية؛ أي: "لمسكم بسبب ما خُضتم فيه عذاب عظيم"،² ومحور الكلام في هذا السياق بدءاً من الآية 11 إلى الآية 26 هو عن الخوض في عرض السيدة عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - خاصة وعرض المؤمنات عامة، ولأجل هذا قُدم الجار والمجرور على الفاعل تنويهاً لذكره وتخصيصاً له بهذا الوعيد الشديد.

4- قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَاهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: 18]، في هذا الفصل تصوير بديع لهذا المشهد

¹ - "المُحْدَلَةُ": القوس التي لا اعوجاج فيها، "ذو مِرَّةٍ": ذو عقل، "دِوَارِ الصَّيْدِ": مُدَاوَرَةُ الصَّيْدِ، ينظر: أبو ذؤيب الهذلي، الديوان، ص: 123، وينظر: الشعراء الهذليون، ديوان الهذليين: 3/3.

² - ينظر: فتحة عبد الصمد عبيد، حروف الجر بين الأصوليين واللغويين، مقال منشور بمجلة جامعة الملك عبد العزيز للآداب والعلوم الإنسانية، جدة - السعودية، المجلد: 19، العدد: 1، 1432هـ - 2012م: 241.

التمثيلي الرائع؛ فقد أفاد أن الريح في هذا اليوم العاصف قد كانت تعصف قبل أن يوجد هذا الرماد؛ فقبل أن تشتعل النار والريح تعصف، ثم أُشعلت النار وما زالت الريح تعصف حتى انطفأت وتركت ذلك الرماد الذي لم يكن له في الأرض من قرار، فما لبث أن ذهبت به الريح كل مذهب.

ولو كان التعبير: "اشتدت الريح به" لجاز للسامع أن يتصور أن هذا الرماد كان موجودا مستقرا فوق الأرض ثم جاءت الريح بعد ذلك وعصفت به، وهذا لا يعبر عن المقصود؛ إذ أن الكفار على هذا المعنى قد قدروا على شيء مما كسبوا ثم صارت أعمالهم هباء منثورا، والمراد أن الكفار لم يقدرُوا ولن يقدرُوا على شيء مما كسبوا.

5- قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَجُكُّمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنَا وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِنَا ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَجُكُّمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: 44]؛ فصل بين الفعل والفاعل بالجار والمجرور لسببين: أحدهما صناعي وهو طول الفاعل، والآخر معنوي يرجع إلى السياق، فسياق الكلام من الآية 41 إلى الآية 45 هو عن التوراة وتبديل اليهود لبعض أحكامها وبالأخصوص حكم الزاني الشيب؛ حيث لما كثر الزنا في أشرافهم بدلوا حكمه من الرجم إلى الجلد والتحميم كما ثبت ذلك في السنة المطهرة.¹

فلما كانت التوراة هي محور الكلام في هذا السياق قُدم ذكرها تنويها بشأنها، كما أفاد هذا الفصل أيضا معنى الحصر والتخصيص؛ فالنبيون والأحبار والرهبان مأمورون بأن يحكموا بها وحدها دون سواها ولو كان التعبير: "يحكم النبيون الذين أسلموا بها..." لتوهم السامع أنهم يحكمون بها وبغيرها.

6- قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (1) لِيُعْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: 1، 2]؛ من المعلوم بداهة أن هذه المغفرة وهي مغفرة ما تقدم من الذنوب وما تأخر هي مغفرة خاصة بنبينا الكريم - صلى الله عليه وسلم - دون سواه من البشر، ولأجل هذا تقدم الجار والمجرور ليفصل بين المتلازمين الفعل والفاعل ليدل على معنى الحصر والتخصيص، ولئلا يتوهم متوهم أن هذه المغفرة يمكن أن تنال غيره من البشر.

7- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: 24]، وقوله

¹ - ينظر: صحيح مسلم: 3/ 1327، مسند أحمد: 30/ 490، سنن ابن ماجه: 3/ 593، سنن أبي داود: 6/ 497.

تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾ [الكهف: 45].

فصل الجار والمجرور بين الفعل والفاعل هنا لسببين صناعي ومعنوي؛ أما الصناعي فهو طول الفاعل وأما المعنوي فلأن الآية تحتمل معنيين مرادين؛ أحدهما: أن يكون اختلاط النبات بسبب المطر النازل من السماء؛ فإنه إذا نزل المطر ينبت بسببه أنواع كثيرة من النباتات وتكون تلك الأنواع مختلطة، وهذا فيما لم يكن نابتا قبل نزول المطر، فكانت الأرض خالية من جنس النبات، ولما نزل المطر كثر به النبات وتنوع، والثاني: أن يكون المراد منه ما نبت ولم يتزعزع بعد، وإنما هو في أول بروزه من الأرض فإذا نزل عليه المطر واختلط به اهتز وربما وأخرج من كل زوج بهيج.¹

والواقع المشاهد يثبت حصول المشهدين كلاهما؛ فقد تكون الأرض جرداء خالية من النبات ثم بسبب المطر تأخذ زخرفها وتزين بشتى أنواع النبات، وقد يكون في الأرض بعض النبات في طريق نموه فيحتاج لمزيد من المطر حتى تكتسي الأرض حلتها كاملة، وهذا تبعا لاختلاف البيئة؛ فالبينة الصحراوية الجافة ليست كبيئة الاستبس الانتقالية شبه الجافة التي تنمو بها الحشائش القصيرة، وهذه ليست كالبينة الرطبة كثيرة النبات. ولو كان التعبير: "فاختلط نبات الأرض به" لتوهم السامع أن المراد هو المعنى الثاني فقط دون الأول، وهذا من دقة التعبير القرآني وإعجازه.

¹ - ينظر: فخر الدين الرازي، تفسير الرازي: 17 / 236 - 237.

• الفصل بين المبتدأ والخبر:

1- الفصل بين المبتدأ والخبر بالظرف أو الجار والمجرور:

1- قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 29]؛ ويلاحظ أن صفات الله عز وجل لا يأتي التعبير عنها غالبا إلا بهذا النمط؛ ومن ذلك قوله تعالى في أكثر من آية: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: 106، الزمر: 62]، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: 6، البروج: 9]، وقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [سبأ: 21]، وقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [فصلت: 54]، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُّحِيطٌ﴾ [الأنفال: 47].

ونحو هذا كثير؛ فهذا خط بياني شائع في القرآن الكريم، وفائدة هذا الفصل فيما يبدو - والله أعلم - التنبيه على إحاطة صفات الله عز وجل بكل شيء من مخلوقاته؛ فلا يعزب عنه من مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض.

لكن يبقى التساؤل عن سر خروج القرآن الكريم عن هذا النمط التعبيري في بعض المواضع وفي بعض صفات الباري عز وجل بالذات، وفي بعض المخلوقات بالذات؟

فمن المخلوقات التي خرج فيها القرآن الكريم عن هذا النمط التعبيري قلوب بني آدم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ في أكثر من آية من القرآن الكريم، ويبدو أن السر في هذا - والله أعلم - أنه لما كان العلم بما في قلوب العباد مما يختص به الله عز وجل؛ فلا أحد من الخلق يعلم ما في قلوب البشر حتى الملائكة الموكلون بكتابة أعمال العباد، لما كان ذلك كذلك لم يفصل بين المسند والمسند إليه للدلالة على اختصاص الله عز وجل بهذه الصفة.

أما المواضع الأخرى التي عدل فيها عن هذا الفصل فإما أن يكون سياق الكلام فيها عن طائفة محددة من الناس فلا يكون هناك حاجة للدلالة على معنى الإحاطة والشمول؛ من ذلك الآيات الكريمة التالية:

1- قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (94) وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 94، 95]؛ فالكلام هنا عن اليهود خاصة.

2- قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لَنَبِيِّهِمْ إِنَّهُمْ ابْنُ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ

أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَيْنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿البقرة: 246﴾؛ فالكلام هنا عن هذا الملاء من بني إسرائيل في زمن داوود عليه السلام.

3- قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (61) إِنَّ هَذَا هُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (62) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ [آل عمران: 61-63]؛ فالكلام هنا عن الذين كفروا من أهل الكتاب.

4- قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (113) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (114) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 113-115]؛ فالكلام هنا عن المؤمنين من أهل الكتاب.

5- قوله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا حِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: 47]؛ سياق الكلام في هاته الآيات عن المنافقين زمن النبي عليه الصلاة والسلام.

6- قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [يوسف: 19]؛ سياق الكلام هنا عن هذه السَّيَّارَةِ التي أخذت يوسف عليه السلام. أو أن يكون سياق الكلام متجها نحو بيان صفة من صفات الله عز وجل بالذات؛ من ذلك الآيات الكريمة التالية:

1- قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 19]؛ فيحذر هؤلاء الكفار من الصواعق وينسون أن الله عز وجل محيط بهم.

2- قوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: 36]؛ سياق الكلام في هذه الآيات عن مناظرة المشركين ببيان صفات المعبود الحق التي منها هداية الخلق إلى الحق، فناسب هذا السياق أن تُسند صفة العلم إليه مباشرة دون فصل.

والسياق نفسه في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَّاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [النور: 41]، فالفعل "علم" في هذه الآية يحتمل أن يعود على الله عز وجل ويحتمل كذلك أن يعود على هذه المخلوقات.

4- قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ (98) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن أَمَنَ تَبِعُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: 98-99]، لما كان أهل الكتاب يعرفون الحق كما يعرفون أبناءهم فشهدوا على أنفسهم بالكفر في الحياة الدنيا، وهذه الشهادة منهم لن تدوم فسيكذبون يوم القيامة ويتبرءون منها، لكن الله شهيد عليهم في الدنيا والآخرة؛ فناسب هذا السياق أن تُسند صفة الشهادة لله عز وجل مباشرة دون فصل بالجار والمجرور.

5- قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا نُزِيرُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفِّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: 46]؛ سياق الكلام في هذه الآيات بدءاً من الآية 44 حتى الآية 54 عن يوم الحساب ومجازاة الناس بأعمالهم فيه، وفي هذا اليوم تظهر عظمة صفة شهادة الله عز وجل على عبيده، ولأجل هذا أُسندت مباشرة إليه سبحانه وتعالى دون فصل بالجار والمجرور.

ونعود للحديث عن المواضع التي جرى فيها الفصل بين المبتدأ والخبر بالظرف أو الجار والمجرور أو بهما معاً:

1- قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [هود: 91]؛ أراد المشركون أن ينفوا عزة هود - عليه السلام - بالنسبة لجماعتهم الكثيرة، وإلا فإن له عزة عندهم بسبب رهطه الذين حالوا دون رجمه، فهو وإن كان له عزة فهي لا تقاوم جماعتهم وشوكتهم، فصوّر هذا الفصل شدة اغترارهم بجمعهم وسطوتهم ولأجل هذا قُدمت شبه الجملة التي تعود عليهم.

يقول الشوكاني (ت 1250هـ) في تفسيره: «رَهْطُ الرَّجُلِ: عَشِيرَتُهُ الَّذِينَ يَسْتَنِدُ إِلَيْهِمْ وَيَتَّقَوْنَ بِهِمْ، وَمِنْهُ: "الرَّاهِطُ": الْجَحْرِ الْيَرُوعُ؛ لِأَنَّهُ يَتَوَقَّعُ بِهِ وَيُجْبَأُ فِيهِ وَلَدُهُ، وَالرَّهْطُ يَقَعُ عَلَى الثَّلَاثَةِ إِلَى الْعَشْرَةِ، وَإِنَّمَا جَعَلُوا رَهْطَهُ مَانِعًا مِنْ إِنْزَالِ الضَّرَرِ بِهِ، مَعَ كَوْنِهِمْ فِي قَلَّةٍ، وَالْكَفَّارُ أُلُوفٌ مُؤَلَّفَةٌ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى دِينِهِمْ، فَتَرَكُوهُ احْتِرَامًا لَهُمْ لَا خَوْفًا مِنْهُمْ، ثُمَّ أَكَّدُوا مَا وَصَفُوهُ بِهِ مِنَ الضَّعْفِ بِقَوْلِهِمْ: "وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ" حَتَّى نَكُفَّ عَنْكَ لِأَجْلِ عِزَّتِكَ عِنْدَنَا، بَلْ تَرَكْنَا رَجْمَكَ لِعِزَّةِ رَهْطِكَ عَلَيْنَا».¹

2- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَاَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: 47]؛ قد أوجب الله تعالى على نفسه نصر عباده المؤمنين والله تعالى يوجب على نفسه ما يشاء ولا مكره له، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: 51]، وقد أكد الله عز وجل هذا الحق في هذه الآية بالتقديم والفصل بين

¹ - الشوكاني، فتح القدير: 2 / 59.

المبتدأ والخبر بالجار والمجرور، ثم إن هذه الآية مكية والرسول - عليه الصلاة والسلام - وحزبه المؤمنون قد لاقوا في مكة من الأذى ما لا قوا، فجاءت هذه الآية بهذا الأسلوب تأكيداً للبشارة لهم بالنصر والتمكين لدينهم في الأرض في ذلك الظرف العصيب.

وفيه أيضاً تأكيد لوعده الذي وعده عباده المؤمنين في أول السورة إذ قال: ﴿الم (1) غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الروم: 1-5]؛ وهذا من التناسق العجيب الذي نلمسه في سور القرآن الكريم.

يقول الرازي في تفسيره: «وَعَلَى الثَّانِي تَأْكِيدُ الْبِشَارَةِ؛ لِأَنَّ كَلِمَةَ "عَلَى" تُفِيدُ مَعْنَى اللُّزُومِ؛ يُقَالُ: "عَلَى فُلَانٍ كَذَا" يُنْبِئُ عَنِ اللُّزُومِ، فَإِذَا قَالَ: "حَقًّا" أَكَّدَ ذَلِكَ الْمَعْنَى، وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ النَّصْرَ هُوَ الْعَلَبَةُ الَّتِي لَا تَكُونُ عَاقِبَتُهَا وَخِيمَةً، فَإِنَّ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ إِذَا انْهَزَمَتْ أَوَّلًا، ثُمَّ عَادَتْ آخِرًا لَا يَكُونُ النَّصْرُ إِلَّا لِلْمُنْهَزِمِ، وَكَذَلِكَ مُوسَى وَقَوْمُهُ لَمَّا انْهَزَمُوا مِنْ فِرْعَوْنَ ثُمَّ أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ لَمْ يَكُنْ انْهَزَامُهُمْ إِلَّا نُصْرَةً، فَالْكَافِرُ إِنْ هَزَمَ الْمُسْلِمَ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ لَا يَكُونُ ذَلِكَ نُصْرَةً إِذْ لَا عَاقِبَةَ لَهُ»¹.

3- قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق: 44]؛ معلوم أن حشر العباد مما يختص الله عز وجل به، كما أنه مما تستعظمه عقول البشر؛ فنبه بهذا الأسلوب على اختصاصه سبحانه به، وعلى أنه لا يتيسر مثل هذا الأمر العظيم إلا على الباري سبحانه الذي لا يعجزه شيء ولا يشغله شأن عن شأن؛² كما قال تعالى: ﴿مَا خَلَقُكُمْ وَلَا بِعْثُكُمْ إِلَّا كَنْفُسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [لقمان: 28].

4- قوله تعالى: ﴿كَأَلَّا بَلٌ تُجِبُونَ الْعَاجِلَةَ (20) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ (21) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (22) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ (23) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ [القيامة: 20-24]، سياق الكلام في هذه الآيات عن الآخرة؛ ولأجل هذا فصل بالظرف بين المبتدأ والخبر، وفي هذا إشارة بليغة إلى أن نضارة الوجوه وبُسورها ستكون بحق في الآخرة دار القرار؛ فكم من وجوه ناضرة في الدنيا باسرة في الآخرة، وكم من وجوه باسرة في الدنيا ناطرة في الآخرة.

وقد فسرت السنة النبوية هذا المعنى المجمل؛ حيث قال عليه الصلاة والسلام: {يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: "يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟" "هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟" فَيَقُولُ: "لَا، وَاللَّهِ يَا رَبِّ"، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي

¹ - الرازي، تفسير الرازي: 108 / 25.

² - ينظر: الزمخشري، الكشاف: 4 / 393.

الْجَنَّةِ، فَيَقَالُ لَهُ: "يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟" "هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟" فَيَقُولُ: "لَا، وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ".¹

أما الفصل بين المبتدأ والخبر بالجار والمجرور في قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ فقد أفاد معنى الحصر، وفيه إشارة إلى عظيم المنة الإلهية، وكأن النظر إلى وجه الله الكريم قد أنسى المؤمنين النظر إلى كل لذة سواه من النظر والتمتع بشتى ألوان النعيم التي تفيض بها الجنة، فلم يعودوا ينظرون إلا إليه سبحانه. قال عليه الصلاة والسلام لما تلا قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: 26]: { إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ نَادَىٰ مُنَادٍ: "إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِدًا"، قَالُوا: "أَلَمْ يُبَيِّضْ وُجُوهَنَا وَيُخَفِّضْ مِنَ النَّارِ وَيُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ؟" قَالُوا: "بَلَىٰ"، فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ، قَالَ: فَوَ اللَّهِ مَا أَعْطَاهُمْ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ }.²

5- قوله تعالى: ﴿وَمَا أَذْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (17) ثُمَّ مَا أَذْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (18) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (19)﴾ [الأنفطار: 17-20].

فصل بين المسند والمسند إليه بالظرف لأن سياق الكلام عن يوم القيامة، فقدم الظرف للاهتمام به وللتخصيص؛ فقد يعصي بعض الخلق من المكلفين ربه في الدنيا وقد يتمردون على طاعته وينازعونه في ألوهيته وربوبيته، أما يوم القيامة فلا أمر نافذ إلا أمره سبحانه وتعالى.

6- قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ إِيْمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: 143]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ يَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحج: 65].

ورد هذا التعبير في موضعين من القرآن الكريم وفي سياقين مختلفين ولكنهما يشتركان في كون محل الامتنان واحد وهم الناس؛ ففي الآية الأولى يمتن سبحانه على عباده بتشريعه المحكم والعادل فلا يُضَيِّع لهم عملا عملوه بغير ما اكتسبوا من ذنب.

¹ - صحيح مسلم: 4 / 2162، مسند أحمد: 20 / 378، ابن أبي شيبة (أبو بكر عبد الله بن محمد)، المصنف، تح: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد: الرياض، ط: 1، 1409هـ - 1989م: 7 / 87.

² - صحيح مسلم: 1 / 163، مسند أحمد: 17 / 265 - 267، سنن ابن ماجه: 1 / 67، أبو عيسى الترمذي، سنن الترمذي: 4 / 687، 688.

فقد ثبت في الصحيح عن البراء بن عازب رضي الله عنه: { أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَأَنَّهُ صَلَّى أَوْ صَلَّاهَا صَلَاةَ الْعَصْرِ وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ صَلَّى مَعَهُ فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ الْمَسْجِدِ وَهُمْ رَاكِعُونَ، قَالَ: "أَشْهَدُ بِاللَّهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِبَلَ مَكَّةَ"، فَدَارُوا كَمَا هُمْ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَكَانَ الَّذِي مَاتَ عَلَى الْقِبْلَةِ قَبْلَ أَنْ تُحَوَّلَ قِبَلَ الْبَيْتِ رَجُلًا فُتِلُوا، لَمْ نَذِرْ مَا نَقُولُ فِيهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾¹.

وفي الآية الأخرى يمتن سبحانه وتعالى على الناس بنعمه الكونية بتسخيره لهم ما في الأرض جميعا منه، وتسخيره الفلك تجري في البحر بأمره وإمساك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه؛ فنعم الله عز وجل الشرعية والكونية كلها منصبة على الناس انصبا، ولكن أكثر الناس لا يشكرون، ولأجل هذا المعنى كله فصل بين المسند والمسند إليه بالجار والمجرور.

7- قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ [يونس: 92]؛ لاشك أن إبقاء جسد فرعون كما هو بعد إهلاكه من أعظم الآيات التي لا يغفل عنها إلا من ختم الله على قلبه، ثم إن هذه الآية قد جاءت بعد ذكر قصة موسى - عليه السلام - مع فرعون الحافلة بالآيات المفصلات؛ كآية العصا والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص الثمرات والسنين وانفلاق البحر؛ فسياق الكلام إذن عن غفلة الناس عن آيات الله عز وجل دون غيرها من أنواع الغفلة، ولأجل ذلك كله فصل بين اسم إن وخبرها بالجار والمجرور لإفادة معنى الحصر الذي اقتضاه السياق.

8- قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ [الروم: 8]

سياق الكلام عن الآخرة ولقاء الله عز وجل بدليل قوله تعالى قبل هذه الآية: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾؛ فالكفر المقصود هنا هو إنكار البعث والإعراض عن الآخرة، ولأجل هذا فصل بين اسم "إن" وخبرها بالجار والمجرور.

9- قوله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاجِدُونَ (77) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 77-78].

¹ - صحيح البخاري: 21 / 6، سنن ابن ماجه: 322 / 1، سنن الترمذي: 208 / 5، أبو داود (سليمان بن الأشعث السجستاني)، سنن أبي داود، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية: صيدا- بيروت: 220 / 4.

من المعلوم أنه لما تولى يوسف - عليه السلام - زمام الأمور في مصر انتشر الإسلام فيها بفضل الله ثم بفضل شخصيته القوية الجلييلة، ثم لم يلبث زمن يسير حتى انتقلت السلطة والنفوذ إلى بني إسرائيل في مصر وظلت سلطتهم مهيمنة على القطر المصري نحواً من أربعة قرون، والإسلام بريء من هذه القومية سواء المصرية أو الإسرائيلية، ولكن شياطين الإنس والجن استغلت العواطف الوطنية والقومية للمصريين ما جعلهم يتعصبون على الإسرائيليين، وانتهى الأمر إلى إلغاء سلطتهم بالكامل، ثم عاد الحكم من جديد إلى الأسر المصرية التي أحييت تقاليد الجاهلية وحاولت محو كل أثر من آثار العهد اليوسفي.

فلما بعث الله عز وجل إليهم موسى وهارون - عليهما السلام - خافوا على سلطتهم أن تنتقل من جديد إلى الإسرائيليين؛ فأخذتهم العزة بالإثم واستكبروا عن دعوة الحق لأجل أن الداعي إليها من الجنس الإسرائيلي وليس من الجنس المصري، وما نعموا إلا أن آتاهم الله من فضله، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، يقول تعالى ناقلاً خطاب المؤمن المصري الذي انشق عن آل فرعون: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾ [غافر: 34].

ويقول أبو الأعلى المودودي (ت 1399هـ) في كتابه "المصطلحات الأربعة في القرآن الكريم": «والظاهر أنه لم يكن قام النزاع ونشأ الأخذ والرد بينهم وبين نبيهم موسى - عليه السلام - حين أنذرهم عذاب الله ونهبهم على سوء مآل ما كانوا يفترون، إلا لأنهم قد كان في قلوبهم ولاشك بقية من أثر عظمة الله تعالى وجلاله وهيبته ولكن حكامهم الوطنيين لما أنذروهم بخطر الانقلاب السياسي العظيم، وحذروهم عاقبة اتباعهم لموسى وهارون، وهي عودة غلبة الإسرائيليين على أبناء مصر، قست قلوبهم واتفقوا جميعاً على مقاومة النبيين»¹.

ومن هذا نفهم أن تقدم شبه الحملة من الجار والمجرور التي تعود على موسى وهارون - عليهما السلام - فيه لفظة لطيفة لسبب كفر آل فرعون؛ وهو مجيء الدعوة بواسطة موسى وهارون الإسرائيليين؛ وهو ما يُنذر بعودة الحكم والسلطة إلى العنصر الإسرائيلي وهذا ما ياباه آل فرعون.

10- قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ [يونس: 108].

الخطاب في هذه الآية موجه للناس وليس للنبي عليه الصلاة والسلام، ولأجل هذا قدم ما يعود عليهم وهي شبه الحملة المؤلفة من الجار والمجرور، يقول ابن عطية في تفسيره: «هذه مخاطبة لجميع الكفار مستمرة مدى الدهر، والحق هو القرآن والشرع الذي جاء به محمد، "فَمَنِ اهْتَدَى" أي اتبع الحق وتدين به فإنما

¹ - أبو الأعلى المودودي، المصطلحات الأربعة في القرآن الكريم، دار القلم: الكويت، ط: 5، 1391هـ - 1971م: 66.

يسعى لنفسه لأنه يوجب لها رحمة الله، ويدفع عذابه، "وَمَنْ ضَلَّ"؛ أي حاد عن طريق الحق ولم ينظر بعين الحقيقة وكفر بالله عز وجل؛ فيضل عليها¹.

11- قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةً آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْعُغْيِ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: 146]، جاءت هذه الآية عقب الحديث عن الآيات العظيمة التي أبتلي بها آل فرعون فاستكبروا عنها وكانوا عنها غافلين؛ وذلك بدءاً من الآية 103 حتى الآية 147، فسياق الكلام كما هو واضح عن آيات الله عز وجل الشرعية والكونية؛ ولأجل هذا قدم الجار والمجرور لإفادة معنى الحصر؛ فهؤلاء المتكبرون في هذا المقام هم غافلون عن آيات الله عز وجل دون غيرها.

12- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: 146].

لما كان أكثر شيء وأعظم شيء يغفل عنه بنو آدم - وقد علمه الله عز وجل بعلمه الأزلي - هو توحيد الله عز وجل بألوهيته قدم الجار والمجرور المتعلق بهذا الميثاق تنبيها للناس على ذلك.

وقد دلت على هذا الأمر أدلة كثيرة من الكتاب والسنة؛ منها قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: 106]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: 103]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ [الروم: 42]، وقوله تعالى في سورة النمل: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى أَلِلَّهُ خَيْرٌ أَمَّْا يُشْرِكُونَ (59) أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَوَلَمْ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (60) أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَوَلَمْ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (61) أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (62) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (63) أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل: 59-64].

فأكثر الناس يقرون لله عز وجل بأفراد الربوبية من الخلق والرزق والتدبير لكنهم غافلون عن توحيد الألوهية فيجعلون له أندادا يعبدونهم معه، والأدلة من السنة النبوية كثيرة كذلك منها؛ قوله عليه الصلاة والسلام: {يُقَالُ لِلرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: "أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ

¹ - ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/ 147.

مُفْتَدِيًا بِهِ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: "نَعَمْ"، قَالَ: فَيَقُولُ: "قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ ذَلِكَ، قَدْ أَخَذْتُ عَلَيْكَ فِي ظَهْرِ آدَمَ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا، فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ".¹

وقال عليه الصلاة والسلام مفسرا آية الأعراف السابق ذكرها: { أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ بِنِعْمَانَ - يَعْنِي عَرَفَةَ - فَأَخْرَجَ مِنْ صُلْبِهِ كُلَّ ذُرِّيَّةٍ ذَرَأَاهَا، فَشَرَّهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالدَّرِّ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ قَبِيلًا: "قَالَ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾".²

وقال أيضا متحدثا عن الفطرة السوية التي يُولد عليها الإنسان ثم تُبدل: {مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بِهَيْمَةٍ جَمْعَاءَ، هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟}، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾³، وقال أيضا: {إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ بِمَا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، وَأَنَّهُ قَالَ: "إِنَّ كُلَّ مَالٍ نَخَلْتُ عِبَادِي فَهُوَ لَهُمْ حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي كُلَّهُمْ خُنَفَاءَ، فَأَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أُخَلَّلْتُ، وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا}؛⁴ إن هذه الكثرة الكثيرة من الآيات والأحاديث لتدل بحق على أن الناس عن هذا الميثاق وهذا العهد لغافلون.

يقول سيد قطب في تفسيره متحدثا عن هذه الآية: «الآن في هذا الدرس تُعرض قضية التوحيد من زاوية جديدة، وزاوية عميقة.. تعرض من زاوية الفطرة التي فطر الله عليها البشر وأخذ بها عليهم الميثاق في ذات أنفسهم، وذات تكوينهم وهم بعد في عالم الذر! ...

إن الاعتراف بربوبية الله وحده فطرة في الكيان البشري؛ فطرة أودعها الخالق في هذه الكينونة وشهدت بها على نفسها بحكم وجودها ذاته، وحكم ما تستشعره في أعماقها من هذه الحقيقة. أما الرسائل فتذكير وتحذير لمن ينحرفون عن فطرتهم الأولى فيحتاجون إلى التذكير والتحذير... إن التوحيد ميثاق معقود بين فطرة البشر وخالق البشر منذ كينونتهم الأولى، فلا حجة لهم في نقض الميثاق - حتى لو لم يبعث إليهم بالرسول يذكرهم ويحذروهم - ولكن رحمته وحدها اقتضت ألا يكلهم إلى فطرتهم هذه فقد تنحرف، وألا

¹ - صحيح البخاري: 4 / 133، مسند أحمد: 19 / 302، البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين)، القضاء والقدر، مكتبة العبيكان: الرياض، ط: 1، 1420هـ - 2000م، ص: 140.

² - مسند أحمد: 4 / 267، الحاكم (أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري)، المستدرک علی الصحیحین، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: 1، 1411هـ - 1990م: 2 / 593.

³ - مالك بن أنس الأصبحي، الموطأ، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي: بيروت، 1406هـ - 1986م، (د، ط): 241.

⁴ - صحيح البخاري: 2 / 94، صحيح ابن حبان: 1 / 336، مسند أحمد: 12 / 104، سنن أبي داود: 4 / 229.

يكلهم كذلك إلى عقولهم التي أعطاها لهم فقد تضل، وأن يبعث إليهم رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل! ومن هذه الزاوية، التي تعرض منها قضية التوحيد في هذا الدرس، يتخذ السياق خطوطاً شتى حول هذه القضية الكبرى.

منها خط قصصي عن حالة ترد بعض الروايات بأنها وقعت في تاريخ بني إسرائيل.. ولكن الأرجح أنها نموذج غير مقيد بزمان ولا مكان، إنما هو تصوير لحالة مكررة في النفوس والتاريخ. كلما أوتي بعض الناس نصيباً من العلم كان خليقاً أن يقوده إلى الحق والهدى، فإذا هو ينسلخ مما أوتي من العلم، فلا ينتفع به شيئاً، ويسير في طريق الضلالة كمن لم يؤتوا من العلم شيئاً... ومنها خط قصصي آخر عن حالة تصويرية لخطوات انحراف الفطرة من التوحيد إلى الشرك.. ممثلة في زوجين من البشر، يرجوان الخير في الجنين القادم لهما؟ وتتجه فطرتهما إلى الله ربهما، ويقطعان لله العهود لئن آتاها خلفاً صالحاً ليكونن من الشاكرين.. ثم تزيغ قلوبهما بعد أن يستجيب الله لهما، فإذا هما يجعلان لله شركاء فيما آتاها!

ومنها خط تصويري لتعطل أجهزة الاستقبال الفطرية في الكينونة البشرية، حتى تنتهي إلى الضلال الذي يهبط بالبشر عن مرتبة الأنعام، ويجعلهم وقوداً لجهنم عن جدارة واستحقاق.. فتكون لهم قلوب لا يفقهون بها، وتكون لهم أعين لا يبصرون بها، وتكون لهم آذان لا يسمعون بها.. ويكون وراء ذلك الضلال الذي لا رجعة منه ولا مآب! ومنها خط إيجائي لاستجاشة هذه الأجهزة المعطلة، وإيقاظها للتدبر والتفكير، وتوجيهها إلى ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء، ولمسها بالأجل المغيب الذي يكمن وراءه الموت، ودعوتها إلى النظر في حال هذا الرسول الكريم الذي يدعو إلى الهدى، فيرميه الضالون بالجنون!

ومنها خط جدلي حول آلهتهم المدعاة، وهي مجردة من خصائص الألوهية، بل من خصائص الحياة! وينتهي هذا كله بتوجيه الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى تحديهم وتحدي آلهتهم، وإعلان مفاصلته ومفارقته لهم ولمعبوداتهم وعبادتهم، والالتجاء إلى الولي الذي لا ولي غيره: «الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ».

ولقد كانت نهاية الدرس السابق في قصة بني إسرائيل هي مشهد الميثاق الذي أخذه الله عليهم في ظل الجبل المرفوع، فهذا الدرس الجديد يتابعه فيبدأ بقضية الميثاق الأكبر الذي أخذه الله على فطرة البشر في مشهد لا يدانيه في الجلال والروعة مشهد الجبل المرفوع!؛ «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ - مِنْ ظُهُورِهِمْ - ذُرِّيَّتَهُمْ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى شَهِدْنَا! أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا: إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ؟ .. وَكَذَلِكَ نَقُصُّ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» ...

إنها قضية الفطرة والعقيدة يعرضها السياق القرآني في صورة مشهد - على طريقة القرآن الغالبة - وإنه مشهد فريد - ... مشهد الذرية المكنونة في عالم الغيب السحيق، المستكنة في ظهور بني آدم قبل أن تظهر إلى العالم المشهود، تؤخذ في قبضة الخالق المربي فيسألها: «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟» ... فتعترف له - سبحانه - بالربوبية وتقر له - سبحانه - بالعبودية وتشهد له - سبحانه - بالوحدانية، وهي منشورة كالذر مجموعة في قبضة الخالق العظيم! ¹.

13- قوله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ [الأنفال: 5] الخطاب في بداية هذه السورة موجه للمؤمنين بدءاً من الآية 1 إلى الآية 29؛ فناسب ذلك تقديم ما يعود على المؤمنين على الخبر لإفادة معنى الحصر.

14- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (14) ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (15) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ (16) وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ [المؤمنون: 12 - 17].

سياق الكلام في هذه الآيات كما هو واضح عن المراحل التي يمر بها خلق الإنسان من لحظة كونه نطفة في قرار مكين مروراً بتكوينه في بطن أمه خلقاً من بعد خلق مروراً بكونه بشراً سوياً، ثم موته، ثم بعثه يوم القيامة؛ فلما كان الكلام عن هذه المراحل الزمنية قدم الظرف ليفصل بين اسم "إن" وخبرها. وقد أفادت "ثم" في الآيتين الأخيرتين إضافة إلى معنى التراخي الزمني التراخي الرتبي تذكيراً بالموت والبعث الذي ينكره كثير من الخلق ويغفل عنه الأكثر.

يقول الطاهر بن عاشور في تفسيره: «قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (15) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ (16) وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾؛ إذماج في أثناء تعداد الدلائل على تفرّد الله بالخلق على اختلاف أصناف المخلوقات لقصد إبطال الشرك. و"ثم" للترتيب الربوبي؛ لأن أهمية التذكير بالموت في هذا المقام أقوى من أهمية ذكر الخلق؛ لأن الإخبار عن موتهم توطئة للجُملة بعده وهي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ وهو المقصود. فهو كقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: 2]، وهذه الجُملة لها حكم الجُملة الابتدائية وهي مُعَرِّضَةٌ بَيْنَ الَّتِي قَبْلَهَا وَبَيْنَ جُمْلَةٍ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ [المؤمنون: 17].

ولكون "ثم" لم تُعدْ مُهَلَّةً فِي الزَّمَانِ هُنَا صَرَّحَ بِالْمُهَلَّةِ فِي قَوْلِهِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَالْإِشَارَةُ إِلَى الْخَلْقِ الْمُبَيَّنِ آتِئًا؛ أَيَّ بَعْدَ ذَلِكَ التَّكْوِينِ الْعَجِيبِ وَالنَّمَاءِ الْمُحْكَمِ أَنْتُمْ صَائِرُونَ إِلَى الْمَوْتِ الَّذِي هُوَ تَعْطِيلُ أَثَرِ ذَلِكَ

¹ - سيد قطب، في ظلال القرآن: 3 / 1391 - 1393.

الإنشاء ثم مصيره إلى الفساد والإضمحلال، وأكد هذا الخبر ب (إِنَّ) وَاللَّامَ مَعَ كَوْفِهِمْ لَا يَرْتَابُونَ فِيهِ؛ لِأَنَّهُمْ لَمَّا أَعْرَضُوا عَنِ التَّدِيرِ فِيمَا بَعْدَ هَذِهِ الْحَيَاةِ كَانُوا بِمَنْزِلَةِ مَنْ يُنْكِرُونَ أَنَّهُمْ يَمُوتُونَ».¹

أما قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ [المؤمنون: 17]؛ فهو في سياق الحديث عن الخلق بدءاً من الآية 12 إلى الآية 22، ولأجل هذا قدم ما يتعلق بالخلق على المسند؛ يقول سيد قطب في تفسيره: «إن السياق يمضي في استعراض هذه الدلائل، وهو يربط بينها جميعاً؛ يربط بينها بوصفها من دلائل القدرة ويربط بينها كذلك بوصفها من دلائل التدبير فهي متناسقة في تكوينها، متناسقة في وظائفها، متناسقة في اتجاهها، كلها محكومة بناموس واحد وكلها تتعاون في وظائفها وكلها محسوب فيها لهذا الإنسان الذي كرمه الله حساب، ومن ثم يربط بين هذه المشاهد الكونية وبين أطوار النشأة الإنسانية في سياق السورة».²

¹ - الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير: 18 / 25، 26.

² - سيد قطب، في ظلال القرآن: 4 / 2460، 2461.

2- الفصل بين المبتدأ والخبر بالحال:

1- قوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 1، 2]

اختلف النحاة والمفسرون في إعراب قوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ تبعاً لاختلافهم في إعراب الآية، وقد نقل العكبري هذا الاختلاف ولم يرجح وجهاً؛ فقليل: إنّ "ذلك": في موضع رفع خبر "ألم"، و"الكتاب": عطف بيان و"لا ريب" في موضع نصب حال، ويجوز - حسب رأيهم - أن يكون "الكتاب" عطف بيان، و"لا ريب فيه" الخبر، ويجوز أيضاً أن يكون "الكتاب" بدلاً من اسم الإشارة، أما "هدى" فاختُلف في إعرابها تبعاً لذلك؛ فهي إما فاعل بـ "فيه" الذي يتعلق بفعل محذوف، وإما أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي: "هو هدى"، وإما أن يكون خبراً بعد خبر.¹

وقد رجح محي الدين درويش (ت 1403هـ) أن يكون "الكتاب" خبراً لاسم الإشارة على أن يكون بدلاً؛ لأنه قصد به الإخبار بأنه الكتاب المقدس المستحق لهذا الاسم تدعيماً للتحدي، لكنه لم يرجح إعراب قوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، فأجاز أن تكون خبراً لاسم الإشارة أو حالاً من الكتاب،² أما الدعاس فقد رجح كونها خبراً.³

والواضح أن للآية وقفان؛ وقف على "لا ريب" ووقف على "فيه"، وبالتالي فإن الإعراب سيختلف باختلاف الوقف لاختلاف المعنى، ففي الوقف على "ريب" يكون المعنى: "ذلك الكتاب لا ريب؛ أي: ذلك الكتاب حقاً؛ ف"ذلك": اسم إشارة في محل رفع مبتدأ، و"الكتاب": خبر مرفوع، وجملة "لا ريب" في محل نصب مصدر مؤكّد، و"فيه": جار ومجرور متعلق بخبر محذوف، و"هدى": مبتدأ مؤخر مرفوع.

وبالوقف على "فيه" يكون للجملة في نظرنا إعرابان؛ الإعراب الأول "ذلك": اسم إشارة في محل رفع مبتدأ، "الكتاب": بدل من اسم الإشارة، "لا ريب فيه": جملة اسمية في محل رفع خبر، "هدى": خبر ثان للمبتدأ الأول، والإعراب الثاني: أن يكون "الكتاب" خبراً لاسم الإشارة وجملة "لا ريب فيه" في محل نصب حال، و"هدى": خبر ثان.

فالإعراب يختلف باختلاف تلقي المخاطب له؛ فالإعراب الأول على الوقف الأول والإعراب الأول على الوقف الثاني يصلح للمخاطب خالي الذهن عن معرفة هذا الكتاب، أو من يكاد يكون كذلك، أو من لا يؤمن به، أو من هو في شك منه، أو من لم يستقر الإيمان بعد في قلبه؛ لأن الغاية من الكلام الإخبار بأن هذا الكتاب لا ريب فيه، ثم إن فيه هدى للمتقين. أما الإعراب الثاني على الوقف الثاني

¹ - ينظر: العكبري، التبيان: 15 / 16.

² - ينظر: محي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه: 23 / 1.

³ - ينظر: أحمد الدعاس وآخرون، إعراب القرآن: 9 / 1.

فيصلح للمخاطب المؤمن بأن هذا الكتاب لا ريب فيه؛ فجملة "لا ريب فيه" مقيدة للحكم، وبؤرة الكلام- إن صح هذا التعبير- تكمن في هذه الحالة في قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾، والله أعلم.

2- قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: 73]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: 29].

نقل بعض النحاة والمفسرين كالسمين الحلبي وعبد الخالق عزيمة (ت1404هـ) القول بإعراب قوله تعالى: ﴿بِيَدِ اللَّهِ﴾ في محل نصب على الحال اللازمة؛¹ لأن كون الفضل بيد الله تعالى لا يتحول البتة.

والجمهور على إعرابها في محل رفع خبر، والحقيقة أن لكل من الوجهين متلقيا خاصا؛ فالذي يؤمن بأن الفضل بيد الله سواء كان مسلما أم كافرا، فالجملة "بيد الله" بالنسبة إليه مقيدة للحكم الذي تتضمنه الآية وبالتالي فهي حال لازمة، وبؤرة الاهتمام الرئيسية في الآية هي قوله تعالى: ﴿يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾؛ ف"يؤتيه" في محل رفع الخبر. أما من لا يؤمن بأن الفضل بيد الله عز وجل من الملحدون وأشباههم من الجهلة - وهم قلة على كل حال - فجملة "بيد الله" بالنسبة إليه حكم جديد ورئيسي في الآية فهي خبر أول و"يؤتيه" خبر ثاني.

¹ - ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون: 260 / 10، عزيمة (محمد عبد الخالق)، دراسات لأسلوب القرآن، دار الحديث: القاهرة، 1425هـ - 2004م، (د، ط): 38 / 2.

ب- الفصل غير المطرد:

1- الفصل بين الصفة والموصوف:

مما ورد من هذا الفصل في القرآن الكريم ما يلي:

1- قوله تعالى: ﴿ وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ [الأعراف: 137]، يرى تمام حسان أن تركيب الكلام: "مَشَارِقَ الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَمَغَارِبَهَا"، ففصل بين الصفة والموصوف بالمعطوف؛¹ وهذا الوجه قد ضعفه العكبري وتبعه في ذلك جمهور النحاة والمفسرين، وذلك لضعف الفصل بين الصفة والموصوف وهو كقولنا: "قام غلام هند وزيد العاقلة".²

والراجع - فيما نرى - رأي الجمهور؛ لأن الأصل في الكلام الفصيح - والقرآن من باب أولى - أن لا يُفصل بين المتلازمين كالصفة والموصوف إلا لدليل، ولا دليل على هذا الفصل طالما أن ظاهر الكلام يفهم منه نعت المشارق والمغارب بصفة البركة. ويبدو أن تمام حسان قد نحا هذا المنحى متأثراً بالأدلة القرآنية والنبوية التي تدل على بركة أرض الشام؛ كقوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: 1]، وكقوله تعالى عن إبراهيم ولوط عليهما السلام: ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: 71]، وقوله تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴾ [الأنبياء: 81].

وقد روي عن النبي - عليه الصلاة والسلام - وأصحابه أحاديث كثيرة في فضل الشام؛ منها ما رواه الحاكم (ت 405هـ) وصححه عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: «يأتي على الناس زمان لا يبقى فيه مؤمن إلا لحق الشام»³ وجاء من حديث أحمد (ت 241هـ) والترمذي (ت 279هـ) والحاكم وغيرهم عن زيد بن ثابت - رضي الله عنه - أنه عليه الصلاة والسلام قال: { طُوبَى لِلشَّامِ، طُوبَى لِلشَّامِ، قُلْتُ: "مَا بَالُ الشَّامِ؟" قَالَ: "الْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَجْنِحَتِهَا عَلَى الشَّامِ" }.⁴

¹ - ينظر: تمام حسان، البيان في روائع القرآن: 177.

² - ينظر: العكبري، التبيان: 1/ 591.

³ - هكذا ذكر الألوسي، ولم أجده في "مستدرک" الحاكم ولا في "معرفه علوم الحديث" له، فعله وجده في غير هذين الكتابين، ينظر: الألوسي، روح المعاني: 5/ 37.

⁴ - مسند أحمد: 35/ 483، سنن الترمذي: 5/ 734، صحيح ابن حبان: 16/ 293، الحاكم، المستدرک: 2/ 249.

وروى أبو الحسن الربيعي (ت444هـ) في فضائل الشام ودمشق عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه عليه الصلاة والسلام قال: { لا تزال عصاة من أمتي يقاتلون على أبواب دمشق وما حولها وعلى أبواب بيت المقدس لا يضرهم خذلان من خذلهم ظاهرين على الحق إلى أن تقوم الساعة }¹.
فيبدو أن تمام حسان قد تأول "مشارك الأرض" في الآية بالشام و"مغارها" بمصر، ولأجل ذلك ذهب إلى ما ذهب إليه، ولا تثريب عليه في ذلك، وجمعا بين الآيات القرآنية والأحاديث النبوية يبدو أن المراد من هذا السياق: "مشارك الشام ومغارها التي باركنا فيها".

2- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ: 3].
قرأ نافع وابن عامر والجدري (ت231هـ) "عالم" بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي: "هو عالم"، وجوز بعضهم أن يكون مبتدأ خبره محذوف أي: "عالم الغيب هو"، وجوز بعضهم أن يكون مبتدأ والجملة بعده خبر.²

أما الجمهور فقراءتهم بالجر على أنه صفة أو عطف بيان أو بدل،³ والراجح في رأينا كونه بدلا لشدة التلازم بين الصفة والموصوف فلا يُفصل بينهما إلا لضرورة.
والحقيقة أن الفصل هنا بين البدل والمبدل منه قد جاء في أحسن موضع يمكن أن يأتي فيه، وذلك لسببين: أحدهما صناعي والآخر معنوي؛ أما الصناعي فهو تعلق البدل بما بعده من تفصيل فلا يحسن به وهذه الحال إلا التأخر.

وأما المعنوي فالملاحظ أن سياق الكلام من أول السورة إلى الآية التاسعة هو في الرد على المكذبين بالبعث والآخرة وتفنيد أقوالهم بالحجج والبراهين، ومعلوم أنه في هذا المقام إنما يحسن إثبات ما ينفيه الخصم أولا ثم البرهنة على ذلك بما يناسبه من الحجج والبراهين، ولهذا أثبت سبحانه وتعالى لهؤلاء المكذبين حتمية مجيء الساعة بالقسم واللام المؤكدة ونون التوكيد الثقيلة، ثم برهن على ذلك بما يناسبه من صفات ربوبيته من العلم والقدرة والإحاطة بكل شيء وإثابة الطائعين ومعاقبة الجرمين وشهادة أهل الحق على صدق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى بعد الآية السابقة مباشرة: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (4) وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ (5) وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ

¹ - الربيعي (أبو الحسن علي بن محمد)، فضائل الشام ودمشق، تح: صلاح الدين المنجد، مطبوعات الجمع العلمي العربي بدمشق، ط: 1، 1370هـ - 1950م: 76

² - ينظر: العكبري، التبيان: 2/ 1062، ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 405، الألوسي، روح المعاني: 11/ 280.

³ - ينظر: الشوكاني، فتح القدير: 4/ 358.

الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (6) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُرِّقْتُمْ كُلَّ مُمْرِقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (7) أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ (8) أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ نَشْأَ نَحْسِفَ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (9) [سبأ: 4-9].

3- قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: 158].

فصل الفاعل هنا بين المفعول وصفته وهو فصل ضروري لطول الصفة، ومن المعلوم أنه لا يحسن في العموم تأخير العمدة لأجل أحد المخصصات في اختيار الكلام، فكيف والصفة بهذا التفصيل!

4- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: 101].

خرجت هذه الآية عدة تخريجات منها: أن تكون "من" الثانية متعلقة بالأولى فيكون المجرورين مشتركين في الإخبار عن المبتدأ وهو: "منافقون"؛ فالتقدير: "وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مُنَافِقُونَ"، فتكون الجملة "مردوا على النفاق" مستأنفة لا محل لها من الإعراب، ومن قال بهذا التخرج الألوسي في تفسيره.¹

وقيل إن "من" تبعيضية وهي مؤذنة بمبعض محذوف تقديره: "جماعة" أو "قوم" أي: "ومن أهل المدينة جماعة أو قوم"، كما في قوله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: 46]، ويجوز أن يكون المحذوف "من" الموصولة كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ [الصفات: 164]، وعلى هذا يكون الوقف عند قوله تعالى: ﴿مُنَافِقُونَ﴾ ويكون قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾ خبراً مقدماً، والمبتدأ بعده محذوف قامت صفته مقامه، وحذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه وهي جملة مطرد مع "من" التبعيضية وهو من عطف الجمل، ومنه قول سحيم بن وثيل اليربوعي على أحد التأويلات فيه "من الوافر":

¹ - ينظر: الألوسي، روح المعاني: 6/ 11.

أنا ابنُ جَلَا وطلَّاعُ الشَّيَا ** متى أضع العمامة تعرفوني¹

أي: "أنا ابنُ رجل جلا".

ومن قال بهذا ابن الأنباري والطاهر بن عاشور وجوزة الزمخشري.²

وجوز بعضهم أن يكون المعطوف على الخبر المقدم وهو قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾ قد فصل بين المبتدأ المؤخر: "منافقون" وبين صفته "مردوا على النفاق"؛ قال بذلك الزجاج وتبعه الزمخشري والعكبري وتما حسن، واستبعده أبو حيان لما فيه من الفصل بين الموصوف وصفته.³

وقد اعتذر تمام حسن لهذا القول بأنه لو اتصل الخبر المقدم بالمعطوف فقول: "وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مُنَافِقُونَ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ"؛ لأمكن للسامع أن يتوهم أن أهل المدينة داخلون في مفهوم "حولكم" وأنهم في هذه الظرفية مثل الأعراب، وواضح أن أهل المدينة بينهم وليسوا حولهم لأنهم يسكنونهم ويخالطونهم.⁴

والذي يبدو لنا رجحانه من هذه الأقوال هو القول الثاني؛ لأن الذين مردوا على النفاق ومهره وخبره وأتقنوه حتى خفي أمرهم على النبي - صلى الله عليه وسلم - مع رجاحة عقله وسداد فكره، وعلى أصحاب الفراسة من أصحابه هم جماعة من أهل المدينة، وقد اقتضى تواجدهم بالمدينة ومخالطتهم للنبي - عليه الصلاة والسلام - وأصحابه أن يسعوا للاتصاف بهذه الصفة حتى لا ينكشف أمرهم، فتضيع مصالحهم التي لا تتم لهم إلا بالاحتكاك بالجمتمع المسلم، أما الأعراب الذين هم خارج المدينة فليسوا بحاجة إلى أن يتصفوا بهذه الصفة؛ لأنه لا تربطهم بالمسلمين كثرة المصالح.

5- قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: 10].

اختلف المعربون في إعراب "شك" على قولين: أحدهما: أنه مبتدأ وخبره الجار والمجرور، والثاني: أنه فاعل بالجار قبله وذلك لاعتماده على الاستفهام. والذي يبدو لنا أن المتعين في هذا المقام هو القول الثاني؛ لأنه يلزم من القول الأول الفصل بين الصفة والموصوف بأجنبي وهو المبتدأ خلافاً للقول الثاني فإن الفاصل ليس أجنبياً؛ فالفاعل كالجزم من رافعه؛ ويدل على ذلك تجويز النحاة نحو: «ما رأيت رجلاً أحسن في عينيه

¹ - "جلا": في الأصل فعل ماضي سُمِّيَ به كما سُمِّيَ بـ "يزيد" و"يحمد"، و"ابن جلا" كناية على أنه شجاع، "الشَّيَا": جمع "شَيْبَة" وهي الطريق في الجبل، ينظر: سيبويه، كتاب سيبويه: 207/3، البغدادي، خزانة الأدب: 255/1، الأشموني، شرح الألفية: 159/3، محمد فليح الجبوري، شعر سحيم بن وثيل: دراسة موضوعية فنية، مقال منشور بمجلة كلية التربية: جامعة المثنى: السماوة - العراق، العدد: 6، 1427هـ - 2007م، ص: 145.

² - ينظر: الرازي، تفسير الرازي: 130/16، الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير: 20/11، الزمخشري، الكشاف: 305/2.

³ - ينظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 467/2، الزمخشري، الكشاف: 305/2، العكبري، التبيان: 657/2، أبو حيان، البحر المحيط: 486/5، تمام حسن، البيان في روائع القرآن: 178.

⁴ - ينظر: تمام حسن، البيان في روائع القرآن: 178.

الكحلُّ منه في عين زيد»، بنصب "أحسن" صفة ورفع "الكحل" فاعلا بأفعل، فلم يضر الفصل به بين "أفعل" وبين "من" لكونه كالجزء من العامل فيه، وبالمقابل لم يميزوا رفع "أحسن" خبرا مقدما و"الكحل" مبتدأ مؤخرًا لئلا يلزم الفصل بين "أفعل" و"من" بالأجنبي.

وقرأ عامة القراء "فاطر" بالجر على النعت أو البدلية، واستبعد بعضهم البدلية ورجحوا كونه عطف بيان لأن الإبدال بالمشتقات يقل.¹

وكما هو واضح فإن الآية قد جاءت في سياق الرد على تشكيك الكفار في صدق الرسالة؛ ولأجل هذا قُدم الفاعل على الصفة لكون الكلام متوجها إليه.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن مقام المحاججة والرد على الخصوم يستدعي أولا نفي الشبهة التي يلقيها الخصم، ثم تفنيدها بما يناسبها من الحجج والبراهين؛ فقد نفت الرسل أولا الشك في صدق وعد الله سبحانه وتعالى، ثم أردفت ذلك بالحجج والبراهين القاطعة من صفات ربوبية الله عز وجل وصفات ألوهيته. قال تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَثُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (10) قَالَتْ هُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (11) وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنْصَبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [إبراهيم: 10-12].

ومن جهة التركيب اللغوي فإن الفصل بين العامل والفاعل في قولنا - مثلا - : « أَفِي اللَّهِ فَاطِرِ السماوات والأرض شَكٌّ » يضعف ما بينهما من رابطة ويجعل التركيب قلقلًا.²

¹ - ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون: 74 / 7.

² - ينظر: تمام حسان، البيان في روائع القرآن: 179.

2- الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه:

مما ورد من ذلك في القرآن الكريم ما يلي:

1- قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [هود: 60]

فُصل في هذه الآية بين المتعاطفين بالمفعول به "لعنة"، وقد أجاز الفارسي أن يكون "يوم القيامة" عطفاً على محل "هذه"؛ لأن قوله: "في هذه" جار ومجرور متعلقان بـ "اتَّبِعُوا" فهو في محل النصب، ولا مانع من عطف الزمان على الدنيا لأنها ظرف مكان فاشتركا في الظرفية.¹ وقرنت الدنيا باسم الإشارة "هذه" لقصد التهوين والتحقير بالنسبة إلى لعنة يوم القيامة؛² كما في قول قيس بن الخطيم "من الطويل":

متى يأت هذا الموت لا يُلفِ حاجةً ** لنفسي إلا قد قضيتُ قضاءها³

وعُبر بيوم القيامة بدل الآخرة هنا للتهويل الذي يقتضيه المقام،⁴ ولكن ما هو السر في الفصل في هذا السياق؟ من الواضح أن الكلام في هذا السياق هو عن الإهلاك والعذاب الدنيوي فاقتضى هذا المقام أن تقدم لعنة الدنيا على لعنة يوم القيامة، وهذا من الدقة العجيبة في التعبير وملاءمة المقال لمقتضى الحال التي لم نجد ولن نجد مثلها في كلام البشر.

قال تعالى في سياق الحديث عن إهلاك قوم هود عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ إِنِّي أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ (50) يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنِّي أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ (51) وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ (52) قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (53) إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (54) مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونَ (55) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَّتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (56) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ (57) وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (58) وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (59) وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ [هود: 50-60].

¹ - ينظر: محي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه: 4 / 382.

² - ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير: 12 / 106.

³ - قيس بن الخطيم، الديوان: 49.

⁴ - ينظر: الألوسي، روح المعاني: 6 / 285.

وليس قوم هود وحدهم الذين ذُكر إهلاكهم في الدنيا في هذه السورة، بل إن السياق العام للسورة بأكملها يتحدث عن العذاب الدنيوي الذي حل بأقوام الأنبياء، ولم يُذكر العذاب الأخروي لهؤلاء الأقوام إلا في آيات معدودات.

2- قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: 43].

نود الإشارة أولاً إلى أنه قد رُوي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وعلي بن أبي طالب (40هـ) وأبي بن كعب (21هـ) وابن عباس وعكرمة (105هـ) وابن جبير وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق (53هـ) والضحاك ويعقوب ابن أبي إسحاق الحضرمي ومجاهد (104هـ) ورؤيس (ت 283هـ) - رضي الله عنهم - أنهم قرأوا: { وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ } بكسر الميم والdal، وهي قراءة شاذة فوق العشر، ورُوي عن الحسن وابن السميع (ت 213هـ) والكسائي وغيرهم أنهم قرأوا: { وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ } بالبناء للمفعول.¹ ففصل بين المتعاطفين بالتمييز وشبه الجملة؛ والتقدير: "كَفَى بِاللَّهِ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ".

وعلى هذا فإن هذا الفصل قد أفاد فوائد جلية يمكن أن نحملها فيما يلي:

أ- عدم التسوية بين الله عز وجل وخلقه في مقام الشهادة وفي كل شيء، وبعض الكفار لا يكتفي بشهادة الله عز وجل فأرشدتهم سبحانه وتعالى رحمة منه وتفضلاً أن يسألوا علماء أهل الكتاب الصادقين منهم والمخلصين. ففي هذا التراخي اللفظي - إن صح التعبير - بين لفظ الجلالة وبين "مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ" إشارة بديعة إلى البعد بين مقامي الشهادتين؛ شهادة الحق عز وجل وشهادة الصالحين من عباده.

ب- تعليق الكفاية بالشهادة بالله عز وجل وحده دون من سواه؛ فالله هو وحده من يُكتفى بشهادته، أما الخلق فإن شهادتهم ناقصة ويفتقرون في أدائها لبعضهم بعضاً، ولا أدل على ذلك من أن الله عز وجل افترض لأداء الشهادة شاهدين مسلمين عدلين أو امرأتين ورجلٍ من المسلمين العدول.

ج- أترى هذا الفصل دلالة الآية إذ نستفيد منها بهذا الفصل ثلاثة معان؛ الأول وهو المعنى المشهور المتداول، والمعنيين الآخرين هما المرويان في القراءتين المشار إليهما آنفاً؛ وفيهما تكون الجملة الأخيرة وصفاً لله عز وجل، ولو كانت الآية بهذا التركيب - وحاشا لله أن تكون كذلك - : "قل كفى بالله ومن عنده علم الكتاب شهيداً بيني وبينكم" لفهمنا منه المعنى الأول فقط دون المعنيين الآخرين.

¹ - ينظر: الأشموني (أحمد بن عبد الكريم المصري)، منار الهدى في بيان الوقف والابتداء، تح: عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث: القاهرة، 1428هـ - 2008م، (د، ط): 383-384.

3- قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلًا فَخُورًا﴾ [النساء: 36].

فُصل بين المتعاطفين وهما: "الوالدين" و"ذو القربى" بالمصدر المنصوب على معنى الأمر، ولو تقدم المصدر فقيل: "واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وإحسانا بالوالدين..." لربما توهم السامع أنه معطوف على لفظ "شيئا"؛ أي لا تشركوا به شيئا ولا تشرك به إحسانا بالوالدين، فيصير الإحسان إلى الوالدين وباقي الأصناف المذكورة من الشرك بالله المنهي عنه. ولو تأخر المصدر المنصوب "إحسانا" عن قوله تعالى: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ لبعدت الشقة بين ركني الكلام، وضاع ما يحمله من معنى الأمر وضعفت الرابطة بينه وبين بقية الكلام.¹

وفي هذا الفصل إشارة إلى عدم التسوية بين الوالدين وبين بقية الأصناف الأخرى المذكورة في الإحسان، وكأن الإحسان إليهما إحسان من نوع خاص، فمن لم يؤد واجب الإحسان إليهما لا ينفعه الإحسان إلى الأصناف الأخرى، فعلى المسلم أن يُحسن إليهما أولا ثم يلتفت إلى البقية.

4- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَأُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا﴾ [النساء: 34].

اختلف العلماء من السلف في تفسير الآية على قولين؛ الأول: أنه لا يصح لأحد من المسلمين أن يقرب الصلاة وهو جنب إلا بعد الاغتسال إلا المسافر فإنه يتييم؛ لأن الماء غالبا ما يُعَدُّ في حالة السفر لا في حالة الحضر. وهذا القول مروى عن علي بن أبي طالب وابن عباس وابن جبير ومجاهد والحكم بن عتيبة (ت 115هـ) رضي الله عنهم. الثاني: أن المراد "لا تقربوا مواضع الصلاة وهي المساجد في حال الجنابة إلا أن تكونوا مجتازين من جانب إلى جانب"، وهو مروى عن ابن مسعود (ت 32هـ) وابن عباس وعكرمة وإبراهيم النخعي (ت 96هـ) وعمرو بن دينار (ت 126هـ) ومالك (ت 189هـ) والشافعي رضي الله عنهم.²

ومما يقوي القول الأول عدم التكلف في معنى قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾، ومما يقوي القول الثاني أن حكم التيمم يشترك فيه المسافر والمقيم إذا عُدَّ الماء.³

¹ - ينظر: تمام حسان، البيان في روائع القرآن: 179.

² - ينظر: الشوكاني، فتح القدير: 1/ 541.

³ - المصدر نفسه: 1/ 541.

ويبدو لنا من سياق الآية أن الراجح هو القول الثاني؛ لأنه قد جاء تفصيل حالة التيمم في الآية 43 من السورة ذاتها في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: 43].

وفي الآية الكريمة فصل بين المعطوف وغايته بالاستثناء؛ والتقدير: "لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ"¹، وقد أفاد هذا الفصل تخصيص الاستثناء بالحالة الثانية دون الأولى، فالذي يجوز له أن يقرب مواضع الصلاة هو عابر السبيل في حالة الجنابة، أما السكران فإنه لا يجوز له أن يقرب الصلاة ولا مواضعها على أية حال، ولو كان التركيب بدون هذا الفصل أي: "لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ" لتوهم السامع أن الاستثناء يخص الحالتين، فيجوز لعابر السبيل إذا كان سكرانا أن يقرب الصلاة ومواضعها وهذا ما ينافي المقصود من الآية.

¹ - ينظر: تمام حسان، البيان في روائع القرآن: 176، 177.

3- الفصل بين المضاف والمضاف إليه:

لم يرد هذا الفصل في القرآن الكريم إلا في قراءتين إحداهما متواترة والأخرى شاذة؛ أما المتواترة فهي قراءة ابن عامر: ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ لِيُرْذُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: 137]¹، فقد فُصل بين المضاف "قتل" وهو مصدر والمضاف إليه "شركائهم" بمفعول المصدر "أولادهم".

وأما الشاذة فهي قراءة بعض السلف: {فلا تحسبن الله مخلف وعده رسوله} [إبراهيم: 47] ففُصل بين المضاف "مخلف" وهو اسم فاعل والمضاف إليه: "رسله" بمفعول المضاف: "وعده".²

وأكثر العلماء يضعفون هاتين القراءتين؛ لأن التفريق بين المتضايفين لا يجوز إلا في الشعر، وأكثر ما يكون في الظروف لاتساعهم فيها، وهو في المفعول به في الشعر بعيد فإجازته في القرآن أبعد، ومما ورد من ذلك في الشعر قول ذي الرمة "من البسيط":

كَأَنَّ أَصْوَاتَ مَنْ إِيغَالِهِن بِنَا ** أَوَاخِرِ الْمَيْسِ أَصْوَاتُ الْقَرَارِيحِ³

ففصل بين المضاف وهو: "أصوات" والمضاف إليه وهو "أواخر" بشبه الجملة من الجار والمجرور، وقول الآخر "من مجزوء الكامل":

فَزَجَجْتُهَا مُتَمَكِّنًا ** زَجَّ - الْقُلُوصَ - أَبِي مَزَادَةَ⁴

أراد: "زج أبي مزادة القلوص"، والكوفيون يميزون هذا التفريق في اختيار الكلام.

وقد رد أبو حيان على من ضعف هذه القراءة مستدلاً بقول ابن جني: «إِذَا اتَّفَقَ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ نُظِرَ فِي حَالِ الْعَرَبِيِّ وَمَا جَاءَ بِهِ؛ فَإِنْ كَانَ فَصِيحًا وَكَانَ مَا أَوْرَدَهُ يَقْبَلُهُ الْقِيَاسُ فَلَاوُلَى أَنْ يُحْسَنَ بِهِ الظَّنُّ، لِأَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ وَقَعَ إِلَيْهِ مِنْ لُغَةٍ قَدِيمَةٍ قَدْ طَالَ عَهْدُهَا وَعَمَّا رَسَمَهَا. وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ: "مَا أَنْتَهَى إِلَيْكُمْ مِمَّا قَالَتِ الْعَرَبُ إِلَّا أَقْلُهُ، وَلَوْ جَاءَكُمْ وَافِرًا لَجَاءَكُمْ عِلْمٌ وَشَعْرٌ كَثِيرٌ"، وَنَحْوُهُ مَا رَوَى ابْنُ سِيرِينَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّهُ حَفِظَ أَقْلُ ذَلِكَ وَذَهَبَ عَنْهُمْ كَثِيرُهُ يَعْنِي الشَّعْرَ فِي حِكَايَةِ فِيهَا طُولٌ»،

¹ - ينظر: محيسن، القراءات وأثرها في علم العربية: 234، 235.

² - ينظر: السفاقي (أبو الحسن علي بن محمد)، غيث النفع في القراءات السبع، تح: أحمد عبد السميع الحفيان، ط: 1، 1425هـ - 2004م، ص: 225.

³ - "إيغالهن": سرعة سيرهن، "الميس": نوع من الشجر، "القراريح": مفرد "قُرُوج" وهو فرخ الدجاج، ينظر: ذو الرمة، الديوان: 43.

⁴ - لا يعرف قائله، "زَجَجْتُهَا": طعنتها بـ"الزَّج" وهي حديدة الرمح، "الْقُلُوص": الناقة الشابة، "أبي مَزَادَةَ": كنية رجل، ينظر: ابن جني، الخصائص: 2/ 408، البغدادي: خزانة الأدب: 4/ 415، الأشموني، شرح الألفية: 2/ 181.

ويواصل ناقلا عن ابن جني: « فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ لَمْ نَقْطَعْ عَلَى الْفَصِيحِ إِذَا سُمِعَ مِنْهُ مَا يُخَالِفُ الْجُمْهُورَ بِالْخَطَأِ ».¹

واستدل أيضا بقول المتنبي "من الطويل":

بعثت إليه من لساني حديقة ** سقاها الحِجَى سقي الرياض السحائب²

حيث فصل بين المصدر المضاف إلى الفاعل بالمفعول اتباعا لما ورد عن العرب.

ويبدو لنا أنه لا يجوز تضعيف هذه القراءة طالما أنها متواترة؛ فقارئها وهو ابن عامر من كبار التابعين الذين أخذوا عن الصحابة كعثمان بن عفان وأبي الدرداء رضي الله عنهما، وهو بالإضافة إلى ذلك عربي فصيح من صميم العرب، فكلامه حجة وقوله دليل فقد كان يعيش قبل أن يفشو اللحن، ثم إنه قد كان في دار الخلافة إذ ذاك وهي دمشق، في زمن أعدل الخلفاء وأفضلهم بعد الصحابة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم، وكان هذا المقرئ مقلدا قضاء دمشق ومشيختها وإمامة جامعها الأموي، مع ذلك كله لم ينكر عليه في قراءته أحد من السلف رضي الله عنهم، وأول من ضعفها من العلماء ابن جرير الطبري في القرن الرابع هجري.³

والفصل بين المتضايقين وإن كان قليلا في استعمال العرب فهو فصيح يوافق وجهها من وجوه العربية، ولا يهم إن كان هذا الوجه أفصح من غيره أم فصيحاً مجمعا عليه من قبل علماء العربية، أم مختلفا فيه اختلافا لا يضر مثله، إذا كانت القراءة مما شاع وذاع وتلقاها الأئمة بالإسناد الصحيح. ويكفي هذا الوجه صحة أنه ثبت عن أفصح من نطق بالضاد صلى الله عليه وسلم في قوله: {هل أنتم تاركو لي صاحبي؟!}؛⁴ ففصل بالجار والمجرور بين اسم الفاعل ومفعوله مع ما فيه من الضمير المنوي، ففصل المصدر بخلوه من الضمير أولى بالجواز.

أما وجه صحته من جهة الصناعة النحوية فيتلخص في ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الفاصل فضلا؛ فإنه لذلك صالح لعدم الاعتداد به.

الثاني: أنه غير أجني من حيث المعنى؛ لأنه معمول للمضاف وهو المصدر.

الثالث: أن الفاصل مقدّر التأخير؛ لأن المضاف إليه مقدر التقديم لأنه فاعل في المعنى.

¹ - أبو حيان، البحر المحيط: 4/ 658.

² - "الحِجَى": العقل، ينظر: المتنبي، الديوان، ص: 228، وينظر: القاضي الجرجاني (أبو الحسن علي بن عبد العزيز)، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي: القاهرة، (د، ط- د، ت)، ص: 464.

³ - ينظر: ابن الجوزي (أبو الخير شمس الدين)، النشر في القراءات العشر، تح: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى: بيروت، (د، ط- د، ت): 2/ 263.

⁴ - ينظر: الألباني (محمد ناصر الدين)، مختصر صحيح البخاري، مكتبة المعارف: الرياض، ط: 1، 1422هـ- 2002م: 3/ 174.

والعرب قد تفصل في الشعر بالأجنبي فغير الأجنبي أولى بالجواز، بل إنهم قد فصلوا بين المتضايين
بالجملة في قولهم - مثلاً - : "هو غلامٌ - إن شاء الله - أخيك"، فالفصل بالمفرد أولى بالجواز.¹

¹ - ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر: 2/ 265.

الفصل الرابع: ظاهرة الاعتراض في التركيب القرآني وتمظهراتها البلاغية والدلالية

سبق أن تعرضنا لمفهوم الاعتراض وبيّنا أقسامه ومواضعه بالتفصيل،¹ والآن نستعرض بالدراسة والتحليل بعض النماذج من هذه الظاهرة في القرآن الكريم.

1- دراسة تحليلية لنماذج من ظاهرة الاعتراض في النصف الأول من القرآن الكريم:

مما ورد من ظاهرة الاعتراض في النصف الأول من القرآن الكريم ما يلي:

1- قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 24].

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ جملة اعتراضية اعترضت بين الشرط وجزائه، واقتراها ب"لن" ميزها عن جملة الحال لأن جملة الحال لا تدخل عليها "لن". ولما كان السياق سياق تحدي ناسب الجيء بها إثارة لهمهم ليكون عجزهم أبلغ وأبدع وقد وقع،² فإنهم لما عجزوا عن ذلك صاروا يقولون إنه معجز بالصرفة؛ أي أن الله سبحانه وتعالى صرفهم عن الإتيان بمثله مع كونهم قادرين على ذلك، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. ثم إنه قد صار بهذه الجملة في الآية إعجازاً: أحدهما كون المتحدث به معجزاً، والثاني: الإخبار بأنهم لن يفعلوا ذلك في المستقبل، وهذا من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله عز وجل وقد وقع بالفعل. وهذا أقصى درجات التوكيد لمضمون الجملة السابقة وأقصى درجات الإنذار مما تتضمنه الجملة التالية، وكل ذلك كان في عبارات وجيزة وجمل قصيرة.

يقول أبو السعود العمادي (ت982هـ): «والجملة اعتراض بين جزأي الشرطية مقرر لمضمون مقدمها ومؤكّد لإيجاب العمل بتاليها؛ وهذه معجزة باهرة حيث أخبر بالغيب الخاص علمه به عز وجل وقد وقع الأمر كذلك، كيف لا، ولو عارضوه بشيء يدانيه في الجملة لتناقله الرواة خلفاً عن سلف».³

2- قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 80].

قوله تعالى: ﴿فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾ اعتراض في أثناء الكلام بين الجملتين اللتين وقع بينهما التعادل؛ فالمقصود تقريرهم: "أيُّ هذين واقع، اتخاذهما العهد أم قولكم على الله ما لا تعلمون؟"، وأخرج ذلك مخرج التردد في تعيينه على سبيل التقرير، وإن كان يُعلم أنه من القول على الله بغير علم.⁴

¹ - ينظر: من الصفحة 67 إلى الصفحة 70 من هذا البحث.

² - ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز: 1/ 107.

³ - أبو السعود العمادي، إرشاد العقل السليم: 1/ 67.

⁴ - ينظر: عبد الله مباركي، الاعتراض في القرآن الكريم - مواقع ودلالاته في التفسير، مخطوط رسالة ماجستير في النحو العربي بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1428هـ - 1429هـ / 2008 - 2009: 105.

وقد أفادت جملة الاعتراض هنا إقرارهم بأن الله عز وجل لن يخلف وعده، وإذا أقروا بذلك فإن الله عز وجل قد عهد على نفسه أنه حرّم الجنة على من أشرك به وأنه لن يغفر للمشرك إذا مات على شركه؛ قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: 72]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 48]، وإذا أقروا بذلك فلا مناص لهم من أن يشهدوا على أنفسهم أنهم من أصحاب النار المخلدين فيها إذا لم يتوبوا من كفرهم ويرجعوا إلى ربهم، وفي هذا أبلغ الزجر وأقصى درجات التهديد والوعيد.

فهؤلاء اليهود ومن سار على دربهم هم أمام خيارين لا ثالث لهما؛ إما أن يشهدوا على أنفسهم بالكفر فحينئذ يُذكروا بالعهد الذي أخذه الله عز وجل على نفسه - ولن يخلف الله وعده - بأن الكافرين لا مصير لهم إلا النار خالدين فيها أبداً، وإما أن يكذبوا على الله عز وجل وعلى أنفسهم فيدّعوا أن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودة، وفي كلا الحالتين قد قامت عليهم الحجة.

وقد أفادت جملة الاعتراض كذلك أن الله عز وجل لا يخلف وعده ولا يخلف وعيده فيما يتعلق بالشرك والكفر، أما فيما دون ذلك فقد اختلف فيه العلماء؛ فذهب الجمهور إلى أنه لا يخلفه وذهب قوم إلى جواز إخلاف الإيعاد فقالوا: "إخلاف الوعد قبيح وإخلاف الوعيد حسن"، قال أبو حيان: «وهذه مسألة يُبحث فيها في أصول الدين».¹ وجملة الاعتراض هنا قد اقتضاها السياق الذي وردت فيه؛ حيث جاء بعد هذه الآية مباشرة ذكر العهود والمواثيق التي أخذت عليهم، ثم هم ينقضونها في كل مرة وهم لا يتقون، فكأنه جيء بها للتعريض بهم بما اتصفوا به من صفة نقض العهود والمواثيق.

3- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: 125].

قرأ نافع وابن عامر: "واتخذوا" بصيغة الماضي عطفاً على "جعلنا" فيكون ذلك حكاية عن إلهام الناس باتخاذ المقام مصلى، أو أمرهم بذلك على لسان إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

وقرأ باقي القراء بصيغة الأمر فيكون في الآية التفات من صيغة الغائب إلى صيغة المخاطب،² وعلى هذا تحتمل هذه الجملة احتمالان كلاهما مراد في نظرنا والله أعلم؛ الاحتمال الأول: أن الخطاب فيها موجه

¹ - أبو حيان، البحر المحيط: 1/ 449.

² - ينظر: محمد حبش، القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية، دار الفكر: دمشق، ط: 1، 1419هـ - 1999م: 263.

للناس منذ عهد إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وهذا الاحتمال تعضده القراءة الأولى، والاحتمال الثاني: أن الخطاب فيها موجه لهذه الأمة، وبهذا تكون هذه الجملة اعتراضية، وهذا الاحتمال تعضده السنة النبوية المطهرة؛ فقد روى البخاري عن عمر رضي الله عنه قال: «وَأَفْقُتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى، فَنَزَلَتْ: ﴿وَاخْذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: 125]...»¹.

يقول الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير: «وَهَذِهِ الرَّوَايَةُ تُثِيرُ مَعْنَى آخَرَ لِلآيَةِ؛ وَهِيَ أَنْ يَكُونَ الْخِطَابُ مُوجَّهًا لِلْمُسْلِمِينَ فَتَكُونُ جُمْلَةُ "وَاخْذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى" مُعْتَرِضَةً بَيْنَ جُمْلَةٍ: "جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ" وَجُمْلَةٍ "وَعَهْدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ" اعْتِرَاضًا اسْتِطْرَاجِيًّا، وَلِلْجَمْعِ بَيْنَ الْإِحْتِمَالَاتِ الثَّلَاثَةِ فِي الْآيَةِ يَكُونُ تَأْوِيلُ قَوْلِ عُمَرَ «فَنَزَلَتْ» أَنَّهُ نَزَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَرْعُ الصَّلَاةِ عِنْدَ حَجَرِ الْمَقَامِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ مَشْرُوعًا لَهُمْ، لِيَسْتَقِيمَ الْجَمْعُ بَيْنَ مَعْنَى الْقِرَاءَتَيْنِ وَ"اخْذُوا" بِصِيغَةِ الْمَاضِي وَبَصِيغَةِ الْأَمْرِ؛ فَإِنَّ صِيغَةَ الْمَاضِي لَا تَحْتَمِلُ غَيْرَ حِكَايَةٍ مَا كَانَ فِي زَمَنِ إِبْرَاهِيمَ وَصِيغَةُ الْأَمْرِ تَحْتَمِلُ ذَلِكَ وَتَحْتَمِلُ أَنْ يُرَادَ بِهَا مَعْنَى التَّشْرِيعِ لِلْمُسْلِمِينَ، إِعْمَالًا لِلْقُرْآنِ بِكُلِّ مَا تَحْتَمِلُهُ أَلْفَاظُهُ حَسَبَمَا بَيَّنَّاهُ فِي الْمُقَدِّمَةِ التَّاسِعَةِ»².

4- قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (126) لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَسِبُهُمْ فَيُنْقَلِبُوا خَائِبِينَ (127) لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: 126 - 128].

اعتبر بعض المفسرين قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ جملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب توسطت بين المعطوف عليه المتعلق بالوعد العاجل والمعطوف المتعلق بالوعد الآجل؛³ وقد دلت هذه الجملة الاعتراضية على كمال التكامل بين القرآن الكريم والسنة النبوية.

فكما هو معلوم أن هذه الآية قد نزلت إثر معركة بدر وقد ثبت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه نظر إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاث مائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي الله - صلى الله عليه وسلم - القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه: { "اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكَ هَذِهِ الْعَصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدُ فِي الْأَرْضِ"، فَمَا زَالَ يَهْتَفُ بِرَبِّهِ، مَا دَامَ يَدِيهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكَبِيهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكَبِيهِ، ثُمَّ التَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: "يَا نَبِيَّ اللَّهِ، كَفَاكَ مُنَاشِدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ"، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدَفِينَ﴾ [الأنفال: 9]؛ فَأَمَدَّهُ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ⁴.

¹ - صحيح البخاري: 1/ 89، صحيح مسلم: 4/ 1865، مسند أحمد: 1/ 297، صحيح ابن حبان: 15/ 319.

² - الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير: 1/ 711.

³ - ينظر: أبو السعود العمادي، إرشاد العقل السليم: 2/ 82.

⁴ - صحيح مسلم: 3/ 1383، مسند أحمد: 1/ 334، سنن الترمذي: 5/ 296.

ومعلوم أن الله عز وجل يحب الملحين في الدعاء كما رُوي ذلك عن النبي - عليه الصلاة والسلام - بقوله: {إن الله يحب الملحين في الدعاء}،¹ ومعلوم كذلك أنه ليس أحد من الخلق أتقى الله عز وجل من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليست طائفة وُجدت على وجه الأرض أتقى الله عز وجل من هذه الطائفة، ورغم هذا كله ورغم كل هذه الأسباب المبذولة فقد بين عز وجل إثر قطع دابر الكافرين مباشرة أنه ليس للنبي - صلى الله عليه وسلم - من أمر هذا النصر شيء؛ إذ هو فضل ومنة يتفضل به ويمتن به العزيز المنان على من يشاء من عباده.

فغير النبي - صلى الله عليه وسلم - وغير هذه العصابة أولى بأن لا يكون لهم من الأمر شيء، فعليهم بالعمل وتقوى الله ما استطاعوا، فإن انتصروا ففضل ومنة ورحمة من الله عز وجل وليس بعملهم وكسبهم، وإن ائتمروا فبما كسبت أيديهم ويعفو الله عز وجل عن كثير.

ولعل في هذه الحملة الاعتراضية عتاب لطيف للنبي عليه الصلاة والسلام؛ فإنه سبحانه لما استجاب دعاءه وأبجز له وعده فقطع طرفاً من الذين كفروا وكتبهم يوم بدر أخذ الفدية عن أسراهم، فنبهه ربه سبحانه تنبيهاً لطيفاً إلى أنه ليس له أن يتصرف في شيء إلا بأمر ربه عز وجل، وغيره من باب أولى. أما ما ذهب إليه الطاهر بن عاشور من أن هذه الآية ناسخة لما كان يقوم به النبي - عليه الصلاة والسلام - من الدعاء على المشركين في قنوته؛ كدعائه على "رعل" و"ذكوان" و"عُصية" و"لحيان" الذين قتلوا أصحاب بئر معونة فلسنا نوافقه على ذلك،² ولعل تركه للدعاء إثر نزول الآية هو لبيان أن هذا الأمر من باب المندوب وليس الواجب.

يقول ابن عطية معلقاً على من ذهب هذا المذهب: «وهذا ضعيف كله، وليس هذا من مواضع النسخ والمنسوخ، وكيف يصح أن تكون نزلت لنسخ ذلك وهي متوسطة بين علل النصر الواقع يوم بدر؟!، وتفسير ما وقع في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة أن النبي - عليه الصلاة والسلام - ترك الدعاء على المشركين بعد نزول هذه الآية أخذاً لكامل الأدب؛ لأن الله لما أعلمه في هذا بما يدل على أن الله أعلمه بما فيه نفع الإسلام ونقمة الكفر ترك الدعاء عليهم إذ لعلمهم أن يسلموا.

وإذ جعلنا دعاءه صلى الله عليه وسلم على قبائل المشركين في القنوت شرعاً تقرر بالاجتهاد في مواضع الإباحة؛ لأن أصل الدعاء على العدو مباح، فتركه لذلك بعد نزول هذه الآية من قبيل النسخ بالقياس، نسخت حكم الإباحة التي هي استواء الفعل والترك بإثبات حكم أولوية الفعل».³

¹ - الطبراني (أبو القاسم سليمان بن أحمد)، كتاب الدعاء، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: 1، 1413هـ - 1993م، ص: 28.

² - ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير: 2/ 81، 82.

³ - ابن عطية، المحرر الوجيز: 1/ 506.

5- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَارَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (152) إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَلُوءُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ عَمَّا بَعِمَ لِكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (153) ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَعْنِي طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخَفُّونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: 152-154].

ذهب كثير من النحاة والمفسرين إلى أن قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ جملة معترضة بين الحال وصاحبها؛ يقول الألوسي في تفسيره: «وقوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ اعتراض بين الحال وصاحبها؛ أي يقولون ما يقولون مظهرين أنهم مسترشدون طالبون للنصر مبطنين الإنكار والتكذيب؛ وهذا ظاهر على الاحتمال الثاني في الآية الأولى»¹.

وهذه الجملة الاعتراضية تُحمل على وجهين على حسب الصنف المخاطب بها؛ فأما ضعفاء الإيمان من المسلمين فهي وخز لهم في ضمائرهم وتنبه لهم بحقيقة الإسلام، فإن كانوا قد أسلموا لله وشهدوا شهادة التوحيد فإن ذلك يوجب لهم الاستسلام لأمر الله كله والانقياد والإذعان له مهما كان ثقل هذا الأمر على أنفسهم؛ قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: 65]، وقال أيضا: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: 36].

وأما الصنف الثاني وهم المنافقون فهذه الجملة تبكيت لهم؛ فهم عبيد لله عز وجل مريبون له خاضعون لقضائه وقدره، ليس لهم من الأمر من شيء؛ فليس لهم في الدنيا إلا الأسي والتحسر وليس لهم في الآخرة إلا النار وساءت مصيرا.

يقول القاسمي (ت1332هـ) في تفسيره: «ولهذا قال غير واحد من المفسرين: إن ظنهم الباطل ههنا هو التكذيب بالقدر، وظنهم أن الأمر لو كان إليهم، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه تبعاً لهم، ويسمعون منهم لما أصابهم القتل، ويكون النصر والظفر لهم. فأكذبهم الله عز وجل في هذا الظن

¹ - الألوسي، روح المعاني: 2/ 309.

الباطل الذي هو ظن الجاهلية، وهو الظن المنسوب إلى أهل الجهل الذين يزعمون بعد نفاذ القضاء والقدر الذي لم يكن بد من نفاذه أنهم كانوا قادرين على دفعه، وأن الأمر لو كان إليهم لما نفذ القضاء، فأكذبهم الله بقوله: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾، فلا يكون إلا ما سبق قضاؤه وقدره وجرى به علمه وكتابه السابق وما شاء الله كان ولا بد، شاء الناس أم أبوا، وما لم يشأ لم يكن شاء الناس أو لم يشاءوه.

وما جرى عليكم من الهزيمة والقتل، فبأمره الكويّ الذي لا سبيل إلى دفعه، سواء كان لكم من الأمر شيء أو لم يكن، وأنكم لو كنتم في بيوتكم، وقد كتب القتل على بعضكم، لخرج الذين كتب عليهم القتل من بيوتهم إلى مضاجعهم ولا بد، سواء أن يكون لهم من الأمر شيء أو لم يكن، وهذا من أظهر الأشياء إبطالا لقول القدرية النفاة، الذين يجوزون أن يقع ما لا يشاءه الله، وأن يشاء ما لا يقع¹.

6- قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ [آل عمران: 195].

قوله تعالى: ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ...﴾ جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه، وقد جيء بها هنا بالذات للتنبيه على حقيقة هامة؛ وهي أن لا تفضيل للذكر على الأنثى فيما يخص الجزاء الأخروي؛ فالله سبحانه وتعالى عدل لا يضيع عمل عامل من المسلمين ولا يجازي ذكرا أعظم مما يجازي به أنثى لذكوريته إن تساوى في العمل، وإن كان الله عز وجل قد فضل الرجال على النساء في الحياة الدنيا بالقوامة وبما أنفقوا من أموالهم؛ قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: 34].

يقول الزمخشري في "الكشاف": «وهذه جملة معترضة بُيّنت بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد الله عباده العاملين؛ وروي أن أم سلمة قالت: "يا رسول الله، إني أسمع الله تعالى يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء، فنزلت: ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا...﴾ تفصيلا لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له والتفخيم²».

7- قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 95].

¹ - القاسمي، محاسن التأويل: 2/ 439.

² - الزمخشري، الكشاف: 1/ 456.

قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ جملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب جيء بها بين المتعاطفين أو بين الإجمال والتفصيل؛ فإن درجة واحدة من درجات الجنة لا يتوصل إليها إلا بالأجر العظيم الذي يتطلب عملاً مضاعفاً. وقد أفادت جملة الاعتراض هنا فائدتين؛ أولاًهما: نفي ما قد يتوهمه السامع من تفضيل أحد الفريقين على الآخر حرمان المفضل مما وعده الله عز وجل به بدخول الجنة، فكلا الفريقين في الجنة وإن تفاوتت درجتهما فيها تفاوتاً عظيماً. يقول أبو السعود في تفسيره: «...والجملة اعتراض جيء بها تداركاً لما عسى أن يوهمه تفضيل أحد الفريقين على الآخر من حرمان المفضل».¹

وثانيهما: التأكيد على أن للجنة درجات كما أن للنار دركات، وعلى التفاوت العظيم بين تلك الدرجات تحفيزاً للمؤمنين على العمل وعدم الاتكال والتواكل والخمول.

وقد فصلت السنة النبوية هذا الجمل من القرآن العظيم؛ كما ثبت ذلك عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال: {مَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَصَلَّى الصَّلَوَاتِ وَحَجَّ الْبَيْتَ - لَا أُدْرِي أَذَكَرَ الزَّكَاةَ أَمْ لَا - إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ، إِنْ هَاجَرَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ مَكَثَ بِأَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ بِهَا}، قَالَ مُعَاذٌ: "أَلَا أُخْبِرُ بِهَذَا النَّاسِ؟" فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ذَرِ النَّاسَ يَعْمَلُونَ فَإِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالْفِرْدَوْسُ أَعْلَى الْجَنَّةِ وَأَوْسَطُهَا، وَفَوْقَ ذَلِكَ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهَا تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُّوهُ الْفِرْدَوْسَ».²

وروي عنه أيضاً قوله: {وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا شَحَبَ وَجْهٌ، وَلَا اغْبَرَّتْ قَدَمٌ فِي عَمَلٍ تُبْتَغَى فِيهِ دَرَجَاتُ الْجَنَّةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ الْمَفْرُوضَةِ كَجِهَادٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَا ثَقُلَ مِيزَانُ عَبْدٍ كَذَابَةٍ تَنْفُقُ لَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ يَحْمِلُ عَلَيْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ}،³ وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام: {في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام}،⁴ وقال: {إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ}،⁵ وفي رواية: {الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ}.⁶

¹ - أبو السعود العمادي، إرشاد العقل السليم: 221 / 2.

² - سنن الترمذي: 4 / 675، مسند أحمد: 36 / 406 - 407.

³ - الأصبهاني (أبو نعيم أحمد بن عبد الله)، صفة الجنة، تح: علي رضا عبد الله، دار المأمون للتراث: دمشق، (د، ط - د، ت): 2 / 62.

⁴ - المصدر نفسه: 2 / 61.

⁵ - المصدر نفسه: 2 / 61.

⁶ - المصدر نفسه: 2 / 63.

8- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُمْ لَا تَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْأَثَمِينَ﴾ [المائدة: 106].

الجملة الشرطية: "إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ" جملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله، وقد أفاد الاعتراض أن العدول إلى الآخرين من غير الملة كما هو الراجح من قولي العلماء إنما يكون مع ضرورة السفر وحلول الموت فيه، وعلى هذا فالشرط قيد في "آخران من غيركم" فقط لا قيد في أصل الشهادة، فمن هذا الاعتراض نستنبط جواز شهادة أهل الذمة على المسلمين في السفر في خصوص الوصايا كما يفيدده النظم القرآني ويشهد له سبب النزول.

أما من قال بنسخ الآية فالظاهر أنها محكمة لعدم وجود دليل صحيح يدل على النسخ، وأما قوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ [البقرة: 282]، وقوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ [الطلاق: 2] فهي عامة في الأشخاص والأزمان والأحوال، وهذه الآية خاصة بحالة الضرب في الأرض وبالوصية وبحالة عدم وجود الشهود المسلمين، ولا تعارض بين العام والخاص.¹

واختلف كذلك في موضع "تجبسونهما"؛ فقليل: هي صفة لـ "آخران"، وقيل استثنائية لا محل لها من الإعراب، والظاهر أنها استثنائية لطول الفصل بالشرط والمعطوف عليه بين الموصوف وصفته، ولا موجب لهذا القول. يقول الزمخشري: «فإن قلت: ما موقع "تجبسونهما"؟ قلت: هو استئناف كلام، كأنه قيل بعد اشتراط العدالة فيهما: "فكيف نعمل إن ارتبنا بهما"، فقليل: تجبسونهما»²، وقد مال السمين الحلبي إلى هذا الرأي قائلاً: «وهذا الذي ذكره أبو القاسم أوفق للصناعة؛ لأنه يلزم في الأول الفصل بكلام طويل بين الصفة وموصوفها»³.

وفي الآية اعتراض آخر بين القسم وهو قوله تعالى: ﴿فَيُقْسِمَانِ﴾ وجوابه وهو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ﴾ لا نشترى به ثمنًا، وسبق هذا الاعتراض للدلالة على اختصاص الحبس والتحليف بحال الارتياح فقط؛ أي: "إن ارتاب الوارث منكم بهما بخيانة وأخذ شيء من التركة فاحبسوهما وحلفوهما بالله"، وفيه إشارة إلى ضرورة حفظ اليمين وعدم الإكثار من الحلف والتحليف بغير سبب، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ كَفَّارَةٌ لَكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ

¹ - ينظر: الشوكاني، فتح القدير: 98/2 - 99، السمين الحلبي، الدر المصون: 4/463.

² - الزمخشري، الكشاف: 1/688.

³ - السمين الحلبي، الدر المصون: 4/463.

وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ﴿[المائدة: 89]﴾، وقال عليه الصلاة والسلام: {إياكم وكثرة الحلف في البيع فإنه يُنْفَق ثم يُحَقَّق}.¹

9- قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمعَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَبَّ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: 12].

قوله تعالى: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ جملة معترضة لا محل لها من الإعراب، وقد أفادت بموقعها هذا عدة معان:

أ- لقد لاءمت السياق الذي وردت فيه أشد ملازمة؛ فقد جاءت في سياق بيان إهلاك الأمم السابقة لما كذبت بالحق لما جاءها؛ قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ (6) وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (7) وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ (8) وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَكَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ (9) وَلَقَدْ اسْتَهْزَأَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (10) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [الأنعام: 6، 11].

والخطاب في هذه الآيات موجه إلى أمة محمد عليه الصلاة والسلام، وهذه الأمة قد عصمها الله عز وجل من عذاب الاستئصال في الدنيا لكونه عليه الصلاة والسلام أرسل رحمة للعالمين وتكثيرا لأتباعه، ولذلك لما استعجل المشركون العذاب في الدنيا رد عليهم الحق عز وجل بقوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: 33]، فجاء بتلك الجملة الاعتراضية وسط هذا السياق تنبيها على أن الله عز وجل قد رحم هذه الأمة من بين أمم الأرض؛ فنجاها من عذاب الاستئصال في الدنيا وأمهلها إلى يوم الحساب.

ب- الإخبار بأن الله ما في السماوات والأرض يثير تساؤل المتسائلين عن سبب عدم تعجيل العقوبة للمشركين المتنعمين في ملك الله عز وجل، فلسان حال الكافر يقول: "لو كان هذا صدقا لعجل لنا العذاب"، والمؤمن يستبطن تأخيره فيحزن لأجل ذلك؛ فكانت هذه الجملة جوابا لكلا الفريقين بأنه تفضل

¹ - أبو عوانة (يعقوب بن إسحاق النيسابوري)، مستخرج أبي عوانة، تح: أيمن بن عارف الدمشقي، دار المعرفة: بيروت، ط: 1، 1419هـ - 1999م: 401 / 3.

على عباده بالرحمة؛ الرحمة الكاملة وهي رحمة المسلمين المؤمنين، والرحمة المؤقتة وهي رحمة الإمهال والإملاء للكافرين المجرمين؛ لعلهم يتوبون فينجون من العذاب، أو يستكبرون فيكون ذلك إملاءً واستدراجاً لهم.¹

ج- أنه سبق أن ذكر قبل هذه الآية عذاب الكافرين المكذبين، فناسب أن يضيف إلى ذلك ذكر رحمته التي وسعت كل شيء حتى يجمع بين تهديد المشركين ورحمة المؤمنين، وحتى لا ييأس من رحمته أحد قبل ذكر يوم الجمع الذي لا ريب فيه، وفي هذا دعوة للجميع إلى أن يتوبوا قبل ذلك اليوم.

10- قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعُمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِيتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رَجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: 145].

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ رَجْسٌ﴾ جملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب وقعت بين جملتين متعاطفتين هما: "لَحْمَ خِنْزِيرٍ" و: "أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ"، وقد أفادت هذه الجملة الاعتراضية زيادة التأكيد والتنبية على نجاسة وقذارة الخنزير؛ لأن أكثر الناس لا يتورعون عن أكله لأنهم لا يستقدرونه بخلاف الميتة والدم وهذا هو المشاهد اليوم، وقد أثبت الطب الحديث نجاسة الخنزير واحتواءه على ذرات حيوانية تسبب الكثير من الأمراض لآكله.

11- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (152) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 152، 153].

قوله تعالى: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ جملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب أفادت معنى الاحتراس؛ ذلك أن الإتيان بهذه الأوامر واجتناب تلك النواهي والزواجر مما يصعب الإتيان به على الوجه المطلوب بل قد يتعذر أحيانا لاسيما فيما يتعلق بالإيفاء بالكيل والميزان بالقسط؛ فلا يكلف الله عز وجل المسلمين تمام القسط والميزان بالحبة والذرة، ولكن يكلفهم ما يظنون أنه عدل ووفاء، فجاء بهذا الاحتراس حتى لا يترك المسلمون التعامل بينهم خشية الغلط أو الغفلة فتتعطل مصالحهم.

يقول الطاهر بن عاشور: «ظَاهِرُ تَعْقِيبِ جُمْلَةٍ: "وَأَوْفُوا الْكَيْلَ..." إِنْ جُمِلَتْ: "لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا" أَنَّهَا مُتَعَلِّقَةٌ بِالَّتِي وَلَيْتَهَا فَتَكُونُ اخْتِرَاسًا، أَيْ لَا نُكَلِّفُكُمْ تَمَامَ الْقِسْطِ فِي الْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ بِالْحَبَّةِ وَالذَّرَّةِ وَلَكِنَّا نُكَلِّفُكُمْ مَا تَظُنُّونَ أَنَّهُ عَدْلٌ وَوَفَاءٌ. وَالْمَقْصُودُ مِنْ هَذَا الْاِخْتِرَاسِ أَنْ لَا يَتْرَكَ النَّاسُ التَّعَامُلَ بَيْنَهُمْ خَشْيَةَ الْغَلْطِ أَوْ الْعَقْلَةِ، فَيُفْضَى ذَلِكَ إِلَى تَعْطِيلِ مَنَافِعِ جَمَّةٍ. وَقَدْ عَدَلَ فِي هَذَا الْاِخْتِرَاسِ عَنْ طَرِيقِ

¹ - ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير: 7 / 151، عبد الله مباركي، الاعتراض في القرآن الكريم: 161 - 162.

الْعَبِيَّةُ الَّذِي بُنِيَ عَلَيْهِ الْمَقُولُ ابْتِدَاءً فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: 151] لِمَا فِي هَذَا الإِخْتِرَاسِ مِنَ الإِمْتِنَانِ، فَتَوَلَّى اللَّهُ حِطَابَ النَّاسِ فِيهِ بِطَرِيقِ التَّكَلُّمِ مُبَاشَرَةً زِيَادَةً فِي الْمَنَّةِ، وَتَصَدِيقًا لِلْمُبَلَّغِ¹.

وقد شددت هذه الجملة بدلالة المخالفة على ضرورة حفظ مال المسلمين؛ فإذا كان التطفيف الذي هو اختلاس قدر ضئيل من المال قد حذر الله عز وجل منه ضمن الوصايا الكبرى للمسلمين، فأكل أموال الناس بالباطل مما هو أكثر من ذلك أولى بالتهديد والوعيد. كما أشارت هذه الجملة الاعتراضية أيضا إلى أن جميع هذه الأوامر والنواهي التي أوصى الله عز وجل بها المسلمين هي مما يدخل ضمن طاقة الإنسان وقدرته، فلا حجة لأحد في عدم الالتزام بها.

12- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (40) هُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (41) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (42) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تَتْلُوا الْجَنَّةَ أَوْرِثَتْمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (43)﴾ [الأعراف: 40-43].

اختلف في قوله تعالى: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ فقال بعضهم: "هي من تمام الخبر والعائد محذوف؛" كأنه قيل: "لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا مِنْهُمْ إِلَّا وُسْعَهَا"، فحذف العائد للعلم به، وقيل: "هي جملة اعتراضية"²، والراجح في نظرنا أنها جملة اعتراضية لأن ذلك لا يستدعي تقدير محذوف فهو أوفق لأصول الصناعة النحوية.

وهذه الجملة الاعتراضية قد اقتضاها السياق الذي وردت فيه؛ حيث قال تعالى بعد هذه الآية: ﴿وَنُودُوا أَنْ تَتْلُوا الْجَنَّةَ أَوْرِثَتْمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، ومعلوم أنه ليس أحد يدخل الجنة بعمله ولا حتى النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما العمل مجرد سبب في دخولها، قال صلى الله عليه وسلم: {لَنْ يَدْخُلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ}، قالوا: "ولا أنت يا رسول الله؟"، قال: {لا، ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة فسدوا وقاربوا، ولا يتمنين أحدكم الموت، إما محسنا فلعله أن يزداد خيرا وإما مسيئا فلعله أن يستعذب}،³ ولما اقترن دخول

¹ - الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير: 8/ 165-166.

² - ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون: 5/ 323.

³ - صحيح البخاري: 7/ 121، صحيح مسلم: 4/ 2169، مسند أحمد: 12/ 136.

الجنة في هذا السياق بالعمل كان ذلك مظنة تكليف المؤمنين أنفسهم من الأعمال ما لا يطيقون؛ ولأجل ذلك جيء بهذه الجملة الاعتراضية درءاً لهذه الشبهة.

وجاءت هذه الجملة الاعتراضية أيضاً تبكيًا للمجرمين ورحمة للمؤمنين وتخفيفاً للناس على العمل للجنة؛ فهؤلاء المجرمين الذين تقدم ذكرهم والذين أدخلوا ناراً خالدين فيها كان بوسعهم دخولها لو عملوا لها ولكنهم ركنوا إلى الدنيا وأعرضوا عنها، والمؤمنون الذين أوروها لم يكلفوا في دنياهم إلا بما يطيقونه، وبوسع كل إنسان على وجه هذه الأرض إذا أسلم وعمل صالحاً أن يدخلها برحمة الله عز وجل؛ لأن سعة الله عز وجل لا تُنال إلا بالإيمان والعمل الصالح لا بالمال ولا بالنسب ولا بالجنس ولا بالجاه.

يقول الزمخشري في تفسيره: «﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾: جملة معترضة بين المبتدأ والخبر، للترغيب في اكتساب ما لا يكتننه وصف الواسف من النعيم الخالد مع التعظيم بما هو في الوسع، وهو الإمكان الواسع غير الضيق من الإيمان والعمل الصالح».¹

13- قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ اتَّبِعْهُ مَأْمَنُهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ (6) كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (7) كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ (8) اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (9) لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (11) وَإِنْ نَكُنْثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ [التوبة: 6-12].

قوله تعالى: ﴿وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ جملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب وقعت بين شرطين وهما قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا...﴾، وقوله سبحانه: ﴿وَإِنْ نَكُنْثُوا...﴾، وقد سبق أن ذكر سبحانه وتعالى قبل هذه الآية أن المشركين قوم لا يعلمون فهم معرضون عن الحق، ولأجل هذا عاقبهم سبحانه وتعالى بأن صرف أفئدتهم عن تدبر آياته ومعرفة تفاصيلها وأحكامها العظيمة فاشتروا بها ثمنًا قليلًا وصدوا عن سبيله؛ كما قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: 23].

فكانت هذه الجملة الاعتراضية بمثابة الوعد لهم إن هم تابوا من كفرهم وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة بأن يهديهم سبحانه وتعالى إلى تدبر آياته وفقهاها على الوجه الصحيح؛ كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

¹ - الزمخشري، الكشاف: 2 / 104.

إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿[الأنفال: 29]﴾، وكما قال أيضا: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: 17].

كما دلت هذه الجملة على أن الجهل من أبرز أسباب الكفر والشرك، فلم يُعد ثمة عذر بالجهل فيما يخص التوحيد بعد اكتمال أحكام الدين لاسيما وأن هذه السورة من آخر ما نزل من القرآن؛ فالذي يُعرض عن معرفة التوحيد وتعلّمه بعد بلوغه له وإدراكه بأنه هو الحق وما دونه الباطل فهو مُؤاخَذ غير معذور بجهله في هذا المقام لإعراضه عن دعوة الحق.

وجاءت هذه الجملة أيضا تنزيها لآيات الله عز وجل التي اشترى بها الكفار ثمنًا قليلًا؛ فهم لم يهتدوا بها ليس لنقص فيها، ولكن إنما يهتدي بها قوم يعلمون، فإن آمنوا كانوا من الذين يعلمون وإن بقوا على كفرهم فهم من قوم لا يعلمون؛ كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَبَلَّكَ الْأُمْتَالُ أَنْفُسَهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: 43].¹

14- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ نُوحٌ نَبَأُ نَبَأٌ نَحْوُ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّ كَانَ كِبَرُ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُون﴾ [يونس: 71].

للعلماء في قوله تعالى: ﴿فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ قولان:

القول الأول: أنها جواب للشرط في قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَ كِبَرُ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ﴾؛ وهذا القول لا يتلاءم والمعنى؛ فإن نوحا - عليه الصلاة والسلام - لم يزل متوكلا على الله سبحانه وتعالى، فهو يوهّم أن توكله على الله عز وجل كان في هذه الساعة فقط إلا أن يكون المراد تصريحه بتوكله أو تجديده له؛ فإيمان العبد في تجدد دائم لكن ما دام هذا الوجه يحتمل هذا المعنى الذي لا يناسب مقام النبوة فالأولى تركه.

القول الثاني: وهو قول الجمهور: أن جواب الشرط هو قوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ...﴾ وجملة: "فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ" اعتراضية بين الشرط وجزائه،² ونظير هذا قول عنترة بن شداد العبسي "من الكامل":

أَمَّا تَرَنِّي قَدْ نَحَلْتُ وَمَنْ يَكُنْ ** غَرَضًا لِأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ يَنْحَلِ
فَلَرَبِّ أَبْلَجٍ مِثْلَ بَعْلِكَ بَادِنٍ ** ضَخْمٍ عَلَى ظَهْرِ الْجَوَادِ مُهَبَّلٍ

¹ - ينظر: مباركي، الاعتراض في القرآن الكريم: 184-185.

² - ينظر: الرازي، تفسير الرازي: 17/ 283-284.

غادرته مُتَوَسِّدًا أَوْصَالَهُ ** والقوم بين مُجَرَّحٍ وَمُجَدَّلٍ¹

وقد أفاد هذا الاعتراض أن أنبياء الله عز وجل لا تأخذهم في الله لومة لائم ولا يخشون أحدا إلا الله؛ فهم في جميع المقامات متوكلون على الله وحده، في مقام الرخاء وفي مقام الشدة وحتى في الساعات التي يذهل الإنسان فيها عن التفكير في شيء إلا في النجاة بنفسه؛ كمواجهة مصير الموت المحتوم أو مواجهة المأل من القوم بقضيه وقضيضه وهو وحده أو مع طائفة من ضعاف القوم.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجُمُعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ (61) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: 61، 62]، وقال أيضا: ﴿فَرَاغَ إِلَى آلِهِتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (91) مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ (92) فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ (93) فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ (94) قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (95) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (96) قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْفُوهُ فِي الْجَحِيمِ (97) فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَسْفَلِينَ﴾ [الصافات: 91-98]، وقال جل شأنه في سورة الأحزاب: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: 39].

يقول الطاهر بن عاشور في تفسيره: «وَجُمْلَةُ: "فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ" جَوَابُ شَرْطٍ: "إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي" بِاعْتِبَارِ أَنَّ ذَلِكَ الشَّرْطَ تَضَمَّنَ أَنَّ انْكَارَهُ عَلَيْهِمْ قَدْ بَلَغَ مِنْ نُفُوسِهِمْ مَا لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِحَمْلِهِ، وَأَنَّهُمْ مُتَهَيِّئُونَ لِمُدَافَعَتِهِ فَأَنْبَأَهُمْ أَنَّ اخْتِمَالَ صُدُورِ الدِّفَاعِ مِنْهُمْ، وَهُمْ فِي كَثْرَةِ وَمَنْعَةٍ وَهُوَ فِي قِلَّةٍ وَضَعْفٍ لَا يَصُدُّهُ عَنِ اسْتِمْرَارِ الدَّعْوَةِ، وَأَنَّهُ وَإِنْ كَانَ بَيْنَهُمْ وَحِيدًا فَذَلِكَ لَا يُوهِنُهُ لِأَنَّهُ مُتَوَكِّلٌ عَلَى اللَّهِ؛ وَلَا جُلَّ هَذَا قُدِّمَ الْمَجْرُورُ عَلَى عَامِلِهِ فِي قَوْلِهِ: "فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ"؛ أَيُّ لَا عَلَى غَيْرِهِ»².

15- قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [هود: 7]؛ قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ جملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب أفادت أن العرش والماء كانا مخلوقين قبل السماوات والأرض، فجاء بها في هذا الموضع لدفع توهم أنهما خلقا مع خلق السماوات والأرض.

وقد فصلت السنة النبوية هذا الإجمال؛ فقد ثبت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه جاءه قوم من بني تميم، فقال: {اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ، قَالُوا: "بَشَرْتَنَا فَأَعْطِنَا"، فَدَخَلَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، فَقَالَ لَهُمْ: اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا أَهْلَ الْيَمَنِ، إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ، قَالُوا: "قَبِلْنَا، جِئْنَاكَ لِنَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ، وَلِنَسْأَلَكَ

¹ - "أَبْلَجَ": النقي ما بين الحاجبين أو البين الفضل المشهور، "بَادَنَ": عظيم البدن، "المَهْلَلُ": الكثير اللحم المورم الوجه، "المَجْدَلُ": الصريع، ينظر: عنتر بن شداد، الديوان: 69، الخطيب التبريزي (أبو زكريا يحيى بن علي)، شرح ديوان عنتر بن شداد، تح: مجيد طراد، دار الكتاب العربي: بيروت، ط: 1، 1412هـ - 1992م، ص: 121-122، ابن منظور، لسان العرب: 11/ 104-688.

² - الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير: 11/ 238.

عَنْ أَوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ مَا كَانَ"، قَالَ: كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلِّ شَيْءٍ¹.

يقول الزمخشري في تفسيره: «وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»... وفيه دليل على أن العرش والماء كانا مخلوقين قبل السماوات والأرض²، ويقول الطاهر بن عاشور: «وَجُمْلَةُ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ حَالًا وَأَنْ تَكُونَ اعْتِرَاضًا بَيْنَ فِعْلِ (خَلَقَ) وَلَامِ التَّعْلِيلِ ... وَالْمَعْنَى أَنَّ الْعَرْشَ كَانَ مَخْلُوقًا قَبْلَ السَّمَوَاتِ وَكَانَ مُحِيطًا بِالْمَاءِ أَوْ حَاوِيًا لِلْمَاءِ... وَذَلِكَ يَفْتَضِي أَنَّ الْعَرْشَ مَخْلُوقٌ قَبْلَ ذَلِكَ وَأَنَّ الْمَاءَ مَخْلُوقٌ قَبْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَتَفْصِيلُ ذَلِكَ وَكَيْفِيَّتُهُ وَكَيْفِيَّةُ الْإِسْتِعْلَاءِ بِمَا لَا قِبَلَ لِلْأَفْهَامِ بِهِ إِذِ التَّعْيِيرُ عَنْهُ تَقْرِيبٌ»³.

16- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (24) وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يوسف: 24، 25].

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ...﴾ جملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب جيء بها بين المتعاطفين لتصوير لطف الله عز وجل ورحمته ومنته على عباده المخلصين، وإنقاذه لهم من شرك الشيطان في أصعب اللحظات والمواقف، وجملة: "إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ" تعليل لحكمة صرفه عن السوء والفحشاء الخارق للعادة، وكل ذلك مناسب لنزاهته - عليه الصلاة والسلام - التي أفادها الاعتراض هنا.⁴

17- قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ [يوسف: 73].

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾ اعتراض بين القسم وجوابه جيء به حكاية عن لسان حال إخوة يوسف - عليه السلام - آنذاك بين أهل مصر؛ فقد عُرفوا بالعفة والصلاح والمثابرة على الطاعات كما عُرفوا كذلك بأنهم لم يكن لهم غرض من زيارة مصر سوى التجارة، كما أفاد هذا الاعتراض أيضا تأكيد القسم وقد لجؤوا إلى ذلك لشدة مفاجأتهم بهذه التهمة التي ما ظنوا أن تُنسب يوما ما إلى بيت النبوة، والعرب تجري العلم مجرى القسم كما في قول لبید بن ربيعة العامري "من الكامل":

ولقد علمتُ لتأتين منيتي * إن المنايا لا تطيش سهامها⁵

¹ - صحيح البخاري: 9/ 124، صحيح ابن حبان: 7/ 14، مسند أحمد: 33/ 108.

² - الزمخشري، الكشاف: 2/ 380.

³ - الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير: 7/ 12.

⁴ - ينظر: الألوسي، روح المعاني: 6/ 405، الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير: 12/ 255.

⁵ - لبید بن ربيعة، الديوان: 171.

يقول شهاب الدين الألوسي: «وأيًا ما كان ففي القسم بها معنى التعجب؛ كأنهم تعجبوا من رميهم بما ذكر مع ما شاهدوه من حالهم، فقد روي أنهم كانوا يعكمون أفواه إبلهم لئلا تنال من زروع الناس وطعامهم شيئا، واشتهر أمرهم في مصر بالعفة والصلاح والمثابرة على فنون الطاعات، ولذا قالوا: "لَقَدْ عَلِمْتُمْ علما جازما مطابقا للواقع ما جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ"؛ أي لنسرق؛ فإن السرقة من أعظم أنواع الإفساد أو لنفسد فيها أي إفساد كان فضلا عما نسبتمونا إليه من السرقة».¹

18- قوله تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: 103].

جملة "وَلَوْ حَرَصْتَ" معترضة بين "ما" وخبرها لا محل لها من الإعراب، وجواب "لو" محذوف لدلالة ما تقدم عليه، والمعنى: "لو حرصت على إيمان الناس لم يؤمنوا".² ومعلوم أن هذه السورة مكية، ووقتها كان النبي - عليه الصلاة والسلام - شديد الحرص على هداية الناس نظرا لحالة الاستضعاف التي كان يعيشها مع الجماعة المؤمنة، فجاءت هذه الجملة في هذا المقام تنبيها إلى أن ذلك الحرص الشديد على هداية الناس لا يجدي شيئا إلا أن يشاء الله عز وجل، فما على النبي - عليه الصلاة والسلام - ولا على من سار على دربه من الدعاة إلى الله عز وجل أن يحزنوا أو أن ييأسوا إذا أعرض الناس عن قبول دعوة الحق، بل إنما عليهم البلاغ تأدية للواجب الذي افترضه الله عز وجل عليهم، وعلى الله الهداية.

قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: 6]، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: 20]، وقال أيضا: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل: 82]، وقال جل شأنه: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: 272]، وقال تعالى ذكره: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: 56]، ويؤيد هذا الذي ذكرناه ما رواه ابن الأنباري (577هـ) من أن قريشا واليهود سألوا الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن قصة يوسف - عليه السلام - فنزلت مشروحة شرحا وافيا، فأمل النبي - عليه الصلاة والسلام - أن يكون ذلك سبب إسلامهم، وقيل: إنهم وعدوه أن يسلموا فلما لم يفعلوا عزاه الله بذلك.³

19- قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِسْتُلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابُ﴾ [الرعد: 30].

¹ - الألوسي، روح المعاني: 26 / 7، وينظر: مباركي، الاعتراض في القرآن الكريم: 202.

² - ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون: 4 / 560 - 561.

³ - ينظر: الألوسي، روح المعاني: 62 / 7 نقلا عن ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ جملة اعتراضية بين المبتدأ والخبر لا محل لها من الإعراب، جيء بها في سياق الخطاب الموجه للأمة التي أرسل إليها خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم؛ وهي أمة أكثر ما عُرِفَتْ به إنكار توحيد الألوهية مع إقرارها بأغلب أفراد توحيد الربوبية، فجيء بهذه الجملة الاعتراضية في هذا السياق تنبيهاً لهذه الأمة إلى ضرورة الإيمان بألوهية الرحمن وحده وإلا أصابتهم بما صنعوا قارعة أو حلت قريباً من دارهم في الدنيا، أو جاءهم عذاب الخلد يوم لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً.

20- قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: 14].

قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ﴾ جملة اعتراضية وقعت بين تعليلين: تعليل الاستخراج وتعليل الابتغاء، وقد عددت هذه الآية النعم التي سخرها الله عز وجل للإنسان من البحر من نعمة اللحم الطري واستخراج الحلية والابتغاء من فضل الله عز وجل، وكل هذه النعم لا تحتاج من الإنسان إلى تدبر وتأمل عميقين مثلما تحتاجه نعمة مخر الفلك في البحر؛ فهي تحتاج من الإنسان إلى مزيد تأمل وتدبر وتفكر، ولأجل هذا عُبر عن هذه النعمة بصيغة الجملة الاعتراضية لقصد مخالفة الأسلوب للتعجيب من تسخير السير في البحر باستحضار الحالة العجيبة بواسطة فعل الرؤية الذي يستعمل كثيراً للتعجيب بصيغ مختلفة؛ نحو: "ولو ترى"، "أرأيت"، و"ماذا ترى"...، ونحو ذلك.

كما أفادت هذه الجملة بهذا الأسلوب الحث على التدبر والتأمل في صنع الله عز وجل، ولو كان الكلام على غير هذا النظم؛ أي على شاكلة قولنا: "وَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ فِي فُلْكَ مَوَاحِرَ" لما استفدنا منه هذه المعاني. يقول أبو حيان في البحر المحيط: «وَلَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى نِعْمَةَ الْأَكْلِ مِنْهُ وَالِاسْتِخْرَاجَ لِلْحِلْيَةِ، ذَكَرَ نِعْمَةَ تَصْرِفِ الْفُلْكِ فِيهِ مَاحِرَةً أَيْ: شَاقَّةً فِيهِ، أَوْ ذَاتَ صَوْتٍ لِشَقِّ الْمَاءِ لِلْحَمْلِ الْأَمِيعةِ وَالْأَقْوَاتِ لِلتَّجَارَةِ وَغَيْرِهَا، وَأَسَدَ الرُّؤْيَةِ إِلَى الْمُخَاطَبِ الْمُفْرَدِ فَقَالَ: "وَتَرَى"، وَجَعَلَهَا جُمْلَةً مُعْتَرِضَةً بَيْنَ التَّعْلِيلَيْنِ: تَعْلِيلِ الْإِسْتِخْرَاجِ، وَتَعْلِيلِ الْإِبْتِغَاءِ، فَلِذَلِكَ عَدَلَ عَنْ جَمْعِ الْمُخَاطَبِ»¹.

21- قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (43) بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 43، 44].

قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ جملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب، ومعلوم أن هذه السورة مكية وأن جل الخطاب فيها موجه للمشركون المكذبين برسالة محمد صلى الله عليه وسلم،

¹ - أبو حيان، البحر المحيط: 6/ 513، وينظر: مباركي، الاعتراض في القرآن الكريم: 213- 214.

ولقد عهدنا من هؤلاء شبهتهم المعتادة المتكررة كلما دُعوا إلى الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم؛ وهي أن الرسل لا يكونون من جنس البشر بل على زعمهم يجب أن يكونوا من الملائكة.

قال تعالى حكاية لمقاتلتهم: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يِقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: 103]، وقال أيضا: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [الأنبياء: 3]، وقال: ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ [يس: 15]، وقال: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: 94].

ومعلوم أنه ليس هناك حجة دامغة تدحض شبهة هؤلاء أقوى من سؤال أهل الكتاب الذين عندهم إثارة من علم الكتب السابقة من التوراة والإنجيل، فلما كانت هذه عادة القوم استدعى ذلك الرد العاجل عليهم لتبكيته وإخراصهم قبل أن يدلوا بشبهتهم المعتادة، فالمقام ليس مقام محاوراة واستماع لشبههم الواهية، فجيء بهذه الجملة الاعتراضية قبل تمام الكلام.

ومن جهة أخرى فإن هذه الآية قد جاءت في سياق تبيان الذكر؛ قال تعالى: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، فلم يكن هناك محل أنسب للحث على سؤال أهل الذكر من هذا المحل فجيء بها لأجل ذلك.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ إشارة إلى أن جلَّهم يعلمون ذلك ولكنهم قصدوا العناد والمكابرة لتمويه وتضليل الدهماء، فجيء لأجل ذلك في الشرط بحرف "إِنْ" الذي يرد في الشرط المشكوك في حصوله.¹

22- قوله تعالى: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَضَاعَ مِنْهُمْ بَصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخِيلِكَ وَرَجُلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (64) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: 64، 65].

إن أخطر شرك ينصبه الشيطان لأوليائه هو وعده المعسول الذي يغري به سفهاء الأحلام، ولأجل هذا سمى الله عز وجل الشيطان بـ"الغرور"؛ وهي صيغة مبالغة على وزن "فعول" تدل على شدة غروره وغرور مواعيده.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [لقمان: 33، فاطر: 5]، وقال أيضا: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ (117) لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (118) وَلَا ضِلَالَهُمْ وَلَا مُنِيبَهُمْ وَلَا مُرْتَبَنَهُمْ فَلْيُبَيِّنَنَّ أَذَانَ الْأَنْعَامِ

¹ - ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير: 161 / 14.

وَلَا أَمْرُهُمْ فُلَيْعِيْرٌ خَلَقَ اللّٰهُ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللّٰهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا (119) يَعِدُهُمْ
وَيُخَيِّبُهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿النساء: 117، 120﴾، وقال جل وعلا: ﴿يُنَادُوْنَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ
مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللّٰهِ وَغَرَّكُمْ بِاللّٰهِ
الْغُرُورُ﴾ [الحديد: 14].

وما استفزاز الناس بصوته وجلبه عليهم بخيله ورجله ومشاركته لهم في الأموال والأولاد إلا من وعده
الغُرور، ولأجل هذا كله أُلْتُفِتْ إلى هذا الوعد من صيغة الخطاب إلى صيغة الغائب وجيء بهذه الجملة
الاعتراضية أثناء الخطاب وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ تأكيداً على بطلان هذا الوعد
وتنبيهها وتحذيراً للناس منه.

والغُرور هو إظهار الشيء المكروه في صورة المحبوب الحسن؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا
مَتَاعٌ الْغُرُورُ﴾ [آل عمران: 185]، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ
يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: 112].
فما يسوله الشيطان للإنسان في حصول المرغوب إما باطل لا يقع؛ مثل ما يسوله من العقائد الباطلة
الفاسدة، وإما حاصل لكنه سيء العاقبة؛ مثل ما يسوله من قضاء دواعي الغضب والشهوة ومحبة العاجل
دون التفكير في الآجل، وكل ذلك لا يخلو من الضرر عاجلاً أو آجلاً. وإظهار اسم الشيطان في هذه
الجملة دون ضميره يزيد في قوة التأكيد والتنبيه المشتملة عليه؛ لأن هذه الجملة جارية مجرى المثل فلا يحسن
اشتغالها على ضمير ليس من أجزائها.¹

¹ - ينظر: المصدر السابق: 15 / 155، مباركي، الاعتراض: 220 - 221.

2- دراسة تحليلية لنماذج من ظاهرة الاعتراض في النصف الثاني من القرآن الكريم:

مما ورد من هذه الظاهرة في النصف الثاني من القرآن الكريم ما يلي:

23- قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (1) قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا

شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف: 1، 2].

قال أكثر المفسرين إن قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ جملة اعتراضية وقعت بين الحال "قيماً" وبين صاحبها وهو "الكتاب"، ومنهم من منع من ذلك كالزمخشري الذي يقول: «فإن قلت: "بم انتصب قيماً"؟ قلت: الأحسن أن ينتصب بمضمر ولا يُجعل حالا من الكتاب؛ لأنّ قوله: "وَلَمْ يَجْعَلْ" معطوف على "أنزل"، فهو داخل في حيز الصلة، فجاعله حالا من "الكتاب" فاصل بين الحال وذو الحال ببعض الصلة، وتقديره: "ولم يجعل له عوجاً جعله قيماً"؛ لأنه إذا نفى عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة».¹

أما أبو حيان فقد أجاز أن يكون "قيماً" حالا من الكتاب على اعتبار أن الجملة اعتراضية؛ لأنه يصح الفصل بجمل الاعتراض بين الحال وصاحبها،² وهذا الذي نرجحه، أما ما ذكره الزمخشري من لزوم العطف قبل تمام الصلة لأن الحال بمنزلة جزء منها؛ فالظاهر أن جملة "ولم يجعل له عوجاً" من تمام الصلة، والصلة قد تمت عند "الكتاب" فلا يكون هناك فصل قبل تمام الصلة.

ومما يؤيد ما ذهبنا إليه ما أخرجه السيوطي عن ابن المنذر (ت319هـ) وابن أبي حاتم (ت327هـ) عن مجاهد - رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾؛ حيث قال: «هذا من التقديم والتأخير: "أنزل على عبده الكتاب قيماً وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا"».³

ومعلوم أن قريشا قد طلبت بإيعاز من اليهود والنصارى من النبي - عليه الصلاة والسلام - أن يخبرهم بقصة الفتية الذين آووا إلى الكهف، فلما كانت فيها من الآيات العجيبة والتفاصيل الدقيقة ما لا يحيط بعلمه إلا الله عز وجل ولا يؤمن به إلا من أسلم وجهه لله، وكان ذلك مدعاة للمشركين للطعن في هذا القرآن وادعاء أن قصصه من أساطير الأولين ومن افتراء النبي - عليه الصلاة والسلام - جيء بهذه الجملة الاعتراضية في هذا الموضع تنزيها لهذا الكتاب مما سيفتري عليه به الجرمون. وهنا إعجاز آخر وهو الإخبار عن الغيب؛ حيث علم الله عز وجل أن أكثر الناس سيكذبون رغم سماعهم هذه القصة العجيبة، ولأجل هذا قدم تنزيه الكتاب ردا عليهم قبل ذكر القصة.

¹ - الزمخشري، الكشاف: 2 / 702.

² - ينظر: أبو حيان، البحر المحيط: 7 / 130.

³ - السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، (د، تح)، دار الفكر: بيروت، (د، ط - د، ت): 5 / 359.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن هذه السورة قد تضمنت مجموعة من القصص؛ كقصة أصحاب الكهف وقصة موسى - عليه السلام - مع الرجل الصالح وقصة صاحب الجنتين وقصة ذي القرنين، والمعهود في الأسلوب البشري أن راوي القصة لا يخلو من أن يخطئ في نقل بعض التفاصيل الدقيقة، أو يزيد في القصة ما ليس فيها تشويقاً للسامعين أو يخفي منها ما لا يناسب هواه، وهذا العوج في الحديث المعهود في كلام البشر يُنزه عنه القرآن الكريم، فقدم نفي العوج بين يدي السورة إحصاءاً للمبطلين وتنزيهاً لكتاب رب العالمين مما قد يتسرب للأذهان أو يلقيه الشيطان في أفئدة الناس عند سماع قصص الذكر الحكيم.

وعُدي الجعل باللام دون "في"؛ لأن العوج المعنوي يناسبه حرف الاختصاص دون حرف الظرفية؛ لأن الظرفية غالباً ما تتعلق بالأجسام أما الاختصاص فهو أعم،¹ قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82].

24- قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (27) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ اللَّهِ الْفَقِيرَ (28) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (29) ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظَّمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (30) حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (31) ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظَّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ (32) لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظَّمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج: 27-33].

قوله تعالى: ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ اعتراض جيء به عقب الحديث عن الحج الذي تُحظر فيه كثير من الطيبات ومن بينها الصيد، فكان هذا مظنة الاعتقاد أن الأصل في الطعام والأنعام الحرمة إلا ما دل الدليل على تحليله كما كان سائداً في دين الجاهلية الأولى، لاسيما وأن القوم كانوا حديثي عهد بذلك الدين الذي يفترى على الله الكذب ويحرم عليهم الطيبات ويشرع لهم ما لم ينزل به الله سلطاناً. قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِيتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: 145]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرَرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لِيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ [الأنعام: 119]، وقال أيضاً في السورة ذاتها: ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ حِجْرًا لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ

¹ - ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير: 247 / 15.

بِرَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءٌ عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (138) وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّدُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَنْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مِثْقَلُهُ فِئْتٌ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (139) قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿[الأنعام: 138، 140].

وقال نبينا - عليه الصلاة والسلام - فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى: { إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، وَأَنَّهُ قَالَ: "إِنَّ كُلَّ مَالٍ نَحَلْتُ عِيَالِي فَهُوَ لَهُمْ حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي كُلَّهُمْ خُنَفَاءَ، فَاتَّتَهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَخَلَّلْتُ، وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا..." }¹، فجاءت هذه الجملة الاعتراضية لتقرر مبدئاً هاماً مفاده أن: "الأصل في الطعام والأنعام الحل إلا ما دل الدليل الشرعي على تحريمه" مبطله به دين الجاهلية، ولأجل ذلك قرن في هذا السياق اجتناب الشرك باجتنب قول الزور؛ فأعظم الزور افتراء الكذب على الله وادعاء تحريم ما أحله أو تحليل ما حرمه.

كما أن قوله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَلْبَائِسَ الْفَقِيرِ﴾ [الحج: 28]؛ قد يفهم منه أن التحليل بالنسبة للحجاج مقصور على لحوم الهدايا والضحايا، أما باقي اللحوم الأخرى فهي تبع للصيد في التحريم، فجاء بهذه الجملة الاعتراضية احتراساً من هذا التوهم وبيانا أن اللحوم باقية على أصلها في الحل إلا ما استثنى المشرع الحكيم منها.²

25- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: 117].

قوله تعالى: ﴿لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ صفة لازمة مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ﴾ [الأنعام: 38] جيء بها للتوكيد، لا أن يكون في الآلهة ما يجوز أن يقوم عليه برهان. ويجوز أن يكون اعتراضاً بين الشرط والجزاء على شاكلة قولهم: "مَنْ أَحْسَنَ إِلَى زَيْدٍ لَا أَحَقُّ بِالْإِحْسَانِ مِنْهُ فَاللَّهُ مِثْلُهُ"، وقد أفاد هذا الاعتراض أن كل من عبد إلهاً لا بد له من برهان يثبت به أحقية هذا الإله بالعبادة، وما من شك أنه ما من معبود يصح إثبات هذا البرهان له سوى الله عز وجل.

لذلك فإنه لا يجوز التقليد في التوحيد؛ فلا يدعي إنسان أنه مسلم باجتنابه لمظاهر الجاهلية الأولى وهو منغمس في جاهلية أخرى جديدة؛ مسلم لها وجهه تحكم في نفسه وعرضه وماله وأهله. فلا يفهم إنسان

¹ - صحيح مسلم: 4/ 2197، صحيح ابن حبان: 2/ 423، البيهقي، القضاء والقدر: 1/ 337.

² - ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 105-106، مباركي، الاعتراض في القرآن الكريم: 236.

معنى كلمة التوحيد "لا إله إلا الله" حقا إلا بفهم الواقع الذي يعيش فيه كافرا بطواغيته مؤمنا بالله وحده، أما الذين لا يفقهون الواقع الذي يعيشونه وبالتالي لا يزنوه بميزان الإسلام فلا يمنكهم بحال من الأحوال أن يقيموا هذا البرهان الذي يُثبت الألوهية لله عز وجل وحده دون سواه، والله دُرُّ عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حيث قال كلمة تكتب بماء الذهب: "تُنْقِضُ عَرَى الْإِسْلَامِ إِذَا نَشَأَ فِي الْإِسْلَامِ مَنْ لَا يَعْرِفُ الْجَاهِلِيَّةَ"¹.

كما أفادت هذه الجملة أيضا أن كل ما يُعبد من دون الله فهو باطل لا برهان له، وإن عظمه الناس وتضافروا على ذلك كلهم إنسهم وجنهم، فلا يغتر إنسان بكثرة الهالكين، ولا يعجب ممن هلك كيف هلك بل يعجب لمن نجا كيف نجا؛ قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: 100]، وقال أيضا: ﴿وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3)﴾ [العصر: 1-3].

أما من ادعى الألوهية لغير الله سبحانه وتعالى فجزاؤه العذاب العظيم الذي عُبر عنه بأبلغ تعبير وهو قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾؛ فكان عقابه قد بلغ مبلغا لا يقدر أحد على توفيته إياه إلا الله سبحانه وتعالى،² وكفى بهذا زاجرا ورادعا عن الشرك والكفر.

26- قوله تعالى: ﴿فَالْتَفِطْهُ أَلْ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (8) وَقَالَتْ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصاص: 8-9].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ جملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب وقعت بين المتعاطفين، ولما ادعى فرعون الألوهية وقال لقومه: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: 29] وتابعه قومه على ذلك، عاقبهم اللطيف الخبير بأن جعل تدبيرهم في تدميرهم؛ فكان هلاكهم على أيديهم بتربيتهم لعدوهم بأيديهم وهم لا يشعرون.

فكل القرارات التي كان يتخذها آل فرعون كانت خاطئة حتى تلك التي كانوا يظنون أنها في صالحهم؛ وهذا جزاء من يمكر بآيات الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [آل عمران: 54]، وقال أيضا: ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (50) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النمل: 50، 51]، يقول أبو السعود في تفسيره: «إن آل فرعون لما

¹ - ينظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، (د، تح)، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، 1410هـ - 1990م، (د، ط): 1/ 21.

² - ينظر: الرازي، تفسير الرازي: 23/ 300، الزمخشري، الكشاف: 3/ 206.

كانوا مذنبين عاقبهم الله تعالى بأن ربّي عدوهم على أيديهم؛ فالجملة اعتراضية لتأكيد خطأهم أو لبيان الموجب لما أُبتلوا به»¹.

27- قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ [يس: 69].

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ جملة معترضة بين الجملتين المتعاطفتين أفادت تأكيد نفي أن يكون ما يوحى للنبي - صلى الله عليه وسلم - شعرا بنفي أن يكون هو مطبوعا على قول الشعر؛ فقد نزهه ربه عز وجل عن أن تكون له ملكة أصحاب قرض الشعر لكي لا يجد المشركون سبيلا إلى اتهام القرآن بكونه شعرا فيتضح بهتانهم منذ أول وهلة؛ لأن العرب تميز جيدا بين الشعر وغيره من صنوف الكلام.

وكما نزه النبي - عليه الصلاة والسلام - عن قول الشعر من جانب نظمه وموازينه بدليل أنه لم يكن يتيسر له إلا البيت والبيتين، وغالبا ما تكون من الرجز الذي يلقيه في مواطن الجهاد وغيرها من المواطن التي تستدعي تشجيع الصحابة وتحفيزهم ورفع همهم، كذلك نزه عن قوله من جانب ما يستدعيه من معان وأغراض وحالات نفسية خاصة يتميز بها الشاعر عن غيره؛ كالغزل والنسيب والهجاء والمديح والفخر والمبالغة إلى حد الإغراق في الكذب، وادعاء الشاعر أحوالا خاصة لنفسه في الغرام أو الشجاعة والبطولة.²

وهذا الأخير يسميه النقاد بالكذب الفني وهو كذب على كل حال، وهذه الحالات لا تليق بمقام الصالحين والصادقين فضلا عن أن تليق بمقام النبوة، قال تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (224) أَلَمْ تَرَأْنَهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهيمُونَ (225) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (226) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: 224-227].

فأراد الله عز وجل ببالغ الحكمة أن يقطع الطريق أمام المبطلين؛ كي لا يجدوا سبيلا للطعن في القرآن الكريم، فجعل نبيه - عليه الصلاة والسلام - أميا لا يقرأ ولا يكتب كي لا يقولوا قد خطه يمينه أو عنده كتب من الأولين فهو يدرسها ليلا ونهارا؛ قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَا رَتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: 48]، ولم يطبعه شاعرا رغم فصاحته وبلاغته، قال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلٍ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ﴾ [الحاقة: 41].

¹ - أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4 / 7.

² - ينظر: مباركي، الاعتراض في القرآن الكريم: 269-270.

28- قوله تعالى: ﴿ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾ [ص: 57].

اختلف النحاة والمفسرون في إعراب هذه الجملة على عدة أوجه؛ الأول: "هذا" خبر مبتدأ محذوف أي: "العذاب هذا"، و قوله تعالى: ﴿ فَلْيَذُوقُوهُ ﴾ جملة مرتبة على الجملة قبلها فهي بمنزلة جزاء شرط محذوف، و قوله تعالى: ﴿ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾ خبر لمبتدأ محذوف أي: "هو حميم وغساق".

الثاني: أن "هذا" مبتدأ خبره "حميم" وجملة "فليذوقوه" معترضة كقولهم: "زيدٌ - فافهم - رجلٌ صالح".
الثالث: "هذا" مبتدأ، "فليذوقوه" خبره على مذهب الأخفش في إجازته نحو: "زيدٌ فاضربه" مستدلاً بقول الشاعر "من الطويل":

وقائلة خَوْلَانُ فَإِنْ كَح فَتَأْتَهُمْ * وَأَكْرَوْمَةُ الْحَيَّيْنِ خِلْوٌ كَمَا هِيَ¹

الرابع: أن "هذا" في محل نصب بفعل مضمر يفسره "فليذوقوه"؛ أي: "ليذوقوا هذا فليذوقوه" فهو من باب الاشتغال.

ولا شك أن القول الأول يترتب عليه تقدير محذوفين؛ المبتدأ الذي خبره "هذا" والمبتدأ الذي خبره "حميم وغساق"، والتمسك بالظاهر واجب مهما أمكن والكلام إذا أمكن حمله على ظاهره فلا يجوز العدول عنه، زد على ذلك أنه ينتج عن هذا القول تفكيك أوامر الجملة؛ حيث يكون التقدير: "هذا العذاب فليذوقوه هذا حميم وغساق"، ومتى أمكن أن يكون الكلام جملة واحدة كان أولى من أن يكون جملتين من غير فائدة.

أما القول الثالث المنسوب للأخفش فيترتب عنه القول بزيادة الفاء التي لا معنى لها عنده سوى التوكيد، وحمل الكلام على ما فيه فائدة أشبه بالحكمة من حمله على ما ليس فيه فائدة، كذلك القول الرابع ينجر عنه القول بالتقدير وتكلف علم الغيب، وما لا يفتقر إلى تقدير أولى مما يفتقر إلى تقدير.

يبقى القول الرابع - في نظرنا - هو القول الثاني؛ وهو ما رجحه الزمخشري والسمين الحلبي والألوسي وغيرهم،² والفاء في قوله تعالى: ﴿ فَلْيَذُوقُوهُ ﴾ تفسيرية تعقيبية تُشعر بأن لهم إذاقة بعد إذاقة، وقد أفادت الجملة الاعتراضية هنا إشعار السامع بجو العذاب الذي يعيشه الكفار، فهذا ليس مجرد سرد يُسرد على الناس بل هو عذاب واقع ليس له دافع، وفي تقديم فعل الإذاقة على الخبر وهو المذاق ما يُشعر بقرب وقوع هذا العذاب؛ فهو أقرب للمشرك والكافر من شريك نعله، قال عليه الصلاة والسلام: {الجنة أقرب إلى أحدكم من شريك نعله والنار مثل ذلك}.³

¹ - البيت لا يُعرف قائله، "خَوْلَان": قبيلة بمنية، "أَكْرَوْمَةُ الْحَيَّيْنِ": الفتاة التي هي كريمة الحيين، "خِلْوٌ": لم تتزوج بعد، ينظر: السيرافي، شرح أبيات سيبويه: 1/ 273، البغدادي، خزنة الأدب: 1/ 315، إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في شواهد العربية: 8/ 361.

² - ينظر: الزمخشري، الكشاف: 4/ 101، السمين الحلبي، الدر المصون: 9/ 387، الألوسي، روح المعاني: 12/ 206.

³ - صحيح البخاري: 8/ 102، مسند أحمد: 6/ 184، صحيح ابن حبان: 2/ 436.

29- قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (75) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (76) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: 75- 77].

قال المفسرون إن قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ اعتراض في اعتراض؛ لأنه قد اعترض به بين القسم والمقسم عليه وأعترض بـ: "لَوْ تَعْلَمُونَ" بين الموصوف وصفته،¹ ورد ابن عطية القول بالاعتراض في الاعتراض على اعتبار أن قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ﴾ تأكيد للأمر وتنبيه على المقسم به وليس هذا باعتراض بين كلامين، بل هذا معنى قصد الاهتمام به وإنما الاعتراض قوله: "لَوْ تَعْلَمُونَ".² لكن كون تلك الجملة توكيدا وتنبيها على تعظيم المقسم به لا ينافي في ميزان الصناعة النحوية أن تكون اعتراضا، بل هذا معنى الاعتراض وفائدته.

30- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: 18].

اختلف النحاة والمفسرون في قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ فمنهم من قال بأنها جملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب وقعت بين اسم "إن" وخبرها وهو قول أكثرهم، وقال آخرون: "هو من العطف على المعنى"³ فالمعنى: "إن الذين تصدقوا وأقرضوا الله..."، والمتبع للسياق الذي وردت فيه الآية يلاحظ أن الله عز وجل لما حث المؤمنين على أن يخشعوا لذكر الله عز وجل وما نزل من الحق وحذرهم من قسوة القلوب التي آل إليها اليهود أردف ذلك ببيان أجر المتصدقين والمتصدقات، وجيء بالجملة الاعتراضية حثا للمؤمنين على القرض الحسن وتعريضا باليهود - عليهم لعنة الله - الذين زعموا أن الله ما استقرضهم أموالهم إلا بافتقاره إليهم والعياذ بالله.

فقد روى الطحاوي (ت325هـ) في "شرح مشكل الآثار" عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - قال لـ "فنحاص" وكان من علماء اليهود وأخبارهم: «اتَّقِ اللَّهَ وَأَسْلِمِ، فَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ عِنْدِ اللَّهِ جَاءَكُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِهِ بِحُدُونِهِ مَكْتُوبًا عِنْدَكُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، فَقَالَ فَنَحَاصُ: "يَا أَبَا بَكْرٍ، وَاللَّهِ مَا بَنَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ فَقْرٍ، وَإِنَّهُ إِلَيْنَا لَيُفْتَقَرُ، وَمَا نَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ كَمَا يَتَضَرَّعُ إِلَيْنَا، إِنَّا عَنْهُ لَأَغْنِيَاءُ، وَلَوْ كَانَ عَنَّا غَنِيًّا لَمَا اسْتَقْرَضَنَا أَمْوَالَنَا كَمَا يَزْعُمُ صَاحِبُكُمْ، يَنْهَأُكُمْ عَنِ الرَّبَا وَيُعْطِينَاهُ، وَلَوْ كَانَ عَنَّا غَنِيًّا مَا أَعْطَانَا الرَّبَا".

¹ - ينظر: الزمخشري، الكشاف: 4/ 468.

² - ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 251.

³ - ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون: 10/ 248- 249.

فَعَضِبَ أَبُو بَكْرٍ فَضَرْبَ وَجْهِ فَنَحَّاصَ، فَأَخْبَرَ فَنَحَّاصُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِأَبِي بَكْرٍ: "مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟" فَأَخْبَرَهُ، فَجَحَدَ ذَلِكَ فَنَحَّاصُ وَقَالَ: "مَا قُلْتُ ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: 181]؛ الْآيَةُ إِلَى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [آل عمران: 181]، وَأَنْزَلَ فِي أَبِي بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَمَا بَلَغَهُ مِنْ ذَلِكَ الْعُضْبِ: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: 186]».¹

يقول الرازي في تفسيره متحدثاً عن هذه الآية: «وَالَّذِي عِنْدِي فِيهِ أَنَّ الْأَلْفَ وَاللَّامَ فِي الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ لِلْمَعْهُودِ؛ فَكَأَنَّهُ ذَكَرَ جَمَاعَةً مُعَيَّنِينَ بِهَذَا الْوَصْفِ ثُمَّ قَبْلَ ذِكْرِ الْخَبَرِ أَخْبَرَ عَنْهُمْ بِأَنَّهُمْ أَتَوْا بِأَحْسَنِ أَنْوَاعِ الصَّدَقَةِ وَهُوَ الْإِثْبَانُ بِالْقَرَضِ الْحَسَنِ، ثُمَّ ذَكَرَ الْخَبَرَ بَعْدَ ذَلِكَ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿يُضَاعَفُ لَهُمْ﴾... كَمَا فِي قَوْلِهِ:

إِنَّ الشَّمَانِينَ وَبُلَّغَتْهَا * قَدْ أَخُوَجْتُ سَمْعِي إِلَى تَرْجُمَانٍ²».³

ويقول الألوسي: «وقال الخفاجي: "القول - أي قول أبي البقاء - بأن أقرضوا... إلخ معترض بين اسم إن وخبرها أظهر وأسهل، وكأن النكتة فيه تأكيد الحكم بالمضاعفة».⁴

31- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاْمَحْجُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [الممتحنة: 10].

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾ جملة معترضة بين الأمر بالامتحان ونتيجته، وجيء بهذه الجملة الاعتراضية في هذا السياق إيذاناً منه تعالى بأن المؤمنين في هذا المقام مطالبون بعدم الاكتفاء بإظهار الإسلام من هؤلاء النسوة، بل الواجب عليهم امتحانهن حتى يتيقنوا من إسلامهن بمطالبتهم بالحلف على صدق إسلامهن، حينها يكونوا قد استفرغوا وسعهم في معرفة إسلامهن وتبقى حقيقة العلم بإيمانهن عند الله عز وجل وحده.

والأصل - في ظل قيام دولة الإسلام كما كان آنذاك - أن يُكتفى من الإنسان في إسلامه بالظاهر، ولكن هذا المقام بالذات قد خُص بضرورة التحري عن حقيقة إسلام النسوة لسببين:

¹ - الطحاوي (أبو جعفر أحمد بن محمد)، شرح مشكل الآثار، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط: 1، 1415هـ - 1995م: 87/5.

² - قائل البيت أبو المنهال الخزاعي عوف بن ملحمة وهو من السريع، ينظر: البغدادي، خزانة الأدب: 9/55، إميل يعقوب، المعجم المفصل في شواهد العربية: 8/4، محمد حسن شُرَّاب، شرح الشواهد الشعرية: 3/214.

³ - فخر الدين الرازي، تفسير الرازي: 29/462.

⁴ - الألوسي، روح المعاني: 14/182.

أولهما: المناسبة التي نزلت بسببها الآية؛ فالآية قد نزلت في صلح الحديبية وقد صالح المشركون فيه النبي - عليه الصلاة والسلام - على أن من أتاه من مكة رده إليهم، ومن أتى من أهل مكة إليهم من أصحابه فهو لهم، وكتبوا بذلك الكتاب وختموه.

فقد روي أن سُبَيْعَةَ بنت الحارث الأسلمية جَاءَتْ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الْكِتَابِ وَالنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِالْحَدِيثِ، فَأَقْبَلَ زَوْجُهَا وَكَانَ كَافِرًا، فَقَالَ: "يَا مُحَمَّدُ رُدَّ عَلَيَّ امْرَأَتِي، فَإِنَّكَ قَدْ شَرَطْتَ لَنَا أَنْ تَرُدَّ عَلَيْنَا مَنْ أَتَاكَ مِنَّا وَهَذِهِ طِينَةُ الْكِتَابِ لَمْ تَجَفَّ بَعْدُ"، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ.¹ وروى كذلك أن نساء ورجالا هاجروا إلى النبي - عليه الصلاة والسلام - رغبة في الإسلام، فأمسك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النساء وردّ الرجال.²

ثانيهما: أنه لا يجوز في دين الله تعالى أن ينكح المشرك مسلمة ولا أن ينكح المسلم مشركة، ولذلك أمر الله عز وجل المسلمين بأن لا يردوا المسلمات إلى المشركين، وفي نفس الوقت أمرهم بالوفاء ببنود الصلح التي منها: أن يردوا كل من جاءهم من المشركين، فردوا الرجال ولم يمسكوا من النساء إلا من تيقنوا من إسلامها، أما اللاتي هاجرن فرارا من أزواجهن أو رغبة في الدنيا فردوا كذلك.

يقول الزمخشري في تفسيره: «فإن قلت: "كيف سمى الظنّ علما في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ﴾؟» قلت: إيدانا بأن الظنّ الغالب وما يفضي إليه الاجتهاد والقياس جار مجرى العلم، وأن صاحبه غير داخل في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾، فإن قلت: "فما فائدة قوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾، وذلك معلوم لا شبهة فيه؟" قلت: فائدته بيان أن لا سبيل لكم إلى ما تطمئن به النفس ويثلج به الصدر من الإحاطة بحقيقة إيمانهن، فإن ذلك مما استأثر به علام الغيوب، وأن ما يؤدي إليه الامتحان من العلم كاف في ذلك، وأن تكليفكم لا يعدوه».³

ويقول الطاهر بن عاشور: «وَجُمْلَةُ: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾ مُعْتَرِضَةٌ؛ أَي: "إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سَرَائِرَهُنَّ وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ أَنْ تَحْتَبِرُوا ذَلِكَ بِمَا تَسْتَطِيعُونَ مِنَ الدَّلَائِلِ"، وَلِذَلِكَ فَرَّغَ عَلَى مَا قَبْلَ الْإِعْتِرَاضِ قَوْلُهُ: ﴿فَإِنْ

¹ - الحديث ذكره البغوي في تفسيره عن ابن عباس - رضي الله عنهما - بدون إسناد واستغربه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف، ينظر: البغوي، معالم التنزيل: 73 / 5، الزيلعي (أبو محمد جمال الدين عبد الله بن يوسف)، تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف، تح: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة: الرياض، ط: 1، 1414هـ - 1994م: 3 / 460.

² - ينظر: الواحدي (أبو الحسن علي بن أحمد)، أسباب النزول، تح: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح: الدمام - السعودية، ط: 2، 1412هـ - 1992م، ص: 424، 425.

³ - الزمخشري، الكشاف: 4 / 518.

عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ ... إِنْ حَصَلَ لَكُمْ الْعِلْمُ بِأَنَّهُنَّ مُؤْمِنَاتٌ غَيْرُ كَاذِبَاتٍ فِي دَعْوَاهُنَّ... فلا
ترجعوهن إلى الكفار" ¹.

¹ - الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير: 28 / 156.

خاتمة

خاتمة:

- لا يسعنا في هذا المقام إلا أن نُوجز أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا البحث؛ وهي كالتالي:
- 1- إن أهم ما يجب على الباحث الجاد أن يتحلى به هو الحس النقدي لكل ما هو قابل للنقد من اجتهادات العلماء التي لا تستند إلى نص شرعي من كتاب أو سنة، فلا يجب عليه أن يسلم بكل ما قالوا به وإلا ظل أسيرا للتقليد والجمود الفكري.
 - 2- لا يمكن بحال للباحث أن يدرس ظاهرة لغوية ما في القرآن الكريم بمنظور نحوي صرف بغض الطرف عن الجانب البلاغي أو العكس، وبعبارة أخرى لا يمكننا فصل التحليل عن التركيب لأنهما متكاملان كلاهما يستلزم الآخر استلزاما ضروريا، وهذا ما تدعو إليه الدراسات الحديثة متمثلة في التداولية ولسانيات النص.
 - 3- إن من ظواهر التضام التي نسلم بوجودها في كلام البشر دون النص القرآني ظاهرة الزيادة، فالقول بوجودها فيه يتنافى مع كونه معجزا.
 - 4- إن أهم ما يميز دراسات كثير من العلماء للظواهر اللغوية في النص القرآني تلك النظرة التفكيكية الضيقة التي لم تخرج من ضيق الجملة إلى سعة النص، وهذا ما انجر عنه نتائج سلبية عديدة؛ منها:
 - عدم إدراك الإعجاز الحقيقي للقرآن الكريم.
 - إهدار العديد من القيم الجمالية للنص القرآني.
 - دراسة الظواهر اللغوية في النص القرآني بمعزل عن السياق ومقام الكلام.
 - الإغراق في إعراب المفردات والجمل والبحث عن معانيها على حساب المعنى الإجمالي للنص.
 - تغليب جانب المبنى على حساب المعنى، والأصل أن يكون المبنى في خدمة المعنى... الخ
 - 5- رغم ما أشرنا إليه فإن هناك نماذج متميزة استطاعت أن تلم بقطبي الظاهرة اللغوية: "المبنى" و"المعنى" في دراستها فلم تفصل أحدهما عن الآخر، ونتيجة لذلك استطاعت أن تبرز جوانب مهمة من حقيقة الإعجاز القرآني في تراكيبه ومعانيه؛ ومن أبرزها: "دلائل الإعجاز" لعبد القاهر الجرجاني، "الكشاف" للزمخشري، "التفسير الكبير" للرازي، "روح المعاني" للألوسي، "في ظلال القرآن" لسيد قطب.
 - 6- استطعنا من خلال دراستنا لقريئة التضام في التركيب القرآني أن نكتشف سمة بارزة من سمات الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم وهو ما نستطيع أن نسميه بـ"ظاهرة الاتساع في المعنى"؛ حيث يستطيع النص القرآني المعجز أن يعبر بأوجز عبارة عن معان عديدة قد يحتاج البشر للتعبير عنها إلى صحائف ومجلدات عديدة.

- 7- يحتاج الباحث لدراسة ظاهرة لغوية ما في القرآن الكريم - إضافة إلى تمكنه من علوم اللغة - إلى ثقافة واسعة وإلمام بأحكام الشريعة الإسلامية والسيرة النبوية وأسباب النزول وأصول الفقه حتى يستحضر ملابسات الخطاب القرآني وينزل النصوص على واقعها المناسب لها؛ فاللغة ظاهرة إنسانية تترجم الوجود الإنساني كما هو، ولا يمكننا بحال أن نعزل تراكيبها عن واقع الإنسان.
- 8- تبعاً لذلك يتوجب علينا أن نلغي الحدود الفاصلة بين العلوم وأن ننظر إليها نظرة شمولية، وهذا ما تدعو إليه المناهج العلمية الحديثة.
- 9- تعد قرينة التضام المنطلق الأول لفهم تركيب أي لغة من اللغات الإنسانية.
- 10- استطعنا من خلال دراستنا لقرينة التضام في التركيب القرآني أن نستنبط العديد من المعاني الدقيقة والخفية لتراكيب قرآنية متنوعة في سياقات مختلفة.
- 11- فندنا من خلال هذه الدراسة ما يعتقده كثير من الباحثين من كون هذه القرينة متعلقة بالجانب الشكلي البحث، ولا صلة لها بالجانب المعنوي، من خلال تناولنا لها من منظور بلاغي ومن منظور دلالي إضافة إلى المنظور النحوي.
- هذا، ولا ندعي لبحثنا الكمال فكل عمل ابن آدم معرض للزلل والخطأ، وحسبنا أن نكون قد اجتهدنا في سبيل مرضات ربنا، والحمد لله أولاً وأخيراً، وصلى الله على نبينا محمد و على آله وصحبه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

• القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1- المصادر:

1. الآثاري (زين الدين شعبان بن محمد القرشي)، ألفية الآثاري: "كفاية الغلام في إعراب الكلام"، تح: زهير زاهد - هلال ناجي، عالم الكتب: بيروت - لبنان، ط: 1، 1407هـ - 1987م.
2. ابن الأثير (أبو الفتح ضياء الدين)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية: بيروت، 1420هـ - 2000م، (د، ط).
3. ابن أبي حاتم (أبو محمد عبد الرحمن الرازي)، الجرح والتعديل، (د، تح)، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الهند، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ط: 1، 1271هـ - 1952.
4. الأحوص (عبد الله بن محمد الأنصاري)، الديوان، تح: إبراهيم السامرائي، مطبعة النعمان: النجف الأشرف - العراق، 1388هـ - 1969م، (د، ط).
5. الأخطل (غياث بن غوث أبو مالك التغلبي)، الديوان، تح: مهدي ناصر الدين، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: 2، 1414هـ - 1994م.
6. الأخفش الأوسط (أبو الحسن سعيد بن مسعدة)، معاني القرآن، تح: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي: القاهرة، ط: 1، 1411هـ - 1990م.
7. الإربلي (علاء الدين بن علي)، جواهر الأدب في معرفة كلام العرب، صنعة: إميل بديع يعقوب، دار النفائس: دمشق - سوريا، ط: 2، 1430هـ - 2009م.
8. الأزهري (خالد بن عبد الله)، شرح التصريح على التوضيح، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان، ط: 1، 1421هـ - 2000م.
9. الأزهري (أبو منصور محمد بن أحمد)، تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ط: 1، 1421هـ - 2000م.
10. الأسود بن يعفر النهشلي، الديوان، تح: نوري حمودي القيسي، المؤسسة العامة للصحافة و الطباعة: مطبعة الجمهورية : بغداد، 1390هـ - 1970م، (د، ط).

11. الأشموني (أبو الحسن علي بن محمد)، شرح الأشموني على ألفية، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: 1، 1419هـ - 1999م.
12. الأشموني (أبو الحسن علي بن محمد)، منهج السالك إلى ألفية ابن مالك، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي: بيروت - لبنان، ط: 1، 1375هـ - 1955م.
13. الأشموني (أحمد بن عبد الكريم المصري)، منار الهدى في بيان الوقف والابتداء، تح: عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث: القاهرة، 1428هـ - 2008م، (د، ط).
14. الأعشى (ميمون بن قيس)، الديوان، تح: محمد حسين، مكتبة الآداب: مصر، (د، ط - د، ت).
15. الأعلام الشنتمري (أبو الحجاج يوسف بن سليمان)، تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب، تح: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة: بيروت - لبنان، ط: 2، 1415هـ - 1994م.
16. الأقيشر الأسدي (المغيرة بن عبد الله)، الديوان، تح: محمد علي دقر، دار صادر: بيروت، ط: 1، 1417هـ - 1997م.
17. الألوسي (أبو الفضل محمود شهاب الدين)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الفكر: بيروت - لبنان، ط: 1، 1423هـ - 2003م.
18. الألوسي (أبو الفضل محمود شهاب الدين)، الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر، المكتبة العربية: بغداد، ط: 10، 1341هـ - 1921م.
19. الآمدي (أبو الحسن علي)، الإحكام في أصول الأحكام، تح: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي: بيروت - دمشق، (د، ط - د، ت).
20. الآمدي (أبو القاسم الحسن بن بشر)، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف: القاهرة، ط: 4، (د، ت).
21. امرؤ القيس (جندح بن حجر الكندي)، الديوان، تح: أنور أبو سويلم - علي الشوملي - علي الهروط، دار عمار: عمان - الأردن، ط: 1، 1412هـ - 1991م.
22. الأنباري (أبو البركات عبد الرحمن بن محمد)، أسرار العربية، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان، ط: 2، 1430هـ - 2010م.

23. الأنباري (أبو البركات عبد الرحمن بن محمد)، الإغراب في جدل الإغراب ولمع الأدلة، تح: سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السورية: دمشق، 1377هـ-1957م، (د، ط).
24. الأنباري (أبو البركات عبد الرحمن بن محمد)، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية: صيدا- بيروت، 1433هـ - 2012م، (د، ط).
25. الأنباري (أبو البركات عبد الرحمن بن محمد)، التنبيه مع أوهام أبي علي في أماليه، تح: صلاح بن فتحي هلال، سيد بن عباس الجليمي، المكتبة العصرية: صيدا - بيروت، 1431هـ - 2010م، (د، ط).
26. الأنباري (أبو بكر محمد بن القاسم)، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تح: عبد السلام هارون، دار المعارف: القاهرة، ط: 5، (د، ت).
27. أوس بن حجر التميمي، الديوان، تح: محمد يوسف نجم، دار صادر: بيروت - لبنان، ط: 3، 1399هـ - 1979م.
28. الأونبي (أبو عبيد عبد الله البكري)، سمط اللآلئ في شرح أمالي القاضي، تح: عبد العزيز الميمني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر: القاهرة، 1354هـ - 1936م.
29. الباقرلي (أبو الحسن علي بن الحسين)، إغراب القرآن، تح: إبراهيم الأبياري: دار الكتاب المصري - دار الكتب اللبنانية: القاهرة - بيروت، ط: 1، 1420هـ - 2000م.
30. البحري (أبو عبادة الوليد بن عبيد)، الديوان، تح: محمد كامل الصيرفي، دار المعارف: مصر، ط: 3، (د، ت).
31. البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل)، الأدب المفرد، تح: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق: بيروت، ط: 4، 1418هـ - 1997م.
32. البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل)، صحيح البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة: القاهرة، ط: 1، 1422هـ - 2002م.
33. بشر بن أبي خازم الأسدي، الديوان، تح: عزة حسن، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم: دمشق، 1379هـ - 1960م، (د، ط).

34. البصري (أبو الحسن علي بن أبي الفرج)، الحماسة البصرية، تح: مختار الدين أحمد، عالم الكتب: بيروت، (د، ط - د، ت).
35. البغدادي (عبد القادر بن عمر)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي: القاهرة، ط: 4، 1418هـ - 1997م.
36. البغدادي (عبد القادر بن عمر)، شرح أبيات المغني، تح: عبد العزيز رباح - أحمد يوسف دقاق، دار المأمون للتراث: القاهرة، ط: 2، 1407هـ - 1988م.
37. البغوي (أبو محمد الحسين بن مسعود)، تفسير البغوي "معالم التنزيل في تفسير القرآن"، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ط: 1، 1420هـ - 2000م.
38. البقاعي (إبراهيم بن عمر)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (د، تح)، دار الكتاب الإسلامي: القاهرة، (د، ط - د، ت).
39. بكر بن النطاح الحنفي، الديوان، تح: حاتم صالح الضامن، مطبعة المعارف: بغداد، 1395هـ - 1975م، (د، ط).
40. ابن البناء المراكشي، الروض المربع في صناعة البديع، تح: رضوان بنشقرون، الدار المغربية: الدار البيضاء، 1405هـ - 1985م، (د، ط).
41. البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين)، السنن الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: 3، 1424هـ - 2003م.
42. البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين)، القضاء والقدر، مكتبة العبيكان: الرياض، ط: 1، 1420هـ - 2000م.
43. تأبط شرا (ثابت بن جابر)، الديوان، تح: طلال حرب، دار صادر: بيروت، ط: 1، 1416هـ - 1996م.
44. التبريزي (أبو زكريا يحيى بن علي)، شرح ديوان الحماسة، (د، تح)، دار القلم: بيروت، (د، ط - د، ت).
45. الترمذي (أبو عيسى محمد بن عيسى)، سنن الترمذي، تح: أحمد شاكر - محمد فؤاد عبد الباقي - إبراهيم عطوة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي: القاهرة، ط: 2، 1395هـ - 1975م.

46. التفتزاني (سعد الدين بن مسعود)، المطوّل في شرح التلخيص، (د، تح)، المكتبة الأزهرية: استانبول: 1330هـ - 1910م، (د، ط).
47. أبو تمام (حبيب بن أوس الطائي)، الديوان بشرح الخطيب التبريزي، تح: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي: بيروت، ط: 2، 1414هـ - 1994م.
48. التهانوي (محمد بن علي)، كشاف اصطلاحات الفنون، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون: بيروت، ط: 1، 1416هـ - 1996م.
49. ثعلب (أبو العباس أحمد بن يحيى)، مجالس ثعلب، تح: عبد السلام هارون، دار المعارف: القاهرة، 1960م - 1380هـ، (د، ط).
50. الثعلبي (أبو إسحاق أحمد بن محمد)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تح: أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي: بيروت ط: 1، 1422هـ - 2002م.
51. الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، البيان والتبيين، (د، تح)، دار ومكتبة الهلال: بيروت، 1423هـ - 2003م، (د، ط).
52. الجامي (نور الدين)، الفوائد الضيائية شرح كافية ابن الحاجب، تح: أسامة الرفاعي، مطبوعات وزارة الأوقاف: بغداد، 1403هـ - 1983م، (د، ط).
53. جران العود (عامر بن الحارث النميري)، الديوان، (د، تح)، دار الكتب المصرية: القاهرة، ط: 1، 1350هـ - 1930م.
54. الجرجاني (عبد القاهر)، أسرار البلاغة، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني: جدة - القاهرة، ط: 3، 1413هـ - 1992م.
55. الجرجاني (عبد القاهر)، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني: جدة - القاهرة، ط: 3، 1413هـ - 1992م.
56. الجرجاني (عبد القاهر)، شرح رسالة الرماني في إعجاز القرآن، تح: زكريا سعيد علي، دار الفكر العربي بالقاهرة، ط: 1، 1417هـ - 1997م.

57. الجرجاني (عبد القاهر)، المقتصد في شرح الإيضاح، تح: كاظم بحر المرجان، منشورات وزارة الثقافة والإعلام بالجمهورية العراقية: بغداد، 1982م - 1402م، (د، ط).
58. الجرجاني عبد القاهر والرماني أبو الحسن علي بن عيسى والخطابي أبو سليمان حمد بن محمد، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح: محمد خلف الله أحمد - محمد زغلول سلام، دار المعارف: القاهرة، ط: 6، 2012م - 1432هـ.
59. جرير بن عطية الخطفي، الديوان، تح: نعمان محمد أمين طه، دار المعارف: القاهرة، ط: 3، 1406هـ - 1986م.
60. ابن الجزري (أبو الخير شمس الدين)، النشر في القراءات العشر، تح: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى: بيروت، (د، ط - د، ت).
61. ابن جني (أبو الفتح عثمان)، بقية الخاطريات، تح: محمد أحمد الدالي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق: 1413هـ - 1992م، (د، ط).
62. ابن جني (أبو الفتح عثمان)، التمام في تفسير أشعار هذيل، تح: أحمد ناجي القيسي - خديجة الحديثي، مطبعة العاني: بغداد، ط: 1، 1381هـ - 1971م.
63. ابن جني (أبو الفتح عثمان)، الخصائص، تح: محمد علي النجار، عالم الكتب: بيروت - لبنان، ط: 2، 1431هـ - 2010م.
64. ابن جني (أبو الفتح عثمان)، سر صناعة الإعراب، (د، تح)، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: 1، 1421هـ - 2001م.
65. ابن جني (أبو الفتح عثمان)، اللُّمع في العربية، تح: سميح أبو مغلي، دار مجدلاوي: عمّان - الأردن، (د، ط): 1408هـ - 1988م.
66. ابن جني (أبو الفتح عثمان)، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تح: علي النجدي ناصف - عبد الحليم النجار - عبد الفتاح إسماعيل شلي، لجنة إحياء كتب السنة، وزارة الأوقاف بمصر: القاهرة: 1415هـ - 1994م، (د، ط).
67. الجوزجاني (سعيد بن منصور الخراساني)، التفسير من سنن سعيد بن منصور، تح: سعد بن حميد آل حميد، دار الصمعي: الرياض - السعودية، ط: 1، 1417هـ - 1997م.

68. ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن)، زاد المسير في علم التفسير، تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي: بيروت، ط: 1، 1422هـ - 2002م.
69. الجوهري (علي بن الجعد)، مسند ابن الجعد، (د، تح)، مؤسسة نادر: بيروت، ط: 1، 1410هـ - 1990م.
70. ابن الحاجب النحوي (أبو عمرو عثمان)، أمالي ابن الحاجب، تح: فخر صالح سليمان قدارة، دار الجيل: بيروت، دار عمار: عمان - الأردن، (د، ط): 1409هـ - 1989م.
71. ابن الحاجب النحوي (أبو عمرو عثمان)، شرح المقدمة الكافية في علم الإعراب، تح: جمال عبد العاطي مخيمر أحمد، مكتبة مصطفى الباز: مكة المكرمة - الرياض، ط: 1، 1418هـ - 1997م.
72. الحاكم النيسابوري (أبو عبد الله محمد بن عبد الله)، المستدرک علی الصحیحین، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: 1، 1411هـ - 1990م.
73. ابن حبان (أبو حاتم محمد البستي)، صحيح ابن حبان، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط: 1، 1408هـ - 1988م.
74. ابن حجة الحموي (تقي الدين أبو بكر)، خزانة الأدب وغاية الأرب، تح: عصام شقيو، دار الهلال: بيروت، ط: 1، 1424هـ - 2004م.
75. ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد)، الإحكام في أصول الأحكام، تح: أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة: بيروت، (د، ط - د، ت).
76. حسان بن ثابت الأنصاري، الديوان، تح: عبد الله مهنا، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: 2، 1414هـ - 1994م.
77. الحطّينة (جرول بن أوس)، الديوان، تح: محمد عبد الرحيم، دار الراتب الجامعية: بيروت، ط: 1، 1428هـ - 2008م.
78. أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف)، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تح: رجب عثمان محمد - رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي: القاهرة، (د، ط - د، ت).
79. أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف)، البحر المحيط في التفسير، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر: بيروت، 1420هـ - 2000م، (د، ط).

80. أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف)، تذكرة النحاة، تح: عفيف عبد الرحمن، مؤسسة الرسالة: بيروت - لبنان، ط: 1، 1406هـ - 1986م.
81. أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف)، التذليل والتكميل بشرح كتاب التسهيل، تح: حسن هنداوي، دار القلم: دمشق، ط: 1، 1422هـ - 2002م.
82. أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف)، النكت الحسان في شرح غاية الإحسان، تح: الفتلي، مؤسسة الرسالة: بيروت - لبنان، ط: 1، 1405هـ - 1985م.
83. أبو حية النميري (الهيثم بن الربيع)، الديوان، تح: يحيى الجبوري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي: دمشق، 1395هـ - 1975م، (د، ط).
84. الخازن (علي بن محمد) والبعوي (الحسين بن مسعود)، "لباب التأويل في معاني التنزيل"، ومعه: "معالم التنزيل"، تح: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان، ط: 1، 1415هـ - 1995م.
85. ابن خالويه (الحسين بن أحمد)، الحجة في القراءات السبع، تح: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق: بيروت، ط: 3، 1399هـ - 1979م.
86. الخرنق بنت بدر بن هفان البكرية، الديوان برواية أبي عمرو بن العلاء، تح: يسري عبد الغني عبد الله، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: 1، 1410هـ - 1990م.
87. ابن خروف الإشبيلي (علي بن محمد)، شرح جمل الزجاجي، تح: سلوى محمد عمر عرب، مكتبة الملك فهد الوطنية: مطبوعات جامعة أم القرى: مكة المكرمة، 1418 - 1998، (د، ط).
88. الخضري (محمد بن مصطفى)، حاشية الخضري على شرح ابن عقيل، تح: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر: بيروت - لبنان، ط: 1، 1424هـ - 2003م.
89. الخطيب الإسكافي (أبو عبد الله محمد بن عبد الله)، درة التنزيل وغرة التأويل، تح: محمد مصطفى آيدين، مطبوعات جامعة أم القرى: مكة المكرمة، ط: 1، 1422هـ - 2002م.
90. الخطيب التبريزي (أبو زكريا يحيى بن علي)، شرح ديوان عنتر بن شداد، تح: مجيد طراد، دار الكتاب العربي: بيروت، ط: 1، 1412هـ - 1992م.

91. الخطيب القزويني (جلال الدين محمد بن عبد الرحمن)، الإيضاح في علوم البلاغة، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، المكتبة الأزهرية للتراث: مصر، ط: 3، 1413هـ - 1993م.
92. الخطيب القزويني (جلال الدين محمد بن عبد الرحمن)، التلخيص في علوم البلاغة، تح: عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي: القاهرة، ط: 2، 1932م.
93. الخفاجي (شهاب الدين أحمد بن محمد)، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، (د، تح)، دار صادر: بيروت، (د، ط - د، ت).
94. خفاف بن ندبة السلمي، الديوان، تح: حمودي نوري القيسي، مطبعة المعارف: بغداد، 1387هـ - 1967م، (د، ط).
95. ابن خلكان (أحمد بن محمد البرمكي الإربلي)، وفيات الأعيان، تح: إحسان عباس، دار صادر: بيروت، ط: 1، 1414هـ - 1994م.
96. الخنساء (تماضر بنت عمرو السلمي)، الديوان، تح: إبراهيم عوضين، مطبعة السعادة: القاهرة، ط: 1، 1405هـ - 1985م.
97. الدارقطني (أبو الحسن علي بن عمر)، سنن الدارقطني، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط: 1، 1424هـ - 2004م.
98. الدارمي (أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن)، سنن الدارمي، تح: حسين سليم الداراني، دار المغني: الرياض، ط: 1، 1412هـ - 1992م.
99. أبو داود السجستاني (سليمان بن الأشعث)، سنن أبي داود، تح: شعيب الأرنؤوط - محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية: بيروت، ط: 1، 1430هـ - 2009م.
100. أبو داود السجستاني (سليمان بن الأشعث)، سنن أبي داود، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية: صيدا - بيروت، (د، ط - د، ت).
101. الدسوقي (محمد بن أحمد بن عرفة)، حاشية الدسوقي على مختصر التفتازاني، دار الإرشاد الإسلامي: بيروت، (د، ط - د، ت).
102. دعبل بن علي الخزاعي، الديوان، تح: إبراهيم الأميوني، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: 1، (د، ت).

103. الدميّاطي (أحمد بن محمد)، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تح: أنس مهرة، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان، ط: 3، 1427هـ - 2006م.
104. ابن الدمينّة (أبو السّري عبد الله بن عبيد الله)، ملحق ديوانه، تح: أحمد راتب النفاخ، دار العروبة: القاهرة، 1379هـ - 1959م، (د، ط).
105. ابن الدهان النحوي (سعيد بن المبارك)، شرح الدروس في النحو، تح: إبراهيم محمد الإدكاوي، مطبعة الأمانة: القاهرة، ط: 1، 1411هـ - 1991م.
106. أبو دؤاد الإيادي (جارية بن الحجاج)، الديوان، تح: أنوار محمود الصالحي - أحمد هاشم السامرائي، دار العصماء: دمشق، ط: 1، 1431هـ - 2010م.
107. الدؤلي (أبو الأسود ظالم بن عمرو)، الديوان، تح: محمد حسن آل ياسين، دار ومكتبة الهلال: بيروت، ط: 2، 1418هـ - 1998م.
108. الذهبي (أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد)، تذكرة الحفاظ، (د، تح)، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان، ط: 1، 1419هـ - 1998م.
109. الذهبي (أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد)، سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة: بيروت - لبنان، ط: 11، 1417هـ - 1996م.
110. الذهبي (أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد)، الكبائر، (د، تح)، دار الندوة الجديدة: بيروت، (د، ط - د، ت).
111. الذهبي (أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد)، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تح: علي محمد البجاوي، دار المعرفة: بيروت - لبنان، ط: 1، 1382هـ - 1963م.
112. ذو الرمة (غيلان بن عقبة)، الديوان، تح: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة: بيروت، ط: 1، 1427هـ - 2006م.
113. أبو ذؤيب الهذلي (خويلد بن خالد)، الديوان، تح: أحمد خليل الشال، دار الكتب المصرية: القاهرة، ط: 1، 1435هـ - 2014م.
114. الرازي (فخر الدين محمد بن عمر)، التفسير الكبير، (د، تح)، دار إحياء التراث العربي: بيروت - لبنان، ط: 3، 1420هـ - 2000م.

115. الراعي النميري (أبو جندل عبيد بن حصين)، الديوان، تح: راينهرت فاييرت، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية: بيروت، 1401هـ - 1981م، (د، ط).
116. الربيعي (أبو الحسن علي بن محمد)، فضائل الشام ودمشق، تح: صلاح الدين المنجد، مطبوعات الجمع العلمي العربي بدمشق، ط: 1، 1370هـ - 1950م.
117. ابن أبي الربيع الأشبيلي (عبيد الله بن أحمد)، البسيط في شرح جمل الزجاجي، تح: عياد بن عيد الثبيتي، دار الغرب الإسلامي: بيروت - لبنان، ط: 1، 1407هـ - 1986م.
118. ابن رشيق القيرواني (أبو علي الحسن)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجليل: بيروت - لبنان، ط: 5، 1401هـ - 1981م.
119. رضا محمد رشيد بن علي، تفسير المنار، (د، تح)، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، 1410هـ - 1990م، (د، ط).
120. رضي الدين الإستراباذي، شرح كافية ابن الحاجب، تح: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة فازيوس: بنغازي، ط: 2، 1416هـ - 1996م.
121. الرماني (أبو الحسن علي بن عيسى)، معاني الحروف، تح: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار الشروق: القاهرة، ط: 2، 1401هـ - 1981م.
122. الرماني (أبو الحسن علي بن عيسى)، النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، (د، تح)، مكتبة الخانجي: القاهرة، (د، ط - د، ت).
123. رؤية بن العجاج، الديوان، تح: وليم بن الورد البروسي، دار ابن قتيبة: الكويت، (د، ط - د، ت).
124. الزبيدي (أبو بكر محمد بن الحسن)، طبقات النحويين واللغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف: القاهرة - مصر، ط: 2، 1404هـ - 1984م.
125. الزبيدي (أبو بكر محمد بن الحسن)، الواضح في العربية، تح: عبد الكريم خليفة، دار جليس الزمان: عمان - الأردن، ط: 2، 1428هـ - 2007م.
126. الزجاج (أبو إسحاق إبراهيم السري)، تهذيب معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجليل شلبي، عالم الكتب: بيروت، ط: 1، 1408هـ - 1988م.

127. الزجاجي (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق)، الإيضاح في علل النحو، تح: مازن المبارك، دار النفائس: بيروت، ط: 3، 1399هـ - 1979م.
128. الزجاجي (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق)، الجمل، تح: ابن أبي شنب، مطبعة جون كرنوبل: الجزائر، 1926.
129. الزجاجي (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق)، حروف المعاني، تح: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة: بيروت - لبنان، ط: 2، 1406هـ - 1986م.
130. الزجاجي (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق)، مجالس العلماء، تح: عبد السلام محمد هارون، مطبعة حكومة الكويت، ط: 2، 1404هـ - 1984م.
131. الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله)، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية: عيسى البابي الحلبي وشركاؤه - القاهرة، ط: 1، 1376هـ - 1957م.
132. الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمرو)، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان، ط: 1، 1419هـ - 1998م.
133. الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمرو)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (د، تح)، دار الكتاب العربي: بيروت، ط: 3، 1407هـ - 1987م.
134. الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمرو)، المحاجة بالمسائل النحوية، تح: بهيجة باقر، مطبعة أسعد: بغداد، 1973م - 1393هـ، (د، ط).
135. الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمرو)، المفصل في علم العربية، تح: علي بو ملحم، دار الهلال: بيروت، ط: 1، 1413هـ - 1993م.
136. ابن زنجلة (أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد)، حجة القراءات، تح: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة: بيروت - لبنان، ط: 5، 1418هـ - 1997م.
137. زهير بن أبي سلمى المزني، الديوان، تح: حمدو طماس، دار المعرفة: بيروت - لبنان، ط: 2، 1426هـ - 2005م.
138. أبو زيد الأنصاري (سعيد بن أوس)، النوادر في اللغة، تح: محمد عثمان، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان، ط: 1، 1431هـ - 2011م.

139. زيد الخير بن مهلهل الطائي، الديوان، تح: أحمد مختار البرزة، دار المأمون للتراث: دمشق، ط: 1، 1408-1988م.
140. أبو زيد عمر بن شبة النميري، تاريخ المدينة، تح: فهيم محمود شلتوت، طبع على نفقة حبيب محمود أحمد: جدة، 1399هـ - 1979م، (د، ط).
141. أبو زيد القرشي (محمد بن الخطاب)، جمهرة أشعار العرب، تح: علي محمد البحايي، مكتبة نهضة مصر: القاهرة، 1401هـ - 1981م، (د، ط).
142. الزيلعي (جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف)، تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشف، تح: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة: الرياض، ط: 1، 1414هـ - 1994م.
143. ساعدة بن جؤية الهذلي، الديوان، تح: ميساء قتلان، مخطوط رسالة ماجستير في الآداب، جامعة دمشق: 1424هـ - 2003م.
144. سراج الدين الدمشقي (عمر بن علي بن عادل)، اللباب في علوم الكتاب، تح: عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: 1، 1419هـ - 1998م.
145. السراج (محمد علي)، اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب، تح: خير الدين شمسي باشا، دار الفكر: دمشق، ط: 1، 1403هـ - 1983م.
146. السرخسي (محمد بن أحمد)، أصول السرخسي، تح: أبو الوفا الأفعاني، دار المعرفة: بيروت - لبنان، (د، ط - د، ت).
147. أبو السعود العمادي (محمد بن محمد بن مصطفى)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي: بيروت، (د، ط - د، ت).
148. السفاسي (أبو الحسن علي بن محمد)، غيث النفع في القراءات السبع، تح: أحمد عبد السميع الحفيان، ط: 1، 1425هـ - 2004م.
149. السكاكي (يوسف بن أبي بكر)، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: 2، 1407هـ - 1987م.
150. السكيت (يعقوب بن إسحاق أبو يوسف)، إصلاح المنطق، تح: أحمد محمد شاکر - عبد السلام هارون، دار المعارف: القاهرة، ط: 4، 1369هـ - 1949م.

151. السلسيلي (محمد بن عيسى أبو عبد الله)، شفاء العليل في إيضاح التسهيل، تح: شريف عبد الله علي الحسيني البركاتي، دار الفيصلية: مكة المكرمة، ط: 1، 1406هـ - 1986م.
152. السمعاني (أبو المظفر منصور بن محمد)، قواطع الأدلة في الأصول، تح: محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: 1، 1418هـ - 1998م.
153. السمين الحلبي (أحمد بن يوسف)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: أحمد محمد الخراط، دار القلم: دمشق، 1406هـ - 1986م، (د، ط).
154. ابن سناء الملك (أبو القاسم هبة الله)، الديوان، تح: محمد إبراهيم نصر - حسين نصار، دار الكاتب العربي: وزارة الثقافة المصرية - القاهرة، 1388هـ - 1969م.
155. السهيلي (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله)، أمالي السهيلي، تح: محمد إبراهيم البنا، مطبعة السعادة: القاهرة، 1390هـ - 1970م، (د، ط).
156. السهيلي (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله)، نتائج الفكر في النحو، تح: عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان، ط: 1، 1412هـ - 1992م.
157. سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان)، كتاب سيبويه، تح: عبد السلام محمد هارون، دار التاريخ: بيروت - لبنان، (د، ط - د، ت).
158. ابن السيد البطليوسي (عبد الله بن محمد)، الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، تح: مصطفى السقا - حامد عبد المجيد، دار الكتب المصرية: القاهرة، 1416هـ - 1996م، (د، ط).
159. ابن السيد البطليوسي (عبد الله بن محمد)، الخلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل، تح: سعيد عبد الكريم سعودي، دار الطليعة: بيروت، (د، ط - د، ت).
160. ابن سيده (علي بن إسماعيل)، المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان، ط: 1، 1421هـ - 2000م.
161. السيرافي (أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان)، شرح كتاب سيبويه، تح: أحمد حسن مهدي - علي سيد علي، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: 1، 1428هـ - 2008م.
162. السيرافي (أبو محمد يوسف بن أبي سعيد)، شرح أبيات سيبويه، تح: محمد علي هاشم، مكتبة الكليات الأزهرية: القاهرة، 1394هـ - 1974م، (د، ط).

163. السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر)، الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، ط: 4، 1394هـ - 1974م.
164. السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر)، الأشباه والنظائر في النحو، تح: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة: بيروت - لبنان، ط: 1، 1406هـ - 1985م.
165. السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر)، الاقتراح في علم أصول النحو، تح: محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان، ط: 3، 1431هـ - 2011م.
166. السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر: القاهرة، ط: 2، 1399هـ - 1979م.
167. السيوطي (جلال الدين وجلال الدين المحلي)، تفسير الجلالين، دار الحديث: القاهرة، ط: 1، (د، ت).
168. السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، (د، تح)، دار الفكر: بيروت، (د، ط - د، ت).
169. السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر)، شرح شواهد المغني، تح: محمد الشنقيطي، لجنة التراث العربي: القاهرة، 1386هـ - 1966م، (د، ط).
170. السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر)، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تح: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب: القاهرة، 1424هـ - 2004م، (د، ط).
171. السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: عبد الحميد هندراوي، المكتبة التوفيقية: مصر، (د، ط - د، ت).
172. الشاطبي (أبو إسحاق إبراهيم بن موسى)، المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، تح: عياد بن عيد الشبتي، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي: مطبوعات جامعة أم القرى: مكة المكرمة، ط: 1، 1428هـ - 2007م.
173. ابن الشجري (هبة الله بن علي العلوي)، أمالي ابن الشجري، تح: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي: القاهرة، ط: 1، 1413هـ - 1992م.

174. الشريف الجرجاني (علي بن محمد)، التعريفات، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان، ط: 1، 1403هـ - 1983م.
175. الشعراء الهذليون، ديوان الهذليين، تح: محمد الشنقيطي، الدار القومية: القاهرة، 1385هـ - 1965م، (د، ط).
176. الشلوبين (أبو علي عمر بن محمد)، التوطئة، تح: يوسف أحمد المطوع، دار الكتب المصرية: القاهرة، ط: 2، 1400هـ - 1980م.
177. الشماخ بن ضرار الديباني، الديوان، تح: أحمد الشنقيطي، مطبعة السعادة: مصر، 1327هـ - 1907م، (د، ط).
178. الشنفرى (عمرو بن مالك)، الديوان، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي: بيروت، ط: 2، 1417هـ - 1996م.
179. الشوكاني (محمد بن علي)، إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، تح: أبو مصعب محمد سعيد البدرى، مؤسسة الكتب الثقافية: بيروت - لبنان، ط: 8، 1428هـ - 2007م.
180. الشوكاني (محمد بن علي)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار ابن كثير - دار الكلم الطيب: دمشق - بيروت، ط: 1، 1414هـ - 1994م.
181. ابن أبي شيبة (أبو بكر عبد الله بن محمد)، المصنّف، تح: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد: الرياض، ط: 1، 1409هـ - 1989م.
182. الصبان (محمد بن علي)، حاشية الصبان على شرح الأشموني على الألفية، تح: طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة التوفيقية: القاهرة، (د، ط - د، ت).
183. الصفدي (صلاح الدين خليل بن آيبك)، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط - تركي مصطفى، دار إحياء التراث: بيروت، 1420هـ - 2000م، (د، ط).
184. الصولي (إبراهيم بن العباس)، الطرائف الأدبية، تح: عبد العزيز الميمني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر: القاهرة، 1927، (د، ط).
185. الصولي (إبراهيم بن العباس)، الطرائف الأدبية، تح: عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان، (د، ط - د، ت).

186. الصيمري (أبو إسحاق عبد الله بن علي)، التبصرة والتذكرة، تح: فتحي أحمد مصطفى علي الدين، دار الفكر: دمشق، ط: 1، 1402هـ - 1982م.
187. الطبراني (أبو القاسم سليمان بن أحمد)، كتاب الدعاء، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: 1، 1413هـ - 1993م.
188. الطبراني (أبو القاسم سليمان بن أحمد)، المعجم الصغير، تح: محمد شكور أمرير، المكتب الإسلامي: بيروت، ط: 1، 1405هـ - 1985م.
189. الطبري (أبو جعفر محمد ابن جرير)، تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل آي القرآن)، تح: بشار عواد معروف - عصام فارس الحرساني، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط: 1، 1415هـ - 1994م.
190. الطحاوي (أبو جعفر أحمد بن محمد)، شرح مشكل الآثار، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط: 1، 1415هـ - 1995م.
191. ابن الطراوة النحوي (سليمان بن محمد)، الإفصاح ببعض ما جاء من الخطأ في الإيضاح، تح: حاتم صالح الضامن، عالم الكتب: بيروت - لبنان، ط: 2، 1416هـ - 1996م.
192. طرفة بن العبد البكري، الديوان، تح: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان، ط: 3، 1423هـ - 2002م.
193. الطرماح بن حكيم الطائي، الديوان، تح: عزة حسن، دار الشرق العربي: بيروت - حلب، ط: 2، 1414هـ - 1994م.
194. ابن عاشور (محمد الطاهر)، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، 1984م - 1404هـ، (د، ط).
195. العباس بن مرداس السلمي، الديوان، تح: يحيى العبدوري، مديرية الثقافة: بغداد، (د، ط): 1968م.
196. العباس بن مرداس السلمي، الديوان، تح: يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط: 1، 1412هـ - 1991م.
197. عبد الرحمن بن حسان الأنصاري، الديوان، تح: سامي مكّي العاني، مطبعة المعارف: بغداد، 1391هـ - 1971م، (د، ط).

198. عبد الله بن رواحة الخزرجي، الديوان، تح: وليد قصاب، دار العلوم للطباعة والنشر - مطبعة المتوسط: بيروت، ط: 1، 1401هـ - 1981م.
199. عبيد بن الأبرص الأسدي، الديوان، تح: تشارلز ليال، المطبعة الشرقية: لندن، 1913م، (د، ط).
200. عبيد بن الأبرص الأسدي، الديوان، تح: حسين نصار، ط: 1، 1957م - 1377هـ، (د، ط)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي: القاهرة.
201. أبو عبيدة (معمر بن المثنى)، مجاز القرآن، تح: محمد فؤاد سركين، مكتبة الخانجي: القاهرة، 1381هـ - 1961م، (د، ط).
202. العجاج (عبد الله بن ربيعة)، الديوان، تح: عبد الحفيظ السطلي، مكتبة أطلس: دمشق، 1391هـ - 1971م، (د، ط).
203. عدي بن زيد العبادي، الديوان، تح: محمد جبار المعبيد، دار الجمهورية: بغداد، 1385هـ - 1965م، (د، ط).
204. عروة بن الورد العبسي، الديوان، تح: أسماء أبوبكر محمد، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: 1، 1418هـ - 1998م.
205. ابن أبي العز الحنفي (أبو الحسن علي بن علاء الدين)، شرح العقيدة الطحاوية، دار ابن حزم: بيروت - لبنان، ط: 1، 1430هـ - 2009م.
206. ابن عصفور الإشبيلي (علي بن مؤمن)، شرح جمل الزجاجي، تح: صاحب أبو جناح، مكتبة الإسكندرية، (د، ط - د، ت).
207. ابن عصفور الإشبيلي (علي بن مؤمن)، ضرائر الشعر، وضع هوامشه: خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان، ط: 1، 1420هـ - 1999م.
208. ابن عصفور الإشبيلي (علي بن مؤمن)، المقرب، تح: أحمد عبد الستار الجوّاري - عبد الله الجبوري، مطبعة العاني: بغداد، ط: 1، 1392هـ - 1972م.
209. ابن عطية الأندلسي (أبو محمد عبد الحق بن غالب)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان، ط: 1، 1422هـ - 2001م.

210. ابن عقيل (عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي)، شرح الألفية، تح: محي الدين عبد الحميد، دار التراث: القاهرة، ط: 20، 1400هـ - 1980م.
211. ابن عقيل (عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي)، المساعد على تسهيل الفوائد، تح: محمد كامل بركات، دار الفكر: دمشق - سوريا، 1400هـ - 1980م، (د، ط).
212. العكبري (أبو البقاء عبد الله بن الحسين)، إملأ ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، تح: نجيب الماجدي، المكتبة العصرية: صيدا - بيروت، 1428هـ - 2007م، (د، ط).
213. العكبري (أبو البقاء عبد الله بن الحسين)، التبيان في إعراب القرآن، تح: علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه: القاهرة، (د، ط): 1396هـ - 1976م.
214. العكبري (أبو البقاء عبد الله بن الحسين)، شرح ديوان المتنبي، تح: مصطفى السقا - إبراهيم الأبياري - عبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة: بيروت، (د، ط - د، ت).
215. العكبري (أبو البقاء عبد الله بن الحسين)، اللباب في علل البناء والإعراب، تح: غازي مختار طليمات، دار الفكر المعاصر: بيروت، دار الفكر: دمشق، ط: 1، 1416هـ - 1995م.
216. أبو العلاء المعري (أحمد بن عبد الله)، الديوان "سقط الزند"، (د، تح)، دار صادر - دار بيروت: بيروت، 1376هـ - 1957م، (د، ط).
217. العلائي (صلاح الدين)، الفصول المفيدة في الواو المزيدة، تح: حسن موسى الشاعر، دار البشير: عمان - الأردن، ط: 1، 1410هـ - 1990م.
218. العلوي (يحيى بن حمزة)، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، (د، تح)، المكتبة العصرية: بيروت - صيدا، ط: 1، 1423هـ - 2003م.
219. علي بن سليمان اليمني، كشف المشكل في النحو، تح: هادي عطية مطر، مطبعة الإرشاد ببغداد، 1404هـ - 1984م، (د، ط).
220. ابن العماد الحنبلي (عبد الحي بن أحمد)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير: دمشق - بيروت، ط: 1، 1406هـ - 1986م.
221. عمر بن أبي ربيعة المخزومي، الديوان، تح: أحمد كرم الطباع، دار القلم: بيروت، (د، ط - د، ت).

222. عمرو بن قمينة الثعلبي، الديوان، تح: حسن كامل الصيرفي، مطبوعات معهد المخطوطات العربية - دار الكاتب العربي: القاهرة، 1385هـ - 1965م، (د، ط).
223. عمرو بن كلثوم الثعلبي، الديوان، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي: بيروت، ط: 2، 1416هـ - 1996م.
224. عمرو بن معدي كرب الزبيدي، الديوان، تح: مطاع الطرايشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط: 2، 1405هـ - 1985م.
225. عنتر بن شداد العبسي، الديوان، (د، تح)، مطبعة الآداب: بيروت، 1893م، (د، ط).
226. أبو عوانة (يعقوب بن إسحاق النيسابوري)، مستخرج أبي عوانة، تح: أيمن بن عارف الدمشقي، دار المعرفة، بيروت، ط: 1، 1419هـ - 1999م.
227. العيني (بدر الدين)، المقاصد النحوية في شرح شواهد الألفية، تح: علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام: القاهرة، ط: 1، 1431هـ - 2011م.
228. الغزالي (أبو حامد محمد بن محمد)، المستصفى في علم الأصول، تح: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان، ط: 1، 1413هـ - 1993م.
229. ابن فارس (أحمد أبو الحسين)، الصحاحي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: 1، 1418هـ - 1998م.
230. ابن فارس (أحمد أبو الحسين)، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر: بيروت - لبنان، 1399هـ - 1979م، (د، ط).
231. الفارسي (أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار)، الإيضاح العضدي، تح: كاظم بحر المرجان، عالم الكتب: بيروت - لبنان، ط: 2، 1416هـ - 1996م.
232. الفارسي (أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار)، التعليقة على كتاب سيبويه، تح: عوض حمد القوزي، دار الكتب المصرية: القاهرة، ط: 1، 1410هـ - 1990م.
233. الفارسي (أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار)، شرح الأبيات المشككة الإعراب، تح: محمود الطناحي، مكتبة الخانجي: القاهرة، ط: 1، 1408هـ - 1988م.

234. الفارسي (أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار)، كتاب الشعر، تح: محمود الطناحي، مكتبة الخانجي: القاهرة، ط: 1، 1408هـ - 1988م.
235. الفارسي (أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار)، المسائل الشيرازيات، تح: حسن بن محمود هنداوي، دار كنوز إشبيلية: الرياض، ط: 1، 1424هـ - 2004م.
236. الفارسي (أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار)، المسائل العضديات، تح: علي جابر المنصوري، عالم الكتب: بيروت - لبنان، ط: 1، 1406هـ - 1986م.
237. الفارسي (أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار)، المسائل المنشورة، تح: شريف عبد الكريم النجار، دار عمار: عمان - الأردن، (د، ط - د، ت).
238. الفارسي (محمد بن الطيب)، فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح، تح: محمود يوسف فجال، دار البحوث الإسلامية وإحياء التراث: الإمارات العربية المتحدة: دبي، ط: 2، 1423هـ - 2003م.
239. أبو الفتح العباسي (عبد الرحيم بن عبد الرحمن)، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، عالم الكتب: بيروت، (د، ط - د، ت).
240. الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد)، معاني القرآن، تح: عبد الفتاح شلي وآخرون، الدار المصرية، ط: 1، (د، ت).
241. الفرزدق (همّام بن غالب)، الديوان، إعداد: محمد عبد الرحيم، دار الراتب الجامعية، ط: 1، 1428هـ - 2008م.
242. الفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب)، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة: بيروت - لبنان، ط: 8، 1426هـ - 2005م.
243. القاسمي (جمال الدين)، محاسن التأويل، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: 1، 1418هـ - 1998م.
244. القاضي الجرجاني (أبو الحسن علي بن عبد العزيز)، الوساطة بين المتنبّي وخصومه، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم - علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي: القاهرة، (د، ط - د، ت).

245. القالي (أبو علي إسماعيل بن القاسم)، الأمالي، تح: محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية: القاهرة، ط: 2، 1344هـ - 1926م.
246. ابن قتيبة الدينوري (أبو محمد عبد الله بن مسلم)، تأويل مشكل القرآن، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية: بيروت، (د، ط - د، ت).
247. ابن قتيبة الدينوري (أبو محمد عبد الله بن مسلم)، الشعر والشعراء، (د، تح)، دار الحديث: القاهرة، 1423هـ - 2003م، (د، ط).
248. ابن قتيبة الدينوري (أبو محمد عبد الله بن مسلم)، كتاب المعاني الكبير في أبيات المعاني، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان، ط: 1، 1405هـ - 1984م.
249. القرافي (شهاب الدين)، نفائس الأصول في شرح المحصول، تح: عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض، مكتبة نزار مصطفى: القاهرة، ط: 1، 1416هـ - 1995م.
250. القرطاجني (حازم)، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي: بيروت، ط: 3، 1406هـ - 1986م.
251. القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد)، تفسير القرطبي "الجامع لأحكام القرآن"، تح: أحمد البردوني - إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية: القاهرة، ط: 2، 1384هـ - 1964م.
252. القطامي (عمير بن شبيب التغلبي)، الديوان، تح: محمود الربيعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، 1421هـ - 2001م، (د، ط).
253. القفطي (أبو الحسن علي بن يوسف)، إنباه الرواة على أنباء النحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي: القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية: بيروت، ط: 1، 1406هـ - 1986م.
254. القلقشندي (أحمد بن علي)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، (د، تح)، دار الكتب العلمية: بيروت، (د، ط - د، ت).
255. القوجوي (محمد بن مصطفى)، شرح قواعد الإعراب لابن هشام، تح: إسماعيل مروة، دار الفكر المعاصر: بيروت، ط: 1، 1416هـ - 1996م.
256. قيس بن الخطيم الأوسي، الديوان، تح: ناصر الدين الأسد، دار صادر: بيروت، 1967م، (د، ط).

257. قيس بن ذريح الليثي، الديوان، تح: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة: بيروت، ط: 2، 1425هـ - 2004م.
258. قيس بن الملوخ الهوازني، الديوان، تح: عبد الستار أحمد فراج، مكتبة مصر: 1399هـ - 1979م، (د، ط).
259. القيسي (أبو علي الحسن)، إيضاح شواهد الإيضاح، تح: محمد الدعجاني، دار الغرب الإسلامي: بيروت، ط: 1، 1408هـ - 1988م.
260. ابن قيم الجوزية (شمس الدين محمد بن أبي بكر)، بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي: بيروت، (د، ط - د، ت).
261. ابن قيم الجوزية (شمس الدين محمد بن أبي بكر)، التفسير القيم، تح: إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال: بيروت، ط: 1، 1410 - 1990م.
262. ابن قيم الجوزية (شمس الدين محمد بن أبي بكر)، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية: بيروت، ط: 27، 1415هـ - 1995م.
263. ابن قيم الجوزية (شمس الدين محمد بن أبي بكر)، طريق المهجرتين وباب السعادتين، (د، تح)، الدار السلفية: القاهرة، ط: 2، 1394هـ - 1974م.
264. كثير عزة (عبد الرحمن بن الأسود الخزامي)، الديوان، تح: إحسان عباس، دارالثقافة: بيروت - لبنان، 1391هـ - 1971م، (د، ط).
265. ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر)، تفسير القرآن العظيم، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: 1، 1419هـ - 1999م.
266. الكرمانى (برهان الدين محمود بن حمزة)، البرهان في توجيه متشابه القرآن، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة: مصر، (د، ط - د، ت).
267. الكرمانى (شمس الدين)، تحقيق الفوائد الغياثية، تح: علي بن دخيل الله العوفي، مكتبة العلوم والحكم: المدينة المنورة، ط: 1، 1424هـ - 2004م.
268. الكشميري (محمد أنور شاه بن معظم شاه)، فيض الباري على صحيح البخاري، تح: محمد بدر عالم الميرهي، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: 1، 1426هـ - 2005م.

269. كعب بن زهير (أبو المضرب المزني)، الديوان، تح: علي فاعور، دار الكتب العلمية: بيروت، 1417هـ - 1997م، (د، ط).
270. الكفوي (أبو البقاء أيوب بن موسى)، الكليات، تح: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة: بيروت، (د، ط - د، ت).
271. ابن كمال باشا (شمس الدين أحمد بن سليمان)، أسرار النحو، تح: أحمد حسن حامد، دار الفكر: عمان - الأردن، ط: 2، 1422هـ - 2002م.
272. الكميت بن زيد الأسدي، الديوان، تح: محمد نبيل طريفي، دار صادر: بيروت، ط: 1، 1420هـ - 2000م.
273. لبید بن ربيعة العامري، الديوان، تح: حمدو طماس، دار المعرفة: بيروت - لبنان، ط: 1، 1425هـ - 2004م.
274. لیلی الأخيلية (بنت عبد الله بن الرحال)، الديوان، تح: واضح الصمد، دار صادر: بيروت، ط: 2، 1424هـ - 2004م.
275. ابن ماجه القزويني (أبو عبد الله محمد بن يزيد)، سنن ابن ماجه، تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط: 1، 1430هـ - 2010م.
276. المالقي (أحمد بن عبد النور)، رصف المباني في حروف المعاني، تح: أحمد محمد الخراط، دار القلم: دمشق، ط: 3، 1422هـ - 2002م.
277. ابن مالك (جمال الدين محمد بن عبد الله الأندلسي الدمشقي)، ألفية ابن مالك، (د، تح)، دار التعاون: مصر، (د، ط - د، ت).
278. ابن مالك (جمال الدين محمد بن عبد الله الأندلسي الدمشقي)، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تح: محمد كامل بركات، دار الكاتب العربي: دمشق - القاهرة: 1387هـ - 1967م، (د، ط).
279. ابن مالك (جمال الدين محمد بن عبد الله الأندلسي الدمشقي)، شرح التسهيل، تح: عبد الرحمن السيد، محمد بدوي المختون، دار هجر: القاهرة، ط: 1، 1410هـ - 1990م.

280. ابن مالك (جمال الدين محمد بن عبد الله الأندلسي الدمشقي)، شرح الكافية الشافية، تح: عبد المنعم هريدي، مطبوعات جامعة أم القرى: مكة المكرمة، ط: 1، (د، ت).
281. ابن مالك (جمال الدين محمد بن عبد الله الأندلسي الدمشقي)، شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، تح: طه محسن، مكتبة ابن تيمية: بغداد، ط: 1، 1405-1985م.
282. مالك بن أنس الأصبحي، الموطأ، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي: بيروت، 1406هـ-1986م، (د، ط).
283. المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد)، الكامل في اللغة والأدب، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي: القاهرة، ط: 3، 1417هـ-1997م.
284. المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد)، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي - وزارة الأوقاف: مصر، ط: 3، 1415هـ-1994م.
285. المتنبّي (أبو الطيب أحمد بن الحسين)، الديوان، (د، تح)، دار بيروت: بيروت - لبنان، 1403هـ-1983م، (د، ط).
286. المتلمس الضبي، الديوان، تح: حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية: القاهرة، 1390هـ-1970م، (د، ط).
287. المجاشعي (علي بن فضال)، النكت في القرآن الكريم (في معاني القرآن وإعرابه)، تح: عبد الله عبد القادر الطويل، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان، ط: 1، 1428هـ-2007م.
288. ابن مجاهد (أبو بكر أحمد بن موسى التميمي)، السبعة في القراءات، تح: شوقي ضيف، دار المعارف: مصر، ط: 2، 1400هـ-1980م.
289. المرادي (الحسن بن قاسم)، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، تح: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي: القاهرة، ط: 1، 1422هـ-2001م.
290. المرادي الحسن بن قاسم، الجنى الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة - محمد ندیم فاضل، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان، ط: 1، 1413هـ-1992م.
291. المرتضى الزبيدي محمد بن محمد، تاج العروس، (د، تح)، دار الهداية: مصر، (د، ط - د، ت).

292. المرزوقي (أبو علي أحمد بن محمد)، أمالي المرزوقي، تح: يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي: بيروت، ط: 1، 1415هـ - 1995م.
293. المرزوقي (أبو علي أحمد بن محمد)، شرح ديوان الحماسة، تح: أحمد أمين - عبد السلام هارون، دار الجليل: بيروت، ط: 1، 1411هـ - 1991م.
294. المرزوقي (أبو علي أحمد بن محمد)، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، تح: غريد الشيخ، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان، ط: 1، 1424هـ - 2003م.
295. المرقشان: الأصغر (عمرو بن حرملة) والأكبر (عمرو بن سعد)، الديوان، تح: كارين صادر، دار صادر: بيروت، ط: 1، 1418هـ - 1998م.
296. مزاحم بن الحارث العقيلي، الديوان، تح: نوري القيسي - حاتم الضامن، مكتبة عبد الله الجبوري: العراق، (د، ط - د، ت).
297. مسكين الدارمي (ربيع بن عامر)، الديوان، تح: عبد الله الجبوري - خليل إبراهيم عطية، مطبعة دار البصري: بغداد، ط: 1، 1389هـ - 1970م.
298. مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي: بيروت - لبنان، ط: 1، 1406هـ - 1986م.
299. ابن مضاء القرطبي (أحمد بن عبد الرحمن)، الرد على النحاة، تح: محمد إبراهيم البناء، دار الاعتصام: القاهرة، ط: 1، 1399هـ - 1979م.
300. ابن مطروح (يحيى بن عيسى جمال الدين)، الديوان، تح: حسين نصار، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية: القاهرة، 1425هـ - 2004م، (د، ط).
301. معن بن أوس المزني، الديوان، تح: فون بول شوارتز، مطبعة أوتو هاروسويتز: لايبزيغ - ألمانيا، 1903م، (د، ط).
302. المكودي (أبو زيد عبد الرحمن بن علي)، شرح ألفية ابن مالك، تح: عبد الحميد هنداي، المكتبة العصرية: بيروت، 1425هـ - 2005م، (د، ط).
303. مكي بن أبي طالب القيسي، مشكل إعراب القرآن، تح: صالح حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط: 2، 1405هـ - 1985م.

304. مكي بن أبي طالب القيسي، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، تح: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، مطبعة جامعة الشارقة، ط: 1، 1429هـ - 2009م.
305. ابن منظور (محمد بن مكرم)، لسان العرب، (د، تح)، دار صادر: بيروت، ط: 3، 1414هـ - 1994م.
306. الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد)، مجمع الأمثال، تح: محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة: بيروت، (د، ط - د، ت).
307. النابغة الجعدي (عبد الله بن قيس)، الديوان، تح: واضح الصمد، دار صادر: بيروت، ط: 1، 1418هـ - 1998م.
308. النابغة الذبياني (زياد بن معاوية)، الديوان، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف: القاهرة، ط: 2، 1405هـ - 1985م.
309. ناظر الجيش (محمد بن يوسف)، تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، تح: مجموعة من الأساتذة، دار السلام: القاهرة - مصر، ط: 1، 1428هـ - 2007م.
310. ابن الناظم (بدر الدين محمد بن الإمام محمد بن مالك)، شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان، ط: 1، 1420هـ - 2000م.
311. أبو النجم العجلي (الفضل بن قدامة)، الديوان، تح: محمد أديب - عبد الواحد جمران، مطبوعات مجمع اللغة العربية: دمشق، 1427هـ - 2006م، (د، ط).
312. النحاس (أبو جعفر أحمد بن محمد)، إعراب القرآن، تح: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: 1، 1421هـ - 2001م.
313. ابن النحاس (محمد بن إبراهيم الحلبي)، التعليقة على المقرب لابن عصفور، تح: جميل عبد الله عويضة، وزارة الثقافة الأردنية: عمان، ط: 1، 1424هـ - 2004م.
314. النسائي (أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب)، سنن النسائي الصغرى، تح: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية: حلب - سوريا، ط: 2، 1406هـ - 1986م.
315. النسفي (أبو البركات عبد الله بن أحمد)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تح: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب: بيروت، ط: 1، 1419هـ - 1998م.

316. النعساني الحلبي (أبو فراس محمد بن مصطفى بن رسلان)، المفضّل في شرح أبيات المفضّل،
تح: سعيد محمود عقل، دار الجيل: بيروت، ط: 1، 1424هـ - 2004م.
317. أبو نعيم الأصبهاني (أحمد بن عبد الله)، صفة الجنة، تح: علي رضا عبد الله، دار المأمون
للتراث: دمشق، (د، ط - د، ت).
318. النمر بن تولب العكلي، الديوان، تح: محمد نبيل طريفي، دار صادر: بيروت، ط: 1،
1420هـ - 2000م.
319. أبو نواس (الحسن بن هاني)، الديوان، (د، تح)، دار صادر: بيروت، (د، ط - د، ت).
320. هدبة بن الخشرم العذري، الديوان، تح: يحيى الجبوري، دار القلم: الكويت، ط: 2، 1406هـ -
1986م.
321. إبراهيم بن هرمة القرشي، الديوان، تح: محمد نقّاع - حسين عطوان، مطبوعات مجمع اللغة
العربية بدمشق 1379هـ - 1969م، (د، ط).
322. الهروي (علي بن محمد)، الأزهية في علم الحروف، تح: عبد المعين الملوحي، مطبوعات مجمع
اللغة العربية بدمشق، ط: 2، 1413هـ - 1993م.
323. ابن هشام الأنصاري (عبد الله بن يوسف)، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، (د، تح)، دار
ابن حزم: بيروت - لبنان، ط: 1، 1429هـ - 2008م.
324. ابن هشام الأنصاري (عبد الله بن يوسف)، تخلص الشواهد وتلخيص الفوائد، تح: عباس
مصطفى الصالح، دار الكتاب العربي: بيروت، ط: 1، 1406هـ - 1986م.
325. ابن هشام الأنصاري (عبد الله بن يوسف)، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تح: عبد
الغني الدقر، الشركة المتحدة: سوريا، (د، ط - د، ت).
326. ابن هشام الأنصاري (عبد الله بن يوسف)، شرح قطر الندى وبل الصدى، تح: محمد محي الدين
عبد الحميد، مكتبة القاهرة: القاهرة، ط: 11، 1383هـ - 1973م.
327. ابن هشام الأنصاري (عبد الله بن يوسف)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: مازن المبارك
- محمد علي حمد الله، دار الفكر: دمشق، ط: 6، 1405هـ - 1985.

328. أبو هلال العسكري (الحسن بن عبد الله)، ديوان المعاني، (د، تح)، دار الجيل: بيروت، (د، ط - د، ت).

329. أبو هلال العسكري (الحسن بن عبد الله)، الصناعتين، تح: علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية: بيروت، 1419هـ - 1999م، (د، ط).

330. أبو هلال العسكري (الحسن بن عبد الله)، الفروق اللغوية، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة: القاهرة، (د، ط - د، ت).

331. الهيثمي (أبو الحسن علي بن أبي بكر)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تح: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي: القاهرة، 1414هـ - 1994م، (د، ط).

332. الواحدي (أبو الحسن علي بن أحمد)، أسباب النزول، تح: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح: الدمام - السعودية، ط: 2، 1412هـ - 1992م.

333. الواسطي (أبو محمد نجم الدين عبد الله بن عبد المؤمن)، الكنز في القراءات العشر، تح: خالد المشهداني، مكتبة الثقافة الدينية: القاهرة، ط: 1، 1425هـ - 2005م.

334. ابن الوراق (أبو الحسن محمد بن عبد الله)، علل النحو، تح: محمود جاسم درويش، مكتبة الرشد: الرياض، ط: 1، 1420هـ - 2000م.

335. ابن وكيع التيسبي (أبو محمد الحسن بن علي)، المنصف للسارق والمسروق منه، تح: عمر خليفة بن إدريس، منشورات جامعة قات يونس: بنغازي، ط: 1، 1414هـ - 1994م.

336. ابن ولّاد (أحمد بن محمد)، الانتصار لسيبويه على المبرد، تح: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة: بيروت - لبنان، ط: 1، 1416هـ - 1996م.

337. اليافعي (عبد الله بن أسعد)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، تح: خليل المنصور، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان، ط: 1، 1417هـ - 1997م.

338. ياقوت الحموي (أبو عبد الله شهاب الدين بن عبد الله)، معجم الأدباء، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي: بيروت - لبنان، ط: 1، 1414هـ - 1993م.

339. ياقوت الحموي (أبو عبد الله شهاب الدين بن عبد الله)، معجم البلدان، (د، تح)، دار صادر: بيروت، ط: 2، 1415هـ - 1995م.

340. يزيد بن مفرغ الحميري، الديوان، تح: عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط: 2، 1402هـ - 1982م.

341. ابن يعيش (أبو البقاء موفق الدين الموصلي)، شرح المفصّل، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان، ط: 1، 1422هـ - 2001م.

2- المراجع:

1. إبراهيم (زكريا)، مشكلة البنية، مكتبة مصر، 1410هـ - 1990م، (د، ط).
2. الألباني (محمد ناصر الدين)، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف: الرياض، ط: 1، 1415هـ - 1995م.
3. الألباني (محمد ناصر الدين)، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة، مكتبة المعارف: الرياض، ط: 1، 1412هـ - 1992م.
4. الألباني (محمد ناصر الدين)، صحيح الترغيب والترهيب، مكتبة المعارف: الرياض، ط: 5، (د، ت).
5. الألباني (محمد ناصر الدين)، صحيح الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي: بيروت، (د، ط - د، ت).
6. الألباني (محمد ناصر الدين)، ضعيف موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان، دار الصميعي: الرياض - السعودية، ط: 1، 1422هـ - 2002م.
7. الألباني (محمد ناصر الدين)، مختصر صحيح البخاري، مكتبة المعارف: الرياض، ط: 1، 1422هـ - 2002م.
8. الأنطاكي (محمد)، المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، دار الشرق العربي: بيروت، ط: 3، (د، ت).
9. أنيس (إبراهيم) - منتصر (عبد الحلیم) - الصوالحي (عطية) - أحمد (خلف الله محمد)، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق: القاهرة، ط: 4، 1425هـ - 2005م.
10. إيكو (أمبرتو) "Umberto Eco"، العلامة تحليل المفهوم وتاريخه، ترجمة: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي: بيروت - الدار البيضاء، ط: 1، 1428هـ - 2008م.
11. باي (ماريو)، أسس علم اللغة، ترجمة: أحمد مختار عمر، ط: 8، 1419هـ - 1999م.
12. حبش (محمد)، القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية، دار الفكر: دمشق، ط: 1، 1419هـ - 1999م.
13. حسان (تمام)، الأصول، عالم الكتب: القاهرة، 1420هـ - 2000م، (د، ط).

14. حسان (تمام)، البيان في روائع القرآن، عالم الكتب: القاهرة، ط: 1، 1413هـ - 1993م.
15. حسان (تمام)، الخلاصة النحوية، عالم الكتب: القاهرة، ط: 1، 1420هـ - 2000م.
16. حسان (تمام)، اللغة بين المعيارية والوصفية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1958م، (د، ط).
17. حسان (تمام)، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب: القاهرة، ط: 5، 1427هـ - 2006م.
18. حسان (تمام)، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، (د، ط - د، ت).
19. حسن (عباس)، اللغة والنحو بين القديم والحديث، دار المعارف: مصر، ط: 2، (د، ت).
20. حسن (عباس)، النحو الوافي، دار المعارف: القاهرة، ط: 15، (د، ت).
21. حمودة (طاهر سليمان)، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية: الإسكندرية - مصر، 1418هـ - 1998م، (د، ط).
22. خطابي (محمد)، لسانيات النص "مدخل إلى انسجام الخطاب"، المركز الثقافي العربي: بيروت - الدار البيضاء، ط: 1، 1991م - 1411هـ.
23. دراز (صباح عبيد)، البلاغة القرآنية عند الإمام الخطابي، مطبعة الأمانة: القاهرة - مصر، 1406هـ - 1986م، (د، ط).
24. دراز (محمد عبد الله)، "النبأ العظيم": نظرات جديدة في القرآن الكريم، تح: أحمد مصطفى فضلية، دار القلم: دمشق، 1426هـ - 2006م.
25. درويش (محي الدين)، إعراب القرآن وبيانه، دار اليمامة، دار ابن كثير: دمشق - بيروت، ط: 4، 1415هـ - 1995م.
26. الدعاس (أحمد عبيد) - حميدان (أحمد محمد) - القاسم (إسماعيل محمود)، إعراب القرآن الكريم، دار المنير ودار الفارابي: دمشق، ط: 1، 1425هـ - 2005م.
27. الرافعي (مصطفى صادق)، إعجاز البلاغة والسنة النبوية، دار الكتاب العربي: بيروت، ط: 8، 1425هـ - 2005م.
28. الزركلي (خير الدين)، الأعلام، دار العلم للملايين: بيروت، ط: 15، 1422هـ - 2002م.

29. الزناد (الأزهر)، نسيج النص "بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً"، المركز الثقافي العربي: بيروت - الدار البيضاء، ط: 1، 1993م-1413هـ.
30. زوين (علي)، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة: بغداد، 1406هـ-1986م، (د، ط).
31. الساقى (مصطفى فاضل)، أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، مكتبة الخانجي: القاهرة، 1397هـ-1977م، (د، ط).
32. السامرائي (إبراهيم)، الفعل زمانه وأبنيته، مطبعة العاني: بغداد، 1966م-1386هـ، (د، ط).
33. السامرائي (فاضل صالح)، أسئلة بيانية في القرآن الكريم، مكتبة الصحابة: الإمارات العربية المتحدة- الشارقة، مكتبة التابعين: القاهرة- عين شمس، ط: 1، 1428هـ-2008م.
34. السامرائي (فاضل صالح)، التعبير القرآني، دار عمار: عمان- الأردن، ط: 4، 1427هـ-2006م.
35. السامرائي (فاضل صالح)، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، دار الفكر: عمان- الأردن، ط: 2، 1427هـ-2007م.
36. السامرائي (فاضل صالح)، الجملة العربية والمعنى، دار ابن حزم: بيروت، ط: 1، 1424هـ-2004م.
37. السامرائي (فاضل صالح)، على طريق التفسير البياني، جامعة الشارقة: الإمارات العربية المتحدة: 1423هـ-2002م، (د، ط).
38. السامرائي (فاضل صالح)، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، دار عمار: عمان- الأردن، ط: 3، 1423هـ-2003م.
39. السامرائي (فاضل صالح)، معاني الأبنية في العربية، دار عمار: عمان- الأردن، ط: 2، 1428هـ-2007م.
40. السامرائي (فاضل صالح)، معاني النحو، دار الفكر: عمان- الأردن، ط: 1، 1420هـ-2000م.
41. السعران (محمود)، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية: بيروت، (د، ط- د، ت).

42. سلوم (ثامر)، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، دار الحوار: سوريا، ط: 1، 1403هـ-1983م.
43. السندوبي (حسن) - ميمنة (أسامة صلاح الدين)، شرح ديوان امرئ القيس، دار إحياء العلوم: بيروت، ط: 1، 1410هـ-1990م.
44. أبو شادي (مصطفى عبد السلام)، الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مكتبة القرآن: القاهرة، 1412هـ-1992م، (د، ط).
45. شُرَّاب (محمد حسن)، شرح الشواهد الشعرية في أمهات الكتب النحوية، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط: 1، 1427هـ-2007م.
46. شمس الدين (جلال)، الأنماط الشكلية لكلام العرب، مؤسسة الثقافة الجامعية: الإسكندرية-مصر، 1415هـ-1995م، (د، ط).
47. الشنقيطي (أحمد بن الأمين)، الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع، المكتبة التوفيقية: القاهرة، (د، ط- د، ت).
48. الشنقيطي (محمد الأمين بن محمد)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار عالم الفوائد: الرياض-السعودية، (د، ط- د، ت).
49. صالح (بهجت عبد الواحد)، الإعراب المفصّل لكتاب الله المرتّل، دار الفكر: بيروت-لبنان، (د، ط- د، ت).
50. العارف (عبد الرحمن)، تمام حسان رائدا لغويا، عالم الكتب، القاهرة، ط: 1، (د، ت).
51. ابن عاشور (الطاهر)، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر: 1404هـ-1984م، (د، ط).
52. عبادة (محمد إبراهيم)، معجم مصطلحات النحو والصرف، دار المعارف: الإسكندرية، (د، ط- د، ت).
53. عبد العاطي (مصطفى) وآخرون، الهادي إلى النحو، المطبعة العربية الحديثة: العباسية - مصر، ط: 1، 1391هـ-1971م.
54. عبد المجيد (جميل)، البديع بين اللسانيات النصية والبلاغة العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، ط: 1، 1418هـ-1998م.

55. عروي (محمد إقبال)، دور السياق في الترجيح بين الأقوال التفسيرية، مطبوعات وزارة الأوقاف بالكويت، ط: 1، 1427هـ - 2007م.
56. عزيز (كوليزار كاكل)، القرينة في اللغة العربية، دار دجلة: الأردن، ط: 1، 1429هـ - 2009م.
57. العشماوي (زكي)، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار النهضة العربية: بيروت، 1404هـ - 1984م، (د، ط).
58. عزيمة (محمد عبد الخالق)، دراسات لأسلوب القرآن، دار الحديث: القاهرة، 1425هـ - 2004م، (د، ط).
59. عفيفي (أحمد)، "نحو النص": اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق: القاهرة، ط: 1، 1421هـ - 2001م.
60. علي (محمد يونس)، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد: بيروت، ط: 1، 1424هـ - 2004م، ص: 31.
61. فارس (أحمد محمد)، النداء في اللغة والقرآن، دار الفكر اللبناني: بيروت، ط: 1، 1409هـ - 1989م.
62. الفقي (صباحي إبراهيم)، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق - دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء: القاهرة، ط: 1، 1421هـ - 2001م.
63. فوك (كاترين)، جوفيك (بيارلي)، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، تعريب: المنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية: بن عكنون - الجزائر، 1404هـ - 1984م، (د، ط).
64. قاسم (سيزا)، بحث السيميوطيقا: حول بعض المفاهيم والأبعاد ضمن كتاب مدخل إلى السيميوطيقا، دار إلياس، بيروت، 1407هـ - 1987م.
65. القضاة (محمد مفلح)، شكري (أحمد خالد)، منصور (محمد خالد)، مقدمات في علم القراءات، دار عمار: عمان - الأردن، ط: 1، 1422هـ - 2002م.
66. قطب (سيد)، في ظلال القرآن، دار الشروق: بيروت - القاهرة، ط: 17، 1412 - 1992م.
67. قمحاوي (محمد الصادق)، طلائع البشر في توجيه القراءات العشر، دار العقيدة: الإسكندرية - مصر، القاهرة، ط: 1، 1417هـ - 1997م.

68. اللبدي (محمد سمير نجيب)، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة: بيروت- لبنان، ط: 1، 1405هـ - 1985م.
69. اللبدي (محمد سمير نجيب)، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، دار الفرقان: عمّان - الأردن ، ط: 3، 1409هـ - 1988م.
70. محيسن (محمد سالم)، القراءات وأثرها في علوم العربية، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط: 1، 1404هـ - 1984م.
71. المخزومي (مهدي)، في النحو العربي نقد وتوجيه، المكتبة العصرية: صيدا- بيروت، ط: 1، 1384هـ - 1964.
72. مصطفى (إبراهيم)، إحياء النحو، ط: 2، 1937هـ - 1977م: القاهرة.
73. مصطفى (حمدان)، أنهر البلاغة وحسن الصنيع في علمي المعاني والبديع، شركة نوايغ الفكر: القاهرة، ط: 1، 1430هـ - 2009م.
74. مصطفى (محمود السيد حسين)، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية، مؤسسة شباب الجامعة: مصر، ط: 1، 1401هـ - 1981م.
75. أبو المكارم (علي)، أصول التفكير النحوي، دار غريب: القاهرة، ط: 1، 1427هـ - 2007م.
76. الملق (حسن خميس)، التفكير العلمي في النحو العربي، دار الشروق: عمّان - الأردن، ط: 1، 1422هـ - 2002م.
77. المودودي (أبو الأعلى)، المصطلحات الأربعة في القرآن الكريم، دار القلم: الكويت، ط: 5، 1391هـ - 1971م.
78. الميداني (عبد الرحمن حبنكة)، البلاغة العربية، دار القلم: دمشق، ط: 1، 1416هـ - 1996م.
79. نحلة (محمود أحمد)، الاسم والصفة في النحو العربي والدراسات الأوربية، دار المعرفة الجامعية: الإسكندرية - مصر، 1414هـ - 1994م، (، ط).
80. هلبش (جرهارد)، تاريخ علم اللغة الحديث، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق: القاهرة، ط: 1، 1423هـ - 2003م.

81. الوليدي (منصور صالح)، الخلاف النحوي في المنصوبات، عالم الكتب الحديث - جدارا للكتاب العالمي: عمّان - إربد، ط: 1، 1425هـ - 2005م.
82. يعقوب (إيميل بديع)، المعجم المفصل في شواهد العربية، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: 1، 1417هـ - 1997م.
83. يعقوب (إيميل بديع)، موسوعة النحو والصرف والإعراب، مطبعة عترة: طهران - قم، ط: 3، (د، ت).
84. يوسف (عبد الكريم محمود)، أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم، مكتبة الغزالي: دمشق، ط: 1، 1421هـ - 2000م.

3- المراجع الأجنبية:

De Saussure (Ferdinand), cours de linguistique generale, Editions Talantikit - Bejaia: 2002.

Hartman (Reinhard) and Stork (F. C.), Dictionary of language and linguistics Applied science , London: 1993.

Mosel. U, Die syntaktische terminologie bei Sibawaih, Diss. (Munchen 1975), S. 71

Robbins (Robert Henry), General linguistics, An introductory survey, Longman - London: 1970 .

Robbins (Robert Henry), Some considerations on the status of grammar in linguistics "Archivum Linguisticum", Vol II, fase 2.

3- المخطوطات والدوريات:

1. الأسمر (خليل إسماعيل عبد الرزاق)، الحذف للتخفيف في الجملة القرآنية، مخطوط رسالة ماجستير في النحو والصرف، الجامعة الإسلامية: غزة- فلسطين، 1433هـ - 2013م.
2. بديار (البشير)، القرائن اللفظية في النحو العربي، مخطوط رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في النحو العربي، جامعة الجزائر، 1426هـ - 1427هـ / 2007 - 2008.
3. بسندي (خالد)، نظرية القرائن في التحليل اللغوي، مقال منشور بمجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، جامعة الملك سعود- الرياض، المجلد: 4، العدد: 2، 1427هـ - 2007م.
4. بوراس (سليمان)، القرائن العلائقية وأثرها في الاتساق - سورة الأنعام نموذجاً، مخطوط رسالة ماجستير في النحو العربي، جامعة "الحاج لخضر": باتنة- الجزائر، 1428هـ - 1429هـ / 2008 - 2009.
5. بوضياف (محمد الصالح)، التضام في القرآن الكريم في سورتي "هود" و"طه"، مخطوط رسالة ماجستير في البلاغة والنقد، جامعة "أبي بكر بلقايد" تلمسان- الجزائر، 1430هـ - 1431هـ / 2009م - 2010م.
6. التميمي (عبد الكريم خالد)، الحذف والتقدير رؤية في الأسلوب القرآني، مقال منشور بمجلة آداب البصرة: عمادة كلية الآداب بجامعة البصرة: العراق، العدد: 51، 1430هـ - 2010م.
7. توأمة (عبد الجبار)، القرائن المعنوية في النحو العربي، مخطوط رسالة دكتوراه في النحو العربي، جامعة الجزائر: 1414هـ - 1415هـ، 1994م - 1995م.
8. جبارة (أمل باقر)، قرائن الإعراب والصيغ والمطابقة في اللغة العربية، مخطوط رسالة ماجستير في النحو العربي بجامعة الكوفة: العراق، 1429هـ - 2009م.
9. الجبوري (محمد فليح)، شعر سحيم بن وثيل: دراسة موضوعية فنية، مقال منشور بمجلة كلية التربية: جامعة المثنى: السماوة - العراق، العدد: 6، 1427هـ - 2007م.
10. حمش (محمد يونس خلف)، الحذف في اللغة العربية، مقال منشور بمجلة أبحاث كلية التربية الأساسية نينوى- العراق، المجلد العاشر، العدد الثاني، 1430هـ - 2010م.

11. الدبيس (عبد الله محمد)، الفكر النحوي عند تمام حسان - دراسة وصفية تحليلية في ضوء علم اللغة القديم والحديث - ، مخطوط رسالة ماجستير، جامعة مؤتة: عمّان - الأردن، 1428هـ - 2008م.
12. الراعوش (عماد طه أحمد)، زيادة حروف المعاني في القرآن الكريم بين دوافع المجيزين ومحظورات المانعين، مقال منشور بمجلة الدراسات القرآنية للجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه "تبيان"، العدد: 7، 1431هـ - 2010م، الرياض.
13. الزعبوط (سهام رمضان محمد)، الحذف والتقدير في صحيح البخاري، مخطوط رسالة ماجستير في النحو والصرف، الجامعة الإسلامية، غزة - فلسطين، 1431هـ - 2010م.
14. زيدان (عبد الجبار فتحي)، النصب على نزع الخافض والتضمين من بدع النحاة والمفسرين، مكتبة الجليل العربي، الموصل - العراق، ط: 2، 1430هـ - 2010م.
15. عبد الجليل (دريد)، القرينة النحوية في الأسماء المعربة، مخطوط رسالة ماجستير في النحو العربي، جامعة بغداد، 1418هـ - 1998م.
16. عبيد (فتحية عبد الصمد محمد)، حروف الجر بين الأصوليين واللغويين، مقال منشور بمجلة جامعة الملك عبد العزيز للآداب والعلوم الإنسانية: جدة - السعودية، المجلد: 19، العدد: 1، 1432هـ - 2012م.
17. العرود (زهير محمد عقاب)، الحذف في شعر المتنبي، مخطوط رسالة ماجستير في تخصص اللغة والنحو، جامعة اليرموك: إربد - الأردن، 1424هـ - 2004م.
18. عواد (صكر خلف)، الحذف في الصفة والموصوف بين الصناعة النحوية والقرائن السياقية، مقال منشور بمجلة تكريت للعلوم الإنسانية: جامعة تكريت - العراق، العدد: 7، المجلد: 17، تموز 1430هـ - 2010م.
19. فدا عثمان (هيفاء)، زيادة الحروف بين التأيد والمنع وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، مخطوط رسالة دكتوراه في النحو العربي، جامعة أم القرى: مكة المكرمة، 1416هـ - 1996م.
20. القالsh (ضياء الدين)، القرائن في علم المعاني، مخطوط رسالة دكتوراه في البلاغة العربية، جامعة دمشق، 1411هـ - 1412هـ / 1991م - 1992م.

21. القرالة (ساهر محمد)، صور الفصل الجائر بين المتلازمات النحوية بالتقديم والتأخير، مقال منشور بمجلة الزرقاء: عمادة البحث العلمي في جامعة الزرقاء: الزرقاء- الأردن، المجلد الثالث عشر، العدد الثاني، 1433هـ - 2013م.
22. الكلابي (مكي محي عيدان) - وذّاح (محمد صلاح) - شاكر (صاحب علوان)، الإضافة في العربية دراسة تركيبية، مقال منشور بمجلة جامعة كربلاء العلمية: كربلاء- العراق، المجلد السابع، العدد الثاني، 1430هـ - 2010م.
23. مبارك عيسى (نصيرة)، فلسفة العلامة عند رولان بارت، مخطوط رسالة ماجستير في الفلسفة، جامعة الحاج لخضر: باتنة - الجزائر، 1411هـ - 1991م.
24. مباركي (عبد الله)، الاعتراض في القرآن الكريم - مواقعه ودلالاته، مخطوط رسالة ماجستير في النحو العربي، جامعة أم القرى: مكة المكرمة، 1428هـ - 1429هـ / 2008 - 2009م.
25. محمود مرشد سعيد (أحمد)، الحذف والتقدير في القرآن الكريم، مخطوط رسالة ماجستير في النحو العربي، الجامعة الإسلامية في بھاول بور باكستان، 1410هـ - 1990م.
26. مصلوح (سعد)، نحو آجرومية للنص الشعري- دراسة في قصيدة جاهلية، مقال منشور بمجلة فصول: مصر، العدد: 12، المجلد: 10، يوليو- أغسطس 1991م.
27. موسى (علي عبد العزيز)، الفصل النحوي بين مطالب التركيب وقيم الدلالة، مقال منشور بمجلة دراسات العلوم الإنسانية: جامعة البلقاء التطبيقية - الأردن، 1426هـ - 2006م، المجلد الثالث واللاثون، العدد الأول.
28. النجار رمضان (نادية)، التضام والتعاقب في الفكر النحوي، مقال منشور بمجلة علوم اللغة، المجلد الثالث، العدد الرابع، 1420هـ - 2000م: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع: القاهرة.
29. نزار (ميلود)، الإحالة التكرارية ودورها في التماسك النصي بين القدماء والمحدثين، مجلة علوم إنسانية: العراق، السنة السابعة، العدد: 44، جانفي 2010م.
30. النوري علي (محمد)، زيادة "عن" في التركيب، مقال منشور بمجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية: جامعة دبي - الإمارات العربية المتحدة، العدد الرابع والعشرين، شوال 1423هـ - 2002م.

الفهارس

- الآيات القرآنية
- الأحاديث النبوية
- الأشعار
- الأمثال
- موضوعات الرسالة.

فهرس الآيات

الصفحة

رقم الآية

1- الفاتحة

2- الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ..... 16- 80

2- البقرة

1، 2- الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ..... 33، 77، 275

4- وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ..... 77، 205

6- إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ..... 58، 123

9- يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ..... 192

13- أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السَّافِهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ..... 192

18- صُمُّ بُكْمٌ عُمَى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ..... 165، 174

19- أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ..... 295

24- فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ..... 69، 320

25- وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ... 152، 154، 155.

28- كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ..... 114

29- هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ..... 294

30- وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً..... 258

48- وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَفْسٍ شَيْئًا..... 191

51- وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ..... 80

58- وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا..... 119، 158، 159

63- وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ..... 221، 240

70- قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ..... 233

73- فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِعُضْبِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ..... 245

77- أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ..... 187

85- ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِّن دِيَارِهِمْ..... 147

90- بِسْمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ..... 176

- 94- قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ.....294
- 95- وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ.....294
- 103- وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ.....219
- 115- وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ.....35
- 118- وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ.....23
- 124- وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ.....288
- 125- وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى.....290
- 126- وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا.....146
- 135- قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.....27، 222
- 143- وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ.....298
- 151- كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا.....101
- 154- وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ.....173، 193
- 165- وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ.....234
- 167- كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ.....197
- 169- إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ.....106
- 170- قَالُوا بَلْ نَنْبَغُ مَا آلَفْنَا عَلَيْهِ أَبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ.....232
- 173- إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ.....196
- 178- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى.....172
- 179- وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ.....172
- 183...185- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ.....195، 126، 222
- 186- وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ.....138، 169
- 194- فَمَنْ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ.....14
- 196- وَأَتَمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ.....222
- 199- ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.....158
- 211...213- سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ.....232
- 233- وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَسِّمَ الرِّضَاعَةَ.....129
- 251- وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ.....184

- 255- وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ..... 147
- 258- أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ..... 117
- 259- أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا..... 262
- 271- إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْثَرُوهَا فَقَدْ فُتِرَ لَكُمْ وَيُكْفَرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ..... 251
- 272- لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ..... 335
- 274- الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ..... 284، 285
- 278- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ..... 51
- 280- وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ..... 172
- 281- وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ..... 191، 192
- 282- وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ..... 326
- 286- رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا..... 168

3- آل عمران

- 7- وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ..... 202
- 9- رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ..... 245
- 11- كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ... 165
- 20- فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ..... 334
- 24...25- ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ..... 242
- 31- قُلْ إِنْ كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ..... 230
- 35- إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا..... 200
- 36- فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى..... 68
- 44- إِذْ يُلْقُونَ أَفْئَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ..... 242
- 54- وَمَكْرُوهًا وَمَكْرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ..... 342
- 63- فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ..... 294
- 71- يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ..... 187
- 73- قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ..... 306
- 80- وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ..... 119

- 82- فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ.....177
- 85...91- وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا.....273
- 92- لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ.....273
- 98...99- قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ.....295
- 106- يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ.....225
- 113...115- لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ.....294
- 126...128- وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ.....322
- 152- وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ.....323
- 154- وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ.....323، 294
- 159- فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ.....275، 258
- 167- وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا.....101
- 173- الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ.....227، 213
- 175- إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يَخُوفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ.....26
- 181- لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ.....345
- 185- كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ.....337
- 191- وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا.....215
- 195- فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَيْ لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ.....324

4- النساء

- 11- يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ.....184
- 12- وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ.....171
- 17...18- إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ.....288
- 31- إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا.....250
- 34- الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ.....324، 202
- 36- وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا.....314
- 42- يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرُّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا.....243
- 43- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ.....314
- 46- مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ.....309، 205

- 48- إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ.....279، 320
- 62- فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ 242
- 65- فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ.....323، 324
- 66- وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ.....219
- 71- فَأَنْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا.....108
- 72- وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا...238
- 79- مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ 192
- 80- مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا.....146
- 81- وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ 173
- 82- أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا.....274، 339
- 83- وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ.....255
- 86- وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا.....147
- 87- وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا.....113
- 90- أَوْ جَاءَكُمْ حَصْرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يَقَاتِلُوكُمْ أَوْ يَفْتَالُوا قَوْمَهُمْ.....110، 163
- 95- لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ 325
- 113- وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ.....149
- 117...120- إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا.....337
- 127- وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ.....156، 225
- 128- وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا.....219
- 133- إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا.....189
- 162- يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ.....224
- 171- وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ.....173
- 176- يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ.....179

5- المائدة

- 5- الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ.....179
- 6- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ.....242
- 12- وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا.....251

- 21...24- وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ ادْكُرُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ 159
- 31- فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ 246
- 44- إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَجْعَلُهَا الَّذِينَ أَنْزَلْنَاهُمْ 291
- 54- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ 214
- 65- وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاَهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ 218
- 66- وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ رَحْمَةٍ 219
- 68- قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ 213، 234
- 70- لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا 234
- 72- إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ 320
- 78...79- لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ 279
- 89- وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ 223، 327
- 101...102- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ 199
- 106- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ 326
- 110- إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ادْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ 87، 102
- 119- قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ 121

6- الأنعام

- 6...12- أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ 327
- 15...16- قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ 243
- 21- وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ 286
- 25- وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا 102
- 27- وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا 235
- 31- قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ 196
- 34...35- وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ ... فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ 142
- 39- وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ 134
- 44- فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ 171
- 55- وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ 262
- 59- وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ 169

- 73- وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ.....51، 116
- 74- وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَزْرَأْتُكَ أَصْنَامًا إِلَهًا إِنِّي أَرَكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ.....51
- 75- وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ.....262
- 76- فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ.....149
- 99- وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ.....51
- 106- اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ.....244
- 111- وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى.....218
- 112- وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ.....337
- 114- أَفَعَيَّرَ اللَّهُ أَبْنَعِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا.....85
- 116- وَإِنْ تَطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ.....164
- 119- وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ.....164، 339
- 121- وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ.....166
- 128- وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ.....241
- 137- وَكَذَلِكَ زَيَّنْ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ.....60، 316
- 138...140- وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِدُكُورِنَا وَمَحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا.....340
- 145- قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ.....328، 339
- 151- قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ.....278
- 152...153- وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ.....328
- 156- أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لِعَافِيلِينَ.....101
- 158- هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ.....288، 309

7- الأعراف

- 12- قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ.....271
- 16- قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ.....238
- 38- قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ.....193
- 42- وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا.....65
- 56- إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ.....197
- 58- وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا.....217

- 65- وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ.....184
- 74- وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا.....161
- 96- وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.....218، 219
- 135- فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بِالْعُوهِ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ.....219
- 137- وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا.....307
- 146- سَاءَ صَرِفُ عَنِ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ.....300
- 153- وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ.....206
- 155- وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا.....157
- 168- وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ.....169
- 175...177- وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا.....289

8- الأنفال

- 5- كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ.....58، 303
- 6- يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ.....100
- 9- إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدَفِينَ.....322
- 17- فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى.....188
- 29- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا.....251، 331
- 33- وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ.....327
- 41- وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ.....232
- 47- وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ.....244
- 51- ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتِ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ.....254
- 62- وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَتَاكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ.....227
- 64- يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.....32، 225
- 68- لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ.....183، 184
- 73- وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ.....199

9- التوبة

- 12...6 وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ.....219، 330
- 8...7- كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ.....242، 330
- 8- كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْفُقُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً.....242، 225، 330
- 10- لَا يَرْفُقُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ.....330
- 12...11- فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ.....330
- 59- وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ.....219، 235
- 61- وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ.....239
- 62- وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ.....239
- 75- وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ لَا تُجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَنْ تُجَاهِدُوا وَلَكِنَّهُمْ خَالُوا بِالنَّبِيِّينَ وَالصَّالِحِينَ.....238
- 96...95- سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتُعَرِّضُوا عَنْهُمْ.....239
- 101- وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ.....205، 309
- 112- التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ.....174
- 119...117- لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ.....221
- 118- 119- وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا.....265

10- يونس

- 16- قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ.....244
- 19- وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ.....184
- 22- هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ فِيهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا.....138
- 24- إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ.....292
- 26- لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ.....297
- 36- وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ.....295
- 49...44- إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا.....235
- 61- وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا.....176
- 71- وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ.....331
- 78- قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتْنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ.....299
- 92- فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَعَافِلُونَ.....298

108- قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ 300

11- هود

- 2...3- أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ..... 241
- 7- وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ..... 332
- 22- لَا جَرَمَ أَنْهُمْ فِي الْأَحْزَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ..... 85
- 42- وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ..... 63
- 43- قَالَ سَأُوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ 91
- 46- قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ..... 199
- 50...60- فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَعْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ 313
- 60- وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ..... 312
- 67- وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ..... 288
- 69- وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ..... 110
- 69...70- وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى..... 234
- 74- فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ..... 227
- 77...81- وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ..... 280
- 80- قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ..... 233
- 81- قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ..... 281
- 91- قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ 295
- 103...113 خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ..... 71، 72

12- يوسف

- 15- فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيِّتِ الْجُبِّ..... 235
- 19- وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ 294
- 24- وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ..... 235
- 24...25- وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا..... 333
- 29- يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ..... 83، 115، 127
- 45...46- وَقَالَ الَّذِي بَنَى مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ..... 245
- 46- يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ 137

- 73- قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ.....333
- 81...83- ارْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ.....246
- 82- وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ..... 98، 122، 246
- 83- فَصَبَّرْ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ.....246
- 85- قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ.....98، 111
- 91- قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ أَتَرَكْنَا اللَّهَ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ.....98
- 94...96- وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُون.....283
- 96- فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا.....258، 283
- 97- قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ.....158
- 103- وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ.....201، 300، 334
- 104- وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ.....201
- 106- وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ.....300
- 110- حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ.....244

13- الرعد

- 9- عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ.....138
- 23...24- وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ.....215
- 29- الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ.....206
- 30- كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَبِثُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِمُ الَّذِي أُوحِيتَ إِلَيْكَ.....335
- 31- وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى.....219، 231
- 33- أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ.....181
- 35- مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ بَحْرٍ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا.....181، 263
- 43- وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسَتْ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ.....313

14- إبراهيم

- 10- قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِئَةُ اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.....64، 311
- 18- مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ.....291
- 47- فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ.....263
- 50- سَرَّابِلُهُمْ مِنْ فَطْرَانٍ وَتَغَشَّى وُجُوهَهُمُ النَّارُ.....289

15- الحجر

- 4- وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ..... 115، 166
 5- مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ..... 116
 7- لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ..... 150
 30- فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ..... 119
 32- قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ..... 272
 45- إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ..... 208
 54- قَالَ أَبَشِّرْهُنِّي عَلَى أَنَّ مَسْنِيَ الْكِبَرِ فِيمَ تُبَشِّرُونَ..... 155

16- النحل

- 9- وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ..... 116، 154
 14- وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا..... 335
 24- وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنْزِلَ رُبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ..... 171
 25- لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ..... 169
 30- وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أُنْزِلَ رُبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ..... 110، 143
 43...44- وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ..... 227، 336
 99...100- إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا..... 212
 101- وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ..... 69

17- الإسراء

- 1- سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى..... 307
 13...14- وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ..... 222
 23- وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا..... 14، 217
 58- وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا..... 212
 64- وَاسْتَفْزِرْ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ..... 27، 213
 64...65- وَاسْتَفْزِرْ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ..... 337
 72- وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا..... 32
 77- سُنَّةٌ مِنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا..... 225
 85...100- وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا..... 72، 73

- 94- وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبْعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا.....336
- 100- قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَثُورًا.....219
- 110- قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى 165

18- الكهف

- 1...2- الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا 82، 338
- 4- وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا.....279
- 22- سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كُذِّبُوا.....166
- 33- كَلِمَاتُ الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَزَا جِحْلَهُمَا نَهْرًا.....95
- 45- وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ 292
- 60- وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا.....199
- 79- أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا 30، 172
- 105- فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا.....211
- 107- إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا.....120

19- مريم

- 4- قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْئًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا.....89
- 12- يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا.....246
- 38- أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ.....111
- 73- وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا 95

20- طه

- 17- وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى.....169
- 20- فَأَلْفَاها فإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى.....182
- 63- قَالُوا إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى...113
- 67- فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى.....55، 290
- 74- إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى.....171
- 91- قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى.....246
- 92...93- قَالَ يَا هَازِلُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (92) إِلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي.....246

- 96- قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا.....202
- 117- فَقُلْنَا يَا أَدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا تَخْرُجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى.....173

21- الأنبياء

- 3- لَا هِيَّةَ فُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ.....336
- 23- لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ.....217
- 34- وَمَا جَعَلْنَا لِشَيْءٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ.....118
- 71- وَنَجِّنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ.....307
- 78...82- وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ.....222
- 81- وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ.....307
- 82- وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ.....223
- 87- وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ.....150
- 97- وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا.....241

22- الحج

- 11- وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ.....110
- 18- أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ.....299
- 27- وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ.....32
- 27...33- وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ.....339
- 35- الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ فُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمُ وَالْمُتَّقِينَ الصَّلَاةَ.....93
- 40- وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسِ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ.....110
- 65- أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ.....298
- 78- وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ.....223

23- المؤمنون

- 12...17- وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ.....303
- 20- وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذُّهْنِ وَصَبِغٍ لِلْأَكْلِيلِ.....270
- 40- قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ.....227
- 93...94- قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ.....168، 169
- 117- وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ.....340

24- النور

- 14- وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ.....291
- 20- وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رءُوفٌ رَحِيمٌ.....236
- 22- وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ 24
- 31- وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا...168
- 41- أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَاقَاتٍ 295

25- الفرقان

- 11- بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا.....154
- 32- وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا.....227

26- الشعراء

- 16...18- فَأَتَيْنَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ.....245
- 22- وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ.....151
- 23...28- قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ.....116
- 111- قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ.....165
- 224...227- وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ.....342

27- النمل

- 3...5- الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ.....286
- 22- فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبِيلٍ بَنِيَّ يَقِينٍ.....167، 169
- 23- إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ.....171
- 28...29- اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ.....246
- 34- قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَازَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ.....159، 160
- 43...44- وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ.....186
- 49- قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ.....87

- 50...51- وَمَكْرُوهًا مَّكْرًا وَمَكْرُوهًا مَّكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ 341
- 59...64- قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ 84، 300

28- القصص

- 8...9- فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ 341
- 10- وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِعًا إِنَّ كَادَتْ لِتَنبِذِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا 233، 255
- 23- وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْتَأْذِنُونَ 147، 187
- 56- إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ 334
- 64- وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ 187

29- العنكبوت

- 1...6- الم (1) أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ 283
- 28...29- وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَنَا تُنَادُونَ الْمُنَادِينَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ 281
- 33...34- وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا 280، 281
- 41- مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا 233
- 43- وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنُصْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ 331
- 48- وَمَا كُنْتُمْ تَنَلُّوْا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ 342
- 56- يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإَيَّايَ فَاعْبُدُونِ 201

30- الروم

- 1...5- الم (1) غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ 201، 296
- 8- أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِإِحْسَانٍ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى 299
- 42- قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ 300
- 47- وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ 58، 296
- 56- وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ 230

31- لقمان

- 28- مَا خَلَقْتُكُمْ وَلَا بَعَثْتُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ.....296
- 33- يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَاحْشُوا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَانٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ.....192

32- السجدة

- 7- الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ.....78
- 12- وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا.....241

33- الأحزاب

- 12- وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا.....77
- 36- وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ.....324
- 37- وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ.....202
- 39- الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا.....332

34- سبأ

- 1...4- الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ.....83
- 3- وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ.....308
- 7- وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُوكُمْ عَلَى رَجُلٍ يَنْبَغِيكُمْ إِذَا مَرْفُتُمْ كُلَّ مُمْرِقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ.....224، 309
- 10- يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ.....107
- 11- أَنْ اْعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ.....206
- 12...14- وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحُ غَدُوها شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسْلَمْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ.....222
- 21- وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُوْثِقُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ.....244
- 22- قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ.....190
- 23- وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ.....198
- 31- وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ.....148، 149

35- فاطر

- 4- وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ.....247
- 28- إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ.....288
- 31- وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ.....66
- 45- وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهَرِهَا مِنْ دَابَّةٍ.....33

36- يس

- 15- قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ.....336
- 26- قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ.....66
- 34- وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَحِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ.....130
- 69- وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ.....342

37- الصافات

- 48- وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ.....204
- 103...105- فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهِ لِلْحَيِّينِ.....236

38- ص

- 1- ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ.....196
- 30...40- وَوَهَبْنَا لِذَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ.....223
- 32- فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ.....33
- 51- مُتَكَبِّرِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ.....213
- 57- هَذَا فَلْيُدُقُّوه حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ.....343
- 82...83- قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ.....212

39- الزمر

- 9- قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ.....187
- 9...10- قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ.....201
- 36- أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ.....227

- 62- اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ.....244
- 73- وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا 115

40- غافر

- 29- يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا 285
- 34- وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ.....299
- 51- إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ.....296
- 55- فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ.....127

41- فصلت

- 14- إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ.....22، 117
- 28...27- فَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ.....286
- 41...40- إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا.....243
- 46- مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ.....140
- 47- إِلَيْهِ يُرْدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ 119
- 54- أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ.....244

42- الشورى

- 11- فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ.....263
- 30- وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ.....254
- 43- وَلَمَْنْ صَبَرَ وَعَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ.....167

43- الزخرف

- 18- أَوْ مَنْ يُنشِئُ فِي الْحَلِيِّ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ.....224
- 31- وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ.....199
- 68- يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ.....201

44- الدخان

- 10...16- فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ.....32
10...11- فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ.....241

45- الجاثية

- 23- أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ.....331

47- محمد

- 1- الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَاهُمْ.....198
1...12- الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَاهُمْ.....153
14...17- أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ.....153
15- مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ.....152
17- وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ.....331
24- أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا.....274

48- الفتح

- 1...2- إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (1) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ.....292
1...7- إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (1) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ.....78
10- إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ.....146
20- وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ.....184
25- وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ.....236

49- الحجرات

- 5- وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ.....218

50- ق

- 3- أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ.....236، 239
9- وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ.....207
15- أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ.....236
24- أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ.....99

44- يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ.....296

53- النجم

9- فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى.....202

43...48- وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى (43) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا.....188

54- القمر

10- فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرُ.....224

13- وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ.....207

41...45- وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ.....289

47- إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ.....208

55- الرحمن

5- الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ.....243، 227

56- الواقعة

75...76- فَلَا أُفْسِمْ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (75) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ.....69، 243

75...77- فَلَا أُفْسِمْ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (75) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (76) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ.....344

82- وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ.....199

83...85- فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْخُلُوفَ (83) وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ (84).....193

57- الحديد

4- هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ.....24

14- يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ.....337

18- إِنَّ الْمُسْدِقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ.....344

58- المجادلة

6- يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ.....244

22- لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ.....200

59- الحشر

- 15- كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاتُوا وَأَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.....208
- 21- لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ.....231

60- الممتحنة

- 1- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ.....99
- 10- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاِمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ.....345

61- الصف

- 1- سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.....242
- 2...3- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ.....289

62- الجمعة

- 1- يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ.....291
- 8- قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ.....80

63- المنافقون

- 10- وَأَنفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَّ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ.....138

64- التغابن

- 1- يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.....291
- 7- زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ...111

65- الطلاق

- 2- وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ.....326
- 8...9- وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَدَّيْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا.....212

66- التحريم

- 4- وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ.....58
- 8- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا.....251

67- الملك

2- الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ.....229

69- الحاقة

16- وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ.....202

41- وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ.....342

72- الجن

11- وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا.....169

13- وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَحْتَفُ بِحَسَا وَلَا رَهَقًا.....140

74- المدثر

11- ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا.....190

49- فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ.....108

75- القيامة

1- لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ.....276

4- بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ.....224

20...24- كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (20) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ (21) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ.....297

76- الإنسان

6- عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا.....291

12- وَحَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا.....208

14- وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ أُطُوفُهَا تَذْلِيلًا.....169

79- النازعات

1...5- وَالنَّازِعَاتِ غَرَقًا (1) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (2) وَالسَّاجِحَاتِ سَبْحًا.....239

81- التكوير

1- إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ.....219

82- الانفطار

- 6- يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ.....104
17...19- وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (17) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (18).....297
19- يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ.....191، 297

83- المطففين

- 6- يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ.....121
14- كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ.....198
26- حَتَّامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ.....205
28- عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ.....250، 291

84- الانشقاق

- 1- إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ.....218

85- البروج

- 3- وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ.....244
16- فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ.....145

86- الطارق

- 4- إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ.....127

89- الفجر

- 1...13- وَالْفَجْرِ (1) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (2) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (3) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ.....239

90- البلد

- 12...16- فَكُ رَقَبَةٍ (13) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (14) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (15).....171
14...15- فَكُ رَقَبَةٍ (13) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (14) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ.....111

91- الشمس

13- فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا.....145، 228

92- الضحى

6...8- أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (6) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (7) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى.....189

7- وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى.....146

95- العلق

1- اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ.....253

96- القدر

2...3- وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (2) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ.....172

97- البينة

5- وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ خُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ 205

98- العاديات

11- إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ.....58

99- القارعة

5- وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ.....49

8...9- وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (8) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ.....211

104- قريش

4- الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ.....214

112- الإخلاص

1...4- قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ.....286

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الحديث	الصفحة
1- لولا قومك حديثو عهد بكفر.....22، 97، 183، 184	
2- فإنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته.....46	
3- هل أنتم تاركوا لي صاحبي.....60، 317	
4- أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد 186	
5- إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام.....196	
6- لا تنتفعوا من الميتة بإهاب ولا عصب.....196	
7- أن لا تستمتعوا من الميتة بشيء 197	
8- والذي نفس محمد بيده لأخرجن إليهم ولو وحدي.....213	
9- هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله؟.....216	
10- رحم الله أخي لوطا فقد وجد ركننا شديدا.....233	
11- والشر ليس إليك.....234	
12- إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم.....252	
13- ما أنا بقارئ.....253	
14- ما اجتمع قوم ثم تفرقوا لم يذكروا الله إلا كأنما تفرقوا عن جيفة حمار.....253	
15- لست بقارئ.....254	
16- ما فعل كعب.....266	
17- كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة.....270	
18- يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة 297	
19- إذا دخل أهل الجنة الجنة ناد مناد: إن لكم عند الله موعدا.....297	
20- عن البراء بن عازب أن رسول الله عليه الصلاة والسلام صلى إلى بيت المقدس.....298	
21- يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: أرايت لو كان لك ما على الأرض من شيء.....251	
22- أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها.....301	
23- ما من مولود إلا يولد على الفطرة.....301	

- 24- إن الله أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا.....301، 340
- 25- طوبى للشام...الملائكة باسطو أجنحتها على الشام.....308
- 26- لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أبواب دمشق وما حولها.....308
- 27- اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني 322
- 28- إن الله يحب الملحين في الدعاء.....322
- 29- من صام رمضان وصلى الصلوات وحج البيت إلا كان حقاً على الله أن يغفر له.....325
- 30- والذي نفس محمد بيده ما شحب وجه ولا اغبرت قدم تُبتغى فيه درجات الجنة 325
- 31- في الجنة مائة درجة بين كل درجتين مائة عام.....325، 326
- 32- إن في الجنة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيله.....326
- 33- إياكم وكثرة الحلف في البيع فإنه يُنفق ثم يُمحق.....327
- 34- لن يُدخل أحداً عمله الجنة.....330
- 35- الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك.....344
- 36- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لأبي بكر - رضي الله عنه - : ما حملك على ما صنعت؟.....345

فهرس الأشعار

البيت أو الشطر	قائله	الصفحة
تَرْزَحُ الشَّرْبُ وَاغْتَالَتْ حُلُومُهُمْ ** شَمْسٌ تَرْجَلُ فِيهِمْ ثُمَّ تَرْتَحِلُ	مجهول	16
علوت مطا جوادك يوم يوم ** وقد ثمد الجياد فكان بحراً	مجهول	18
أنا ابن أبة الضيم من آل مالك ** وإن مالك كانت كرام المعادن	الطرماح بن حكيم الطائي	22
مَا صَابَ قَلْبِي وَأَضْنَاهُ وَتَيَّمَهُ ** إِلَّا كَوَاعِبُ مِنْ ذَهَلِ بْنِ شَيْبَانَا	مجهول	23
مَا جَادَ رَأْيَا وَلَا أَجْدَى مُحَاوَلَةً ** إِلَّا امْرُؤٌ لَمْ يُضِغْ دُنْيَا وَلَا دِينَا	مجهول	23
أقول له ارحل لا تقيم عندنا ** وإلا فكن في السر والظهر مسلماً	مجهول	34
أبكاني الدهر ويا ربما ** أضحكني الدهر بما يُرضي	حِطَّانُ بن المعلی	34
تقول وصكت وجهها يمينها ** أبعلي هذا بالرحى المتقاعس	الهللول بن كعب العبدي	35
سَرِيعٌ إِلَى ابْنِ الْعَمِّ يَلْطِمُ وَجْهَهُ ** وَلَيْسَ إِلَى دَاعِيِ النَّدَى بِسَرِيعِ	الأقيشر الأسدي	36
حَرِصٌ عَلَى الدُّنْيَا، مُضِيعٌ لِدِينِهِ ** وَلَيْسَ لِمَا فِي بَيْتِهِ بِمُضِيعِ	مجهول	36
قَالَ لِي كَيْفَ أَنْتَ قُلْتَ عَلِيلٌ ** سَهَرٌ دَائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلٌ	مجهول	36
فألقي القوم قد شربوا فضموا ** أمام القوم منطقهم نسيْفُ	أبو ذؤيب الهذلي	46
قالت أمانة لما جئت زائرهما ** هلا رميت ببعض الأسهم السود	الجموح الظفري	48، 49
أبا خراشة أما أنت ذا نفر ** فإن قومي لم تأكلهم الضبُعُ	العباس بن مرداس	52، 72، 143
ألقي الصحيفة كي يخفف رحله ** والزاد حتى نعله ألقاها	مروان بن سعيد النحوي	52
فما زالت تمج دماءها ** بدجلة حتى ماء دجلة أشكلُ	جرير بن عطية الخطفي	53
إذا بلغ الفطام لنا رضيع ** تخر له الجبابر ساجدينَا	عمرو بن كلثوم التغلبي	55
جزى ربه عني عدي بن حاتم ** جزاء الكلاب العاويات وقد فعلن	أبو الأسود الدؤلي	287
ولما أبا إلا جماحا فؤاده ** ولم يسأل عن ليلي بمال ولا أهلُ	دعبل بن علي الخزاعي	55
تطير فُضاضا بينهم كلُّ قونس ** وتتبعها منهم فراش الحواجبِ	النابعة الذبياني	55
وبالجسم مني بيِّنا لو علمته ** شحوبٌ وإن تستشهدني العين تشهدُ	مجهول	56

- 56 كثر عزة لمية موحشا طلل ** يلوح كأنه خلل
- 90 ومالي إلا آل أحمد شيعة ** ومالي إلا مذهب الحق مذهب الكميت بن زيد الأسدي 57، 90
- 57 ولكنما يمضي لي الحول كاملا ** ومالي إلا الأبيضين شراب هذيل الأشجعي
- 58 ألا يا اسلمي يا دار مِي على البلى ** ولا زال مُنْهَلاً بجرعائك القطر ذو الرمة
- 59 تعز فلا شيء على الأرض باقيا ** ولا وزر مما قضى الله واقيا مجهول
- 59 كُربَ القلب من جواه يذوب ** حين قال الوُشاة: هند غضوب هذبة بن الحشرم العذري
- 60 هما خُطُتَا إِمّا إِسارٍ وَمِنّةٍ ** وإما دَمٌ والقتلُ بالحر أجدر تأبط شرا
- 61 كما خُط الكتاب بكف - يوما - ** يهودي يقارب أو يزيل أبو حية النميري
- 61 نجوتُ وقد بلّ المرادي سيفه ** من ابن أبي شيخ الأباطح طالب معاوية بن أبي سفيان
- 61 كأن برزون أبا عصام ** زيد حمائر دُق باللحام مجهول
- 62 سراً بني أبي بكر تسامى ** على كان المسومة العراب مجهول
- 63 مخلقة لا يُستطاع ارتقاؤها ** وليس إلى - منها - النزول سبيل مجهول
- 63 إن عمرا لا خير في - اليوم - عمرو ** إن عمرا مكثُر الأحران مجهول
- 64 في غرف الجنة العليا التي وجبت ** لهم هناك بسعي - كان - مشكور مجهول
- 64 فصلقنا في مراد صلقة ** وضداء ألحقتهم بالثلل لبید بن ربيعة العامري
- 64 أمرت من الكتاب خيطا وأرسلت ** رسولا إلى أخرى جرّبا يُعينها مجهول
- 65 أقول لقوم في الكنيف تروحو ** عشية بتنا عند ماوان رُزح عروة بن الورد
- 66 وقال بني المسلمین: تقدموا ** وأحب إلينا أن تكون المقدما العباس بن مرداس السلمی
- 66 بني تغلب أعزز علي بأن أرى ** دياركم أمست وليس لها أهل البحتري
- 66 خليلي ما أحرى بذي اللب أن يُرى ** صبورا، ولكن لا سبيل إلى الصبر مجهول
- 66 أقيم بدار الحزم مادام حزمها ** وأحر إذا حالت بأن أتحولا أوس بن حجر
- 68 ألا زعمت بنو سعد بأني ** ألا كذبوا - كبير السن فاني النابغة الجعدي
- 68 سئمتُ تكاليف الحياة ومن يعيش ** ثمانين حولا - لا أبا لك - يسأم زهير بن أبي سلمى
- 68 ألا هل أتاها - والحوادث جمة - ** بأن امرأ القيس بن تملك يبقرا امرؤ القيس
- 68 وقد أدركتني - والحوادث جمة - ** أسنة قوم لا ضعاف ولا عزل رجل من بني دارم
- 69 وبدلت - والدهر ذو تبدل - ** هيفا دهورا بالصبا والشمأل أبو النجم العجلي
- 69 ذاك الذي - وربك - يعرف مالكا ** والحق يدفع ترهات الباطل جرير بن عطية

- 69 تعال فإن عاهدتني لا تخونني ** نكن مثل من - يا ذئب - يصطحبان الفرزدق
- 70 ليت - وهل ينفع شيئاً ليت - ** ليت شباباً بُوع فاشترت رؤبة بن العجاج
- 70 أخالد قد - والله - أوطأت عشوة ** وما قائلُ المعروف فينا يُعنفُ يزيد بن عبد الله البجلي
- 70 ولا - أراها - تزال ظالمة ** تُحدث لي نكبة وتنكؤها ابن هرمة
- 70 وفيهن - والأيام يعثرن بالفتى - ** نودبُ لا يمللنه ونوائح معن بن أوس
- 70 شكا وشكت، ثم ارعوى بعدُ وارعوت ** وللصبر - إن لم ينفع الشكو - أجملُ الشنفرى
- 70 أنا ابن دارة معروفًا بها نسبي ** وهل بدارة - يا للناس - من عار سالم بن دارة اليربوعي
- 88 يقول الخنا وأبغض العجم ناطقاً ** إلى ربنا صوت الحمار اليجدع ذو الخرق الطهوي
- ويستخرج اليربوع من نافقائه ** ومن جحره بالشيحة اليتقصع
- 68 ما أنت بالحكم الترضى حُكومتُهُ ** ولا الأصيل ولا ذي الرأي والجدل الفرزدق
- 169، 93 عدسٌ ما لعبادٍ عليك إمارة ** أمنتِ وهذا تحملين طليق مجهول
- 97 والخبر الجزء المتمم للفائدة ** كالله بر، والأيادي شاهده ابن مالك
- 97 وبعد لولا غالباً حذف الخبر ** حتم، وفي نص يمين ذا استقر ابن مالك
- 148، 97 يذيب الرعب منه كلَّ غضب ** فلولا الغمدُ يمسه لسالا أبو العلاء المعري
- 97 وقبل حال لا يكون خبراً ** عن الذي خبره قد أضمرنا ابن مالك
- كضربي العبد مسيئاً، وأتم ** تبيني الحق منوطاً بالحكم
- 98 والأصل في الفاعل أن يتصلا ** والأصل في المفعول أن ينفصلا ابن مالك
- 99 فأصبحت كنتياً وأصبحت عاجناً ** وشر خصال المر كنت وعاجن مجهول
- 101 فيا راكبا إما عرضت فبلغن ** ندماي من نجران أن لا تلاقيا رجل من اليمن
- 101 قالت هريرة لما جئت زائرهما ** ويلي عليك وويلي منك يا رجل الأعشى ميمون
- 101 يا لعطافنا ويا للرياح ** وأبي الحشرج الفتى النفاح مجهول
- 101 يا لقومي ويا لأمثال قومي ** لأناس عتوهم في ازدياد مجهول
- 102 تكنفني الوشاة فأزعجونني ** فيا للناس للواشي المطاع! قيس بن ذريح
- 102 ألا يا قيسُ والضحاك (ك) سيرا ** فقد جاوزتما خمر الطريق مجهول
- 102 يا حكمَ بنِ المنذر بنِ الجارود ** سُرّادق المجد عليك ممدود رؤبة بن العجاج
- 103 جاريةٌ من قيس بن ثعلبة ** كريمةٌ أخوالها والعصبه الأغلب العجلي
- 103 إلا يكن مال يُثاب فإنه ** سيأتي ثنائي زيدا بن مهلهل الحطيئة

- 103 يا زَيْدُ زَيْدَ الْعَمَلَاتِ الدُّبْلُ ** تطاول عليك الليلُ فانزل
عبد الله بن رواحة
- 103 يا تَيْمَ تَيْمَ عَدِي لَا أَبَا لَكُمْ ** لَا يَلْقَيْنَكُمْ فِي سُوءِ عَمْرٍ
جرير
- 103 يَا سَعْدُ سَعْدَ الْأَوْسِ كُنْ أَنْتَ نَاصِرَا ** وَيَا سَعْدُ سَعْدَ الْخَزْرَجِينَ الْغَضَارِفِ
مجهول
- 103 إِنِّي وَأَسْطَارُ سُطُونِ سَطْرَا ** لِقَائِلَ يَا نَصْرُ نَصْرُ نَصْرَا
رؤبة بن العجاج
- 103 سَلَامُ اللَّهِ يَا مَطَرُ عَلَيْهَا ** وَلَيْسَ عَلَيْكَ يَا مَطَرُ السَّلَامُ
الأحوص الأنصاري
- 104 لَا تَهْجِنِي يَا حَمِيدُ إِنْ لِي ** فَتَكَّةَ اللَّيْثِ إِذَا اللَّيْثُ غَضِبَ
مجهول
- 104 أَعْبَدَا حَلَّ فِي شَعْبِي غَرِيبَا ** أَلَوْمَا لَا أَبَالُكَ وَاغْتَرَبَا
جرير
- 104 أَلَا أَيُّهَذَا الْبَاخِعُ الْوَجْدُ نَفْسَهُ ** لَشَيْءٍ نَحْتَهُ عَنْ يَدَيْهِ الْمَقَادِرُ
ذو الرمة
- 104 أَلَا أَيُّهَذَا السَّائِلِي أَيْنَ يَمُمْتُ ** فَإِنْ لَهَا فِي أَهْلِ يَثْرِبَ مَوْعِدَا
الأعشى ميمون
- 104 أَلَا أَيُّهَذَا الزَّاجِرِي أَحْضَرُ الْوَعْيِ ** وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مَخْلُودِي
طرفة بن العبد البكري
- 104 يَا صَاحِبَ يَا ذَا الضَّامِرِ الْعَنْسِ ** وَالرَّحْلَ وَالْأَقْتَابَ وَالْحِلْسَ
خز بن لوزان
- 104 يَا ذَا الْمَخَوِّفِنَا بِمَقْتَلِ شَيْخِهِ ** حُجْرَ تَمَنَّى صَاحِبِ الْأَحْلَامِ
عبيد بن الأبرص
- 105 إِذَا مَا الْغَانِيَاتِ بَرَزْنَ يَوْمَا ** وَزَجَّحْنَ الْحَوَاجِبَ وَالْعَيُونَا
الراعي النميري
- 105 فَيَا الْغَلَامَانَ اللَّذَانَ فَرَا ** إِيَّاكُمَا أَنْ تَعْقَبَانَا شَرَا
مجهول
- 105 مَنْ أَجْلَكَ يَا الَّتِي تَيْمَتْ قَلْبِي ** وَأَنْتِ بِخَيْلَةٍ بِالْوَصْلِ عَنِي
مجهول
- 106 جَارِي لَا تَسْتَنْكِرِي عَذِيرِي ** سَعِي وَإِشْفَاقِي عَلَى بَعِيرِي
العجاج
- 106 أَطْرُقُ كَرَا أَطْرُقُ كَرَا ** إِنْ النِّعَامَ فِي الْقَرْيِ
مجهول
- 107 أَزِيدُ أَخَا وَرْقَاءَ إِنْ كُنْتَ ثَائِرَا ** فَقَدْ عَرَضْتُ أَخْنَاءُ حَقَّ فِخْاصِمِ
مجهول
- 107 يَا حَكْمُ الْوَارِثِ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ ** أُوْدِيتَ إِنْ لَمْ تَحُبْ حَبُو الْمُعْتَنِكِ
العجاج
- 108 لَا يَبْعَدُنْ قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ ** سَمَّ الْعُدَاةَ وَآفَةَ الْجُزْرِ
الخرنق بنت هفان
- النَّازِلِينَ بِكُلِّ مَعْتَرَكِ ** وَالطَّبِيبُونَ مَعَاقِدَ الْأَزْرِ
- 108 تَعَلَّقْتُ لَيْلَى وَهِيَ ذَاتُ مَوْصَدٍ ** وَلَمْ يَبْدُ لِلْأَتْرَابِ مِنْ ثَدْيِهَا حَجْمِ
قيس بن الملوحة
- صَغِيرِينَ نَرَعِي الْبَهْمَ يَا لَيْتَ أَنَا ** إِلَى الْيَوْمِ لَمْ نَكْبِرْ وَلَمْ تَكْبِرْ الْبَهْمَ
- 108 مَتَى مَا تَلْقَانِي فَرْدِينَ تَرْجُفُ ** رَوَانِفَ أَلَيْتِيكَ وَتُسْتَطَارَا
عنتر بن شداد العبسي
- 109 وَإِنِّي لَتَعْرُونِي لَذَكَرَكَ نُفْضَةً ** كَمَا انْتَفَضَ الْعَصْفُورُ بَلَلَهُ الْقَطَرُ
أبي صخر الهذلي
- 111 وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا ** مُنْجَرِدٍ قَيْدَ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ
امرؤ القيس
- 111 فَكُونُوا أَنْتُمْ وَبَنِي أَبِيكُمْ ** مَكَانَ الْكَلِيتَيْنِ مِنَ الطَّحَالِ
مجهول

- 111 مسكين الدارمي فما لك والتددَ حول نجد ** وقد غصت تهامة بالرجال
- 111 جرير، لبید بن ربيعة إذا كانت الهيجاء وانشقت العصا ** فحسبك والضحاك سيفٌ مهندٌ
- 112 المخبل السعدي يا زيرقان أخوا بني خَلَفَ ** ما أنت وَيبَ أيبك والفخرُ
- 112 مجهول وكنت هناك أنت كريم قيس ** فما القيسيُّ بعدك والفخارُ
- 112 أسامة بن حبيب الهذلي فما أنا والسيرَ في مُتَلَفَ ** يبرح بالذكر الضابط
- 113 المخبل السعدي أتهجر ليلى بالفراق حبيبها ** وما كان نفسا بالفراق تطيب
- 114 لبید بن ربيعة العامري ألا كل شيء ما خلا الله باطل ** وكل نعيم لا محالة زائلٌ
- 178، 114 امرؤ القيس ألا رب يوم لك منهن صالح ** ولا سيما يومٌ بدارة جلجل
- 115 طرفة بن العبد، وأوس بن حجر أبني لبني لستم بيدٍ ** إلا يدا ليست لها عضدٌ
- 117 الفرزدق ما زال مذ عقدت يده إزاره ** فسما وأدرك خمسة الأشبار
- 117 ذو الرمة وهل يُرجع التسليم أو يكشف العمى ** ثلاث الأثافي والديار البلاقُع
- 117 قيس بن الخطيم الحافظو عورة العشرة لا ** يأتهم من ورائنا نطفُ
- 118 عبد الرحمان بن حسان أيها الشامي ليحسب مثلي ** إنما أنت في الضلال تهيم
- 118 مجهول هم الآمرون الخير والفاعلونه ** إذا ما خشوا من مُحدث الأمر مُعظما
- 118 مجهول ولم يَرتفق والناس مُحضرونه ** جميعا وأيدي المعتفين رواهقه
- 119 مجهول كلا أخي وخليلي واجدي عضدا ** في النائبات وإلمام المللمات
- 119 عمير بن شميم التغلبي صريعٌ غوان راقهن ورقنه ** لدن شاب حتى سود الذوائب
- 119 مجهول وإذا تُباع كريمة وتُشتري ** فسواك بائعها وأنت المشتري
- 120 مجهول فرحنا إذا قدمت قدوم سعد ** وإذا رؤياك من الأيام عيدٌ
- 120 لبید بن ربيعة العامري إلى الحول ثم اسمُ السلام عليكما ** ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذرُ
- 120 ذو الرمة لا ينعشُ الطرف إلا ما تخونه ** داع يناديه باسم الماء مبعومٌ
- 120 ذو الرمة تداعين باسم الشيب في متثلن ** جوانبه من بصرة وسلام
- 121 جبار بن سلمى يا قُرُّ إن أباك حيَّ خُويلد ** قد كنتُ خائفة على الإحماق
- 121 الشماخ بن ضرار الغطفاني ذعرتُ به القطا ونفيتُ عنه ** مقامُ الذئب كالرجل اللعين
- 121 النابغة الذبياني على حين عاتبْتُ المشيب على الصبا ** وقلت: ألما أصحُ والشيب وازعُ
- 121 حجل بن نضلة حنت نوار و لات هُنا حنت ** وبدا الذي كانت نوارُ أجنتِ
- 121 الأعشى ميمون لات هنا ذكرى جُبيرة أو من ** جاء منها بطائف الأهوال

- 122 الأعرشى ميمون بآية يُقدمون الخيل شعثا ** كأن على سنانكها مُداما
- 122 يزيد بن عمرو بن الصعق ألا من مُبلغ عني تميما ** بآية ما يُحبون الطعاما
- 122 ذو الرمة عشية فر الحارثيون بعد ما ** قضى نحبَه في ملتقى القوم هويُر
- 122 أبو دؤاد جارية بن الحجاج أكلَ امرئ تحسبين امرءً ** ونارٍ توقد بالليل نارا
- 123 أبو دؤاد الإيادي أيا من رأى لي بَرَقَ شريق ** أسال البحار فانتحى للعقيق
- 123 الأسود بن يعفر، الكلحبة اليربوعي فأدرك إبقاء العرادة ظلُعها ** وقد جعلتني من خزعة إصبعا
- 124 امرؤ القيس وليل كموج البحر أرخى سدوله ** عليّ بأنواع الموموم ليلتي
- 124 رؤية بن العجاج وبلدٍ مغبرة أرجاؤه ** كأن لون أرضه سماؤه
- 124 جرّان العود وبلدةٍ ليس بها أنيس ** إلا اليعافير وإلا العيسُ
- 125 امرؤ القيس فمثلك حُبلى قد طرقت ومرضع ** فألهيتها عن ذي تائم محول
- 125 رؤية بن العجاج بل بلدٍ ملء الفجاج قيمته ** لا يشتري كتائنه وجهه
- 126 مجهول بني غدانة ما إن أنتم ذهب ** ولا صريف ولكن أنتم خذف
- 126 فروة بن مسيك وما إن طبنا جبن ولكن ** منايانا ودولة آحرينا
- 127 العباس بن مرداس إذ ما مررت على الرسول فقل له ** حقا عليك إذا اطمأن المجلس
- 127 مجهول وأني حيشما يثني الهوى بصري ** من حيشما سلكوا أدنوا فأنظور
- 127 عمرو بن قمئة يا رب من ييغض أذوادنا ** رُحْن على بغضائه واغتدين
- 127 ذو الرمة ألا رب من قلبي له الله ناصح ** ومن هو عندي في الأطباء السوانح
- 128 أفنون التغلبي أني جزوا عامرا سيئا بفعلهم ** أم كيف يجزونني السوأى من الحسن
- 128 مجهول أم كيف ينفع ما تعطي العلوق به ** رثمان أنف إذا ما ضُن بالبن
- 128 عنتره بن شداد أم كيف صبرك إذ ثويت معالجا ** سقما خلافهم وسقمك بادي
- 128 زيد الخيل الطائي هل غادر الشعراء من متردم ** أم هل عرفت الدار بعد توهم
- 128 مسلم بن الوليد سائل فوارس بني يربوع بشدتنا ** أهْل رأونا بسفح القاع ذي الأكَم
- 128 جرير أليس أكرم خلق الله قد علموا ** عند الحفاظ عمرو بن جَنحوت
- 128 مزاحم العقيلي أَلستم خير من ركب المطايا ** وأندى العالمين بطون راح
- 129 القطامي غدت من عليه بعد ما تم ظمؤها ** تصلُّ وعن قيض بزياء مجهل
- 129 العجاج فقلتُ للركب لما أن علا بهم ** من عن يمين الحُببَا نظرة قبلُ
- 129 ييضمُ ثلاث كنعاج جُم ** يضحكن عن كالبرد المنهَم

- 138 الوليد بن عقبة بن أبي معيط قلت لها قفي فقالت قاف ** لا تحسبنا قد نسينا الإيجاف
- 138 ابن مطروح لا أنتهي لا أنثي لا أرعوي ** مادمت في قيد الحياة ولا إذا
- 138 ابن سناء الملك لقد كففتُ عنان عيني جاهدا ** حتى إذا أعيتُ أطلقتُ العنا
- 139 الفرزدق فلو كان عبد الله مولى هجوته ** ولكن عبد الله مولى مواليا
- 139 مجهول لما حطّطت الرحل عنها واردا ** علفتها تبنا وماءً باردا
- 141 مجهول كرة ضربت بصوالجة ** فتلقفها رجل رجل
- 192، 144 أبو النجم العجلي قد أصبحت أمّ الخيار تدعي ** عليّ ذنبا كلّهُ لم أصنع
- 148، 144 عمر بن أبي ربيعة فو الله ما أدري وإن كنت داريا ** بسبع رمين الجمر أم بثمان؟
- 148، 144 الكميت طربتُ وما شوقا إلى البيض أطرب ** ولا لعبا مني، وذو الشيب يلعب؟
- 144 عمر بن أبي ربيعة ثم قالوا تحبها؟ قلت بهرا ** عدد الرمل والحصى والتراب
- 144 أبي دؤاد يذرين جندل جابر بجنوبها ** فكأنما تذكي سنابكها الحبا
- 144 عاتكة بنت عبد المطلب بعكاظ يُعشى الناظرين ** إذا هم لمخوا شعاعهُ
- 149 أبو خراش الهذلي رفوني وقالوا يا خويلد لا تُرْعِ ** فقلّت وأنكرت الوجوه هُمُ هُمُ
- 149 الأحنبل كذبتك عينك أم رأيت بواسط ** غلس الظلام من الرّباب خيالا
- 149 الأشود بن يعفر لعمرك ما أدري وإن كنت داريا ** شعيث بن سهم أم شعيث بن منقر؟
- 150 أبو صخر الهذلي ولا عائدا ذاك الزمان الذي مضى ** تباركت ما تقدّر يكن ولك الشكر
- 151 عمر بن أبي ربيعة لم أنس يوم الرحيل وقفها ** وطرفها في دموعها غرق
- وقولها والركاب واقفة ** تتركني هكذا وتنطلق؟
- 152 امرؤ القيس تروح من الحي أم تبتكر؟ ** وماذا يضرك لو تنتظر
- 153 حضرمي بن عامر إن كنت أزننتني بها كذبا ** جزء فلاقيت بعدها عجلا
- أفرح أن أرزأ الكرام وأن ** أورث ذودا شصائصا نبلا
- 155 عمرو بن معد يكرب الزبيدي أمرتُك الخير فافعل ما أمرت به ** فقد تركتُك ذا مال وذا نشبٍ
- 156 الفرزدق إذا قيل: أي الناس شرُّ قبيلة ** أشارت كليبٍ بالأكف الأصابع
- 156 مجهول وكرمة من آل قيس ألفتُهُ ** حتى تُبدخ فارتقي الأعلام
- 156 ساعدة بن جؤبة لدنٌ بهزّ الكف يعسل متنه ** فيه، كما عسل الطريق الثعلبُ
- 157 المتلمس الضبعي آليتُ حبَّ العراق الدهرَ أطعمهُ ** والحب يأكله في القرية السوسُ
- 157 جرير تمرّون الديار ولم تعوجوا ** كلامكم عليّ إذا حرامُ

158	مجهول	أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُحْصِيهِ ** رَبِّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ
160	الأخطل	وَسَمَّيْتُ كَعْبًا بِشَرِّ الْعِظَامِ ** وَكَانَ أَبُوكَ يُسَمِّي الْجُعْلَ
164	زفر بن الحارث الكلابي	وَكُنَّا حَسْبَنَا كُلَّ بَيْضَاءِ شَحْمَةٍ ** عَشِيَّةً لَأَقِينَا جَذَامًا وَحَمِيرًا
167	حسان بن ثابت	مَنْ يَفْعَلُ الْحَسَنَاتِ اللَّهُ يَشْكُرُهَا ** وَالشَّرَّ بِالْشَّرِّ عِنْدَ اللَّهِ مِثْلَانِ
167	رجل من بني أسد	بَنِي ثَعْلٍ لَا تَنْكَعُوا الْعِزَّ شَرِّهَا ** بَنِي ثَعْلٍ مَنْ يَنْكَعُ الْعِزَّ ظَالِمٌ
167	مجهول	وَمَنْ لَا يَزِلُّ يَنْقَادُ لِلْغِيِّ وَالْهَوَى ** سِيلَفِي عَلَى طَوْلِ السَّلَامَةِ نَادِمًا
169	خفاف بن ندبة	أَقُولُ لَهُ وَالرَّمْحُ يَأْطُرُ مَتْنَهُ ** تَبَيَّنَ خَفَافًا إِنِّي أَنَا ذَلِكَ
174	القاسم بن حنبل	هَمْ حَلَوْا مِنَ الشَّرَفِ الْمَعْلَى ** وَمَنْ حَسِبَ الْعَشِيرَةَ حَيْثُ شَاءُوا
		بَنَاءُ مَكَارِمٍ وَأَسَاءَةُ كَلَمٍ ** دِمَاؤُهُمْ مِنَ الْكَلْبِ الشِّفَاءُ
174	أسيد بن عنقاء الفزاري	رَأَيْتُ عَلَى مَا بِي فَاشْتَكَيْتُ ** إِلَى مَا لَهُ حَالِي أَسْرَكَمَا جَهْرًا
		غَلَامٌ رَمَاهُ اللَّهُ بِالْخَيْرِ مَقْبَلًا ** لَهُ سَيْمِيَاءٌ لَا تَشْقَى عَلَى الْبَصَرِ
175	إبراهيم بن العباس الصولي	سَأَشْكُرُ عَمْرًا إِنْ تَرَاحْتَ مَنِيَّتِي ** أَيَادِي لَمْ تَمْنَنَّ وَإِنْ هِيَ جَلَّتْ
175	جميل بثينة	وَهَلْ بَثِينَةٌ يَا لِلنَّاسِ قَاضِيَتِي ** دِينِي وَفَاعِلَةٌ خَيْرًا فَأَجْزِيهَا
		تَرَنُوْا بَعِيْنِي مَهَاةً أَقْصَدْتَ بِهِمَا ** قَلْبِي عَشِيَّةً تَرْمِينِي وَأَرْمِيهَا
175	بكر بن النطاح	الْعَيْنُ تَبْدِي الْحُبَّ وَالْبَغْضَا ** وَتُظْهِرُ الْإِبْرَامَ وَالنَّقْضَا
		دُرَّةٌ مَا أَنْصَفْتَنِي فِي الْهَوَى ** وَلَا رَحِمْتَ الْجَسَدَ الْمَضْنَى
175	مجهول	اعْتَادَ قَلْبُكَ مِنْ لَيْلَى عَوَائِدِهِ ** وَهَاجَ أَهْوَاؤُكَ الْمَكْنُونَةَ الطَّلُؤُ
176	ليلي الأخيلية	تَسَاوَرَ سَوَارٌ إِلَى الْمَجْدِ وَالْعَلَا ** وَفِي ذِمَّتِي لَنْ فَعَلْتَ لِيْفَعْلًا
176	منذر بن درهم الكلبي	وَقَالَتْ حَنَانٌ، مَا أَتَى بِكَ هَاهُنَا ** أَذُو نَسَبٍ أَمْ أَنْتَ بِالْحَيِّ عَارِفٌ
177	الملبد بن حرملة	شَكَأَ إِلَيَّ جَمَلِي طَوْلَ السَّرَى ** صَبْرٌ جَمِيلٌ فَكَلَانَا مَبْتَلَى
178	قيس بن الخطيم	نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا ** عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلَفٌ
178	ضابئ بن الحارث البرجمي	وَمَنْ يَكُ أَمْسَى بِالْمَدِينَةِ رَحْلُهُ ** فَإِنِّي وَقِيَارٌ بِهَا لَغَرِيبٌ
179	رؤبة بن العجاج	فِيهَا خَطُوطٌ مِنْ سَوَادٍ وَبَلَقٌ ** كَأَنَّهُ فِي الْجِلْدِ تَوَلِيْعُ الْبَهَقِ
182، 183	مجهول	لَوْلَا زَهِيرٌ جَفَانِي كُنْتُ مُنْتَصِرًا ** وَلَمْ أَكُنْ جَانِحًا لِلْسَّلَمِ إِذْ جَنَحُوا
182	مجهول	لَوْلَا ابْنُ أَوْسٍ نَأَى مَا ضَمِيمٌ صَاحِبُهُ ** يَوْمًا وَلَا نَابَهُ وَهْنٌ وَلَا حَذَرٌ
184	طرفة بن العبد	لَعَمْرُكَ مَا الْأَيَّامُ إِلَّا مَعَارَةٌ ** فَمَا اسْتَعْطَتْ مِنْ مَعْرُوفِهَا فَتَرُودُ
184	ليلي الأخيلية	لَعَمْرُكَ مَا بِالْمَوْتِ عَارٌ عَلَى الْفَتَى ** إِذَا لَمْ تَصْبِهِ فِي الْحَيَاةِ الْمَعَايِرُ

184	معن بن أوس	لعمرك ما أهويت كفي لريبة ** ولا حملتني نحو فاحشة رجلي
184	أبو شهاب الهذلي	فإنك عمر الله إن تسألهم ** بأحسابنا إذا تجل الكبائر
		ينبؤك أنا نفرج لهم كله ** بحق وأنا في الحروب مساعر
184	الفرزدق	تمنوا الموت الذي يشعبُ الفتى ** وكلُّ امرئٍ والموت يلتقيان
185	مجهول	خيرُ اقترابي من المولى حليف رضى ** وشر بعدي منه وهو غضبان
188	البحثري	لو شئت لم تفسد سماحة حاتم ** كرما ولم تهدم مآثر خالدٍ
188	المتنبي	وإن الذي حابى جديلة طيء ** به الرب يعطي من يشاء ويمنع
188	المتنبي	كذا أنا يا دنيا إذا شئت فاذهي ** وبأ نفس زيدي في كرائها قُدُما
189	المتنبي	جربتُ من نار الهوى ما تنطفي ** نار الغضى وتكل عما تحرق
189	المتنبي	دعيتُ بتقرظيك في كل مجلس ** وطن الذي يدعو ثنائي عليك أسمى
189	المتنبي	في كل معتركٍ كُليّ مفرية ** يذمن منه ما الأسنة تحمد
189	مجهول	ما الله موليك فضل فاحمده به ** فما لدي غيره نفع ولا ضرر
190	الحارث بن كلدة	فما أدري أغيرهم تناء ** وطولُ العهد أم مالٌ أصابوا
190	جرير	أبحتَ حمى تامة بعد نجد ** وما شيء حميتَ بمستباح
190	رجل من بني عامر	ويومٍ شهدناه سليما وعامرا ** قليلٌ سوى الطعن النihal نوافله
190	النابعة الجعدي	مضت مئة لعام ولدتُ فيه ** وعشر بعد ذاك وحجتان
191	امرؤ القيس	فأقبلت زحفا على الركبتين ** فتوبٌ لبست وثوب أجُرُ
191	مجهول	ثلاثُ كلهن قتلن عمدا ** فأخزى الله رابعة تعودُ
193	المتنبي	إني نزلت بكذابين ضيفهم ** عن القرى وعن الترحال محدود
193	المتنبي	أكلما اغتال عبد السوء سيده ** أو خاناه فله في مصر تمهيد
193	حسان بن ثابت	يسقون من ورد البريص عليهم ** بردى يصفق بالرحيق السلسل
194	المتنبي	فلو طُرحت قلوبُ العشق فيها ** لما خافت من الحدق الحسان
194	المتنبي	أيا أسدا في جسمه روح ضيغم ** وكم أسدٍ أرواحهن كلاب
194	الشمخ	رب ابن عم لسليمي مشمعل ** طباخ ساعات الكرى زاد الكسل
199	الخنساء	ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت ** فإنما هي إقبال وإدبار
199	بشر القشيري	ولم أر مثل الخير يتركه الفتى ** ولا مثل الشر يأتيه امرؤ وهو طالع
200	مجهول	ومن قبل نادى مولى قرابة ** فما عطف مولى عليه العواطف

200	الراعي النميري	وما صرمتك حتى قلت معلنة ** لا ناقة لي في هذا ولا جمل
201	يزيد بن الصعق	فساغ لي الشراب وكنث قبلا ** أكاد أغص بالماء الزلال
201	الفرزدق	يا من رأى عارضا أسر به ** بين ذراعي وجبهة الأسد
203	كعب بن زهير	وما سعاد غداة البين إذ رحلوا ** إلا أغن غضيض الطرف مكحول
203	النابعة الذبياني	كأنك من جمال بني أقيش ** يققع خلف رجله بشن
203	أبي ذؤيب الهذلي	وعليهما مسرودتان قضاهما ** داود أوضع السواغ تبع
203	المنتحل الهذلي	رباء شماء لا يأوي لقلتها ** إلا السحاب وإلا الأوب والسبل
218	المتلمس الضبعي	لو غير أخوالي أراد نقيصتي ** جعلت لهم فوق العراني ميسما
218	ذو الرمة	إذا ابن أبي موسى بلالا بلغته ** فقام بفأس بين وصليك جازر
218	طرفة بن العبد	إذا القوم قالوا من فتى خلثت أني ** عنيت فلم أكسل ولم أتلبد
219	لبيد بن ربيعة	وإذا الأمانة قُسمت في معشر ** أوفى بأوفر حظنا قسامها
219	عبد الواسع بن أسامة	ومن فعلاقي أني حسن القرى ** إذا الليلة الشهباء أضحى جليدها
219	أوس بن حجر	فأمهله حتى إذا أن كانه ** معاطي يد في لجة الماء غامر
219	الفرزدق	إذا باهلي تحته حنظلية ** له ولد فذاك المدرع
219	ضيغم الأسدي	إذا هو لم يخفني في ابن عمي ** وإن لم ألقه الرجل الظلوم
225	مسكين الدارمي	أكر على الكتيبة لا أبالي ** أحتفي كان فيها أم سواها
225	مجهول	فاليوم قربت تهجونا وتشتما ** فاذهب فما بك والأيام من عجب
225	جرير، لبيد	إذا كانت الهيجاء وانشقت العصا ** فحسبك والضحاك سيف مهند
227	جرير	تعدون عقر النيب أفضل مجدكم ** بني ضو طرى لولا الكمي المقنعا
227	عمرو بن قنعا	ألا رجلا جزاه الله خيرا ** يدل على محصلة تبيت
227	مجهول	ونبت ليلي أرسلت بشفاعة ** إلي فهلا نفس ليلي شفيعها
188	المتنبي	سل البيد: أين الجن منا بجوزها؟ ** وعن ذي المهاري: أين منها النقانق؟
229	المتنبي	بما بجفنيك من سحر صلي دنفا ** يهوى الحياة، وأما إن صددت فلا
229	الأحوص الأنصاري	فطلقها فلست لها بكفاء ** وإلا يعل مفرقك الحسام
230	قريط بن أنيف	لو كنت من مازن لم تستبح إبلي ** بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا
		إذن لقام بنصري معشر خشن ** عند الحفيظة إن ذو لوثة لانا
237	المتنبي	تا الله ما علم امرؤ لولاكم ** كيف السخاء وكيف ضرب الهام

- 237 مجنون ليلي بربك هل ضمنت إليك ليلي ** قبيل الصبح أم قبلت فاها
- 238 الشنفرى لا تقبروني إن قبري محرم ** عليكم ولكن أبشري أم عامر
- 238 الربيع الأسدي على حين كانت عقيل وشائظا ** وكانت كلاب خامري أم عامر
- 244 عبيد بن الأبرص إن يكن طُبُّكَ الدلال فلو في ** سالف الدهر والسنين الخوالي
- 254، 175 مجهول ربع قواء أذاع المعصرات به ** وكل حيران سار ماؤه خضل
- 254 مجهول نوازل أعوام أذاعت بخمسة ** وتجعلني إن لم يق الله ساديا
- 254 ساعدة بن جؤية فإن ابن عبس قد علمتم مكانه ** أذاع به ضرب وطعن جوانف
- 255 أبو الأسود الدؤلي أذاع به في الناس حتى كأنما ** بعلياء نازر أوقدت بثقوب
- 256 الأسود بن يعفر فَإِذَا وَذَلِكَ لَامَهَاءَ لِدِكْرِهِ ** وَالْدَّهْرُ يُعْقِبُ صَالِحًا بِفَسَادِ
- 257 ابن رنح الهذلي حَتَّى إِذَا أَسْلَكُوهُمْ فِي فُتَايِدَةٍ ** شَلَا كَمَا تَطْرُدُ الْجَمَالَةَ الشُّرْدَا
- 275 امرؤ القيس فلا وربك ابنه العامري ** لا يدع القوم أني أفر
- 276 مجهول ما كان يرضى رسول الله دينهم ** والأطبيان أبوكر ولا عمر
- 276 العجاج في بئر لا حور سرى وما شعر ** بإفكه حتى رأى الصبح شجر
- 276 المجنون تذكرت ليلي فاعترتني صباة ** وكاد صميم القلب لا يتقطع
- 276 ابن الحارث وتضحك مني شيخة عبشمية ** كأن لم ترى قبلي أسيرا يمانيا
- 277 رؤية بن العجاج إذا العجوز غضبت فطلق ** ولا ترضاها ولا تملق
- 277 عنتره بن شداد ينباع من ذفرى غضوب جَسْرَة ** زيافة مثل الفنيق المكدّم
- 287 سليط بن سعيد جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر ** وحسن فعل كما يجزى سنمار
- 287 مجهول كسا حلمه ذا الحلم أثواب سؤدد ** ورقى نداه ذا الندى في ذرا المجد
- 287 مجهول لما رأى طالبوه مصعبا ذعروا ** وكاد لو ساعد المقدور ينتصر
- 290 ذو الرمة إذا توجس ركزا من سناكبها ** أو كان صاحب أرض أو به الموم
- 290 أبو ذؤيب الهذلي حتى أتيح له يوما بمُحْدَلَة ** ذو مرة بدوار الصيد وجاس
- 310 سحيم بن وثيل اليربوعي أنا ابنُ جلا وطلاغُ الشنايا ** متى أضع العمامة تعرفوني
- 312 قيس بن الخطيم متى يأت هذا الموتُ لا يُلَف حاجة ** لنفسي إلا قد قضيتُ قضاءها
- 316 ذو الرمة كأن أصوات من إيغالهن بنا ** أواخر الميس أنقاض الفرائج
- 316 مجهول فرجحتها متمكنا ** زجّ - القلوص - أبي مزادة
- 317 المتنبي بعثتُ إليه من لساني حديقة ** سقاها الحيا سقي الرياض السحائب

- 332 عنتره بن شداد أما تريني قد نخلت ومن يكن ** غرضا لأطراف الأسنة ينحل
334 لبيد بن ربيعة ولقد علمت لتأتين منيتي ** إن المنايا لا تطيش سهامها
343 مجهول وقائلة حولان فانكح فتاتهم ** وأكرومة الحيين خلو كما هيا
345 أبو المنهال الخزاعي إِنَّ الثَّمانينَ وَبُلَّغَتْها ** قَدْ أَحْوجَتْ سَمْعِي إلى تَرْجُمانَ

فهرس الأمثال

221....."لو ذاتُ سِوارٍ لَطَمَنِي"

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة.....	04
مدخل.....	09
الباب الأول: قرينة التضام في ضوء علم النحو.....	43
الفصل الأول: تعريف التضام وبيان أنواعه وعوارضه.....	45
1- تعريف التضام لغة واصطلاحاً.....	45
2- أنواع التضام النحوي.....	47
3- عوارض التضام النحوي.....	53
الفصل الثاني: ظواهر التضام وأقسامها.....	71
أ- ظواهر رئيسية أو كبرى.....	71
ب- ظواهر فرعية.....	71
1- ظاهرة إدخال اللفظ على غير مدخوله.....	71
2- ظاهرة التكرار.....	74
أ- تعريف التكرار لغة واصطلاحاً.....	74
ب- التكرار والتضام في ضوء لسانيات النص.....	75
ج- أنواع التكرار.....	76
الفصل الثالث: أثر قرينة التضام في تقسيم الكلم العربي.....	87
1- التقسيم الثلاثي.....	87
2- الأسس التي اعتمدها علماء العربية القدامى في تقسيمهم للكلم العربي.....	91
2- التقسيم السباعي.....	95

97.....	الفصل الرابع: أثر قرينة التضام في تحديد الوظائف النحوية.
97.....	1- المرفوعات.
101.....	2- المنصوبات.
118.....	3- المحرورات.
127.....	4- أثر قرينة التضام في تحديد الوظائف النحوية للأدوات.
131.....	الفصل الخامس: التضام في ضوء المنهج الوصفي.
131.....	1- الخطوات الإجرائية للمنهج الوصفي.
134.....	2- التضام والمحررين التركيبي والاستبدالي "Synchronic and diachronic".
137.....	الباب الثاني: ظواهر التضام في التركيب القرآني وتمظهراتها البلاغية والدلالية.
141.....	الفصل الأول: ظاهرة الحذف في التركيب القرآني وتمظهراتها البلاغية والدلالية.
141.....	1- تعريف الحذف.
141.....	2- أقسام الحذف.
143.....	3- شروط الحذف.
148.....	4- أسباب الحذف.
	الدراسة التطبيقية:
151.....	1- حذف الحرف في القرآن الكريم.
174.....	2- الحذف في التراكيب في القرآن الكريم.
174.....	أ- نماذج من حذف الاسم في القرآن الكريم.
219.....	ب- نماذج من حذف الفعل والجملة في القرآن الكريم.
250.....	الفصل الثاني: ظاهرة الزيادة في المبنى لتأكيد المعنى.
251.....	1- مفهوم ظاهرة الزيادة النحوية.
251.....	2- حجج ودوافع المجيزين للزيادة في القرآن الكريم.
259.....	3- حجج ودوافع المانعين للزيادة في القرآن الكريم.

262.....	4- مناقشة قضية الزيادة في القرآن الكريم.
264.....	5- دراسة تحليلية لمواضع من القرآن الكريم قيل فيها بالزيادة.
290	الفصل الثالث: ظاهرة الفصل النحوي في التركيب القرآني وتمظهراتها البلاغية والدلالية
291.....	1- الفصل المطرد.
291.....	أ- الفصل بين الفعل والفاعل.
296.....	ب- الفصل بين المبتدأ والخبر.
311.....	2- الفصل غير المطرد.
311.....	أ- الفصل بين الصفة والموصوف.
316.....	ب- الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه.
320.....	ج- الفصل بين المضاف والمضاف إليه.
323	الفصل الرابع: ظاهرة الاعتراض في التركيب القرآني وتمظهراتها البلاغية والدلالية.
324	1- دراسة تحليلية لنماذج من ظاهرة الاعتراض في النصف الأول من القرآن الكريم.
343.....	2- دراسة تحليلية لنماذج من ظاهرة الاعتراض في النصف الثاني من القرآن الكريم.
354.....	الخاتمة.
357.....	قائمة المصادر والمراجع.

الفهارس

399.....	• الآيات القرآنية.
424.....	• الأحاديث النبوية الشريفة.
426.....	• الأشعار.
438.....	• الأمثال.
439.....	• موضوعات الرسالة.

